

الزواج والعلاقات الأسرية

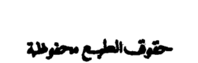
دكتورة سناء الخولي
أستاذ علم الاجتماع
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

الـزوَاج
والعَلاقات الأسرِيَة

الزواج والعلاقات الأسرية

دكتورة
سناء الخولي
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

الناشر
دار المعرفة الجامعية



إهداء

الى كل من يعمل

بروح العلم وبطريقته

لقهر السلبيات التي تعوق

انطلاقة الرجل والمرأة للعمل معا

من أجل بناء السلام وصنع التقدم .

مقدمة

إن أهمية الزواج مثله مثل الأسرة في حياة الإنسان والمجتمع أمر ظل يلقى تأييداً وتأكيداً طوال التاريخ وحتى اليوم ، وكانت العلاقة بين الرجل والمرأة وما تزال موضوعاً يجذب اهتمام المفكرين والفلاسفة والأدباء ورجال السياسة والعلماء ، فعبروا عن انطباعاتهم وتصوراتهم كل بطريقته ، الا أن الزواج كموضوع للبحث المتخصص إنحصر في نطاق علم الاجتماع منذ بدايته ، وظل ينمو ويتطور حتى أصبح مركز اهتمامات عديدة على المستوى النظري والتطبيقي وأثرته أبحاث عديدة بيولوجية واقتصادية وتاريخية .

إن الاهتمام الشديد الذي نلاحظه عند علماء الاجتماع في الغرب والشرق على السواء بالزواج ، وربما يكون مرجعه الى التغيرات الواضحة التي طرأت على طبيعته وأهدافه ، والى المشاكل والأزمات والتحديات التي يواجهها ، نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي تتعاظم عاما بعد آخر . وربما يعود هذا الاهتمام كذلك إلى أن كثيراً من خبراتنا وعواطفنا ومشاكلنا تمتد جذورها في الحياة الاسرية التي نشارك فيها جميعها بشكل أو بآخر . وقد أدرك الكثيرون ممن يعملون في حقل العلم أو السياسة أو التخطيط ، أو من يتصدون لتشخيص مشاكل المجتمع وبناء برامج التغير أو الاصلاح ، إن الانطلاق من تفهم قضايا الزواج المعاصر وأزمة الأسرة ومعاناتها في هذا العصر أمر لا مفر منه ، وخاصة إذا كانت الاسرة ستظل صاحبة الدور

الحيوي في تشكيل الشخصية وفي بناء قيم واتجاهات الانسان المعاصر

وربما كان تخلف الاهتمام بأبحاث الزواج والأسرة في مجتمعنا يرجع الى أن سرعة التغير لم تظهر نتائجها بصورة واضحة الا منذ وقت قريب ، والى الثبات النسبي في أنماط الاسرة التقليدية التي ميزت الحياة العائلية لفترة طويلة من الزمان ، ومع ذلك هناك دراسات علمية قد أجريت في ميدان الاسرة على المستوى الاكاديمي ، ودراسات أخرى تتم تدريجيا بقصد ابراز بعض الجوانب التطبيقية ، من خلال هيئات ومؤسسات متنوعة الأهداف . الا أنني وجدت أن الوقت أصبح مناسبا لاقدم مؤلفاً يتميز بالشمول عن الاسرة والزواج يعالج أهم القضايا والموضوعات التي تهم الدارس والمثقف المصري ، وينطوي على أهم المعلومات والتحليلات التي أخذت طابعا مقارنا مع الاشارة المتكررة الى الاسرة المصرية كلما كان ذلك مناسباً .

ومع أنني أعلم أن هناك كما هائلاً من الموضوعات التي تعالجها الآن المؤلفات التي تستوعب جميع جوانب الاسرة والزواج في كثير من بلاد العالم وخاصة من خلال منظورات متعددة الاتجاهات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو النفسية ، الا أن الامر يتطلب نوعا من الاختيار الذي قد ينجح في القاء الضوء على الموضوعات الرئيسية ذات الأهمية الحيوية أو قد يقصر دون قصد في الوصول إلى هذا الهدف لكنني أعتقد مع ذلك ، أن هذا المؤلف يحرص على ما يلي :

١ - التوصل - نسبياً - الى تغطية شاملة وموضوعية للمفهومات والأفكار الأساسية عن الزواج والاسرة ، مع تدعيمها بالبيانات العلمية والواقعية المستمدة من دراسات تجريبية أجريت على جماعات أسرية حقيقية في مجتمعات مختلفة ، ولهذا سوف يجد كثير من القراء في هذا المؤلف صورة أقرب ما تكون إلى حياتهم الأسرية الفعلية ، في الوقت الذي تطرح أمامهم الوسائل المناسبة ، لتمكينهم من الاشتراك في عملية مستمرة لملاحظة وفهم وتحليل علاقات الزواج والأسرة وتنظيماتها المختلفة سواء

في المجتمع المصري أو في المجتمعات الأخرى .

٢ ـ حفز اهتمام القارىء حتى على مستوى غير المتخصصين ، إلا أن هذا لم يكن على حساب الدقة ، فقد حرصت أن أعرض بصدق وموضوعية عمليات السلوك الزواجي والأسري وتنظيماته بطريقة مفهومة ومشوقة . ولهذا أرجو أن يتمكن القارىء بعد أن يفرغ من القراءة ، أن يربط قيمه الشخصية والعائلية بأساليب الحياة المختلفة وأنماطها في مجتمعه الخاص وأن يقارن كل ذلك بما يحدث في المجتمعات الأخرى ، أو بمعنى آخر يستطيع القارىء أن يرى بوضوح مكانه ومكان أسرته في المجتمع الذي ينتمي اليه أو في مجتمعات العالم .

٣ ـ تحري الموضوعية والبعد عن الأحكام الشخصية والاستعانة بنتائج دراسة نماذج عديدة من الأسر ، يمكن أن تسمح تنوعاتها في التوصل إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الواقع المعاش .

إن هذا الكتاب يعتبر امتداداً لكتابي عن « الاسرة والحياة العائلية » إلا أنني إتخذت الزواج هنا منطلقاً لتحليل العلاقات الإسرية ، لإنني أعتقد أن الزواج وما يكتنفه من عوامل وظروف تؤدي إلى تنفيذ « قرار الزواج » هو المدخل الذي لا مفر منه لفهم دينامية ومستقبل العلاقات الاسرية بل وتنظيم الاسرة ككل .

وأخيراً فإنني أرجو أن يسهم هذا المؤلف على المستوى النظري والتطبيقي في إثراء الجهود التي تبذل من أجل فهم علمي أكثر عمقاً وتكاملاً للاسرة العربية ، التي تعتبر وعاءاً ونقطة بدء في نفس الوقت لإعادة بناء الإنسان العربي .

كما لا يفوتني أن أشكر كل مساهمة وجهد متواضع لاخراج هذا المؤلف ونشره .

صبتمبر ١٩٨٦ .

سناء الخولي

محتويات الكتاب

الفصل الأول

الذكر والانثى : ما هما ولماذا ؟

الفصل الثانى

نظام الأسرة

الفصل الثالث

الزواج والمناخ الاجتماعى

الفصل الرابع

الدراسة العلمية للاسرة

الفصل الخامس

الاختيار الزواجى

الفصل السادس

النسق الزواجى

الفصل السابع

كيف ينجح الزواج

الفصل الثامن

النسق الأبوى : سنوات الطفولة المبكرة

الفصل التاسع

النسق الابوى : سنوات المراهقة والانطلاق

الفصل العاشر

الزواج والأسرة فى السنوات المتوسطة المتأخرة

الفصل الحادى عشر

الازمات الزواجية

الفصل الثانى عشر

التغير ومستقبل الزواج والاسرة

الذكر والأنثى : ما هما ولماذا ؟

يعتبر تقسيم الكائنات الحية ، بما فيها الإنسان ، إلى طائفتين (الذكر والأنثى) واحد من الحقائق الاساسية للحياة . الا أن المخلوقات الإنسانية تتميز دون غيرها بمقدرتها على الافادة من الاختلاف بين الجنسين وإستخدامه ليصبح وسيلة من الوسائل الناجحة للتغلب على مشاعر الوحدة ، وتكوين علاقات ثابتة ذات معنى بين الأفراد ، ومع ذلك فقد يؤدي هذا الاختلاف بين الجنسين إلى توسيع الهوة بين الذات وبين الآخرين . ويظهر ذلك ، وبخاصة ، عندما ينظر الرجل إلى المرأة على انها لا تساويه أو تماثله في التركيب والعواطف والمشاعر . ان الاختلاف الجنسي واقع طبيعي وحتمي ، ومن ثم لا بد أن يواجهه كل إنسان ، ولا بد أن يقبله وينمو من خلاله بالانتماء والتكيف وأداء الأدوار . ولهذا فإن الجنس الآخر يشكل باسهاماته وأدواره وتوقعاته جانباً مهماً من البيئة التي من خلالها تنمو الشخصية الإنسانية . ويعني ذلك بوضوح أن الذكر والأنثى (الرجل والمرأة) لا بد أن يضعا في حسابهما بطريقة أو بأخرى وجود الجنس الآخر من أجل بناء الحياة وإستمرار النوع الإنساني وتحقيق الشكل الأفضل للوجود الإجتماعي .

اتجاهات ومواقف متباينة :

تتضمن الإتجاهات Attitudes كما هو معروف حلقة واسعة من الاختلافات ، تمتد من الاتجاهات التقليدية الجامدة التي تقاوم التغير ، والاتجاهات الثقافية المرنة التي تتصف بالتحول المستمر استجابةللظروف المتغيرة، والاتجاهات التي تعكس رد فعل الشخص نحو تصنيفه الجنسي ونحو تجربته الخاصة في الحياة الاجتماعية وكذلك تصنيفه للآخرين وتوقعات الدور بالنسبة له ولهم الخ . . . ومن هنا يرى الكثيرون أن الاختلافات الظاهرة بين الجنسين هي إختلافات ثقافية دعمتها تجربة إنسانية طويلة ، وهي لذلك يمكن أن تتغير ، وهذا القول فيه شيء من الحقيقة دون شك ، الا أنه يترك دون جواب السؤال المتعلق بمدى فعالية الاختلافات الجنسية الفطرية . وفي هذا الصدد يرى هؤلاء أن خصائص الجنسين يمكن أن تتغير كذلك وخاصة إذا كان الأمر متعلقاً بالسلوك والأدوار والمراكز والعلاقات الشخصية والجنسية المتبادلة ، أي كل ما يتعلق بالأسس التي يقوم عليها « الزواج » . إن التغير مطلوب بغير شك ولكن من الأفضل أن يحدث ذلك من خلال منظور وفهم واضحين .

وهناك إتجاه آخر ومألوف يرى مؤيدوه أن الجنسين دائماً في حالة صراع وأنهما سيظلان كذلك في المستقبل ويرون أن هذا الصراع يأخذ دائماً شكل الاستغلال . فكل جنس يفترض أنه بطريقة أو بأخرى وفي كل الأوقات يكون ضحية Victim للآخر. ويمكن لأي إنسان أن يلاحظ من واقع تجربته أن هذا الموقف الدفاعي متضمن بشكل عام في إتجاه كل جنس نحو الآخر . وقد قام عالم النفس الفرد ادلر Alfred Adler منذ عدة سنوات بابتكار مصطلح الإعتراض على الذكورة أو رفضها Masculine Protest مشيراً به إلى النساء المستاءات من انوثتهن واللائي يرغبن لو يصبحن ذكوراً . وهو يرى أن بعض هؤلاء النساء يكافحن كي يصبحن ذكوراً ، وبعضهن يحاولن التغلب على

نقطة الضعف هذه بالتفوق على الرجال بطريقة أو بأخرى . وبعضهن الآخر يحط من قدر الرجال ، في الوقت الذي تلجأ فيه أخريات إلى إثارة عواطف ومشاعر الرجال من أجل إذلالهم فقط ولا يقمن أي علاقة عاطفية حقيقية وثابتة مع أي رجل .

ويلاحظ أن هناك نسبة عالية من الاناث غير راضيات بدرجات متفاوتة عن أنوثتهن أكثر بكثير من الرجال غير الراضين عن ذكورتهم . فنادرا ما يتساءل الرجال عن مدى رغبتهم في أن يكونوا ذكوراً ، بينما يعتبر نفس السؤال هاماً جداً بالنسبة للنساء حيث تعتقد الكثيرات أنهن لو أصبحن رجالاً فإن هذا يعني اختفاء جميع المشاكل .

ولا يستطيع أكثر المتحمسين للمساواة بين الجنسين إنكار وجود بعض الاختلافات بينهما . وينشأ الاختلاف في الرأي حول نوعية هذه الاختلافات ، وأسبابها ، ومدى قابليتها للتغير ، وما يمكن عمله حيالها . ولعل أكثر الاتجاهات حيادية وإيجابية هو ما يرى أن :

١ ـ بعض الاختلافات بين الجنسين فطرية وبعضها مكتسب .

٢ ـ الاختلافات التي بالامكان تغييرها إلى الأفضل فإنها تتغير بالفعل ، بينما تبقى الاختلافات الأخرى غير مفهومة وغير متفق عليها .

٣ ـ التغير الاجتماعي بطيء في أغلب الأحوال وخاصة في مجال تضييق نطاق هذه الاختلافات .

ومن خلال الاتجاهات السابقة نرى أن الشخص الشاب (ذكراً وأنثى) المتطلع إلى الزواج لا بد له أن يوافق على الاختلافات القائمة بين الجنسين ويكيف نفسه تبعاً لها بدلاً من أن يطالب أو يتوقع التغير المطلوب في وقت مبكر بعيد الاحتمال . فالاشباع في الحياة يمكن الوصول اليه بالفهم والتوافق

الذكي . والتوافق يتضمن العمل من أجل التغير الممكن مستقبلاً ، ولكن بطريقة تسمح بالحياة المشبعة المرضية في الحاضر ، أي العمل للتقدم نحو مستقبل أفضل ولكن في نفس الوقت لا بد من الرضى بالأمر الواقع والظروف المتاحة ومحاولة التكيف والتلاؤم معها . حتى يمكن للحياة أن تستمر ، والا فإن التمرد المبكر سوف يوقع صاحبه في متاعب ومشاكل مستمرة مع نفسه ومع الآخرين .

بعض الفروق بين الجنسين :

لن نتمكن هنا بالطبع من تقديم قائمة كاملة شاملة للاختلافات أو الفروق بين الجنسين ، لأن أي قائمة في المرحلة الحاليه من المعرفة ما زالت أمراً مستحيلاً نظراً لوجود أشياء عديدة ما زالت غامضة كما توجد أيضاً موضوعات كثيرة ليست موضع اتفاق بين الباحثين ، في الوقت الذي تكشف نتائج دراستها عن تناقضات بارزة ، ومع ذلك نستطيع هنا أن نشير إلى أكثر الفروق شيوعاً وأكثرها أهمية .

إن أهم هذه الفروق وضوحاً هو ما يتصل بالحجم Size ، فعند ملاحظة أي جماعة نجد أن الرجال أضخم من النساء وهذه ليست ملاحظة عامة فقط أو حقيقة إحصائية بل هي أيضاً ظاهرة مألوفة ، فمن المتوقع أن يكون الرجال أضخم أو أعرض من النساء ، ولكن هذا لا يعني أن كل الرجال أضخم وأكبر حجما من كل النساء ، بل أنه في أي جماعة يكون الرجال بوجه عام أضخم من النساء فيها حيث أنه في بعض الاحيان توجد نساء أضخم من الرجال وأطول منهم وأثقل وزناً . ومع ذلك فالحجم كفرق واضح بين الرجال والنساء لا يصنع حد فاصلاً بينهما ، إلا في حالة ارتباطه بسمات وخصائص أخرى .

وإذا نظرنا للهيكل العظمي لكل من الرجل والمرأة ، نجد أن الهيكل

العظمي للرجل ليس أضخم من المرأة فقط ولكنه أثقل وزناً أيضاً ، وفي نفس الوقت ، تختلف النسب القائمة بين مكونات أجزاء جسمه بالمقارنة بجسم المرأة ، فالمنطقة التي توجد فيها العضلات عند الرجل تكون أكثر خشونة ولهذا السبب يكون في مقدورها التكيف مع عضلات أضخم . وحوض Pelvis المرأة أوسع من حوض الرجل كما أن ساقيها يأخذان شكل V بينما يكون ساقا الرجل متوازيان تقريباً ، كما أن اتساع الحوض عند المرأة وشكل ساقيها يجعلها أكثر إستعداداً للحمل أكثر مما لو كان هيكلها العظمي مشابها للرجل .

ومن ناحية أخرى نجد أن الرجال أكثر ولعاً بالقتال والخصام من النساء ، وهم ليسوا أكثر ميلاً للقتال فقط بل هم أكثر ميلاً للاستمتاع به . وهم يعبرون عن روح المشاكسة هذه في ممارسة أنواع الرياضة العنيفة وفي العمل والحرب وبطرق عديدة أخرى . ويقال أن النساء أكثر تكيفاً من الرجال مع المواقف الجديدة ، كما أنهن أقل ميلاً للمشاركة في الأعمال الإجرامية أو تشكيل العصابات . وعموماً ينظر الرجال إلى النساء على أنهن « تافهات » وتنظر النساء للرجال على أنهم « مغرورون » . وربما يكون للرجال والنساء نفس الدرجة من الغرور الا انهم يختلفون في طريقة إظهارها . فالرجال يميليون إلى رفع أصواتهم عالياً والضرب على صدورهم عندما يتكلمون والمشي في خيلاء وتعال . بينما تكون النساء أقل صخباً في إظهار غرورهن واحترامهن الزائد لذواتهن . فهن عادة أكثر خبثاً ومكراً وأكثر مخادعة في أساليب وصولهن إلى أهدافهن ، الا أن هذه الأساليب قد تكون مفروضة عليهن وكنوع من المقاومة خلال قرون طويلة من التبعية للرجال ، الذين كانت لهم خلال التاريخ القوة الغالبة ، والتي كانت وما تزال الطريقة الفعالة عندهم للوصول إلى غاياتهم .

وفي حالة التودد والمغازلة يميل الرجال إلى القيام بدور المطارد بينما تميل النساء إلى القيام بدور المطاردات . فالنساء يستجبن بإيجابية للمطاردة أو ملاحقة الرجل ، بينما يستجيب الرجال بسلبية لمطاردة النساء . بل ان الرجل

قد يصاب بالذعر والخوف إذا طاردته امرأة ويشعر تجاهها بالشك والريبة ويصفها بالتهور أو بسوء الخلق ، ومن المحتمل أن يكون هذا الفرق نتيجة للعوامل البيولوجية والثقافية معاً .

ولكن هناك مؤشرات عديدة تؤكد أن المرأة في الوقت الحالي فقدت إلى حَد كبير تحفظها التقليدي وأصبحت أكثر صراحة وعدوانية في موقفها من الرجال . وبالرغم من هذا التغير الواضح في عُدوانية الأنثى تجاه الذكر ، فإن الثقافة ما تزال ثابتة لم تتغير من وجهة نظر الفروق بين الذكر والأنثى وخاصة من ناحية الأختيار ، فنحن نعلم أن إختيار الذكر لشريكته مسألة تقليدية تقوم على الاختيار المباشر والإيجابي من ناحيته ، بينما يقوم اختيار الأنثى على الموافقة والاختيار غير الظاهر. فليس لها نفس الحرية التي له في ان تقرر من تختار فهي تنتظر حتى يقوم هو بالتمهيد ، وفي هذه المرحلة تحاول هي شد إنتباهه ، وأن تكون جذابة بالنسبة له . وهذا الموقف المتمايز يقوم على الفرض التقليدي بأن الذكر هو الذي يسأل الأنثى أن تتزوجه ، والعكس أصبح شائعاً إلى حد ما في بعض المجتمعات في الوقت الحالي فقط ، ولكنه لم يحظ بالموافقة عليه عالمياً بعد .

وعادة ما يقال أن النساء أكثر عاطفية بينما الرجال أكثر موضوعية ومنطقية ، إذ يعتمد الرجال على التفكير في مواجهة المشاكل ولكن النساء يعتمدن على الحواس . وهذا الرأي مردود عليه ، فإذا استعرضنا بعض الانجازات العقلية للمرأة المعاصرة في مقابل بعض الأخطاء الفادحة وأساليب التعبير المتخلفة للرجل المعاصر فإن هذا يؤدي إلى الشك في وجود إختلاف في السلوك العاطفي والعقلي بين الجنسين . فالفرق بين الجنسين ليس في أن الرجال يتعقلون أو يفكرون Reason أي يعتمدون على التفكير ، وان النساء يشعرن Feel أي يعتمدن على الشعور والعواطف ، وإنما يرجع أساساً إلى نمط إظهار العواطف الذي يتميز به كل منهما إلى جانب درجة الحرية في التعبير عن

الرأي المتاحة لكل منهما عبر التاريخ . فمن المألوف عند بلوغ سن المراهقة وتجاوزها أن تصبح « الأنوثة » صفة ينبغي على الفتيات أن يتحلين بها ، بغض النظر عن النجاح الذي حققنه في التعليم ، فإذا حاولت الفتاة مثلاً أن تنمي في نفسها صفات أخرى مثل الاستقلال أو المنافسة نظر اليها المجتمع نظرته إلى الخطر الذي يتهدد العلاقات الطبيعية بين الجنسين ، وبالتالي يتم قمعها[١] . ولا تتوقف عملية صب الفتاة في القالب الإجتماعي عند هذا الحد ، فبعد ارغامها على الكف عن منافسة الرجال في المجال العقلي من أجل أن تصبح أكثر جاذبية وأكثر أنوثة ، فإن المجتمع يقدم لها البديل ، وهو أن تتسامى تطلعاتها ومطامحها وتتجه إلى الأمومة وحب زوجها . وهكذا تتركز جميع رغباتها ومطامحها في إنجاح حياتها الزوجية ، وفي منجزات زوجها ، وفي رعاية أطفالها ، وهذا يفسر إلى حد ما ، ما سجله « تيرمان » من أن تكريس النساء لطاقتهن في الأعمال المنزلية يحرم الفنون والعلوم من جانب كبير من العبقرية الإنسانية[٢] . ومع ذلك فبعض النساء ممن يتمتعن بمواهب عالية أو متوسطة لا يتقاعسن بالضرورة عن مزاولة النشاط الخلاق ، ولكنهن يواجهن صراعاً في أنفسهن بين مزاولة المهنة والاشباع الذي يولده إتقانها والإبداع فيها وبين الحاجة الاجتماعية والنفسية للتكيف مع القالب الأنثوي التقليدي .

إن حاجة المرأة لتأكيد شخصيتها من خلال الرجل ، تجعلها تعمل على إخضاع روحها العدوانية وتوجيهها نحو بنات جنسها ، والروح العدوانية عند المرأة تختلف عن الروح العدوانية عند الرجل والتي تتجه كما سبق أن أشرنا نحو نشاطه المهني ذلك لأن عدوانية المرأة مقنعة غير مكشوفة ، وتتخذ أشكال الغدر والخيانة والغيرة وانعدام الثقة التي تزحف وتدب في علاقتها النسائية

---

(1) Bardwick, J. Douvan, E. in: V. Gornick and B. Moran (eds.), Woman in sexist Society, N.Y, New American Library, 1972.

(2) Terman L. papers on eugenics, No 4 1947 p. 3

وتسبب لها كثيراً من القلق والتوتر ، وإذا عثرت المرأة على الرجل المثالي الذي يمكن من خلاله أن تكتسب لنفسها قيمة أكبر ، فإن جميع النساء الأخريات يصبحن في هذه الحالة أعداء لها ، لانها إذا فقدت رجلها لواحدة منهن ، فقدت كل ذاتها .

أما أكثر الفروق وضوحاً بين الجنسين فيتمثل في أن الرجال يتمتعون بحرية أكبر من النساء ، وهذا حقيقي إلى حد كبير ، فالرجال لهم حرية واسعة في ممارسة الأنشطة المختلفة ، كما أنهم أقل تعرضاً للنقد والتوجيه . وهم يتحركون بحرية أكبر كما أنهم في بعض الأحيان أكثر حرية في تحديد سلوكهم الخاص . ومع ذلك ، فالرجال في بعض الأحيان يكونون أقل حرية من النساء كما تقول « باردويك Bardwick[1] » حيث تكون هناك بعض مستويات للرجولة يلتزم بها الرجال ومثال ذلك أن النساء أكثر حرية في التعبير عن عواطفهن وأحاسيسهن مثل الخوف ، والشفقة والحزن ، والعواطف نحو أشخاص من نفس الجنس والرجال قد يشعرون بالرغبة في الصراخ ولكنهم لا يفعلون لأن من يفعل ذلك من الرجال يعتبر جباناً أو مخنثاً Sizzy ومن الممكن أن يصعق الرجل خوفاً ولكنه يجب أن يتماسك والا يظهر هذا الخوف على ملامحه حتى لا يوضع في قائمة الجبناء . ولعل ذلك يرجع إلى أن الرجال يخضعون لبعض المبادىء التقليدية التي تحتم عليهم الالتزام بمبادىء الفروسية والتي تقود سلوكهم في اتجاه معين ، وتبعاً لهذه المبادىء يكون لزاماً على الرجل أن ينحني للمرأة ويجاملها ويحميها ويساعدها ، بينما لا توجد مثل هذه المبادىء أو القوانين التقليدية بالنسبة للمرأة .

وهناك ناحية أخرى تنتقص من حرية الرجال وتتمثل في أنهم ليست لهم حرية الاختيار في أن يصبحوا المعيلين لأسرهم ، بينما يكون في إمكان المرأة

---

(1) Bardwick, "judith M, psychology of Woman", Harper and Row, publishers. N.Y, 1971.

أن تعمل أو لا تعمل بعد الزواج تبعاً لاختيارها ورغبتها وفي بعض الأحيان يكون هذا الإختيار مفروضاً عليها ولكن ليس بنفس الدرجة التي يفرض بها على الرجل . فأعمال الرجال ترضي ميولهم وتحقق ذواتهم ولكنها من ناحية أخرى تكون نتيجة للضغوط التي يفرضها نمط الثقافة التقليدي عليهم . فالرجل يجب أن يعمل حتى يثبت أنه رجل حقيقي Real man . أما المرأة فيمكنها أن تكون امرأة حقيقية Real Womanدون أن تكسب قرشاً واحداً .

ومن الأفكار الشائعة أيضاً عن الفروق بين الجنسين ،أن النساء يستطعن التنبؤ بسلوك الرجال بينما لا يستطيع الرجال ذلك بالنسبة للنساء . إلا أن هذا لا يعني أن سلوك الرجال لا يحير أو يربك النساء على الإطلاق فطرق الرجال في الحياة بصفة عامة تفرض عليهم توقعاً معيناً يمكن التنبؤ به ، ومع أن النساء يتعرضن لنفس الضغط الإجتماعي الذي يمكن التنبؤ به الا أن عدم إمكانية التنبؤ بردود أفعالهن تعتبر من امتيازاتهن ومن قبيل الأشياء التي تحيطهن بالسرية والغموض. فالرجل العادي يمكن أن يلوح بيديه ويقول « إنها مجرد إمرأة She's Only a Woman » ولكنه لا يعرف ماذا يمكن أن تفعل المرأة إزاء هذا القول ، وهو بالطبع لا يستطيع لأنه لم يبذل أي جهد لمحاولة فهمها . ويمكن أن نستنتج من قول الرجل « أنها مجرد إمرأة » أنه يعتقد أنها إلى حد ما أدنى منزلة منه وأنها لا تستحق أن يبذل أي جهد لفهمها وربما أنها لا تستحق الفهم . أما المرأة فقد أجبرت خلال قرون طويلة من الخضوع والتبعية على فهم وإجابة طلبات الرجال ولكنها إذا لم تستطع السيطرة على الرجال بأساليب مباشرة مثل تلك التي يمارسها الرجال على النساء ، فهي قادرة على ممارسة تأثير له قيمته ، وغالباً دون أن يشعر الرجال بذلك . لأنها تعلمت أن تفهم الرجال ، على الأقل من بعض النواحي ، بالتالي تستطيع إلى درجة معينة التنبؤ بسلوكهم ، ومن ثم فإنها تدبر التكتيك والتنظيم الملائم لمواجهة وردع هذا السلوك ولكن بأساليب النساء الخاصة . ومما لا شك فيه أن أي جماعة

مقهورة سوف تتخذ لنفسها صوراً معينة للمقاومة تكون واعية بها بدرجة أو بأخرى ، وتتدرج من التكتيك البسيط الذي يمتد عبر الأجيال إلى الهجوم المضاد . وقد أطلق البعض على هذه الصور من المقاومة التي اتخذتها المرأة « الاستراتيجيات النسائية » وقد كانت أول استراتيجية للمرأة هي محاولة التوافق دون مقاومة مع النمط « الانثوي » المفروض عليها . كأن تهدىء من روع الشك في نفوس الأزواج ، وتعمل على طمأنينتهم ، وأن تحاول أن تفيد بقدر الإمكان من المزايا القليلة المتاحة . وهكذا كانت الزوجة تنضوي في كنف الأسرة ، وتحاول انتهاز الفرصة المواتية لممارسة السلطة ، وتستفيد بأكبر قدر ممكن من معرفتها بالعلاقات البشرية وتستخدم أنوثتها خير استخدام لتطويع مولاها وسيدها وإشباع طموحها من خلاله ، أما الإستراتيجية المقابلة فهي التوحد قدر المستطاع مع الرجل . وهذه إحدى استراتيجيات الحركة النسائية التقليدية التي تستهدف إثبات أن المرأة قادرة على كل أعمال الرجل بمثل كفاءته سواء بسواء .

لكن هناك فرقاً حيوياً وهاماً يفرق بين النساء والرجال ، وهو الدافع الجنسي Sex Drive ، ويمكن القول بأن الدافع الجنسي عند الرجل يكون أكثر إلحاحاً عنه في المرأة . ويمكن للدافع الجنسي عند المرأة أن يكون قوياً مثل الرجل عند ما تكون الظروف مناسبة . إلا أن الدافع الجنسي عندها لا تكون له الأولوية كما هي الحال عند الرجل . فالرجال أكثر رضوخاً للدافع الجنسي ، ولهذا فإن الاهتمام بالجنس ظاهر على الدوام تقريباً[١] . أما اهتمام المرأة بالجنس فهو أقل إلحاحاً ، كما أنه قد يكون دورياً إلى حد ما ، ومعنى ذلك أن النساء أكثر مقدرة على كبح وكبت دوافعهن الجنسية . وعموماً ، تستطيع النساء أن يعشن حياتهن كلها دون ممارسة الجنس أكثر مما يستطيع الرجال .

---

(1) Bardwick, Ibid.

وجدير بالذكر أن الرجال يفرقون بين الجنس والحب بينما تربط النساء بينهما[1] ويعتبر هذا واحداً من أهم الفروق بين الجنسين وهذا يعني ان الرجال والنساء ينظرون إلى السلوك الجنسي من وجهات نظر مختلفة واتجاهات متباينة تماماً .

هذا وتبدأ عند البلوغ Puberty الأعضاء التناسلية في العمل عند المراهقين بطريقة تشبه البالغين ، وخلال هذه الفترة تحدث أيضاً تغيرات ثانوية فصوت الولد يتغير ، ويكبر حجم عضلاته ، ويتسع صدره ويظهر الشعر في أجزاء متفرقة من جسمه ، أما الفتاة فإن ثدييها ينموان ، وتصبح زوايا جسمها أكثر استدارة نتيجة لترسب الدهون وينمو الشعر أيضاً في مناطق معينة من الجسم ، ويتسع حوضها .

إن الطفل بالإضافة إلى التوافق مع التغيرات العضوية التي تحدث في سن البلوغ ، يجب أن يتوافق مع التغيرات العاطفية ويتعلم أن يتعايش مع الاتجاهات الجديدة والتجارب الجديدة التي تنمر معه . ومن الجدير بالذكر أن البنات يبلغن « قبل الأولاد ، وفي فترات معينة من العمر تكون البنات أنضج وأطول من الأولاد في نفس العمر . وفي سن البلوغ يواجه الجنسان تشعباً في طريق النمو، وهذه هي نقطة الافتراق المتسببة عن الاختلافات التي أشرنا إليها في الاتجاه والنظرة الى الجنس . فالتغيرات التي تحدث في تلك الفترة تحدد بصورة قاطعة التمايز بين الجنسين ، مما يؤدي إلى زيادة درجة الجاذبية بينهما ، إلا أن هذا التمايز تظهر بوادره قبل البلوغ ليس فقط من خلال التشريح بل أيضاً من خلال الأسماء ونوع الملابس وألوانها ، وجماعات النظراء والمعاملة المتمازية والتوقعات .

ولكن ما هي الأسباب الأخرى المتعلقة بالدوافع ؟ إن أكثرها يرجع إلى

(1) Bardwick, judith M.,(psychology of Women, Harper and Bow, publishers, New-York, 1971.

البيئة الاجتماعية . فعملية التكيف الاجتماعي للفرد تتكون من النموذج أو القالب الاجتماعي الذي يقدمه المجتمع ، ويتحتم عليه أن يتبعه أو ينصب فيه . والوسطاء في هذه العملية هم الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل . وكل طفل سواء كان ولداً أم بنتاً يعتمد بصورة طبيعية على الكبار البالغين ليوفروا له احتياجاته المادية ورفاهيته الجسمانية والنفسية . وبينما يتقبل المجتمع تبعية الأنثى للكبار واعتمادها عليهم كظاهرة طبيعية ، نجد ميلاً إلى النظر إلى تبعية الذكر واعتماده على الكبار كدليل على الضعف والتخنث . ولهذا يشجع الصبي باستمرار على التخلي عن ذلك حتى تكون له « شخصية » وهكذا يتلقن الصبي « رجولته » منذ البداية ، أما البنت فتتلقن « أنوثتها » أيضاً عندما تبلغ سن المراهقة . وجوهر أنوثتها يتجلى في تبعيتها للغير باعتبارها من الصفات الطبيعية لها . والنتيجة التي تترتب على ذلك أن الفتاة تبدأ حياتها متخلفة عن الولد بكثير في تنمية استقلالها والعثور على « شخصيتها » وإذا حاولت أن تفعل ذلك قبل الأوان فسوف يكبح جماحها بدون شك[1] .

وعموماً يمكن تصنيف الرجال والنساء من حيث نظرتهما إلى النواحي الجنسية كما يلي :

الذكــــر	الأنثى
١ ـ يهتم إهتماماً شديداً بالجنس .	١ ـ أقل إهتماماً بالجنس ، ولكن ليس إلى درجة الصفر .
٢ ـ يتناقش كثيراً حول الانشطة الجنسية ، وأقل مناقشة في الانشطة الرومانتيكية .	٢ ـ أقل مناقشة في الانشطة الجنسية، وأكثر في الانشطة الرومانتيكية .

(1) Bardwick, Ibid.

٣ ـ الحساسية الجنسية والاستجابة لها تلقائيه.

٣ ـ الحساسية الجنسية والاستجابة لها أقل تلقائيه.

٤ ـ الاستمتاع بالتجربة الجنسية :
أ ـ دائم
ب ـ يبدأ عادة في سن مبكرة .
جـ ـ يستمر خلال الجزء الاكبر من العمر .
د ـ عملياً يكون لجميع الذكور تجربة في وقت ما.

٤ ـ الاستمتاع بالتجربة الجنسية :
أ ـ أقل دواماً .
ب ـ في بعض الحالات تبدأ متأخرة .
جـ ـ غالباً ما تستمر خلال فترة قصيرة من العمر .
د ـ بعض الإناث لا يكون لهن تجربة جنسية خلال حياتهن كلها .

٥ ـ ممارسة العادة السرية عالية، وخاصة في سن الشباب .

٥ ـ ممارسة العادة السرية في بعض الأحيان بين حوالي الثلثين وغالباً ما تستمر خلال فترة قصيرة من العمر .

٦ ـ تجربة العلاقات الجنسية قبل الزواج.
أ ـ معظم الذكور لهم علاقات جنسية قبل الزواج.
ب ـ غالباً ما تكون هذه العلاقات ممتعة .
جـ ـ معظم الرجال لهم خبرة بها .

٦ ـ تجربة العلاقات الجنسية قبل الزواج .
أ ـ قلة من الإناث لهن علاقات جنسية قبل الزواج.
ب ـ غالباً ما تكون العلاقات غير ممتعة ، ومخيبة للامل ، ومؤلمة.
جـ ـ قلة من النساء لهن خبرة بها .

٧ ـ أكثر أهتماماً بالاحاسيس اللمسية.	٧ ـ أقل اهتماماً بالأحاسيس اللمسية .
أ ـ يستجيب في الحال للمس الجنس الآخر .	أ ـ بطيئة الإستجابة للمس الجنس الآخر .
ب ـ يسعى للمس الجنس الآخر ويهتم باكتشاف جسم الأنثى .	ب ـ تسعى أحياناً للمس الجنس الآخر ، ولكن ليس لديها اهتمام في العادة باكتشاف جسم الذكر .
٨ ـ أكثر اهتماماً بالتجربة البصرية	٨ ـ اهتمامها ضئيل بالتجربة البصرية وغالباً لا تهتم بها على الأطلاق .
أ ـ يميل إلى رؤية جسم المرأة .	أ ـ قليلاً ما تهتم أو لا تهتم على الاطلاق برؤية جسم الذكر .
ب ـ يميل إلى رؤية صور لجسم المرأة .	ب ـ قليلاً ما تهتم أو لا تهتم على الاطلاق برؤية صور لجسم الذكر .
٩ ـ يربى الذكر على عدم الحياء.	٩ ـ تربى الأنثى على الحياء .
١٠ ـ يفرق بسهولة كبيرة بين الجنس والحب.	١٠ ـ أكثر ميلاً لربط الجنس بالحب[١]

وكنتيجة لهذه الاختلافات الحادة بين الجنسين . والتي تعتبر في جزء منها نتيجة للتغيرات التي بدأت وتأكدت خلال البلوغ وفي جزء آخر نتيجة للظروف والضغوط المجتمعية يواجه العروسان في وقت الزفاف باختلافات

(1) Kinsey et al., Sexual Behavior in the Human Male, W.B. Saunders Company. philadelphia, 1948.

حادة في تجاربهما، وفي وجهة نظرهما للناحية الجنسية في الزواج . مما يؤدي في بعض الأحيان إلى خوف الزوجة من زوجها ونفورها منه كما أن العريس قد يعتقد أن زوجته مصابة بالبرود الجنسي ، ويرجع ذلك إلى أن الرجل قد تكون له تجارب جنسية عديدة ومتنوعة قبل الزواج بينما قد تكون العروس دون أية تجارب سابقة على الإطلاق ، بالإضافة إلى إختلاف وجهة نظر كل منهما بالنسبة لرؤية جسم الآخر عارياً واختلاف درجة الحياء واختلاف قوة الدافع الجنسي ، هذه الاختلافات مجتمعة سواء في التفكير أو التجربة قد تحدث صدمات نفسية شديدة وخاصة بالنسبة للزوجة ، إلا أن هذا يكون عادة في بداية الزواج وسرعان ما يتآلف الزوجان ويعتاد كل منهما على طباع الآخر ويحاول أن يفهمه ويقدر مشاعره .

معدلات المواليد والوفيات

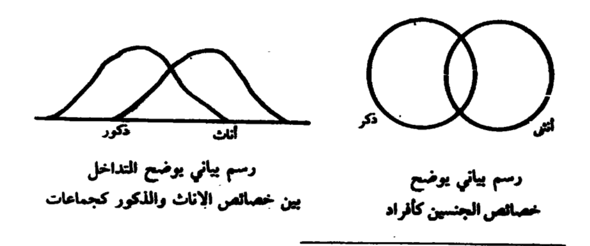
تشير الإحصائيات إلى أن نسبة المواليد الأحياء بين الإناث أكثر منها بين الذكور بالإضافة إلى أن نسبة أكبر من الذكور تموت أثناء فترة الطفولة[1] كما أن زيادة نسبة الوفيات بين الرجال ظاهرة عالمية أيضاً[2] وذلك نظراً لأن الرجال يكونون أكثر عرضة للقيام بالأعمال الخطيرة والمشاركة في الحروب ، كما أن معظم الأمراض الخطيرة كالذبحة الصدرية وأمراض القلب تودي بحياة الذكور أكثر مما تودي بحياة الأناث فضلاً عن أن عدد الرجال الذين ينهون حياتهم عن طريق الإنتحار تزيد عن نسبة النساء المنتحرات مرتين ونصف مرة[3] والنسبة المتوقعة لزيادة عمر الانثى عن الذكر تصل إلى سبع سنوات[4] وهذه الفروق

---

(1) U.S. Department of Health, Education and Welfare Aug. 30, 1972.
(2) U.S. Department of Health, Education and Welfare September, 1971.
(3) U.S. Bureau of Census (Statistical Abstract), 1972.
(4) U.S. Department of Health, Education and Welfare, July, 1972.

الواضحة بين الجنسين والقائمة على الاحصاء العلمي المحايد تشكل موقفاً مثيراً بالنسبة لإدعاء الرجال بأنهم الجنس الأقوى . فإذا كان التساؤل عن القوة العضلية فإن الرجال أقوى دون شك ، ولكن إذا كان الرجال أقوى فإن النساء أكثر تحملاً .

وخلاصة القول أنه يمكن الاسترسال في تعديد الفروق بين الرجال والنساء إلى ما لا نهاية ، وخاصة ما يتعلق بالفروق في الخصائص الطبيعية والاهتمامات والاتجاهات نحو الأشياء ونحو أنفسهم ونحو كل منهما الآخر ، والتوقعات التي يضعها كل جنس للآخر الخ . . . إلا أن هذه الاختلافات متداخلة ومتشابكة ومثال ذلك أن هناك سمات مشتركة تظهر بوضوح عند الرجال أكثر من النساء والعكس صحيح . فبعض الرجال قد يتميزون بخصائص متعلقة بالنساء (العواطف الجياشة والبكاء) وبعض النساء يتميزن بخصائص الرجال (القسوة والشجاعة) وعموماً فكل انسان رجلاً كان او امرأة يحمل بعض خصائص الجنس الآخر[1] والرسم البياني التالي يعقد مقارنة بين خصائص الذكور والاناث ككل حيث يظهر مدى التداخل بين الجنسين ، كما يظهر الرسم البياني الآخر مقارنة بين خصائص ذكر واحد وأنثى واحدة :



رسم بياني يوضح التداخل
بين خصائص الإناث والذكور كجماعات

رسم بياني يوضح
خصائص الجنسين كأفراد

(1) Henry A. Bowman Marriage for Moderns, McGraw-Hill, Inc. 1974. pp. 24-25.

ولعلنا سمعنا أو قرأنا عن بعض الحالات النادرة التي تحول فيها فرد من جنس معين إلى جنس آخر عن طريق الجراحة . كما يشعر كثير من الأفراد أنهم سجناء في أجسام يعتقدون أنها ليست لهم . فهم تشريحياً ينتمون إلى جنس بينما يشعرون نفسياً أنهم ينتمون إلى الجنس الآخر .

وبالاضافة إلى الفروق بين الرجال والنساء ككل هناك فروق فردية بغض النظر عن الجنس . فالعادات والذوق والاتجاهات والأفكار ودرجة الطموح تختلف من فرد لآخر بغض النظر عن كونه ذكراً أو انثى وهذا أمر يجب وضعه في الاعتبار .

وعلى الرغم من وجود كل هذه الفروق والاختلافات فلا بد أن نشير إلى أنه يوجد أيضاً كثير من أوجه التشابه بينهم حيث لا يوجد فرق بينهم في درجة الذكاء . ونفوسهم حساسة يسعون إلى حمايتها بطريقة أو بأخرى . ويرغبون في أن يكونوا محترمين كأشخاص ويستاؤ ون إذا عوملوا على أنهم أشياء . وعند كل منهم الرغبة في تقرير مصيره ، وأن يكون له أهداف تتطلب متابعتها حرية الحكم والاختيار . ويواجه كل منهم ضرورة ملاءمة خواصه الطبيعية من خلال النمط الثقافي القائم والأدوار المقبولة التي تتضمن السلوك المناسب وغير المناسب ، وهم في حاجة ملحة إلى تأكيد الذات والقدرة والحرية في التعبير عنها ، والشعور باستحسان وأطراء الآخرين وتبادل الحب والعاطفة الصادقة . ويشعر كل منهم ويسعى إلى تحقيق حاجاته الجنسية . وبالرغم من اختلاف العمليات الفسيولوجية عند الرجال والنساء إلا أنها واحدة في الأساس . كما أن عملياتهما النفسية متشابهة في الاساس أيضاً ومعنى ذلك أن معظم الفروق والاختلافات بينهما هي انعكاس للتوقعات الثقافية أكثر منها نتاج للاختلاف في الوظيفة العصبية Neural Function كما أن استجاباتهما العاطفية

(1) Bowman, Ibid., p. 26.

تظهر عديداً من أوجه الشبه ، إلا أن الإطار الثقافي الذي يعبران من خلاله عن عواطفهما يحول دون ظهور أوجه الشبه هذه .

وفيما عدا الفروق والاختلافات الاساسية المسلم بها فإنه من الضروري أن يلم الزوجان بأوجه التشابه والاختلاف بين الجنسين التي أشرنا اليها آنفاً ، لأن كثيراً من المشاكل قد تتسبب عن الفشل في فهمها واستيعابها (مثلاً ، عندما لا يفهم الزوج أو يقدر رغبة زوجته في تقرير مصيرها) أو قد تتسبب أيضاً عن الفشل في تعريف الفروق (مثلاً ، عندما لا تقدر الزوجة اتجاه أو ميل زوجها نحو عمله) .

أسباب الاختلاف بين الجنسين

هناك مجموعة من العوامل تعمل معا لتحدث الاختلافات أو الفروق بين الذكور والاناث .

١ ـ محددات في الخلايا

يبدأ كل مخلوق حياته كخلية وحيدة Single cell وتتكون هذه الخلية نتيجة التحام خليتين آخريين واحدة من الأم وأخرى من الأب . وهذه تحمل في داخلها المحددات (الجينات والكروموسمات Chromosomes and Genes) الوراثية لخصائص الفرد وكذلك محددات نوعه سواء كان ذكراً أم أنثى .

وعندما تنقسم الخلية الأساسية إلى اثنتين وهذه إلى أربعة وهكذا حتى يكتمل الشخص في صورته النهائية ، فإن محددات الجنس تمر في كل خلية جديدة بنفس التركيب الذي وجدت به في الخلية الأولى . والاستثناء الوحيد لهذا هو خلايا الجنس عند الفرد الجديد ، حيث توجد بها واحدة فقط من محددات الجنس الاثنتين . بمعنى أن الشخص يكون ذكراً أو انثى بكل ما في

الكلمة من معنى . فكل خلايا الجسم تكون ذكراً أو انثى حسب الحالة .

إلا أن هذه الحقيقة العلمية ليست بالأهمية التي تبدو عليها لأول وهلة . حيث توجد كثير من العوامل تعمل بعد اكتمال نمو الشخص الجديد وكذلك أثناء نموه مما يؤثر في الخصائص التي ولد بها ، فعملياته الفسيولوجية وتجربته في بيئته الاجتماعية تنعكس كل منهما على الأخرى[1] .

٢ ـ العمليات الفسيولوجية : الغدد

إن الفروق الجنسية أو الشخصية ترجع في جانب منها إلى الطريقة التي يعمل بها الجسم ، والعمليات الفسيولوجية التي تحدث ، والطريقة التي يستجيب بها الفرد للمنبه . ومن العوامل الرئيسية في تحديد هذه العمليات وضع أو تركيب البناء الغدي للانسان . فنحن وما نعمل كما يقال من صنع غددنا Glands .

ومن أهم الغدد التي تلعب دوراً رئيسياً في صنع الإنسان تلك التي يطلق عليها مصطلع الغدد الجنسية Sex Glands (الغدد التناسلية Gonads وهي الخصية testicles عند الذكر والمبيض Ovaries عند الأنثى) فالأجنة المبكرة تكون غير متمازية جنسيا ، وهي تنمي بناءات متشابهة . واتحاد الكروموسمات المنتجة للذكور أو الإناث هي في الواقع الحلقة الأولى في سلسلة رد الفعل .

فإذا كان اتحاد الكروموسمات متجهاً نحو انتاج أنثى ، فإن الجنين يكون مبيضين ، ومبيضي الجنين يكونان غير نشيطين ولا يفرزان هرمونات . أما إذا انتج الاتحاد ذكراً فإن الخصيتين تنموان وتكون الخصية الجنينية نشطة وتفرز هرمون التستوتيرون Testoterone (هرمون الذكر) وبمعنى آخر ، فإن هيئة

(1) Winokur, George (ed.), Determinants of Human Sexual Behavior, Charles C Thomas, publisher Springfield, 1963.

الذكر تظهر إذا فرضت العوامل الذكرية نفسها ، وبالتالي ترفض العوامل الانثوية[1] ولسبب ما قد يحدث أن يكون لشخص ما بناء جسم أنثى بداخل التجويف البطني توجد خصية لا تعمل أو غير فعالة[2] ولكن هذا لا يعني بأن جميع الأجنة تكون في البداية إناثاً كما يؤكد بعض الأفراد .

وعندما تنزع غدد الجنس من الذكر سواء بالصدفة أو لأسباب طبية فإن ذلك يتبعه تغيرات عميقة ويسمى الفرد في هذه الحالة « مخصى Eunueh » فإذا حدث للذكر وهو في سن صغيرة أي قبل البلوغ فإن صوته يظل ناعماً ولا يظهر الشعر في جسمه بالصورة الطبيعية وعضلاته تصبح ضعيفة وعادة ما يزيد وزنه . وغالباً ما تفشل عدوانية الذكر الطبيعية في الظهور . أما إذا استؤصلت الغدد في سن متأخرة فإن خصائص الذكورة تتغير إلى حد ما . وتظهر خصائص مثل التي اشرنا اليها في السابق . بالإضافة إلى تناقص الميل أو الاهتمام بالجنس الآخر إلى حد كبير بل أنه قد يتلاشى تماماً[3] . وبالمثل فإن تغيرات هامة تحدث عندما يستأصل مبيض الأنثى . والخلاصة أن الاختلاف بين الرجل الطبيعي والأنثى الطبيعية يعود في جانب منه إلى وجود أو غياب الهرمونات التي تفرزها الغدد الجنسية .

ويجب الحذر من تشبيه المخلوقات الانسانية بالحيوانات الدنيا ، فالانسان على خلافها مكون من جوانب عديدة بيولوجية وفسيولوجية وثقافية فلا يوجد إنسان تربى بعيداً عن تأثير الثقافة ، فنحن نكتسب انسانيتنا من خلال

---

(1) Jones, Howard W., Jr., and William Wallace Scott: Herm aph-roditism, Genital Anomalies and Related Endocrine Disorders, 2nd ed., The Williams and Wilkins Company, Baltimore, 1971.

(2) Dewhurst, Christopher and Ronald R. Gordon: "The Intersexual Disorders" Bailliere, Tindall and Cassell. London 1969.

(3) Bernard, Jessie: The Fourth Revolution, in Ruth Ealbrecht and E. Wilbur Bock (eds.) Encounter: Love, Marriage, and Family Holbrook press, Inc., Boston. 1972.

مشاركتنا فيها ، كما أن الانسان لا يستطيع الهرب من طبيعته البيولوجية على الاطلاق .

ووجود الشيء أو غيابه لا يتضمن بالضرورة إما وجود كل شيء أو عدم وجود كل شيء ، فالهرمونات التي تلعب جزءاً رئيسياً في تذكير الذكر توجد بكمية ضئيلة في الأنثى . من ناحية أخرى ، فإن الهرمونات التي تلعب دوراً رئيسياً وهاماً في تأنيث الأنثى ، توجد بكمية ضئيلة أيضاً في الذكر وبصورة طبيعية . وخلاصة القول أن الأنوثة أو الذكورة هي في جزء منها نتيجة للتوازن الهرموني ويمكن أن تختلف في الدرجة إذا تغير هذا التوازن .

الثقافة والتجربة

ينطبق مفهوم الذكورة والأنوثة أيضاً على السلوك المتعلم ، كما أشرنا من قبل وارتباطاً بالمكونات الوراثية (المحددات في الخلايا) والتشريح والفسيولوجيا والهرمونات الموجودة في كل شخص ، تبدأ الحياة تأخذ طريقها في اتجاه سلوك الذكر أو الانثى . وفيما عدا بعض الاستثناءات ، فإن الاختلافات البيولوجية لا تستطيع في حد ذاتها تحديد أي سلوك فهذه لا يكون بامكانها سوى تقديم إمكانيات معينة وتفرض حدوداً على عملية التعلم .

إن كل فرد يولد في إطار ثقافي يحدد له منذ مولده طريقة حياته المستقبلة واتجاه نموه ، ويضع تعريفاً لما يتوقع منه أن يفعله ، بناء على انتمائه لجنس معين (ذكر ، أنثى) ، فانتماء الفرد إلى جنس معين يعتبر بعداً من أبعاد الشخصية التي توضع في الإعتبار في كل فعل انساني[1] .

وبناء على هذه الحقيقة المتعلقة بالإطار الثقافي الذي ينمو الفرد من

(1) Masters, William and Virginia E. Johnson, Human Sexual Inadequacy, Little Brown and Company, Boston, 1970.

خلاله ، ونظراً لأن الثقافة تختلف من مجتمع لآخر وحتى بين الجماعات في المجتمع الواحد فإن الذكور والإناث لا يكون لهم نفس السلوك في العالم كله أو خلال الزمن في مجتمع معين . وهكذا تختلف تعريفات الذكورة والأنوثة تبعاً لتباين الثقافات أو تغيرها . ومثال ذلك ، أن المرأة النحيفة تعتبر أكثر جاذبية وجمالا من المرأة الممتلئة في بعض المجتمعات ، بينما تعتبر المرأة الممتلئة في مجتمعات أخرى النموذج المطلوب أو المفضل للجمال الأنثوي . وعندما تتغير ظروف الحياة في مجتمع ما فإن تغيرات في السلوك لا بد أن تتبعها ، ومثال ذلك أنه خلال الحرب العالمية الثانية كان التوازن بين الجنسين واضحاً للغاية نتيجة لالتحاق الشباب بالخدمة العسكرية مما حتم على النساء الالتحاق بالعمل والقيام بمعظم الأعمال التي كان يقوم بها الرجال مما أفقدهن كثيراً من مظاهر الأنوثة التقليدية .

ومع ذلك فهناك فروق واضحة في أي ثقافة قائمة حيث توجد طرق عديدة مفهومة ومتوقعة ومتفق عليها مثل نوع الملابس ، وطريقة تصفيف الشعر ، والتزين ، والأسماء ، وكل ما يمكن عن طريقه التفرقة بين الجنسين .

وباختصار ، تشكل التجربة Experience في أي مجتمع أحد العوامل الرئيسية التي تصنع الفرد وتساعد على نمو الفروق والاختلافات بين الجنسين . ولكن التجربة في ثقافة معينة تتضمن أكثر من مجرد التجربة في بيئة محدودة حيث تجعل الفرد مختلفاً بشكل كبير عن الصورة التي كان عليها قبل التجربة وعلى سبيل المثال ، تجربة الحياة في الجبال أو في مدينة ، أو في بلد أجنبي . فالتجربة من خلال ثقافة معينة تتضمن تشكيل الفرد من خلال إطار أو نظام معين ، وتشكيل العادات والاتجاهات والمعتقدات والقيم والاستجابات الملائمة وأنماط السلوك المقبولة ، وهذه العناصر مجتمعة تحدد بصورة عامة طريقة الفرد في الحياة وهكذا تصبح الثقافة جزءا من الذات أو كما يقال جزءاً من شخصية الفرد .

وترتبط بعض التجارب بنوع الفرد أو جنسه وبعضها لا يرتبط . فمنذ الطفولة المبكرة يتعرض الأولاد والبنات لعمليات تربوية متباينة . فألعابهما ولعبهما تكون مختلفة وتعكس إلى حد كبير أدوارهما المستقبلة . وكذلك القصص التي يقرؤنها أو يسمعونها تتسم بطابع الأنوثة أو الذكورة . وكل منهما يجد توجيها وتشجيعاً للقيام بأعمال معينة ، كما يمنع بشدة من القيام بأعمال أخرى . وكل منهما يواجه بقيود على حريته ولكن بطرق مختلفة ، والفتيات يمنحن حماية أكبر ، ويكبرن على توقع هذه الحماية أما الأولاد فهم أكثر اعتماداً على أنفسهم ، وهذا يعتبر امتيازاً مقصوراً على الذكور . وخلال نمو الفرد فإنه يستوعب هذه العمليات جميعاً وبصورة طبيعية تلقائية حتى تصبح خلال الوقت جزءاً من الذات مثل بقية وجوه الثقافة .

وتظهر الاختلافات في مستويات السلوك في القصص وفي الأغاني الفلكلورية كما يتضح ذلك من أغنية قديمة للأطفال تقول كلماتها : ماذا يفعل الأولاد الصغار ؟ إنهم كسولون ويضربون بعضهم ويشدون ذيول الكلاب . وماذا تفعل البنات ؟ إنهن لطيفات وطيبات وكل ما يفعلنه جميل . وعندما يفخر أب بإبنه فإنه يقول « إنه ولد حقيقي He's real boy وهذا القول يتضمن أنه يوجد مستوى للولادية Boyness وأن إبنه وصل إلى هذا المستوى . وعندما تقول الأم « الأولاد سيظلون أولاداً فإن هذا يتضمن أن كون الشخص ولداً يختلف عن أن يكون بنتاً ومصطلحات مثل الغلامية Tomboy أو المخنث Sissy تشير إلى وجود مستويات معينة للسلوك وأن الانحراف عن هذه المستويات غير مقبول اجتماعياً فالذكورة والأنوثة إذن هما المحوران الذي ينمو في فلكهما بناء الشخصية .

وعند محاولة تحديد مدى إسهام العوامل المختلفة في النمو الجنسي ونمط السلوك الفردي ، يتبين أنه يمكن تعديد ما يمكن أن نطلق عليه مقولات أو متغيرات الجنس وهي :

١ ـ الجينات والكروموسمات .

٢ ـ وجود وبناء ووظيفة الخصية والمبيض .

٣ ـ كمية ونسبة الهرمونات الذكورية والأنثوية .

٤ ـ البناءات التناسلية الداخلية أي وجود أو غياب الاعضاء الداخلية الأخرى خلاف الخصية والمبيض .

٥ ـ الشكل التناسلي الخارجي أي البناء التشريحي للاعضاء التناسلية الخارجية .

٦ ـ التصنيف الجنسي للطفل عند مولده وهل يربى ويعامل كولد أو بنت .

٧ ـ سلوك الفرد الجنسي واتجاهه نحو الفئة التي ينتمي اليها ، والدور المتوقع منه للقيام به ، وكل ما يقوله ، وما يفكر فيه أو يفعله في المجتمع ليؤكد مكانته كذكر أو كأنثى . وهذا لا يظهر فجأة وإنما يتم بصورة تدريجية خلال مراحل النمو المختلفة كنتيجة لتجارب الحياة التي يواجهها الفرد سواء كانت مخططة أو غير مخططة ويبدو أن السنوات المبكرة في عمر الانسان تعتبر أكثرها أهمية[1] .

إن كل ما أشرنا اليه يعني باختصار أن الفروق أو الاختلافات بين الذكور والإناث تظهر قبل الولادة . وتتكون الهوية تبعاً للنوع في فترة مبكرة جداً من الحياة ، ويرى بعض الباحثين أنها تتكون في السنة الثانية أو الثالثة من عمر الإنسان . وكما أشرنا من قبل فإن الفرد يولد ذكراً أو أنثى ولكن يكتسب خصائص الانوثة أو الذكورة فيما بعد ، فدور الجنس Gender Role متعلم ولكن هذا لا يعني أن الدور الأنثوي أو الذكري يمكن تعلمه ببساطة وبطريقة متساوية من الجنس الآخر . فالطفل يولد ذكراً أو انثى ومن ثم يتهيأ للاستجابة

(1) Hampson, Joan G: The Case Management of Somatic Sexual Disorders in Children: psychologic Considerations, in Charles W. Llayd (ed.), Human Reproduction and Sexual Behavior, Lea and Feliger, philadelphia, 1964 Chap. 13.

للتوقعات الثقافية الملائمة[1] فالثقافة تكثف بالفعل الميول القائمة لصور التوجيه الرسمية القائمة في المجتمع .

وهناك وجه آخر للمشكلة تجدر الإشارة إليه ، وهو أن الطفل يواجه في حقيقة الأمر بنمطين أو أكثر أو أقل للحياة (المذكر والمؤنث) ويكون متوقعاً أن يتلاءم مع واحد منها . ولكن الذكورة والأنوثة ليست محددة ومميزة بشكل قاطع كما سبق أن أشرنا إذ يوجد تداخل بينهما . ويجد بعض الأفرادصعوبة في أن يعيشوا في المستوى المطلوب لجنسهم ، أكثر مما يجده البعض الآخر . وقد أشار كل من بولك Polkوشتاين Stein إلى أن كثيراً من الضغوط تمارس على الفرد كي يمتثل للنمط الثقافي المثالي حتى في النواحي التي تتنافر أو لا تتطابق فيها شخصيته مع التوقعات الإجتماعية . مما يترتب عليه حدوث شيء من الارتباك والفوضى بالنسبة لأداء الدور وتطابقه مع التوقعات الإجتماعية المطلوبة[2] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه نظراً لأن الاختلافات أو الفروق المعروفة بين الجنسين يمكن أن تتغير ، ونظراً لأن الذكورة والأنوثة متداخلتان إلى حد ما فإن المجتمع يصبح أكثر تسامحاً . والدليل على ذلك أن كثير من المجتمعات المعاصرة وخاصة أمريكا وأوروبا تتقبلان برحابة صدر التداخل الواضح في الخصائص وأنماط السلوك التي كانت مرتبطة تقليدياً ولأزمان طويلة بجنس معين . ومثال ذلك ، أن المرأة أصبحت رئيسة وقائدة للرجل في كثير من المجالات التي كانت قاصرة على رئاسة وقيادة الرجال من قبل ، كما أصبحت منافسة له في كثير من المهن التي كانت أيضاً مقصورة

---

(1) Hampson, John L. "Determinants of psychosexual Orientation" in Frank A. Beach (ed.) Sex and Behavior, John Wiley and Sons, Inc. N.Y., 1965, pp. 108-132.

(2) Polk, Barbara Bovee, and Robert B. Stein: Is the Grass Greener on the Other Side in Constantina Safilios-Roths Child (ed.), Toward a Sociology of Women, xerox College Publishing, Waltham, Mass, 1972.

عليهم ، كما زاد عدد الرجال الذين يقومون على رعاية وتربية الأطفال ، وزادت كذلك مشاركتهم لزوجاتهم في رعاية الأطفال وفي معظم الأعمال المنزلية .

ولا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار واحد فقط من هذه الأنماط الثلاثة من العوامل (الخصائص الوراثية أو العمليات الفسيولوجية أو التجربة) كافية في حد ذاتها لتحديد الفروق الجنسية أو الفردية . فهي جميعاً ترتبط ببعضها في تداخل وتشابك وتصنع الفرد .

الرجال والنساء وقضية المساواة

كثيراً ما تتردد على اسماعنا أسئلة مثل : هل يتساوى الرجال مع النساء ؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي ظهر سؤال آخر : إذن فمن منهما أدنى منزلة ؟ ومن منهما أعلى منزلة ؟ لا يمكن الادلاء بإجابة قاطعة بالنسبة للسؤال الأول لأننا يجب أن نحدد أولاً المقصود بالتساوي ومن أي ناحية ؟ فنحن أمام شخصين (الرجل والمرأة) لا يمكن أن يكونا متساويين . لأن التساوي يجب أن يحدث تبعاً لمقاييس معينة ، وهكذا فإن الإجابة على هذا السؤال تعتمد في جانب منها على دلالة كلمة « مساوي Equal » فالرجل والمرأة متساويان مثلاً في عدد أيديهما وأرجلهما ، الا أنهما لا يتساويان في القوة العضلية ، وهما متساويان في درجة الذكاء ولكنهما لا يتساويان في حجم المخ . إذن نحن نعني بالمساواة مدى ما لديهما من مساواة في حق تقرير المصير Self Determination ؟ ويجيب البعض على السؤال بالايجاب بينما يجيب البعض الأخر عليه بالنفي . فهل أدوار الزوج والزوجة متساوية من حيث الأهمية ؟ انها كذلك في واقع الأمر ، ولكن هذا لا يجعلها قابلة للتبادل Interchangeable . اذن عندما يتكلم الرجال أو النساء عن المساواة مع الجنس الآخر فإنهم يعنون

« مساواة الفرصة » وليس تماثل أو تطابق الدور أو المسؤولية[1] .

واعتقد أنه من الحماقة أن نتكلم عن أحد الجنسين باعتباره أدنى Inferior من الجنس الآخر دون أن يكون لدينا مقياساً معيناً ودقيقاً لما نعنيه بالأعلى والأدنى . فإذا كانت الذكورة هي المقياس المفضل المستخدم في القياس ، فإن النساء في هذه الحالة يصبحن في منزلة أدنى ، أما إذا استخدمت الأنوثة كمقياس فإن العكس يصبح هو الصحيح ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أنه يوجد ميل تقليدي قوي يؤيد المقياس الذكري ، ولذلك نجد أن نظرة المجتمع في الماضي (وفي الحاضر الى حد كبير) كانت وما زالت تنظر إلى المرأة باعتبارها في منزلة أدنى من منزلة الرجل .

ولكن هذا رأي مردود عليه لأنه يجب الحكم على كل جنس من خلال اسهاماته الخاصة ووظائفه . وليس من خلال وظائف الجنس الآخر . فلا يمكن ان نعتبر جنساً متفوقاً على الجنس الآخر عندما يؤدي وظائفه هو بصورة أفضل مما يستطيع هذا الآخر أن يؤديها . فمثلاً إذا قارنا الرجال والنساء الذين يشتركون في مهنة معينة ، فيجب أن يكون لدينا في هذه الحالة مقياساً واضحاً للبراعة على أساسه يمكن تحديد أي الجنسين يتفوق على الآخر ، وربما يظهر هذا المقياس أن الجنسين متساويان ، ويقومان بالعمل بنفس الدقة والبراعة والاتقان .

وقد يؤيد البعض رأيهم المضاد للمرأة في أنها أدنى من الرجال بإشارتهم إلى أن عدد الرجال العباقرة خلال التاريخ كان أكثر من النساء بكثير ، ولكن يمكن الرد على ذلك بأن النساء عندما كن يقمن « بدورهن التقليدي» لم تسنح لهن الفرصة لاظهار العبقرية التي أظهرها الرجال في مجال العلم

---

(1) Bowman, op. cit. p. 33.

والاختراعات والفن[1] وإذا كان الأمر كذلك فيمكن عكس التعريف بأن نقول أن الرجال أدنى من النساء لأنهم كانوا خلال التاريخ أدنى من المرأة في الأعمال المنزلية .

الجنسَــــان متكامــلان

يكون القفل مع المفتاح وحدة وظيفة متكاملة ، وهما معاً يستطيعان اتمام عمل معين لا يستطيع أحدهما القيام به بمفرده . وهذا العمل لا يمكن أن يقوم به قفلان فقط أو مفتاحان أو قفل ومفتاح ليسا متلائمين . وكل منهما له ميزاته الخاصة ، ولكنه لا يبلغ حد الكمال بذاته . لأن دوريهما ليسا متطابقين ولا متداخلين . كما لا يعتبر أحدهما أعلى أو أدنى من الآخر . وكلاهما ضروري وله أهميته ، فهما إذن متساويان في الأهمية ، وكل منهما يمكن الحكم عليه من خلال وظيفته الخاصة ، ومن خلال إسهام كل منهما في تكامل الآخر .

وبتطبيق هذا المثال على الرجال والنساء حيث يتبين أنهم مجتمعون يشكلون وحدة وظيفية Functioning Unit فهما متكاملان أو بقول آخر يكمل كل منهم الأخر . أي أنهم يتبادلون الاعتماد بعضهم على بعض في هذا الكل الوظيفي . إلا أن هذه التكاملية ليست كاملة مائة في المائة ولا تنطبق على جميع السمات والوظائف والدوافع والأهداف ، فمثلاً عندما يشترك أو يرتبط الرجال والنساء في نفس المهنة أو يؤدون وظائف عامة غير مخصصة فإن هذه العلاقة التكاملية يمكن أن تنهار . وقولنا بأن الجنسين متكاملان لا نعني به مجرد الأشياء الثانوية مثل الحاجة إلى الطعام وما شابه ذلك ، ولكن نعني به التكامل من عدة وجوه هامة وحيوية .

---

(1) Sherman, Julia A: On The psychology of women, Charles C. Thomas, Publisher, Springfield, 111, 1971.

« فالتكاملية » هنا تعني أكثر من مجرد الاختلافات أو الفروق الكمية ، فهي تعني الاكتمال ، وارتباط الاختلافات ببعضها مما يؤدي إلى خلق وجود جديد New entity وليس مجرد عملية إضافة ، ومثال ذلك أن مكسب الزوجة أو ربحها يمكن اعتباره إضافة لدخل زوجها ، ولكن إذا كان هو فقط الذي يعمل وهي ربة بيت فهما في هذه الحالة يكمل كل منهما الآخر . وتمثل علاقتهما ارتباطاً لاختلافات الدور المؤدية لتكوين وحدة وظيفية .

ويمكن الإشارة إلى مظهر آخر للتكاملية وهو التزامن والتبادلية فالعلاقة التكاملية لا تنشأ آلياً حيث أن مقوماتها ترتكز في جزء منها على مقومات أو خواص طبيعية وفي جزء آخر على خصائص مكتسبة من الثقافة . ولا يمكن أن تنشأ أي علاقة إلا إذا كان للأفراد من الجنسين الرغبة الصادقة في قبول اختلافاتهما والاستفادة منها . وهذا الاهتمام المتبادل يمكن تطويعه عن طريق النمط الثقافي الذي يعيشان فيه فالتكاملية ليست موضوعاً للملاحظة فقط أو التسليم ولكنها يمكن أن تخلق أيضاً .

والعلاقة التكاملية تبادلية بمعنى آخر أيضاً . فهي تتضمن الإهتمام المتبادل من جانب شخصين يستفيدان « في نفس الوقت » من اختلافاتهما . والمعيشة معاً في علاقة تكاملية تعني التعاون Cooperation إلا أنه في حالات عديدة ، عندما تدخل المرأة عالم العمل أو المهن فإنها تتعلم كيف تتنافس مع الرجال ، ولكنها إذا تزوجت وأصبحت ربة بيت فإنها لا تحتاج إلى التنافس بل إلى التعاون . فهي وزوجها يكونان في حاجة إلى إقامة علاقة تكاملية وليس علاقة تنافسية . ورغم أن بعض النساء يتركن العمل عند الزواج إلا أنهن يحملن معهن الإتجاه التنافسي الذي تعلمنه في العمل واللائي كن في حاجة إليه في مهنهن . والمرأة العاملة المتزوجة التي لا تستطيع خلق روح التعاون في المنزل ، وكذلك الزوج الذي يدخل المنافسة في علاقته بزوجته ، امثال هؤلاء الأشخاص يحولون دون نمو العلاقة التكاملية في الزواج .

أن الحديث عن الجنسين من زاوية التكامل لا يعني أنه لا بد لاحدهما أن يكون تابعاً للآخر ، أو أنهما مختلفان تماماً في جميع السمات والخصائص ، أو أن أحدهما يعدل أو يصحح النقص في شخصية الآخر ، أو أن الزوجة لا بد أن توجه كل طاقتها نحو تأييد النجاح المهني لزوجها . بل أنه يتضمن تسليماً أو اعترافاً بالإختلاف بين الرجال والنساء ومحاولة استخدام واستغلال هذه الفروق وهذه الإختلافات من أجل تعزيز الغايات والأهداف العامة للأسرة بوجه خاص وللمجتمع ككل بوجه عام .

نظام الأسرة

مقــدمــة

يبدو واضحاً من نظرة سريعة عبر التاريخ ، أن الأسرة جماعة إجتماعية اساسية ودائمة ، ونظام اجتماعي رئيسي ، وليست الأسرة أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق والدعامة الاولى لضبط السلوك ، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الإجتماعية ، وربما كان ذلك هو مجمل منظور علم الإجتماع إلى الاسرة باعتبارها نظاماً اجتماعياً . ومع ذلك فإن رواده لم يهتموا كثيراً بالوحدات الإجتماعية الصغيرة كالأسرة في تحليلهم للمجتمع ، ولذلك لم تنتعش دراسات الأسرة إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على يد علماءالانثروبولوجياوعلماء الآثار الذين اهتموا بدراسة الأسرة في الثقافات البدائية وفي الحضارات القديمة . ومنذ ذلك الوقت بدأت دراسات الاسرة تحتل مكانة هامة في العلوم الاجتماعية . وقد أثار مؤلف ادوارد وسترمارك Edward Westermark عن « تاريخ الزواج الانساني The History of Human Marriage » إهتماماً كبيراً كمدخل للدراسة الاسرة[1] .

---

(1) James B. Mokee, "Introduction to Sociology" Holt, Rinehart and Winston Inc., N.Y., 1969, pp. 352-353.

وتواجه دراسات الاسرة مجموعة من الصعوبات ، أولها يكمن في أنفسنا ، فكل فرد عضو في أسرة ، وعضويته هذه تجعله يعتقد أن دراسة الاسرة أمر سهل وبسيط ، ومن المحتمل أيضاً أن يتصور أن أي نسق أسري آخر لا يتفق وأسرته لا بد وأن يكون غريباً وشاذاً ، ومن الملاحظ أن هناك ميلاً عاماً إلى مناقشة ما يجب أن يكون وليس ما هو قائم بالفعل ، ولهذا فإن ما قد يبدو للكثيرين من أن لديهم من وضوح الرؤ ية بالنسبة لعلاقاتهم الاسرية يمكن أن يحملهم على الاعتقاد بأنه ليس هناك ما يدعو الى البحث في هذا الموضوع لانه يدور حول أشياء نعرفها ونعيشها ، ولكن لو تتبعنا الواقع في أبعاده المتعددة لوجدنا أن كثيراً من المعتقدات المتصلة بالأسرة ليس لها أساس ، وحينئذ تصبح « المسألة الأسرية ، بحاجة إلى دراسة عميقة حتى يمكن فهمها بصورة أفضل[1] . وفي نفس الوقت يتعين أن نختبر كثيراً من ملاحظاتنا الفردية المتراكمة عن الخبرات الأسرية في النمط الذي ننتمي إليه لندرك كيف نتشابه أو نختلف مع المجتمعات الأخرى ، بل ربما أيضاً مع أنماط أسرية أخرى قائمة في مجتمعنا ويؤ يد ذلك أن الدراسات المتنوعة في ميدان الأسرة أظهرت اختلافات هامة في أنماطها في المجتمع الواحد . فأسر الطبقة العليا تختلف عن طبقة العمال من حيث التكوين البنائي ، والايديولوجية وفرص الحياة والأدوار الزوجية . وفي أسلوب الحياة . وهذا فضلاً عن الاختلافات الثقافية الواسعة النطاق إذا أدخلنا عدداً من المجتمعات في الاعتبار . وربما كان ذلك هو الذي أدى بكثير من المهتمين بعلم الاجتماع الأسري إلى القول بأن تعدد أنماط الاسرة في المجتمع يعتبر من أبرز ملامح المجتمعات المعاصرة .

مشكلة تعريف الاسرة

لا يوجد مجتمع قائم بالفعل ولا يشتمل على بناءات أسرية على أية

(1) William Goode, The Family, New Jersey, 1964 pp. 3-4.

صورة من الصور ، إلا أنه من الصعوبة بمكان أن نقدم تعريفاً شاملاً لها وذلك نظراً لتعدد أنماطها ، فمعظم الزيجات التي نطلق عليها مصطلح الاسرة قد لا ينطبق عليها المعنى التقليدي الذي نطلقه على الأسرة خاصه إذا عرف أن ملايين الزيجات كالتي تحدث في الكاريبي أو امريكا اللاتينية تتم دون أن تصاحبها الاجراءات الرسمية ، القانونية والشعائر الدينية . ومن المعروف في معظم المنجتمعات تقريباً أن الزوجين يعيشان معاً ، ولكن في المجتمعات التعددية يبيت الزوج مع واحدة من زوجاته كل ليلة » كما أن معظم الناس يقبلون على الزواج وفي أذهانهم أفكار راسخة عن ضرورة استمراره ، ومع ذلك ترتفع معدلات الطلاق في مجتمعات عديدة » .

وهكذا إذا قررنا أن نسمي كل هذه الزيجات أسراً ، فإنه لن يوجد حينئذ تعريف رسمي يمكن أن يغطي كل حالة ملموسة ولكن على الرغم من كل هذه الاختلافات تبقى حقيقة هامة ، وهي أن جميع الناس في المجتمعات في الماضي والحاضر ، ولدوا وتربوا في « أسرة » تتكون كل منها في مجموعها من ثلاثة أعضاء على الأقل ينتميان إلى جيلين فقط (جيل الآباء وجيل الأبناء) وهي تشتمل على شخصين بالغين وهما الذكر والأنثى اللذين يعرفان بأنهما الأبوان البيولوجيان للأطفال ، إلا أنهما يقومان في العادة بالالتزامات الاقتصادية تجاه الوحدة الأسرية . وتحدد معظم القواعد والمعايير الاسرية ، وكذلك الضغوط الاجتماعية التي تفرض لطاعة هذه القواعد والمعايير ، للابناء الازواج والاباء طريقة سلوكهم وتعاملهم وشعورهم في هذا النوع من الوحدة الإجتماعية . وبناء على ذلك تخلق جميع المجتمعات نوعيات معينة من القواعد والضغوط الاجتماعية تجعل من الصعب على الأفراد أن يعيشوا حياة مريحة خارج نطاق الأسرة . وبالرغم من أنه أصبح من السهل في الوقت الحاضر أن يعيش الناس بمفردهم بعيداً عن الأسرة ، إلا أن معظم الأفراد البالغين يعودون إلى اسرهم في نهاية اليوم ، كما أنه من النادر أن نجد أفراداً

يقررون ببساطة اهمال فكرة الزواج كلية . وبالرغم من أن النساء والشابات في عصرنا الحالي متأثرات إلى حد كبير بحركة تحرير المرأة واستقلالها ومساواتها بالرجل فإن أقل من ١٪ منهن فقط يؤكدن أنهن لن يصبحن أمهات[١] ، مع ما يتبع الامومة من ارتباط والتزام .

وجدير بالذكر أنه نظراً لتعدد أشكال الاسرة نتيجة للظروف التاريخية التي مرت بها فإنه أصبح من الملائم أن يضاف إلى كلمة « أسرة » صفة تحدد شكلها فيطلق مصطلح « الأسرة الممتدة » على الجماعة التي تتكون من عدد من الأسر المرتبطة التي تقيم في مسكن واحد وهي لا تختلف كثيراً عن « الأسرة المركبة » أو « الاسرة المتصلة » . ونظراً لأن اللغة العربية أغنى من اللغات الأخرى في مصطلحات القرابة فإنها تستخدم كلمة « أسرة Family » لتشير بها إلى الجماعة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معاً في مسكن واحد ، في نفس الوقت الذي تطلق فيه مصطلح العائلة ليشير إلى « الاسرة الممتدة Extended Family » المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والأناث غير المتزوجين والأولاد وزوجاتهم وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة والإبنة الأرملة الخ . . . وهؤلاء جميعاً يقيمون في نفس المسكن ويشاركون في حياة اقتصادية واجتماعية واحدة تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة[٢] .

وقد تأثرت الأسرة بصورة عامة بالتغيرات التاريخية والإجتماعية والاقتصادية والعمرانية التي مرت على المجتمعات في مختلف أنحاء العالم فتغيز بناؤها أو انكمشت وظائفها ، إلا أن الأسرة بمعناها الضيق والمحدد . والتي اصطلح على تسميتها « الاسرة النواة Nuclear Family » ظلت مركز

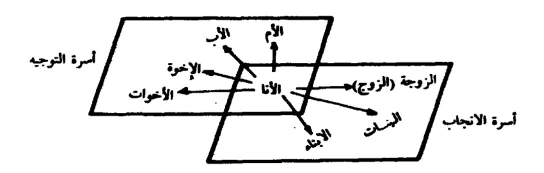
---

(1) William Goode "principles of Sociology" Mc-Graw-Hill, Inc. 1977, pp. 368-369.

(٢) محمد عاطف غيث ، « علم الاجتماع » دار المعارف ، ص ١٠ ـ ١٢ .

التناسل ومصدر الرعاية الأولية المباشرة ، ومع كل النتائج التي طرحها التغير وخاصة في مجال الإتجاه نحو الفردية أو العزلة القرابية إلا أنه في كثير من أنحاء العالم حتى في أكثر اجزائه الصناعية تقدماً ، لازال الفرد يمر خلال حياته بنمطين مختلفين من الأسرة النواة . فهو يولد في أسرة مكونة منه ومن اخوته (إخوة - أخوات) ومن والديه تسمى « أسرة التوجيه Family of Orientation . وعندما يتزوج الفرد ويترك أسرته يخلق لنفسه « أسرة نواة » أخرى تتكون منه ومن زوجته وأطفاله تسمى حينئذ « أسرة الإنجاب Family of procreation » .

(١) اسرة التوجيه وأسرة الانجاب



وبالرغم من صغر حجم الأسرة فهي أقوى نظم المجتمع . فهي النظام الذي عن طريقه نكتسب إنسانيتنا ، كما أنه لا يوجد طريقة أخرى لصياغة بني الانسان سوى تربيتهم في أسرة . ومن هنا فكل شخص ينتمي بشكل ما لاسرة واحدة على الاقل ، ولذلك تعد الاسرة المهد الحقيقي للطبيعة الإنسانية ، فضلاً عن أن تجربة الحياة خلالها ضرورية لتحويل المولود إلى مخلوق « إنساني » يعيش في إنسجام مع الآخرين .

وتشمل كلمة أسرة حلقة واسعة من الملامح المميزة والصفات ، ولفهم الاسرة بصورة متكاملة لا بد أن نلجأ إلى دراسة علم المورثات وعلم الاجنة

والتشريح ، وعلم وظائف الاعضاء ، وكذلك القانون والاقتصاد والسياسة ، ذلك أن كلا من هذه العلوم تلقي ضوءاً على طبيعة الاسرة وطباعها المميز ، ولكن دارس الاسرة لا يمكن عملياً أن يهتم بعمق كاهتمام المتخصصين بانعكاس هذه الدراسات المتداخلة على البحث الأسري ، ولهذا يركز على الاسرة باعتبارها نظاماً اجتماعياً Social Institution[1] ولا ينسى في نفس الوقت تأثير الجوانب البيولوجية والاجتماعية العامة فيه .

ولكن الذي يهمنا هنا في الدرجة الأولى ، وخاصة من وجهة النظر التي تؤكد أن الأسرة « نظام اجتماعي » أن جميع المجتمعات بها مجموعة نظم رئيسية هي : النظام الأسري ، والنظام الاقتصادي ، والنظام التربوي ، والنظام الديني ، والنظام السياسي . وفهم هذه النظم الرئيسية ككل يؤدي إلى فهم المجتمع نظراً لما بينها من علاقات وتأثيرات متبادلة ، والقاعدة هنا أن أي نظام اجتماعي لا يمكن فهمه إلا في ضوء علاقاته مع النظم الاجتماعية الأخرى[2] . وربما كان ذلك هو الذي يجعلنا نهتم فوق اهتمامنا بدراسة تأثر الاسرة بالظروف المجتمعية والعوامل البيولوجية ، بدور نظم المجتمع الأخرى في تأثيرها وتأثرها بالنظام الأسري .

ويوجد نظام الأسرة حتى في المجتمعات البدائية ، بل في أقلها بساطة ومدنية ، وهذا ما يجعل الأسرة تختلف عن كثير من النظم الاجتماعية الأخرى ، وحينما نجد الأسرة بشكلها الذي أشرنا اليه ، نجد نوعاً من تقسيم العمل ، فالزوج مثلاً يعمل صياداً والزوجة تعد الطعام وباقي الاعضاء يقومون بجمع الخضر والجذور البرية ، أما كيف كان شكل الأسرة قبل ذلك فهذا أمر يخضع للتخمين .

---

(1) Leslie R. Gerald, "The Family in Social Context", New-York, 1967, pp. 3-4.
(2) Ibid. pp. 5-6.

ولا يوحي تاريخ الاسرة العريض بأنه اجتاز تطورات كبيرة كتلك التي نلمسها في تاريخ الحضارة المادية ، والذي تطورت فيه من الحضارات الحجرية إلى النظم الهندسية المعقدة المعاصرة ، وكذلك تطور الحكومة من القيادات الفردية البسيطة إلى الدول القومية المتسعة ، أما الاسرة فهي قديماً وحديثاً محدودة الحجم والوظائف ، إلا أن هذا لا يعني أنها نظام ثابت ، فقد تغيرت كثيراً خلال الحضارات المختلفة .

الأسرة إذن موجودة عبر التاريخ ولكن في أشكال مختلفة وهي أيضاً ضرورة عالمية لأنها تقوم بانجاز عدد من الوظائف الاساسية للمحافظة على استمرار الحياة الإجتماعية وقد اتفق علماء الاجتماع على عالمية هذه الوظائف ، كما أكدوا على أهمية عامل آخر وهو أن كل مجتمع أنساني ينظم ويضبط بطريقة نظامية العلاقات بين الجنسين من خلال تنظيم الزواج بهدف الإنجاب ، حتى أن المجتمعات التي تسمى بدائية primitive ، تحدد العلاقات بين الجنسين ، وهذا يكذب الرأي القائل بأن المجتمعات المتحضرة فقط هي التي تنظم العلاقات بين الجنسين .

ويرى دارسو علم الاجتماع أن الأسرة أحد مقومات الوجود الاجتماعي في المجتمع الانساني ، وهي لذلك تعتبر نظاماً عالمياً . أما ما هو غير عالمي فيها فهو شكلها الموجود في مجتمع أو آخر ، ومن مظاهر عالميتها أن كل مجتمع يجيز التزاوج بين الذكر والأنثى مما يعطي الشرعية لميلاد الطفل ، ويتم هذا بطريقة معينة (تختلف من مجتمع لآخر) يحصل من خلالها الطفل على مركز معين وحقوق معينة ، كما تقع مسؤولية رعايته على كاهل أشخاص معينين عليهم أن ينهضوا بها .

معنى الزواج والأسرة

يبدو للوهلة الأولى أنه يوجد ارتباط كبير بين مصطلحي الزواج والاسرة ،

حتى أن هناك ميلاً إلى استخدامهما في نفس الوقت ليشيرا إلى نفس الشيء ولكنهما في الحقيقة ليسا شيئاً واحداً ، فالزواج عبارة عن تزاوج منظم بين الرجال والنساء على حين يجمع معنى الأسرة بين الزواج والأنجاب ، وتشير الاسرة كذلك إلى مجموعة من المكانات والادوار المكتسبة عن طريق الزواج والانجاب . وهكذا نجد أنه من المألوف اعتبار الزواج شرطاً أولياً لقيام الأسرة واعتباره نتاجاً للتفاعل الزواجي .

وليس الزواج والتزاوج شيئاً واحداً ، فالأول مفهوم سوسيولوجي ، أما الثاني فهو مفهوم بيولوجي . فظاهرة التزاوج معرفة عند أنواع أخرى من الحيوانات ، بينما الزواج مقصور على البشر فقط ، ومن ناحية أخرى يمكن أن يكون التزاوج على المستوى البشري ، لا شخصياً ، وجزافياً ، ومؤقتاً . أما الزواج فهو نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية . وهو الوسيلة التي يعمد إليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية وتحديد مسؤولية صور التزاوج الجنسي بين البالغين ، ومن الجدير بالملاحظة في هذا الصدد ، أن جميع المجتمعات (سواء في الماضي أو الحاضر) تفرض الزواج على غالبية أفرادها . فالزواج إذن نظام عام ، حتى لو كان المجتمع يبيح في كثير من الاحيان علاقات جنسية خارج نطاقه ، كما أن الزواج هو النظام الأوفر جزاء بالنسبة لمعظم الرجال والنساء خلال الجانب الأكبر من حياتهم .

وهناك معايير اجتماعية أخرى مختلفة تفسر معنى الزواج نشير هنا إلى بعضها : المعيار الاجتماعي التقليدي[1] ، وهو ينظر إلى الزواج كظاهرة مقدسة Sacred phenomenon أو نظام إلهي مقدس خلقه الله وأكدته الشرائع

(1) Eshleman, Op. Cit., pp. 134-136.

السماوية والكتب المقدسة كأساس للحياة الانسانية . وهذا يعني أن الإنسان ورغباته الشخصية وتطلعاته تكون في المكانة التالية من حيث الأهمية بعد تحقيق متطلبات الأسرة . وتنفيذ الأوامر الإلهية . أما المعيار التقليدي الآخر فهو أوسع نطاقاً بشكل واضح لأنه يؤكد أن معنى الزواج والأسرة يتركز أساساً حول الالتزامات الاجتماعية . وهو في هذا يتفق مع المعيار السابق إلا أنه يختلف معه في نقطة معينة ، فبينما يركز المعيار الأول السلطة في يد « الله » فان المعيار الثاني يركزها في يد « الرجل » ، والقيمة الأولى في معنى الزواج هي المحافظة على الإحترام الاجتماعي ، والامتثال لرغبات الأقارب والمجتمع المحلي ، والاحتفاظ « بصورة لائقة » في المجتمع . ومن خلال هذا المعنى للزواج تكون لأراء الناس أهمية كبرى . ولهذا يصبح الطلاق ، أو الحمل قبل الزواج وكل مظهر إنحرافي آخر مرفوض تماماً لأن « المجتمع » (الاصدقاء المجتمع المحلي ، الجماعة القا ابية وغيرهم) يدينون كل ذلك قولا وفعلاً .

ولكن أحدث معاني الزواج تتجه اتجاهاً آخر حين تؤكد أن الأسر والعلاقة الزواجية ما وجدت إلا من أجل الفرد Individual. فالأمر إذن لا يتعلق بالله ولا بالمجتمع ، وإنما « بالأنا » والزواج عملية تتعلق بالانسان وحده . فإذا أراد الفرد أن يتزوج من خارج عقيدته الدينية أو طبقته الاجتماعية أو مستواه التعليمي فهذا شأنه . وبهذا المعنى تكون السلطة في يد الانسان وحده ، فكل فرد مسؤول عن نجاحه أو فشله دون النظر إلى بناء المجتمع المحلي أو ظروف المجتمع الذي يعيش فيه ، وهذه الفكرة المتطرفة لمعنى الزواج ، يؤكدها أو يدعمها النسق التربوي الذي يجعل كل شيء ممكنا إذا أراد الفرد ، ويقلل إلى مدى بعيد من تأثير العوامل الخارجية .

والوحدات الاساسية للنسق الزواجي أو الاسري ليست الاشخاص ولكنها المكانات ذات العلاقات المتبادلة (الاوضاع) وتوقعاتها المصاحبة .

وتتضمن هذه المكانات في نسق الاسرة ، العلاقات المتبادلة بين الاب والابن ، الزوج والزوجة ، الجد والحفيد ، الاب والام ، الاخ والاخت الخ . . . ويتركز اهتمام علماء الاجتماع على المعايير والادوار والتوقعات والقيم التي تصاحب هذه الاوضاع . فالذكور المتزوجون يشغلون مكانة « الزوج » وهم يتفاعلون مع الإناث اللائي يشغلن مكانة الزوجة » وهذه المكانات المترابطة تشتمل على « النسق الزواجي » ولهذا النسق مجموعة خاصة من المعايير والتوقعات التي تصف السلوك المناسب بالنسبة للأفراد الذين يتفاعل ويتعامل معهم .

إذن فكرة النسق تقوم على تجريدات معينة ، أما الجماعات الاسرية والزوجية فهي عكس ذلك حيث أنها تتضمن أشخاصاً وهؤلاء الاشخاص هم حقائق ملموسة وليست مجردة . وهم موجودون بالفعل ويتفاعل كل منهم مع الآخر استناداً إلى مكاناتهم المحددة . والجماعة الاسرية تتكون من الزوجين وأطفالهما بالإضافة إلى عدد من الاقارب يشملهم محيط الاسرة الممتدة . وتتميز الجماعة الاسرية أو الزواجية بعنوانها الخاص ، وعدد أفرادها ، ومقدار داخلها الخ . . . وتتميز الجماعة الزواجية كذلك بأنها مؤقتة ، تنحل عندما يتفرق أعضاؤها . وهنا تظهر أهمية علم الاجتماع الاسري في اختبار طبيعة الجماعات الزواجية والاسرية التي تفرض النظام بين الجماعات التي تشملها .

وجدير بالاشارة هنا أن معظم الكتابات عن الاسرة تتبع أسلوب « النموذج المثالي Ideal Type » . والنموذج المثالي هو بناء فرضي يقوم على الخصائص المجردة pure . فمثلاً : الابوية ـ الامومة . والاسرة النواة ـ والاسرة الممتدة ، والجماعات الأولية ـ والجماعات الثانوية . المجتمع الريفي ـ والمجتمع الحضري كلها أمثلة للنماذج المثالية . وبناء النموذج المثالي يؤدي وظائف عديدة . فهو يقدم حالة محدودة يمكن عن طريقها مقارنة أي ظاهرة بأخرى ، كما يساعد على تحليل وقياس الحقيقة

الاجتماعية . كما يسهل عملية التصنيف والمقارنة . وهو يساعد دارسي المجتمع على تقديم مقارنات صادقة وحقيقية بين المجتمعات والنظم والاسر عبر الزمان والمكان . وهو يساعدنا في علم الاجتماع في الحصول على أداة منهجية تساعدنا في دراسة موضوعات عديدة تتصل بالاسرة مثل الطبقات العليا والدنيا أو الاختيار الحر والاختيار المرتب في الزواج .

التفاعل البيولوجي والثقافي في الاسرة

إن محاولة الرجوع إلى الماضي البعيد لمعرفة الأوضاع التي كانت عليها الأسرة في البداية لن توصلنا إلى نتائج مؤكدة ، لأن الدراسات الأركيولوجية (الأثرية القديمة) لم تتوصل إلا إلى نتائج مادية بحتة مثل بناء أو تركيب عظام جسم الإنسان القديم وحجم مخه ، أما النواحي الإنسانية مثل أساليب ممارسة الحب ، أو علاقات الآباء بالابناء وعلاقات الأزواج بالزوجات فقد ظلت غامضة إلى حد كبير . وعموماً نحن لا نحتاج إلى مثل هذه الدراسات المتعمقة في الماضي لكي نعرف مكانة الأسرة وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع ، ذلك لأنها وبإجماع الآراء هي النظام الاجتماعي الوحيد الذي يأخذ على عاتقه مسؤولية تحويل « الحيوان الإنساني » الصغير إلى مخلوق آدمي . وبدون وجود الاسرة يمكن أن ينتهي الميراث البيولوجي للانسان بوصفه نوعاً بيولوجياً ، إلى كارثة .

ومن الجدير بالذكر أن الطفل الآدمي لا يكون أضعف الحيوانات ـ كما يتردد أحياناً ـ عند مولده ، إذ يوجد عديد من الحيوانات الأخرى تكون أقل نضجاً من الناحية البيولوجية في هذه المرحلة ، كما أنه ليس حقيقياً أيضاً أن جميع الحيوانات الأخرى تتصرف بالغريزة ويمكنها أن تنمو بصورة طبيعية دون أية تجارب اجتماعية ، ومثال ذلك أن القرد الذي يتربى في عزلة عن بقية القرود يكون غير كفؤ من الناحية الجنسية والوالدية أو ممارسة أي مهارات

اجتماعية عادية مع أقرانه . وكذلك لا تستجيب الطيور الجارحة لأصوات الطيور التي تربت في عزلة المعامل . ومع ذلك ، فالطفل الآدمي يكون عاجزاً عن القيام بأي نشاط لمدة أطول من الحيوانات الأخرى . فالحيوانات العشبية مثلاً كالماعز تحتاج إلى لبن أمهاتها ولكنها مع ذلك تستطيع الرعي Graze بعد فترة قصيرة جداً من مولدها . وآكلات اللحوم مثل الذئاب والأسود تعتمد في طفولتها المبكرة على الكبار حتى تتعلم الصيد ولكنها في عامها الثاني فقط تستطيع الاعتماد على نفسها كلياً في البقاء أما الإنسان فإنه ينضج ببطء شديد ويحتاج إلى سنوات طويلة من التفاعل الاجتماعي ليصبح إنساناً بالغاً .

ويعني ذلك أنه على الرغم من أهمية النواحي البيولوجية فإن الإنسان . يكون إنساناً إلا بانتمائه إلى أسرة ترعاه وتربيه ، وهكذا يتبين أن أنماط الأسرة والميراث البيولوجي مرتبطان بشدة ، ويتفاعل النوعان من العوامل أحياناً ليؤيد كل منهما الآخر ولكنهما أحياناً يتصارعان . ومثال ذلك إذا أراد أعضاء الاسرة نقل ثقافة المجتمع إلى الطفل فإن هذين النوعين من العوامل يتبادلان الدعم والتساند . ولكن إذا كانت الثقافة تشتمل على عديد من القواعد التي تنتهك وتعتدي على الدوافع البيولوجية فإن العاملين المشار إليهما يتحولان إلى صراع .

وتستخدم كل المجتمعات أيضاً أو تسخر الدوافع البيولوجية بطرق عديدة تتناسب مع ظروفها واحتياجاتها . فالدافع الجنسي يستخدم من أجل دفع الناس إلى الزواج والإنجاب . وكذلك تستخدم الدوافع البسيطة مثل الجوع فمنذ درس الطفولة المبكرة يرتبط تناول الغذاء بمعانقة الأم والالتصاق بها إلا أن هذه التجربة تؤدي فيما بعد إلى تجربة أكثر عمومية وهي أن تناول الطعام يكون أكثر امتاعاً عندما يتناول مع الآخرين أي يكون اجتماعياً . والمنزل

---

(1) Goode, op. cit. pp. 370-371.

بالنسبة لمعظم الأطفال ليس مجرد التواجد في مكان ما ولكن المنزل هو الآباء والطعام والأمن بغض النظر عن نوعيته أو مكانه . والواقع أنه في معظم الحضارات المعروفة تربط معظم الحاجات الفيزيقية ابتداء من العناق إلى الحماية بشدة بالحياة الأثرية .

إن هذا النمط المعقد من الروابط الوثيقة بين العوامل البيولوجية والثقافية الاجتماعية يسهل للاسرة كثيراً من الوظائف الأخرى التي تدخل في نطاق اختصاصها . فإذا كان المنزل هو المكان الذي يعد فيه الطعام ويرضي الحاجات البيولوجية والاجتماعية . فهو أيضاً المكان الذي يلتقي فيه أفراد الاسرة بعضهم ببعض ، ومن خلاله تتم عملية التنشئة الاجتماعية بصورة سهلة وطبيعية . إلى جانب القيام بالوظيفة الاقتصادية من حيث توزيع دخل الاسرة بصورة مناسبة وعادلة على أفرادها . ونظراً لقيود المكان والزمان فإنه يكون من الأصل ربط جميع هذه الوظائف معاً وجعلها في نطاق الاسرة ، أكثر من توزيعها خلال المجتمع بأكمله أو إعطائها لهيئات مستقلة[١] .

الاسس البيولوجية للاسرة

مهما كان تأثير النواحي الاجتماعية على الاسرة فهي قبل كل شيء وحدة بيولوجية . وبناء على هذا الفرض فإن كثيراً من المحللين المعاصرين ما زالوا يفترضون أن الانماط البيولوجية تحدد كثيراً من أنماط سلوك الاسرة . وهذا يبدو واضحاً إلى حد كبير لأن كثيراً من الاحداث البيولوجية الهامة تحدث في هذا التنظيم الإجتماعي (الاسرة) مثل الإشباع الجنسي ، والتغذية ، ورعاية الصغار ، والإنجاب .

---

(1) Ibid. p. 371.

ومع ذلك ، فالإدعاء بأن البيولوجيا تحدد البناء الإجتماعي لم يؤيد بعد باختبارات مؤكدة . فمن الصعب أن نعين أي خصائص هامة للأسرة الإنسانية يمكن تحديدها بوضوح عن طريق العوامل البيولوجية . فإذا كان واضحاً أن الحيوان الإنساني يختلف بصورة أساسية عن بقية الحيوانات . فإن أشكال الأسرة الإنسانية يجب أن تكون مختلفة أيضاً .

والدليل على ذلك الإختلاف أنه إذا ولد صغار الإنسان في بطون كبيرة مثل معظم الحيوانات الأخرى ويكون عددهم من خمسة الى عشرة في كل ولادة ، فإن رعايتهم سوف تخلق مشاكل تختلف تماماً عن تلك التي تنشأ بقدوم طفل واحد . وكذلك إذا وجد أربعة أو خمسة أجناس وليس جنسين فقط فإن مشاكل الزواج ستكون صعبة للغاية . خاصة إذا كان من الضروري أن تشارك هذه الاجناس مجتمعة في إنجاب طفل واحد ، فمن الواضح أن شكل الاسرة سيكون مختلفاً تماماً ويمكن أيضاً أن نتأمل ماذا يمكن أن يحدث لو أن الذكور كانت لهم وظيفة إنجاب الأطفال فلا شك أن تطور الاسرة الإنسانية كان سيتخذ مساراً آخر .

إن تخمينات أخرى في هذا المجال سوف تقودنا إلى حقيقة هامة وهي أن أنماط الاسرة لا يمكن أن تتغير بطريقة عشوائية دون النظر إلى تركيب الإنسان البيولوجي الفريد الذي لا يمكن أن يكون هو العامل الأهم في تحديد سلوكه الإجتماعي ، إلا أنه مع ذلك يطرح مجموعة معينة من الإمكانيات والمشاكل . ولعل ذلك هو الذي جعل محاولة تحليل العلاقة القائمة بين العوامل البيولوجية والإجتماعية مشحونة ومملوءة بالصعوبات . وقد بينت الدراسات الحديثة لسلوك الحيوانات في الغابة وسلوكها في المعامل ، أن سلوك الكائن البالغ حتى في الحيوانات الدنيا أكثر تأثراً بالعوامل الإجتماعية أكثر مما كان يعتقد في الماضي . وفي نفس الوقت يوضح البيولوجيون بصورة تفصيلية التغيرات الفسيولوجية التي تحدث استجابات اجتماعية متباينة . وإذا

حاولنا معرفة المزيد فسيكون ذلك صعباً للغاية لان تحليلنا سوف يصطدم بالعائق الاساسي الذي سبقت الإشارة إليه ، حيث لا يمكننا أن نعرف ماهية المخلوقات أو الكائنات الإنسانية البيولوجية Natural biological human beings وإذا حاولنا تربية مخلوق إدمي في عزلة كي نحول دون تأثير العوامل الإجتماعية عليه ، فإن هذا الشخص لن يكون طبيعياً . وإذا حاولنا دراسة أو اختبار شخص في أي سن معينة فإن استجاباته سوف تكون قد تشكلت إلى حد كبير بالتأثيرات الاجتماعية التي تؤثر في الإنسان منذ لحظة ولادته . وهكذا نتبين مدى الصعوبة في فصل هذين النوعين من العوامل .

وعموماً ، فإننا نستطيع أن نؤكد على ثلاثة عوامل بيولوجية هامة تؤثر في الأسرة إلى درجة معينة : ـ

١ ـ النضج المتأخر للكائن الآدمي .

٢ ـ غياب أو عدم وجود الغرائز لكي تساعده أو تقوده إلى حل المشاكل البيئية .

٣ ـ العقل المركب الذي يخلق حلقة واسعة من الحلول للمشاكل ، وهذه الميزة تمكنه من خلق أشكال ثقافية واجتماعية عديدة يمكنها أو لا يمكنها أن تنسجم مع الاحتياجات البيولوجية .

وللانسان دافع جنسي مثل بقية الحيوانات إلا أنه متأثر إلى حد كبير بالنواحي الاجتماعية أكثر من أي حيوان آخر . حيث يعتمد على التعليم إلى حد ما . ويضاف إلى ذلك أن هذا الدافع عند الانسان يكتسب معنى اجتماعياً أكثر تعقيداً من دلالته البيولوجية : فهو يتشكل ويوجه ويقيد في جميع المجتمعات . كما أن الدافع الجنسي عند الانسان دائم نسبياً على عكس ما

---

(1) Ibid. p. 372.

هو قائم عند الحيوانات الأخرى . لكن الناس في جميع المجتمعات يواجهون بحلقة واسعة من التحريمات بالنسبة لمن يمكن أن يكون الشريك الجنسي ، وأي المواقف يسمح لهم فيها بممارسة الجنس ، وأنواع الاستجابة التي يحتمل أن تثيرهم وهكذا . وهذا فضلاً عن أنه لا يوجد أي دليل بيولوجي على وجود ما يسمى بالدافع الأبوي Parental Drive أو الدافع الأموي Maternal Drive الأمر الذي يؤكد أن هذين النمطين من السلوك مكتسب اجتماعياً .

إن هناك ظاهرة واضحة تبدو فيها التأثيرات البيولوجية على الاسرة ، وتتمثل في حيض الانثى وولادة الأطفال وإفراز اللبن لرضاعتهم ، إلا أن هذه التأثيرات لم تدفع المجتمعات إلى إبقاء النساء في المنزل أو تحميلهن وحدهن مسؤولية الأطفال ، كما أن الحيض لا يعوق المرأة عن العمل في معظم المجتمعات والنساء أيضاً لسن دائماً في حالة حمل ، كما أنه يكون باستطاعتهن القيام بمعظم الوظائف الإنتاجية حتى وهن حوامل . وعموماً إذا أثيرت هذه النقطة ضد النساء كأن يقال أنهن لم يستطعن (قديما) القيام بعملية الصيد بفعالية كما كان يفعل الرجال فإنه يمكن الرد بإنهن يستطعن القيام بدور رئيس الاسرة أثناء فترة الحمل ، إلا أن هذا الدور لم يجرب حتى الآن[1] .

وهناك وجهة نظر أخرى ترى أن النضج الجسدي المتأخر للذكور يؤدي إلى زواج الإناث مبكراً عنهم ، ومع ذلك فلم يظهر حتى الآن دليل مؤكد على أن البنات يفرزن البويضة مبكراً عن إفراز الأولاد للحيوانات المنوية . وبالتأكيد فإن الذكور لا يصابون بأذى يذكر إذا تزوجوا في سن مبكرة بالمقارنة بالأذى الذي يلحق بالإناث . فلا شك أن الفتاة في سن الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة لا تكون على استعداد لإنجاب الأطفال بالمعنى البيولوجي كما هو الشأن عند الولد في نفس السن . وهذا ربما يقودنا إلى القول بأن التحديدات أو

(1) Goode, Ibid., pp. 372-373.

التعريفات الاجتماعية للاعمال المناسبة للذكر هي التي تجعله غير كفؤ للزواج في سن مبكرة لأنه في هذه السن لا يستطيع تحمل وظائف الذكر البالغ بينما تسطيع الفتاة تحمل وظائف الانثى التقليدية مثل حمل الأطفال ورعاية المنزل .

ومعنى ذلك أنه لا توجد أية عوامل بيولوجية تكون مسؤولة عن خلق أي نسق أسري على الاطلاق . إلا أن الدافع الجنسي للبالغين في حالة عدم استخدام أية وسيلة من وسائل منع الحمل ، يعمل على ضمان حدوث الحمل وبالتالي الإنجاب . وكذلك لا يوجد أي دليل قاطع على أن الكائنات الإنسانية تدفعهم العوامل البيولوجية للعناية بصغارهم ، إلا أن التأثير البيولوجي المؤكد الذي يسهم في خلق نمط ما لنسق الاسرة يكون واضحاً إذا غابت أو تضاءلت قوى بيولوجية معينة وهي القوى التي تعمل لضمان استمرارية الأنواع . لكن الإنسان يعتمد في استمرار بقائه على علاقات الدور التي تفرضها الثقافة . لأن هدف التنشئة الاجتماعية ونتيجتها خلق وتنمية الرغبة في الناس أن يصبحوا آباء ، وأن يبثوا في أطفالهم بالتالي الرغبة في أن يصبحوا آباء عندما يكبرون وهكذا . وتعبر هذه الرابطة عن الالتحام بين الميراث الثقافي والاجتماعي والبيولوجي الذي يتخلل ثلاثة أجيال ، وهو الأمر الذي يتيح للجيل البالغ أن يعلم الجيل الذي يليه الرغبة في تنشئة الجيل الثالث . . . الخ .

وبناء على ذلك يتضح أن أهم ما يميز الاسرة أنها تضع المسؤولية على الذكر البالغ والانثى البالغة ، لأن الطفل الصغير يولد عاجزاً تماماً ويحتاج لفترة طويلة من الرعاية تصل إلى سنوات يتلقى خلالها التدريب أو التمرين الضروري الذي يتلاءم مع ثقافته ، ولهذا تكون الرابطة العاطفية بين الأم والطفل وثيقة وعميقة نظراً لفترة الرضاعة الطويلة نسبياً والعناية المركزة التي تقدمها له مما يسهل إلى حد كبير من عملية التنشئة الاجتماعية وهذا بالإضافة

إلى أن نضج الكبار وخبرتهم وتوافر معلوماتهم يضفي القوة على هذه التنشئة الاجتماعية[1] .

وأخيراً يبقى عامل أساسي ، وهو أن جميع المجتمعات تنمي كثيراً من القواعد التي تمنح الجزاءات الايجابية للآباء الذين يمتثلون لها وتعاقب هؤلاء الذين ينحرفون عنها . ولا يوجد أي مجتمع يترك استمراره ودوامه للصدفة . فمسؤولية الإنجاب والتنشئة الإجتماعية والضبط الإجتماعي ليست من اختصاص الاشخاص البالغين بصفة عامة ، ولكنها من اختصاص الآباء والأمهات أساساً ، وتكون عملية التنشئة الإجتماعية مدعمة بالجزاءات والعقوبات حثاً على الإلتزام بالمعايير الأبوية ، ولذلك فإن إنجاز هذه المسؤوليات بصورة مرضية يضمن استمرار المجتمع وبقائه .

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات المتبادلة بين العوامل البيولوجية والثقافية جعلت قاعدة الشرعية **Rule of Legitimacy** هامة جداً في المجتمعات الإنسانية[2] . وتبعاً لهذه القاعدة فإن الاطفال يجب أن يكونوا ذرية الآباء الذين تزوجوا تبعاً لعادات جماعتهم أو مجتمعهم . وتنظم معظم الأديان السماوية العلاقات الشرعية بين الازواج والزوجات وكذلك بين الآباء والابناء . وعادة ما يعاقب القانون الاشخاص الذين يقتصر دورهم على الابوة البيولوجية دون أن يتعهدوا رسمياً بتحمل المسؤوليات الاسرية بالنسبة لاطفالهم ولكن هناك كثيراً من الإجراءات تساعد على عدم الخروج على الشرعية ، مثل حرص الاباء على تزويج أبنائهم وتدخلهم في الإختيار الزواجي ، وتعمل بعض المجتمعات على تأكيد هذه الشرعية ودعمها عن طريق المراقبة الدائمة للابناء ، أو العمل على زواجهم في سن مبكرة .

---

(1) Goode, Ibid. pp. 373-374.

(1) Bronislaw Malinouski "parenthood, the Basis of Social Structure" in V.F. Calverton and Samuel D. Schanal Hausen, (eds.), The New Generation, N.Y. Macaulay, 1930. pp. 137-138.

أشكال الزواج

هناك شبه إجماع بين الدارسين في علم الإجتماع والانثروبولوجيا على أن تاريخ الزواج الإنساني قد طرح أشكالاً أساسية هي (الوحدانية - تعدد الزوجات - تعدد الازواج - الزواج الجماعي) وسوف نشير في إيجاز إلى كل منها

وحدانية الزواج Monogamy

تعتبر وحدانية الزواج من الاشكال المفضلة في كثير من المجتمعات . ومعناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة ، وهذا الشكل منتشر على أوسع نطاق عالمياً ، بل إن هناك مجتمعات ترفض كل أشكال الزواج عدا الوحدانية ، إلا أن هذا لا يعني أن الزواج لا بد وأن يحدث مرة واحدة طوال العمر فقط ، بل يمكن السماح بالزواج مرة أخرى في حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين .

تعدد الزواج Polygamy

وهو الشكل الذي يعتبر عكس وحدانية الزواج وهناك أنواع عديدة منه مثل الزواج من داخل القبيلة أو البدنة أو العشيرة ويسمى « الزواج الداخلي » Endogamy وهو على خلاف « الزواج الخارجي » Exogamy الذي لا يجوز حدوثه بين أعضاء البدنة أو القبيلة أو العشيرة لإنتمائهم إلى « طوطم » واحد فيعتبرون إخوة « ويحرم » زواجهم ، وبالتالي لا بد أن يكون الزواج خارجياً . أما الزواج التعددي فيشير إلى الزواج بكثيرين ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع : زواج رجل واحد من عدة نساء ويسمى تعدد الزوجات Polygymy ، وزواج إمرأة واحدة من عدة رجال ويسمى « تعدد الازواج » Polyandry ، وزواج عدة نساء من عدة رجال ويسمى الزواج الجماعي « Group Marriage .

وقد تبين من عينة عالمية أخذها ميردوك Murdock[1] من ٥٥٤ مجتمعاً أن تعدد الزوجات يلقي قبولاً وتأثيراً ثقافياً في ٤١٥ مجتمعاً أي بنسبة (٧٧٪) بينما لم يجد زواج إمرأة واحدة من عدة رجال قبولاً سوى في ٤ مجتمعات أي بنسبة أقل من (١٪) وجدير بالذكر أنه في أي دراسة عن تعدد الزوجات يجب التفرقة بوضوح بين الأيديولوجية وبين ما يحدث بالفعل . فبالرغم من أن الشريعة الإسلامية تسمح بتعدد الزوجات إلا أن الشكل السائد للزواج في المجتمع المصري هو الوحدانية ، وذلك لتدخل عوامل عديدة اقتصادية وثقافية واجتماعية تحول دون الزواج بأكثر من واحدة أو تجعله أمراً غير مرغوب فيه على الاقل .

تعدد الزوجات

هو أكثر الأشكال التي أشرنا إليها ، وخاصة في المجتمعات البدائية أو النامية ، ويدل في ناحية منه على المكانة العالية والتميز والثراء . أما لماذا يتخذ الرجل أكثر من زوجة ، فهناك ظروف ودوافع عديدة تؤدي إلى ذلك ، فإلى جانب إظهار المكانة العالية والهيبة ، توجد في بعض الحالات الحاجة أو الرغبة في الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور . هذا وعادة ما يراعى في الاسرة التي تتعدد فيها الزوجات عدة اعتبارات مثل :

١ ـ أن يكون للزوجات حقوقاً متساوية .

٢ ـ أن تقيم كل زوجة في مكان مستقل .

٣ ـ أن يكون للزوجة الأكبر سناً (أول زوجة في العادة) مميزات ونفوذ معروف .

---

(1) George Murdock "World Ethnographic Sample", American Anthropologist, 59 (August, 1957), p. 685.

تعدد الأزواج

وهو شكل نادر الحدوث ، ومحدود الانتشار للغاية ، ويكون الازواج في معظم الحالات من الاشقاء ، فهم أخوة في البدنة ، وينتمون إلى نفس الجيل ، ويقلل هذا الوضع إلى حد كبير من درجة الغيرة بين هؤلاء الأزواج ومن المعروف في قبائل مثل « التودا » Toda في الهند أنه عندما تتزوج امرأة من رجل فإنها تصبح زوجة لإخوته في نفس الوقت ، ويرجع نظام تعدد الأزواج في الواقع إلى ظروف الفقر الشديد مما يجعل من الصعب على كل أخ أن يتزوج من إمرأة بمفرده وبالتالي يشترك الإخوة في الزواج من إمرأة واحدة . وفي المجتمعات التي تأخذ بنظام تعدد الأزواج تنتشر ممارسة قتل الأطفال من الاناث حتى لا يزيد عدد النساء عن النسبة المطلوبة .

الزواج الجماعي

من المعتقد أن هذا الشكل من الزواج كان سائداً في المجتمعات البدائية في العصور القديمة ، إلا أن هذا الرأي لم يتأكد بصورة علمية دقيقة حتى الآن . وهو يعني زواج عدد محدد من الذكور من عدد مساو لهم من الاناث . إلا أن هذا الشكل من الزواج نادر الحدوث في الوقت الحالي إلا في حالات فردية تعتبر شاذة إلى حد كبير. وقد قام لاري Larry وكونستنتين Constantine بدراسة عن الزواج الجماعي في أمريكا ، حيث ركزا على عشرة زيجات معظمها لا يقل عن أربعة أشخاص وقد تبين من نتائج الدراسة أن آلية معيشة هذه الزيجات معقدة للغاية من حيث المسائل المالية والقرارات والطعام والانجاب والصراعات الشخصية[1] .

---

(1) Larry L. and Joan M. Constantine "The Group Marriage" in Michaele Gordon, the Nuclear Family in Crisis: The Search for an Alternative, N.Y: Harper and Row, 1972 pp. 204-222.

قواعد السكن

كل أنساق الاسر التي أشرنا إليها لها قواعد خاصة للسكن Ruies of Residence ومن المعروف أن الازواج والزوجات يأتون من أسر توجيه مُختلفة ، ولهذا فإنه عند الزواج لا بد لأحدهما أن ينتقل . وأكثر الأنماط شيوعاً هو انتقال العروس للمعيشة مع أسرة العريس ، وهذا النموذج المثالي يطلق عليه « المسكن الأبوي » Patrilocal .

والنمط الثاني للسكن أقل انتشاراً وهو المسكن الأموي Matrilocal ويعني انتقال العريس للمعيشة مع أسرة العروس . وخاصة في حالة ملكية المرأة للأرض وسيطرتها على الاسرة . ويرتبط بهذا النمط من السكن أن يكون أخو الزوجة هو المسيطر وله الكلمة العليا .

وهناك نمطان آخران هما المسكن المزدوج Bilocal والمسكن المستقل Neolocal حيث يسمح في النمط الأول للزوجين بالمعيشة قريباً من والدي كل من الزوج والزوجة . أما نمط المسكن المستقل فيؤدي إلى استقلال الزوجين في السكن بعيداً عن أسرتي التوجيه . وقد أصبح هذا النمط من السكن شائعاً في المجتمع المصري سواء في الريف أو الحضر .

وفي بعض الحالات يسكن أحد الأقارب أو بعضهم مع الاسرة . وهم في معظم الحالات يكونون من أقارب الزوج لان الابن ما زال مسؤولاً عن والديه في حالة كبرهما وخاصة مسؤوليته عن إعالة والدته في حالة موت الاب : وعموماً فإن انتشار هذا الشكل من السكن يشيع في المناطق الحضرية ويرجع إلى ظروف ضيق المساكن والمرتبات المحدودة ثم اختلاف المستوى الثقافي بين الابناء والاباء . ومما هو جدير بالذكر أنه في السنوات الاخيرة ونظراً للأزمة الشديدة في المساكن الموجودة حالياً في المجتمع المصري بدأت العودة إلى نظام السكن مع أسرة الزوج أو الزوجة تبعاً لاتساع مسكن

والوالدين بوجه خاص ، المفتاح الذي يحدد مدى تقدم الطفل في المدرسة ؟

إلا أن النظرية البنائية الوظيفية التي قدمها بارسونز parsons لم تفسر التغيرات الحديثة في أنماط الاسرة على أنها انهيار أو تفكك ، بل على العكس من ذلك تماماً نجد أن بارسونـز كان واضحاً عندما أكد أن « عملية التمايز » تؤدي إلى تزايد المؤسسات والهيئات والوحدات التي تقوم بوظائف محددة ، ومعنى هذا أن الوظائف التي كانت تقوم بها في الماضي وحدة واحدة (الاسرة) أصبحت تضطلع بها وحدات عديدة متخصصة ، بينما تقتصر الوحدة الاصلية على وظائف محدودة ويشير بارسونز إلى أن التغيرات التي تحدث في الاسرة تنطوي على مكاسب كما تنطوي على خسائر ، والوحدة التي تفقد بعض أو كل وظائفها ، وتصبح أكثر حرية في تبني وظائف أخرى : « عندما تكون وظيفتان مستغرقتان في نفس البناء ثم يحدث أن يقوم بأدائها بناءان مختلفان ، فإنهما تؤديان بدقة وعناية أكثر وبدرجة أكبر من الحرية . وإذن فتحرر الاسرة من الأعمال العديدة التي كانت تقوم بها في الماضي يجعلها قادرة على أداء الأعمال المتبقية لها بطريقة أكثر نجاحاً ، كما تصبح في مركز يسمح لها بتلبية الاحتياجات العاطفية والشخصية لكل من البالغين والأطفال » ويؤكد بارسونز أن الاسرة أصبحت أكثر تخصصاً عما كانت عليه من قبل ولكن هذا لا يعني أنها أصبحت أقل أهمية لان المجتمع أصبح يعتمد عليها أكثر في أداء عديد من وظائفه المختلفة[1] .

هذا ويبرز وليام جود Goodeأهمية الوظائف الوسيطة للاسرة ، وجدير بالذكر هنا أن فكرة الاسرة كوسيط (صاقل ـ مؤثر ـ قامع) بين الفرد والمجتمع الكبير قد ظهرت ضمنياً في كتب الاسرة منذ مدة طويلة إلا أن جود هو أول من

---

(1) T. Parsons and Bales. "The Family., Socialization and Interaction process" The Free press 1955. pp. 10-11.

وضح الاهمية الاستراتيجية للاسرة وخاصة من خلال وظيفتها الوسيطة[١] .

ويتحدث هوبـارت Hobart عن فقدان الاسرة الامريكية لوظائفها ويركز على توفير الصحبة والامن العاطفي باعتبارهما الوظائف الاساسية والعامل الاهم وراء قيام أسرة اليوم[٢] .

وفي دراسة اجريت على عينة من الأسـر المصرية[٣] لمعرفة الوظائف التي تقوم بها الاسرة في الوقت الحاضر تبين الآتي :

١ ـ إن وظائف الاسرة المصرية لم تتغير كثيراً فما زالت نسبة لا بأس بها تحتفظ بوظائف كانت تميز الأسرة الممتدة التقليدية . وربما يرجع ذلك إلى التأثر النسبي (لفئات العينة) بالتغير واستجاباتها المتفاوتة له ، تلك الاستجابات التي تعكس المستوى الإجتماعي والثقافي والمهني .

٢ ـ تتحول الاسرة المصرية تحت تأثير الحياة الحضرية بالتدريج من وحدة منتجة إلى وحدة مستهلكة ، كما أن إسهام الأسرة ككل في الأنشطة الاقتصادية المتنوعة في المجتمع قد زاد من حيث معدله بالمقارنة بالاسرة التقليدية القديمة نظراً لإشتراك واحد أو أكثر من أعضائها وبطرق مختلفة في أنشطة النظام الكلي للمجتمع .

٣ ـ لا يظهر بصورة واضحة أن الاسرة المصرية كالاسرة في المجتمعات الغربية مثلاً تعتمد اعتماداً يكاد يكون مطلقاً على السوق الخارجية في كل

---

(1) Goode, The Family, op. cit., p. 2.

(2) Charles Hobart, "Commitment, Value Conflict and the Future of the American Family", Marriage and Family Living, 25 (November, 1963) pp. 405-412.

(٣) سناء الخولي ، التغير الاجتماعي والتكنولوجي وأثره على الاسرة المصرية بنائياً ووظيفياً (رسالة دكتوراه يناير ١٩٧٣) .

مطالبها المادية على وجه الخصوص ، فلا زالت نسبة كبيرة من الاسر تصنع كثيراً من حاجاتها وخاصة في الغذاء والملبس داخل نطاق المنزل .

٤ ـ أصبحت الاسرة المصرية تشارك في الوظيفة التعليمية عن طريق المتابعة والاشراف المنظم في كثير من الأحوال على تقدم أبنائها المدرسي وانجازهم لواجباتهم المدرسية .

٥ ـ تتغير أساليب التنشئة الإجتماعية إلا أن عملياتها المختلفة لا تزال أهم وظائف الاسرة جميعاً ، وليس هناك شك أن طرق التربية والتنشئة الإجتماعية تتغير من فئة إلى أخرى حيث تعكس خبرة الوالدين ومستواهما الإقتصادي والثقافي والإجتماعي والمهني ، ويرتبط ذلك بأسلوب معاملة الابناء ، والنظرة إلى السن ، والجنس وابداء الرأي ، وحرية المناقشة ، وتكامل الشخصية ، تلك المسائل التي تبين تفاوت مواقف أسر الطبقات المختلفة بشأنها .

إن هذا التغير في وظائف الاسرة المصرية التي حددنا أهم ملامحه لا يعني أنه قد حدثت تغيرات عميقة يمكن أن تؤيد رأي سوروكن في أن الاسرة سوف تتحول فقط إلى مكان لممارسة العلاقات الجنسية[1] ، فكل فقدان لبعض الوظائف استجابة للتغيرات الجارية يدعم من وحدة الاسرة وتكاملها ويزيد من قدرتها على مواجهة متطلبات التنشئة الإجتماعية وتنمية شخصية الاطفال وإعدادهم لمواجهة حياة أفضل مما واجهه الأباء . وبمعنى آخر لم تتحول الاسرة المصرية في مسيرة التقدم إلى وحدة بيولوجية بل على العكس تؤكد صفتها الإنسانية والإجتماعية باستمرار .

وعموماً تحدد المراجع العلمية وظائف الاسرة المعاصرة فيما يلي :

---

(1) Pittrim Sorokin, "Social and Cultural Dynamics", 4 Vols. New York, American Book Company. 1937.

١ ـ انجاب الصغار .

٢ ـ المحافظة الجسدية لأعضاء الاسرة .

٣ ـ منح المكانة الإجتماعية للاطفال والبالغين .

٤ ـ التنشئة الإجتماعية .

٥ ـ الضبط الإجتماعي .

هذا بالاضافة إلى وظيفة جديدة لم يهتم بها التحليل السوسيولوجي من قبل وهي « الوظيفة العاطفية Affectional Function » ونعني بها التفاعل العميق بين الزوجين وبين الآباء والابناء في منزل مستقل مما يخلق وحدة أولية صغيرة تكون المصدر الرئيسي للاشباع العاطفي لجميع أعضاء الاسرة وقد أصبحت هذه الوظيفة من الملامح المميزة للاسرة الحضرية الحديثة . بعكس الحال في الاسرة الممتدة في المجتمعات الزراعية ، حيث يتم التفاعل الأولي بين حلقة كبيرة من الاقارب الذين يعيشون متجاورين .

وقد ترتب على هذه الوظيفة الجديدة أن أصبحت الاسرة النواة تحمل عبئاً ثقيلاً ، لأنها أصبحت المصدر الوحيد الذي يستمد منه الأفراد الحب والعاطفة ولهذا لا يريد الأفراد البالغين الزواج فقط وإنما يريدون الزواج السعيد[١] .

---

(1) James B. McKee, op. cit., pp. 362-363.

الزواج والمناخ الاجتماعى

مقـدمـة

تتحدد علاقات التنظيم الاجتماعي (والاسرة كنوع معين منه) على أساس مجموعة من المتغيرات يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند الدراسة ، ومن أجل فهم أفضل تقسم هذه العلاقات إلى قسمين : علاقات داخلية ، وعلاقات خارجية وقد ثبت أن المعرفة من الداخل لا تكفي ، لأن استبعاد التأثيرات الخارجية يؤدي إلى فصم الوحدة التنظيمية عن الإطار الكبير الذي تنتمي اليه والذي لا يمكن فهمها الا من خلاله ، كما أن قصر الدراسة على الخارج يؤدي إلى إهمال الميكانيزمات الداخلية التي تؤدي إلى عدم فهم طبيعة التفاعل وما يترتب عليه من سلوك ، أو اتجاهات ، كذلك فإن عدم الارتباط عند البحث الامبيريقي وعند التحليل بين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية يؤدي إلى عدم إدراك طبيعة المعوقات أو المشاكل أو التوترات أو التصدعات التي قد تصيب الوحدة التنظيمية . ولهذا فإن إدراك طبيعة العلاقات الداخلية في الاسرة يتوقف على مجموعة من المتغيرات أهمها الحجم ونوع الأهداف وشكل العضوية وتقسيم الأدوار ، وتوقعاتها ، وطبيعة مركز القوة ، وإمكانيات الأداء والإنجاز ، وعلاقات الأزواج بالزوجات والآباء بالأبناء ، ولا يمكن فهم هذه العلاقات الداخلية بصورة متكاملة إلا من خلال الاطار الأوسع الذي تنتمي

اليه الاسرة ، والذي تكون معه مجموعة من العلاقات تتأثر بها أو تؤثر فيها ، ويدخل في ذلك نوع البيئة الاجتماعية والثقافة والمهنة والمستوى الاقتصادي والثقافة العامة بما تحتويه من قيم ومعايير ، والتعليم النظامي ، وغير ذلك من المتغيرات ذات الأهمية المباشرة بالنسبة للأسرة .

وقد ظهر من التحليل المقارن للدراسات التي أجريت في هذا المجال أن الأسرة في مختلف المجتمعات تتأثر داخلياً من الناحية البنائية بالتغيرات الاجتماعية ، ويبدو هذا واضحاً في تحول الأسرة التدريجي إلى نمط الأسرة النواة مما أدى إلى تعديلات واضحة في أبعادها البنائية الداخلية ، حيث أصبحت العلاقات بين أعضائها أكثر كثافة بالمقارنة بالعلاقات التي كانت تميز الاسرة الممتدة التقليدية ، ولهذا تطرح موضوعات تشغل بال الاسرة الآن بصورة واضحة مثل المساواة والحرية والديمقراطية والمشاركة في السلطة والمسؤولية .

الا أن الأسر بفئاتها المختلفة لا تتأثر بنفس الدرجة بالتغير الاجتماعي في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، حيث ظهر أن التأثربهذه التغيرات مسألة درجة في المحل الأول أو بمعنى آخر لا تحدث التغيرات تأثيرات متشابهة على أنماط الأسر المختلفة ، لأن إمكانية الاستجابة للتغير ترتهن بمجموعة من المتغيرات لا تحدث تأثيراتها الا إذا توافرت ظروف معينة ليست متاحة بالفعل لكل أسرة ، ولهذا فإن الحديث عن التغير الاقتصادي والتغير الاجتماعي والتغير التكنولوجي من حيث أن كلا منها أو جميعها له تأثير مباشر على تغير الاسرة ليس حتمياً .

وتعتبر المهنة المحك الاساسي في تصنيف الاسر إذ يمكن من خلالها التعرف على أبعاد التغير وتأثيره ، نظراً لأن المهنة (مهنة الزوج) لا تزال مؤثراً له أهميته وخطورته في تحديد المستوى الاقتصادي ، والمستوى التعليمي ، ونوع المشاركة الاجتماعية للاسرة . كما أنها لا تزال مؤشراً على نوع البيئة

الاجتماعية والثقافية وربما مكان السكن أيضاً . تلك المسائل ذات الأهمية البالغة التي تحدد نوعية الاسرة ومدى تقبلها للتغير والتجديدات وأساليب التنشئة الإجتماعية التي تأخذ بها أطفالها وهكذا نرى أن هذه المسائل لا يمكن أغفالها أو استبعادها في فهم بناء الاسرة .

الزواج في الماضي والحاضر

سبق أن أشرنا إلى أن الرجال والنساء يكمل كل منهما الآخر ، إلا أن هذه التكاملية ليست واضحة ومحددة تماماً نظراً لتباين الخصائص ونوعية العلاقات التي يكونونها ولكن الطبيعة التكاملية للجنسين تظهر بوضوح في نواح معينة مثل أنماط السلوك العاطفي والجنسي والانجابي وهي الانماط التي تعتبر عالمية ودائمة . ويقول آخر يمكن اعتبار الطبيعة التكاملية للجنسين أكثر مرونة وأكثر قابلية للاستجابة للمؤثرات الثقافة . ومن هنا يمكن أن تكون موضوعاً للتغير ، ويبدو هذا واضحاً في التغيرات التي تعرضت لها أدوار الجنسين في الوقت الحاضر نتيجة للتغيرات المجتمعية والمهنية والتعليمية والتي أثرت بالتالي في الزواج وفي حياة الأسرة . وهكذا يتفق علماء الاجتماع على أن أدوار الجنسين المتوقعة والواقعية ترتبط إلى حد كبير بالطبقة الاجتماعية والاقتصادية والمستوى التعليمي .

وقد كانت الاسرة في الماضي وإلى وقت قريب وفي كثير من المجتمعات المعاصرة تعتمد كلية على الرجل « الزوج والاب » من حيث الإعالة ، ويعتمد على المرأة « الزوجة والام » في القيام بالأعمال المنزلية وإنجاب الأطفال ورعايتهم ونتيجة لهذا التقسيم الواضح في العمل كان الرجل هو رئيس الاسرة وله السلطة على كل من زوجته وأطفاله . وكانت هذه السلطة مؤيدة ومدعمة بالعرف وإلى حد ما بالقانون ويعني هذا أن العمل كان مقسماً بصورة واضحة بين الجنسين في كل من عالم المنزل وعالم العمل خارج

المنزل ، وكان من السهل أيضاً أن نتكلم عن « عمل الرجال » و « عمل النساء » .

ولقد كانت هناك قيود كثيرة تفرض على الزواج ، حتى لم يكن يسمح للجنسين بالالتقاء الحر بأي صورة من الصور ، وإذا اتيح ذلك تمهيداً للزواج فإنما يتم في حضور بعض الأقارب أو أحدهم على الأقل لتحقيق القدر الملائم اجتماعياً في المراقبة على السلوك ، بل وعلى مضمون الحديث الذي يدور بينهما ، وهكذا لم تكن تتاح للفتى أو الفتاة أي فرصة للتعرف الطبيعي على خصائص الآخر وطبائعه وميوله نظراً لما يطغى على هذه المواقف من تصنع وافتعال وارتباك ، وهذا لا يعني أن مشاعر الحب بين الجنسين لم تكن موجودة في الماضي ولكن الظروف الاجتماعية الصارمة كانت تقف دائماً في سبيلها . ولذلك كان الكثيرون يعتقدون في إمكانية نجاح الزواج ودوامه في غياب الحب ، ولهذا السبب ، وفضلاً عن مقاومة المجتمع لفكرة الطلاق وتقسيم العمل الذي يجعل الزوجة تعتمد على زوجها من الناحية الاقتصادية فإن معدل الطلق في الماضي كان منخفضاً للغاية بمقارنته بالمعدلات الحالية ، ومن ناحية أخرى كان الزواج واجباً اجتماعياً مقدساً لا بد أن يعمل الزوجان على نجاحه واستمراره ، لأن الزواج كنظام أهم من الاشخاص المكونين له ، أما الآن فإن الزواج يعتبر أقل أهمية من الاشخاص المكونين له وبالتالي فإنه ينحل إذا لم يحقق التوقعات الشخصية .

ونظراً لأن المجتمعات المحلية في الماضي كانت صغيرة الى حد ما وكان الرحيل خارجها أو الاتصال بالمجتمعات الأخرى بطيئاً وصعباً فإن ضغط الجماعة الأولية كان له وزن وتأثير كبيرين . ويضاف إلى ذلك أن الجماعات كانت تعيش معاً ، وتعمل معاً ، وتتاجر أحدها مع الأخرى ، ويمارس أعضاؤها الطقوس الدينية معاً ، ويلهون معاً ، ويتبادلون المساعدة في مجتمع المواجهة اليومية Face to Face Society . وأيا كان نوع الظروف والعلاقات

داخل نطاق الزواج فإنه كان مقيداً إلى حد كبير ، بالقوى التي تضغط عليه من الخارج .

وبالقاء نظرة على وضع الاسرة في الوقت الحالي نجد أن العامل الاقتصادي ما زال من أهم العوامل ، كما أن العوامل الرئيسية الأخرى في حياة الأسرة ما زالت قائمة مثل تقسيم العمل تبعاً للجنس ، والإعالة والحماية وتبادل العون ، وإنجاب الأطفال وتربيتهم ، والقيام بالانشطة الانتاجية ، وتعليم الأطفال ، بالإضافة إلى ممارسة الأنشطة والطقوس الدينية ، كل هذا يحدث من خلال الأسرة وداخلها ، ولكن الجديد في الأمر هو أن الصورة تغيرت بحيث انتقلت كثير من هذه الانشطة (إلى درجة معينة على الأقل) إلى هيئات أخرى خارجية غير عائلية ، وهذا انتزع بعض ما كان يتمتع به الزواج من تأييد اجتماعي من قبل ، ليس بمعنى تناقص الموافقة الإجتماعية على الزواج ولكن بمعنى تناقص القوى الخارجية الاجتماعية والنظامية التي تعمل على المحافظة على فعالية الزواج البنائية . فقد أصبح الاهتمام في الوقت الحالي يتركز على محاولة معرفة نوعية مشاعر الأفراد من الجنسين نحو بعضهم ، وأي نوع من العلاقات يكون بإمكانهم إقامتها . وباختصار أصبح هناك تأكيد أقل على المظاهر النظامية التقليدية وأكثر على المظاهر الشخصية للزواج والحياة الأسرية . ويمكن التأكد من حدوث هذه التغيرات بطرق عديدة ، ومع ذلك فإنه يلاحظ أنه لا توجد أي فترة في التاريخ أو عند أي شعب من الشعوب نجح فيها الزواج القائم على العاطفة فقط . فهناك دائماً درجة ما من التعاون تنبثق من خلال تقسيم العمل بين الجنسين تعمل على المحافظة على طريقة الحياة وأسلوبها .

ومن الجدير بالذكر أن الشباب أصبح لهم درجة من الحرية أكبر بكثير من تلك التي كانت لهم في الماضي فهم يشعرون الآن بحرية أكثر من التحدث عن موضوعات تتعلق بالجنس والانجاب والعلاقة الزوجية بالمقارنة

بعض الاشخاص المتزوجين فعلاً في الماضي ، حيث كان هؤلاء يتحاشون التحدث في مثل هذه الموضوعات حتى بعد أن ينجبوا أطفالاً .

أما بالنسبة للشروع في الزواج فقد أصبح « الحب » هو العنصر الرئيسي المسيطر في الوقت الحالي ، « فالزواج بسبب الحب Marrying for love يتضمن تأكيداً أولياً على العاطفة ، وعلى كيفية شعور فردين كل منهما تجاه الآخر وعلى مدى رضائه الشخصي . وهكذا تظهر مقاييس جديدة يقاس على أساسها مدى النجاح أو الفشل في الزواج . وتصاحب هذه الاتجاهات الجديدة مشاكل جديدة أيضاً ، لأن الأفراد حينما لا يجدون في الزواج الأرضاء والإشباع الذي كانوا يتوقعونه ، فإنهم يشعرون بالرغبة في الفرار والتخلص من هذا الارتباط وتساعد التغيرات الاجتماعية الأخرى على تسهيل هذه العملية . هذا إلى جانب تأثير جانبي آخر يمكن أن ينتج بسبب الزواج من أجل الحب فقط بغض النظر على أية عوامل أخرى وهو زيادة درجة عدم الاستقرار الزواجي وبالتالي ارتفاع معدلات الطلاق .

وعموماً فإن معظم الزيجات في الوقت الراهن تتم عن طريق الاختيار الحر الا أن مفهوم هذا الاختيار يختلف باختلاف الطبقة والمجتمع الذي ينتمي اليه الزوجين ، فهو يعني بالنسبة للفئات الحضرية تبادل الحب قبل الزواج والتعارف الشخصي الوثيق بين الفتى والفتاة وهنا يظهر أثر المناخ الاجتماعي في تيسير مثل هذه العلاقة ، ذلك أن اتاحة الفرصة أمام الفتاة لتلقي العلم مثل الفتى ووجودها إلى جانبه في ميادين العلم والعمل خلق ظروفاً متعددة للتفاهم والحب قبل الزواج . لكن مفهوم الاختيار الحر لا يحمل نفس المضمون بالنسبة لكل فئات الأسر في المجتمع . فإذا كان يعني الاختيار الفردي نتيجة للتفاعل ونتيجة لمفضلات معينة وقيم خاصة عند الفئات الحضرية ، فإنه يعني عدم وجود عنصر القسر والاكراه عند الفئات الريفية ، حيث لا زالت هناك رواسب عديدة ثقافية واجتماعية متخلفة من الاسرة الممتدة التقليدية تحكم

عملية الاختيار وأسلوب إتمام الزواج والعلاقات التي تسبقه ، الا أن هناك اتجاها يتزايد ظهوره في إعطاء حرية أكبر نسبياً في لقاء الخطيبين ، ولعل تأثير وسائل الاعلام في هذا الصدد أمر جدير بالتسجيل .

وعلى عكس الزواج في الماضي ، فقد تغيرت مفاهيم الدور بالنسبة للجنسين وكذلك الأدوار المتوقعة لكل من الزوج والزوجة في معظم المجتمعات المتقدمة وإلى حد ما في المجتمعات النامية وخاصة في الفئات المثقفة منها . ومعنى هذا أن كل جنس أصبح يتوقع منه أن يقوم بعدد كبير من الأدوار ، إلى جانب إجادة نوعيات واسعة من الأشياء .

دور الـزوج

تسير كثير من المجتمعات في الوقت الحاضر نحو نمط للمساواة في حياة الاسرة[1] . إلا أن كل الجماعات لا تتحرك نحو هذه الغاية بنفس المعدل فهناك اختلافات بين القطاعات المختلفة للمجتمع ، وحتى في نفس الجماعة لا تكون الأسر متماثلة بالضرورة . والنتيجة هي أنه بينما يتبنى كثير من الرجال الدور الجديد للزوج والأب فإن رجالاً أخرين يحتفظون بأدوار الرجال التقليدية . ومن ثم فإن التعميمات التي سوف نستعرضها الآن ليست مطبقة عالمياً ، ولكنها موجودة حالياً وخاصة في المجتمعات المتقدمة ويتزايد ظهورها وانتشارها في المجتمعات الأخرى بمرور الوقت .

فعلى الرغم من التغيرات الإجتماعية العديدة ما زال متوقعاً من الذكر أن يكون العائل الأول لأسرته . وكثيراً ما نرى الزوجات يطلبن الطلاق من منطلق

(1) Goode, William J. "World Revolution and Family patterns", The Free press New-York 1965.

أن الازواج عاجزون عن إعالتهن . ومع ذلك ، فليس من الضروري أن يكون الزوج هو العائل الوحيد ، وذلك نظراً لأنَ عدداً متزايداً من الأسر أصبح الزوجان فيها يتقاسمان هذا الدور .

وتبعاً للتعريف الرسمي ، فإن الزوج ـ الأب يعتبر رئيس الاسرة إلا أن المناخ الإجتماعي المتغير أثر في نوعية العلاقات الداخلية في الاسرة من حيث علاقة الزوج بالزوجة والآباء بالابناء ، وإذا كان الرجل ما زال رئيس الاسرة فإن هذه الرئاسة لم تعد بنفس التسلط والعنف الذي كانت عليه في الاسرة الممتدة التقليدية ، لاسباب عدة بعضها اجتماعي (مثل ارتفاع مستوى التعليم) وبعضها تسبب عن التصنيع والتكنولوجيا (مثل ابتعاد مكان العمل عن المنزل ، وفتح أبواب العمل أمام المرأة ، وتطلعها إلى دور أكثر فعالية في أسرتها[1] .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن الرئاسة في الاسرة تختلف باختلاف الطبقة التي تنتمي اليها ، وهذه النتيجة تبرز أن الاختلاف الثقافي واختلاف الطبقة الاجتماعية التي تنتمي اليها الاسرة يغير إلى حد كبير النظرة إلى موضوع رئاسة الاسرة . فغالبية الازواج في الفئات الحضرية المثقفة يؤكدون مشاركة زوجاتهم لهم في رئاسة الاسرة (حتى وإن كانت الزوجة غير عاملة) وهذا يرجع إلى ارتفاع مستواهم الثقافي وتغير نظرتهم إلى الحياة . وبالإضافة إلى أن نسبة عالية من الزوجات في هذه الفئة يعملن ويشاركن مشاركة إيجابية في نفقات المنزل ويتحملن مسؤولية أسرهن إلى جانب أزواجهن ، أما الزوجات في الفئات الفقيرة فإنهن في أغلب الأحيان يعتمدن على أزواجهن من الناحية المادية ، بالإضافة إلى أن التقاليد المتوارثة والمتعارف عليها في هذه الفئات

---

(١) سناء الخولي (الاسرة في عالم متغير) الهيئة العامة للكتاب ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ١٥١ .

تجعل من رئاسة الرجل المطلقة للأسرة شيئاً منطقياً ومقبولاً[1] .

ومع ذلك فما زال للرجل الحق القانوني في تحديد مكان إقامة اسرته ، إلى درجة يمكن معها أن يطلق زوجته إذا هي رفضت الاقامة في المسكن الذي يختاره أو الذي تقتضيه ظروف عمله بغض النظر عن ظروف عمل الزوجة . وبالرغم من الاتجاه الواضح نحو مشاركة الزوجين في اتخاذ القرارات المتعلقة بالاسرة وفي بعض الاحيان إشتراك الابناء أيضاً في هذه القرارات خاصة تلك التي تتعلق بهم فما زال كثير من الذكور يعتقدون بأن الزوج له حق طبيعي أو موروث يتيح له التعبير عن رأي الاسرة . ويعبرون عن ذلك بقولهم « إذا اختلف الزوجان في أمر من الامور فإن رأي الزوج هو الجدير بالأخذ به لأنه الذكر وله الكلمة الاخيرة والحق في اتخاذ القرار » ؟ ومثل هذا الموقف يعكس الإتجاهات التقليدية بصورة واضحة ، إلا أن هذه السطوة الذكورية لا تجد قبولاً عند كثير من الزوجات في الوقت الحاضر .

ومن المناسب هنا أن نلاحظ أن هناك فرقاً بين اتخاذ القرار في مظهره الخارجي ، وعملية اتخاذ القرار التي قد تخضع لمشاورات ومناقشات واختلافات فالاسرة ليست جماعة (تنظيم) بيروقراطية تتسلسل فيها الرئاسات وتتركز سلطة اتخاذ القرارات في أيدي صفوة معينة ، كما أن عملية اتخاذ القرارات لا تخضع لنفس الأسلوب الذي تخضع له في هذه التنظيمات ، بل إن مسائل الأسرة من المرونة وفي بعض الأحيان من عدم التحديد الدقيق ما تخضع معه للاراء المتناقضة والحوار الذي قد يستمر وقتاً طويلاً ، ولكن هناك في الأسرة مسائل تحتاج الى قرار حاسم وخاصة في المسائل المتعلقة بزواج أحد الأبناء والادخار والاستدانة والسفر والتعليم والرعاية الصحية في حالة المرض ، وغالباً ما يظهر الرجل في بعض هذه الأمور كأنه صاحب القرار ومنفذه على الرغم من أن القرار ذاته تعرض لمناقشات عديدة داخل الأسرة قبل

---

(١) نفس المرجع ، ١٥٢ .

أن يتبلور في صورته النهائية[1] .

وبالنسبة لدور الرجل كأب فإنه لم يعد في الوقت الحاضر مجرد أب بيولوجي وعائل لاطفاله وفارض للنظام والانضباط عليهم ، فكثير من الاباء اليوم يشاركون أطفالهم حياتهم ، ويحاولون فهم مشاعرهم والتعاطف معها ، كما يلعبون دوراً هاماً في تربيتهم ورعايتهم ، وفي بعض الاحيان يلتحق بعضهم بالدراسة ليعدوا أنفسهم لكي يكونوا آباء صالحين ، أو يقرأون كتباً في علم نفس الطفل تساعدهم على فهم تصرفات أطفالهم ، وهؤلاء الاباء لا يخجلون إذا رآهم أحد يعتنون بأطفالهم أو ينشرون ملابسهم بأنفسهم . وإذا كبر الابناء فإن الآباء يقدمون لهم المساعدات المالية والإجتماعية حتى بعد زواجهم إذا أمكنهم ذلك .

وهناك شعور متزايد في الوقت الحاضر بأن المنزل لم يعد مجرد مأوى للرجل أو مكان لراحته بل أصبح مكانا للحياة المشتركة ، فالتحديد القاطع لتقسيم العمل تبعاً للجنس في الأسرة انهار إلى حد كبير ، ولم يعد من الممكن أن نتكلم عن «عمل الرجال» و«عمل النساء» كما كان يحدث في الماضي . إلا أن هذا الاتجاه لا ينطبق على كل الازواج ، فما زال الكثيرون منهم يقاومون فكرة المشاركة في الأعمال المنزلية وخاصة تلك التي تقلل من رجولتهم أو مكانتهم في الاسرة كما يعتقدون . ومن الملاحظ أن كثيراً من الزوجات يرفضن قيام أزواجهن بأي شيء في الأعمال المنزلية لعدة أسباب ، منها توافر وقت الفراغ بالنسبة لهن ، أو امكانية الاستعانة بالخدم ، أو استعمال الأدوات المنزلية الحديثة التي توفر الجهد ، أو الاستعانة بالأطفال عندما يصلون إلى سن تسمح لهم بالمساعدة ، ويرجع رفض البعض منهن لمساعدة الرجال إلى أن بعض الرجال عندما يتعلمون كيفية القيام بالأعمال المنزلية يبدأون في

---

(١) سناء الخولي ، نفس المرجع ، ١٥٢ - ١٥٣ .

التدخل في كل صغيرة وكبيرة مما يضايق الزوجات .

وهناك مجموعة أخرى من العوامل تحدد مدى امكانية مشاركة الزوج في الأعمال المنزلية مثل الوقت المتاح له والأعمال التي يمكن أن يقوم بها بعد أوقات العمل الرسمية ، وأيهما يقوم بالعمل بصورة أفضل ، ومهارات واهتمامات كل منهما ، واتجاه كل منهما نحو دوره الخاص ودور الآخر ، ونوع الزواج الذي يتوقعه كل منهما ، وكيف يقدر كل منهما وقت الفراغ الذي يقضيه مع الآخر . فالمتوقع من زوج اليوم أن يكون رفيقاً لزوجته ، يشاركها وقت الفراغ والانشطة الإجتماعية والترفيهية . ونظراً للمعرفة الحالية التي تتيح للرجل التعرف على طبيعة المرأة العاطفية والجنسية فإنه يتوقع من زوج اليوم أيضاً أن يكون شريكاً لزوجته في الحب والجنس معاً بصورة تختلف عن الماضي ، فكثير من الأزواج اليوم لا يجدون المتعة في تحقيق الإشباع الجنسي بالنسبة لهم فقط بل يحرصون على إرضاء زوجاتهم .

والمؤشر الاخير لنجاح الرجل أو فشله كزوج يكون عن طريق شخص واحد هو زوجته ، وهذا يقوم أولاً (ولكن ليس بصورة نهائية) على أي نوع من الاشخاص يكون الزوج وما هو شعور زوجته نحوه . وهذا التقييم للزوج ينبعث من فروض ثقافية خالصة مثل مدى تماثله للمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع ونجاحه النسبي في التوافق مع المقياس الذي يعكس المظاهر النظامية للزواج . فالرجل يمكنه أن يصبح محل إعجاب زوجته وأبنائه وأصدقائه إذا أتيحت له مجموعة من الخصائص مثل : أن تكون له مكانة رفيعة في عمله ، وأن يمد أسرته بكل ما تحتاج إليه ، وأن يتحلى بأخلاق حميدة ، وأن يكون أباً طيباً حنوناً . ولكن إذا لم تستطع الزوجة الاستمرار في حب زوجها ولم يستطيعا الحياة معاً في سعادة فإنه يقال في هذه الحالة أنه فشل كزوج والعكس صحيح أيضاً .

وهكذا يمكن تعريف الدور المتوقع للزوج أو الزوجة من طريق المجتمع

على اتساعه ، ومن ناحية أخرى عن طريق أذواق الزوجين واتجاهاتهما وأمانيهما وتوقعاتهما وافتراضاتهما وميل كل منهما نحو الآخر .

دور الزوجـــة

إن اختيار المرأة لدورها في الحياة أصبح معقداً إلى حد كبير ، وذلك لتعرضها لضغوط قوى عديدة . فهي من ناحية تخضع لضغط التقاليد والطبيعية البيولوجية التي تدفعها في اتجاه الأعمال المنزلية والأمومة . ومن ناحية أخرى الفرص التي أصبحت متاحة أمامها في عالم الوظيفة والعمل والأجر . ويواجه اختيار المرأة بالعقبات نتيجة لأربعة عوامل : الزواج ، والأعمال المنزلية ، وإنجاب الأطفال وتربيتهم ، والوظيفة . ويمكن النظر إلى هذه العوامل منفصلة ، فالمرأة يمكن أن تتزوج دون أن تقوم بالأعمال المنزلية . كما أن ظهور وسائل منع الحمل العديدة يتيح لها أن تتزوج ولا تنجب إلا إذا أرادت . كما يمكنها أن يكون لها منزل دون أن تتزوج ، وكذلك الوظيفة يمكن أن ترتبط ببقية العوامل بطرق عديدة . والعامل الوحيد الذي لا يلقى قبولاً اجتماعياً هو أن تكون المرأة أما دون أن تتزوج . وكنتيجة لإمكان انفصال هذه العوامل المشار إليها ، أصبحت المرأة المعاصرة تواجه عدداً أكبر من المتغيرات بالمقارنة بتلك التي كانت تواجهها المرأة في الماضي ، وبالتالي أصبح اختيارها للأدوار التي تقوم بها أكثر تعقيداً . ويرى البعض أن الإختيار في الوقت الحالي أسهل نتيجة لوجود عدة متغيرات يمكن الإختيار منها والمفاضلة بينها تبعاً لظروف كل امرأة بعكس الحال في الماضي عندما كانت النساء جميعاً أمام اختيار واحد ليس له بديل . فقد كان الزواج والأعمال المنزلية والإنجاب مرتبطين كمجموعة متجانسة وليس أمام المرأة سوى متغيرين (الزواج أو البقاء بدون زواج) ومعظم النساء كن يخترن الزواج . كما أن نسبة ضئيلة جداً من النساء كانت لهن وظائف يحصلن منها على أجر .

وإلى جانب وظيفة الزوجة الإقتصادية (العمل) يكون لها دور آخر

اقتصادي واجتماعي باعتبارها شريكة لزوجها في (عمله) وما يعود عليه منه من أجر أو مكانة اجتماعية . والدليل على ذلك اختلاف الأدوار بالنسبة لزوجة الفلاح إذا قورنت بزوجة البحار ، وزوجة رجل الدين إذا قورنت بزوجة رجل الأعمال ، وزوجة الكاتب إذا قورنت بزوجة الطبيب وهكذا . . .

ويلاحظ أن الزوجة في الماضي كانت قادرة على إنتاج العديد من السلع التي تستخدمها الاسرة ، وقد تحول هذا الدور الإنتاجي في الوقت الحالي إلى دور استهلاكي ، ولذلك يتوقع منها أن تجيد فن الشراء . إلا أن التحول في هذا الدور ليس نهائياً ولا يشمل جميع النساء ، فما زالت الكثيرات منهن يصنعن الملابس والحلوى والخبز ويزرعن الخضروات ويقمن بحفظ الاطعمة ولكن لا يتم هذا إلا حين تتوفر الظروف لذلك . هذا بالإضافة إلى أن الإتجاه التقليدي نحو تفضيل الأطعمة المصنوعة في المنزل ما زال يسيطر على المناخ الثقافي الى حد كبير .

وخلاصة القول أن دور الزوجة المعاصرة مختلط إلى حد ما ، فقد أصبحت مستقلة إلى حد كبير من حيث التوجيه والمراقبة وأصبح لها حرية أكبر في الإختيار مع التقدير الكامل لرأيها واختيارها ومع ذلك فما زالت تحظى بعناية ورعاية يساندهما القانون والرأي العام . ففي بعض الأحيان يكون لها حقوق على زوجها كأن تطلب الطلاق منه لأنه لا ينفق عليها أو تجعله مسؤولاً عن ديونها ، أو يكون لها الحق في أن تحصل منه على نفقة . . . الخ .

وأخيراً وكما سبق أن أشرنا فإن دور الزوجة يستند أساساً إلى تعريف الزوج له وتقديره لمدى نجاحها أو فشلها في إنجازه والقيام بمتطلباته . وهي تواجه في أدائها لدورها بالمقاييس الثقافية في المجتمع وبالمعايير المتعلقة « بالزوجة الصالحة » ولكن إذا خابت أمال زوجها فيها ولم يستطع الاستمرار في حبها ولم يتمكنا من المعيشة معاً في تفاهم وسعادة فإنها تكون في هذه الحالة فاشلة كزوجة .

مشاكل المرأة العاملة المتزوجة

من الملاحظ أن المرأة كانت تعمل ولا تزال في الريف وهي تعمل الآن في المجتمعات الحضرية والصناعية لتسهم في الانعاش الاقتصادي للاسرة ، مع الإختلاف الواضح في طبيعة العمل وأسلوب أدائه . فالمرأة إذن تعمل دائماً ، ولكن عملها يختلف باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بها . والسؤال الذي يطرح دائماً هو : ما هي آثار عمل المرأة المتزوجة على تغير الأسرة ؟ وهل يؤدي عمل الزوجة إلى انحراف الأطفال ؟ أو تزايد المشاكل الشخصية ؟ وكيف تكون العلاقة الداخلية بين أفراد الأسرة التي تكون الزوجة فيها عاملة ؟

وباستعراض المراحل المختلفة لحياة المرأة السرية وتأثيرها على حياتها الوظيفية ، نجد أنها في المرحلة الأولى ، عندما تكون غير متزوجة ، يصبح في استطاعتها العمل مثل الرجل تماماً وبنفس الكفاءة . لكن المرأة تواجه دائماً صعوبة في كيفية التوفيق بين عملها وبين واجباتها المنزلية ، وهي في هذه الحالة يجب أن تختار بين :

أ ـ محاولة جعل متطلبات الحياة الوظيفية تتلاءم مع المراحل المختلفة لحياتها الأسرية .

ب ـ محاولة جعل متطلبات حياتها الأسرية تتلاءم مع حياتها الوظيفية .

ويلاحظ أنه في المرحلة الأولى لا تكون للمرأة (غير المتزوجة) مشاكل أنثوية خاصة ، ولكن جهدها يقتصر على التكيف مع الحياة الوظيفية ، أما في المرحلة الثانية (زوجان بدون أطفال) فتكون أعباء المرأة العائلية أكثر من الرجل في نفس الظروف . بل إن الزوج قد يكون احياناً معوقاً لحياة زوجته الوظيفية إذا : (أ) أراد حياة اجتماعية مليئة بالصداقات مع كثرة الضيافات ، دون أن يشارك في عمل شيء ، والقاء التبعية كلها على الزوجة (ب) أن يضع

نجاحه في العمل قبل أي شيء آخر وينظر إلى عمل زوجته على أنه مجرد مورد مالي . إلا أن المرحلة الثالثة (زوجان مع أطفال صغار) فهي بلا شك أصعب فترة بالنسبة للمسؤوليات الأسرية التي تكون ثقيلة جداً حيث يبدو واضحاً صعوبة التوافق مع الحياة الوظيفية[1] .

وقد كان التحاق المرأة بالعمل في الماضي يقابل بالاحتجاج من المجتمع بعكس ما هو حادث في الوقت الحالي ، إذ تشجع كل أسرة بناتها على إتمام تعليمهن والإلتحاق بالعمل ، كما يفضل الشباب المعاصر الزواج من فتاة عاملة . والسؤال ليس ضرورة ومشروعية عمل المرأة المتزوجة ولكنه عن ملاءمة أو استمرار امرأة متزوجة لها مهاراتها الخاصة وشخصيتها ومزاجها واهتماماتها وعلاقاتها بزوجها في العمل في مهنة معينة ، وخاصة إذا كانت الظروف المحيطة بالمرأة المتزوجة تحدد نوع المهنة التي يمكن أن تلتحق بها ، وحين يكون معروفاً ما للمهنة من تأثيرات على المرأة وعلى زوجها وعلى أطفالها . إن كل هذا يعتمد على عوامل عديدة مثل الوقت الذي تقضيه في العمل ، ودرجة شعورها بالارهاق والتعب ونمط العمل ، ومقدار الدخل الذي تحصل عليه ، وعموماً لا يوجد من يستطيع تقييم كل هذه العوامل سوى الزوجين .

أ ـ أطفال المرأة العاملة

إن المشاكل التي تتعرض لها الأم العاملة وأطفالها تعتمد أساساً على نوعية المرأة ذاتها ، ونوع العلاقة التي تقيمها معهم ، ونوع الرعاية التي تقدمها لهم ، ومدى استمتاعها بعملها[2] وفي هذا الصدد يقال إن عمل المرأة يقدم

(1) Josette de Bellefonds, "Woman and Engineering" in impacts of Science on Society, Vol. XIV (1965) No. 4 Unesco, p. 257.

(2) Nye. F. Ivan and Lois W. Hoffman (eds.): "The Employed Mother in America". Rand McNally and Company, Chicago, 1963.

للاطفال فرصة للتعاون والتعلم في المنزل والاعتماد على النفس ، أو تفرض عليهم أعباء ثقيلة لا يتحملها إلا البالغين . وإذا حكمنا على المرأة العاملة والأم بالإدانة كما يفعل الكثيرون فنحن نتهم ظلماً عدداً كبيراً من النساء اللاتي لا تقدم لهن الظروف بديلاً للعمل . والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة كالارامل والمطلّقات وهؤلاء اللاتي لا يكسب أزواجهن ما يفي باحتياجات الاسرة والاطفال . لهذا يعتبر التحاق المرأة بالعمل في مثل هذه الحالات وغيرها عملاً ممتازاً بالنسبة للأسرة إذ تضحي المرأة براحتها في سبيل إستقرار اسرتها / ومن الجدير بالذكر أن وجود الأم في المنزل لا يضمن نجاح علاقتها بزوجها وأطفالها ، وهنا يرى الكثيرون أن الوقت الطويل الذي تقضيه الأم مع أطفالها ليس دليلاً على « الأمومة الصالحة » لأنه إذا كانت لدى المرأة رغبة شديدة في الالتحاق بالعمل وتشعر أن أطفالها يعوقونها عن تحقيق ذلك فإن علاقاتها بهم قد تتأثر سلبياً إلى حد كبير[1] .

ب ـ انهيار تقسيم العمل خارج المنزل

لا يمكن النظر الى انهيار تقسيم العمل خارج المنزل على أنه نتيجة لإلتحاق المرأة المتزوجة بالعمل ولكنه يرجع بوجه عام إلى تدفق النساء الشديد نحو المهن المربحة ، ومعظم هذه المهن كانت من قبل حكراً على الرجال . وقد ساهمت النساء المتزوجات أيضاً بوفرة وغزارة في ذلك التدفق . وعموماً نستطيع القول أنه حدث تسلل من كلا الجانبين (النساء والرجال) فقد أصبح الرجال في الوقت الحالي يدخلون مهناً كانت في الماضي حكراً على النساء ، كما تقتحم النساء مهناً كانت في الماضي حكراً على الرجال ، لدرجة أنه من الصعب في الوقت الحاضر أن نجد مهنة قاصرة على جنس واحد . ونتيجة

(1) Ramsey, Glenn V., Bert Kruger Smith and Bernice Milburn Moore: "Women View their Working World", the Hogg Foundation for Mental Health, University of Texas. Austin, 1963.

لهذا الانهيار في تقسيم العمل بدأ المفهوم التقليدي القديم عن « عمل الرجال » و « عمل النساء » يختفي بالتدريج . إلا أن مشاركة النساء للرجال في نفس المهن يؤدي دون شك إلى زيادة حدة التنافس والصراع بينهما .

جـ ـ انهيار تقسيم العمل في المنزل

إن الخط التقليدي الواضح الذي يميز بين « أعمال الرجال » و « أعمال النساء » في المنزل لم يختف تماماً ، إلا أن هذا التقسيم أصبح أقل وضوحاً وتحديداً عما كان عليه في الماضي . وقد نتج هذا الوضع عن مجموعة من العوامل منها إقبال النساء المتزوجات على العمل . والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا هو إلى أي مدى يمكن أن يشارك الزوج في الأعمال المنزلية ؟ وهنا قد تنشأ المشاكل التي تختلف تبعا لمدى تمسك الزوجين بالمعايير التقليدية لتقسيم العمل . فبعض النساء يلاحظن غير راضيات ، لعدم مساعدة ازواجهن لهن في القيام بالأعمال المنزلية ، بينما ترفض اخريات تماماً أي مساعدة من الأزواج حيث تعتقد الكثيرات منهن أن الأزواج الذين يشاركون في تلك الأعمال يصبحون منافسين لزوجاتهم في المجالات التي يتفوقن فيها وبالتالي فإن هذه المساعدات قد تكون مصدراً للشجار والمتاعب وجدير بالذكر أن كثيراً من الأزواج يغضون الطرف عن مظاهر الإهمال والقذارة في منازلهم حتى لا تطالبهم الزوجات بمساعدتهن .

د ـ المكانة النسبية

كانت مكانة النساء في الماضي تقيم على أساس ما تفعله كربة منزل . وبالتالي فلم تكن هناك أية مشكلة عند الحكم على مكانتها . أما اليوم فإن بإمكانها أن تختار بين مكانتها كربة منزل ومكانتها كإمرأة عاملة لها مركزها في عالم العمل . وتفضل بعض النساء الوضع الأول بينما يفضل البعض الآخر الوضع الثاني . وهؤلاء يقعن في نفس الخطأ الذي ينسب في العادة إلى

الرجال وهو الاستخفاف بأهمية النساء كربات بيوت وإعطاء الأعمال المنزلية مكانة أدنى . وكثير من النساء يقدرن ويفخرن بأدوارهن كربات منازل ، ويستعضن باقتناع عن المكانة التي تأتي من « الخارج » Outside بتلك التي تأتي من « الداخل » Inside . بمساهمتهن الفعالة في سبيل تحقيق رفاهية وراحة أسرهن داخل جدران المنزل الأمر الذي يعتبر هدفاً سامياً في حد ذاته ، ويشعرن بالرضى والسعادة عندما تقمن به بجدارة .

وعلى الرغم من جميع ردود الفعل المناهضة والإعتراضات التي تنظر إلى ما يسمى بالأعمال المنزلية Homemaking على أنها مهنة زائفة ، أو أنها شكل من أشكال الاستعباد . فإنها ما زالت المهنة الرئيسية للنساء سواء كن متزوجات أو غير متزوجات ، أمهات أو ليس لهن أطفال ، عاملات أو غير عاملات . ان الأعمال المنزلية مهنة دون شك ولكنها مهنة ذات مظهر كاذب(١) والذين يصرون على أن الفرد له الحق في الاختيار الحر وأن يحدد أسلوب حياته كما يريد يفترضون أن حرية الإختيار تعني اختيار بديل واحد وهو في هذه الحالة « الوظيفة » Employment . ويبدو أن هؤلاء يتناسون أن حرية الاختيار تعني أيضاً أختيار البديل الآخر وهو الأعمال المنزلية . فالمرأة يجب أن تكون حرة تماماً في اختيار المكانة التي تريدها دون أن تصبح عرضة للاحكام القاسية أو النقد من الآخرين . ولهذا ينبغي أن يقابل اختيارها بكل الاعجاب والتقدير سواء اختارت المنزل فقط أو المهنة والمنزل معاً(٢) .

هـ - نمط حياة الاسرة

نظراً لتعدد أنماط الاسرة في المجتمع فلا يوجد مستوى محدد يمكن

---

(1) Decter, Midge, "The New Chastity and Other Arguments against woman's Liberation. Coward, McCann and Geoghegan, Inc., New York, 1972.

(2) Lopata, Helena Znaniecki, "Occupation: Housewife", Oxford University Press, New York, 1971.

على أساسه الحكم على نمط حياة الاسرة بوجه عام . إلا أن الملاحظة الجديرة بالاهتمام في العصر الحديث هي زيادة عدد النساء المتزوجات اللائي يلتحقن بوظائف خارج المنزل . وما يستتبع ذلك من تغيرات لا بد منها في أنماط حياة الاسرة إذ أنه عندما تظهر بدائل جديدة في أحد المجالات فإن درجة تفضيل كل أسرة تختلف تبعاً لاحتياجاتها واتجاهاتها . فقد يجد البعض في اختيار الجديد فرصاً جديدة لانعاش حياتهم مما يساعد على النجاح الزواجي . بينما يرى آخرون أن هذه الفرص الجديدة قد توقعهم في الخطأ وتسهم في فشل زيجاتهم .

وعندما يكون نمط حياة الاسرة مفروضاً عليها من المجتمع ، فإن درجة الصراع فيه تكون ضئيلة للغاية . أما عندما يحدد الزوجان نمط الاسرة الذي يرغبانه ، فإن إمكانية أن يفرض أحد الزوجين النمط الذي يريده على الآخر تكون قائمة ، وبالتالي تنشأ الفرصة لنشوب الخلاف والصراع بينها .

ومن الخصائص البارزة للمجتمعات المعاصرة الكفاح من أجل التنقل إلى مكانة اجتماعية عالية ورفع المستوى الإقتصادي ، والتحرك من مستوى طبقي أدنى إلى مستوى أعلى وهكذا . . وكفاح الرجل بمفرده قد لا يحقق الهدف المطلوب وهنا تظهر وسيلة جديدة يمكن عن طريقها التنقل إلى أعلى وهي زيادة دخل الاسرة عن طريق التحاق الزوجة بالعمل .

و ـ الاتســاق

إذا كان عمل المرأة المتزوجة يعتبر عاملاً هاماً في إحداث تغيرات إجتماعية وعائلية ، فإنه يعتبر أيضاً سبباً في نشأة مشكلة عدم التمكن من الحصول على درجة مناسبة من التماسك والاتساق في التوقعات والمتطلبات التي يتوخاها كلا الزوجان أحدهما من الآخر فقد يتوقع الزوج من زوجته على سبيل المثال أن ترعاه وترعى الاطفال ، وتدبر شؤون المنزل ، وتشاركه العلاقة

الجنسية برغبة ، وأن تكون رفيقة رقيقة ومتفهمة ومثيرة في نفس الوقت ؟ وفي المقابل قد تتوقع الزوجة من زوجها أن يعولها ، وأن يترك لها حرية الالتحاق بالعمل ، وأن يشاركها في الأعمال المنزلية ، ويشاركها الجنس بنفس الرغبة وأن يكون صديقها ورفيقها ووالدا لاطفالها ، فضلاً عن استعداده الدائم للقيام بمتطلبات الحماية الشرعية التقليدية التي تتمتع بها في الوقت الذي تطالب بحقوق جديدة ؟ وهكذا . .

وكثيراً ما تلجأ بعض النساء إلى الالتحاق بأي عمل مناسب تحت ضغط ضرورة اقتصادية ملحة لكي يعلن أنفسهن ، أو أطفالهن ، أو آبائهن ، أو حتى أزواجهن في بعض الاحيان عندما يمرضون أو يعجزون أو تكون دخولهم من الضآلة بحيث لا تفي بالتزامات الاسرة . أما باقي النساء وهن اللائي يتمتع أزواجهن بدخول مناسبة فهن « أحرار » في أن يخترن أو لا يخترن الالتحاق بالعمل[1] .

مكانة النساء في المجتمع الحديث

ليس من الصعب أن نقول أن مكانة المرأة الاجتماعية قد تغيرت وما زالت تتغير ، إلا أن درجة هذا التغير تختلف من مجتمع إلى آخر ومن طبقة إلى طبقة ، ومن إمرأة إلى أخرى . ولكن الملاحظ أن نسبة النساء العاملات سواء في المجتمعات المتقدمة أو النامية في زيادة مستمرة سواء كن متزوجات أو غير متزوجات . وقد أثر عمل المرأة على وضعها النسبي في المجتمع حيث أعطاها نمطاً من الاستقلال والحرية لم تكن تتمتع به من قبل الأمر الذي جعل حقوقها وامتيازاتها تمتد إلى مجالات عديدة ، كالتعليم والأنشطة الرياضية ، ويتزايد حقها في أن تتزوج أو تبقى بدون زواج ، والحصول على الطلاق ، ومنافسة الذكور في أشياء عديدة مثل التدخين وقيادة السيارات . ورغم هذا فما

(1) Decter, op. cit.

زال الرجال يطالبون بالاسهام في إعالة زوجاتهم والانفاق عليهن حتى بعد الطلاق ولكن ليس إلى نفس المدى الذي كان عليه الوضع في الماضي .

ويلاحظ أن النساء بوجه عام استخدمن هذه الفرص التي اتيحت لهن بذكاء فقد بدأن في التحرر من الأطفال عن طريق التحاقهن بالعمل وارسالهم إلى دور الحضانة والمدارس ، كما تحررن تدريجياً من تربية عدد كبير منهم ، وذلك بانجاب أقل عدد ممكن . وفي الفترات التي يرغبن فيها وذلك باستخدام أساليب ضبط النسل العديدة التي بدأت تظهر مؤخراً وما زال يظهر الجديد منها كل يوم .

وعلى الرغم من كل هذا فما زال المجتمع يفرض على المرأة العاملة في أحد المهن قيوداً تقليدية تعطل قدرتها على الحركة بمرونة ويسر كما تقيد فرصتها المشروعة ، وهي قيود ثقافية تمتد جذورها بعمق منذ تربية الأنثى وهي طفلة وصبية . بالاضافة إلى أن نجاح المرأة في مجال العلوم المختلفة قد يجعلها عرضة للطعن في أنوثتها ، فعادة ما تتهم عالمة الفيزياء مثلاً بالجفاء والرجولة ، كما أن النساء لا تقلد بالأوسمة والنياشين لمحافظتهن على عفتهن وشرفهن وسمعتهن بعيداً عن الدنس ولكنهن يعاقبن أشد العقاب إذا تخلين عن كل هذا ، بل إن المرأة لا تتلقى أي مكافأة على خصوبتها وقدرتها على الإنجاب ولكن الويل لها إن لم تنجب[1] ومن هذا يتبين أن الطريق أمام المرأة ما زال طويلاً قبل الحصول على المساواة الكاملة مع الرجل ولعل هذا هو الذي أدى إلى قيام ما يسمى بحركة تحرر المرأة .

حركة تحرر المرأة

بدأت المطالبة المبكرة للمساواة في الحقوق بين الجنسين في الظهور

---

(1) Phyllis chester and Emily jane Goodman "Woman, Money and power".

منذ حوالي مائتي عام . فمنذ أن صفقت نورا بطلة مسرحية إبسن « بيت الدمية » باب بيتها في أواخر القرن الماضي وأنطلقت إلى الحياة الواسعة خارج البيت ترددت أصداء صفقة الباب هذه في جميع أنحاء أوروبا بل والعالم بأسره . وبدأت حركة تحرر المرأة في الظهور ، وما لبثت المرأة أن نالت كثيراً من الحقوق التي حرمت منها طوال عصور التاريخ ، حيث كانت المرأة جزءاً من نظام البيت ، تتبع زوجها وتكون تحت رعايته وإمرته دون رأي أو حق ، وليس لجنسها أن يتعلم كيف يفكر ويعمل عقله . ونتيجة لهذه الحركة التحررية أصبحت المرأة اليوم تشارك الرجل المدرسة والجامعة والمصنع وكل مجال من مجالات العمل . وانتهت الثورة الأولى بأن نالت المرأة حقوقها المدنية (كلها أو معظمها) وأصبحت كائنا يمثل نصف المجتمع . ولكنها اكتشفت فجأة ومع قدوم السبعينات من هذا القرن أنها ما زالت تابعة للرجل لأنه (وهو الذي يوافق على ما تناله من حق أو حرية) . قد وضعها في قالب لا يمكن لها الفكاك منه . فعلى الرغم أن المرأة قد منحت أغلب ما طالبت به من حرية ، إلا أنها اكتشفت أن التحرر الذي نالته ليس سوى تحرر مظهري أما الجوهر فهو أخطر بكثير ولا زال بعيد المنال .

ويرى مؤيدو هذه الحركة التحررية أن المرأة تربت منذ طفولة البشرية على فكرة ثابتة . وهي أن جمالها الجسماني هو كنزها الوحيد وبالتالي بدأ عقلها يتوافق ويتكيف مغ الوظيفة المفروض أن يؤديها جسمها . وتحول إلى مجرد إطار ذهني يزين جمال جسدها . وكنتيجة لهذه الصورة التي فرضها الرجل على المرأة أصبح الشغل الشاغل له سواء كان كاتباً أو شاعراً أو عالماً أو مفكراً أن يحول أسطورة المرأة الجميلة إلى حقيقة يقنع بها المرأة نفسها ، وذلك ليجعلها تعتقد انها موجودة في الحياة كشيء ممتع ليس إلا . وأخذ الرجال يؤكدون هذه الصورة بكل طريقة فينزلون إلى أعماق البحار ويخاطرون بأرواحهم حتى يجلبوا اللالىء والمرجان ليزينوا بها المرأة . ويصيدون الحيوانات المفترسة ليجعلوا من جلودها زينة لها وهكذا ـ أما في الفن فقد

بدأت المرأة تحتل مركز الصدارة منذ عصر النهضة ، فلم يعد جسم الرجل مثالاً للجمال الإنساني كما كان الحال في الفن الإغريقي أو الروماني ، وإنما أصبح جسم المرأة هو رمز جمال الجسم البشري ، وكذلك في ميدان الشعر حيث بدأ الشعراء يؤلهونها كمصدر للفتنة والجمال والألهام فشعرها سلوك من ذهب وجبهتها من العاج وشفاتها من الياقوت وأسنانها من حبات اللؤلؤ وصدرها رخام أملس أي أنها صورة متكاملة للجمال والفتنة تحثها على استغلاله في الحب والجنس ، وهكذا أصبح الحب والجنس هما الوظيفتين الاساسيتين للمرأة كما يريدهما الرجل ، وأصبحت المرأة ذاتها مقتنعة بأنها لعبة الرجل تعطيه المتعة حين يريد . وجدير بالذكر أن العصر الحديث بإمكانياته الصناعية الهائلة أكد هذا « القالب » الذي وضعت فيه المرأة وأبرزه حتى بعد تحررها الظاهري وحصولها على حقوقها المدنية .

إن التناقض الذي وقعت فيه المرأة في عصر ثورتها الأولى يتمثل في أنها رغم حصولها على حقوقها المدنية مثل السفور وحق الإنتخاب وفرصة الالتحاق بالعمل نتيجة للثورة الصناعية ، إلا أن الرجل كرس هذه الثورة بكل إمكانياتها للتأكيد على « قالب » المرأة الجميلة بصورتها التقليدية التي خلقها منذ أقدم العصور . فظهرت الروائح العطرية الفاخرة خصيصاً لتزين المرأة وتجعلها أكثر إثارة ، وظهر ما يسمى بعالم « الموضة » بكل ما فيه والذي يرسم المرأة في إطار يرمز للجنس ، وبدأت كثير من النساء يتصورن أنهن طالما ظللن صغيرات وجميلات فهناك دائماً الفرصة لكي يتسلقن السلم الإجتماعي ، وبناء على هذا التصور أخذن في دراسة ما يظهر في مجلات « إلموضة » من آخر صيحات في الجمال والزينة والملابس ومحاولة تقليد « الموديلات » اللاتي تظهر صورهن في هذه المجلات . والمشكلة أن هذه الموديلات هن عبارة عن نساء يمثلن « القالب » الذي وضعت فيه المرأة بكل ما في هذه الكلمة من معنى . فهن نساء كل ما يشغلهن أن يكن مثالاً للجمال الانثوي الذي يجذب نظر الرجال كما ـ يجذب نظر المرأة أيضاً فلا وظيفة لهن سوى وجودهن الجميل ، إلا أن

تقليد النساء في العصر الحديث « للموديلات » التي تظهر في مجلات الموضة حولهن الى نساء بلا جنس .

وقد ثارت المرأة مؤخراً على هذه الصورة التي رسمها الرجل وذلك من أجل تصحيح الأوضاع المزيفة التي دعمتها المفاهيم الإجتماعية السائدة عن الحب والجنس والانوثة . وتؤكد الثورة الثانية للنساء على ضرورة إعادة توزيع الطاقة التي استحوذ عليها الرجال ، ومنح المرأة المقدرة على أن تمارس بحرية جميع أمكانياتها النفسية والعقلية ، لأنه إذا أمكن القضاء على « قالب المرأة الجميلة الضعيفة » فإن علاقة الرجل بالمرأة ستصبح علاقة الند للند وليس علاقة السيد بالمسود . وإذا حررت النساء أنفسهن فسوف يجبرن الرجال على أن يتحرروا من نظرتهم إلى المرأة . وعندما تدرك النساء أن الحضارة المعاصرة ومعارك التنمية لا يمكن أن تصل إلى مرحلة النضج الكامل إلا إذا شاركت فيها المرأة بكل امكانياتها . عندئذ فقط قد يشعرن بالتفاؤل بإمكانية التغيير ولا يقاومنه . فمعظم النساء حتى الآن وخاصة في المجتمعات النامية يخشين من أي تغيير يطرأ على مكانة المرأة أو وضعها في المجتمع لانهن يشعرن بالأمان داخل « القالب » الذي وضعن فيه ، كما يشعرن بان رياح التغيير تتطلب منهن مجهوداً قد لا يقدرن عليه . والمشكلة المطروحة الآن على مستوى العالم لا تتمثل في رسم طريق معين تسلكه المرأة حتى تحرر نفسها ، وإنما الامل الوحيد للثورة الثانية للمرأة أن تكتشف النساء أن لديهن إرادة كإرادة الرجل تماماً . فإذا حدث هذا فسوف يمكنهن أن يرسمن لأنفسهن الخطوة التالية . والخوف من الحرية ومقاومة التغيير هو دائماً شعور قوي يجنح بنا إلى الضعف في آخر لحظة ، والمتمسكون بالتقاليد يسمون الحرية أحياناً بالفوضى . إلا أن ثورة النساء لا تهدف إلى أكثر من المطالبة بانتماء إلى قيم تحترم المرأة وإرادتها وقدرتها على المشاركة الفعلية . وأول خطوة في هذا الطريق ، هدم القالب التقليدي للمرأة من أساسه ، أما السبيل إلى ذلك فهو يقع على عاتق كل امرأة كفرد وليس في صورة نظرية أو خطة محددة للتغيير .

علاقة المرأة بالمكانة والرجل والزواج

هناك عدد من الأشياء لا بد أن تضعها المرأة المعاصرة في اعتبارها إذا ارادت التوافق مع ظروف الحياة الجديدة المتغيرة التي تعيشها . وأول هذه الأشياء أن تعد نفسها من خلال الدراسة والتدريب لشغل وظيفة أو مهنة تحصل منها على أجر . لأننا لو تابعنا ظروف المرأة في الماضي نجد أنها كانت تنتقل من منزل والديها إلى منزل زوجها، وكانت خبرتها في الشؤون المنزلية تكتسبها من والدتها مباشرة . أما الآن فهي عادة تعد نفسها للعمل على الأقل لفترة مؤقتة قبل الزواج ، وعموماً فإن التحاق المرأة بالعمل يتيح لها فرصة مناسبة لملء حياتها إذا لم تتزوج ، كذلك يمكنها أن تكسب عيشها في حالة موت الزوج .

ومن المناسب أن يكون للمرأة معرفة بالحياة والمسائل الاجتماعية ، فهذا يساعدها على زيادة درجة استقلالها وحريتها في الاختيار ويدعم المعنى الجديد للاعتماد على النفس Self -Reliance نظراً لأنها أصبحت تشارك بجزء كبير في حياة مجتمعها . هذا بالاضافة إلى أنه من الضروري أن تعرف قدراً ولو مبسطاً من العلم ومجالات المعرفة الأخرى ، وأن تتعلم الأساليب الجديدة في الحياة مثل أساليب الاستهلاك وأساليب تطبيقات علم النفس الحديث في تربية الأطفال . وأن تتعلم أيضاً كيفية التفاعل مع نوعيات عديدة من الناس فقد أصبحت المرأة بحكم عملها وعلاقاتها المتعددة تلتقي بالكثيرين منهم حيث المشاعر المختلفة والإنتماءات العديدة[١] .

ولا بد للمرأة أيضاً أن تفهم نفسها ، وتقدر إمكانياتها الخاصة ، وتحدد أهدافها حتى لا يملي عليها أحد أسلوب حياتها ، وهي في حاجة إلى أن تتعلم كيفية الاستفادة من الفرص الجديدة التي فتحت أمامها دون أن تغفل في نفس

(1) Lopata. op. cit.

الوقت الفرص غير التنافسية مثل الزواج والشؤون المنزلية . ومع ذلك ، فيجب الا تتوقع الحصول على كل شيء في لحظة ، كما يجب أن تدرس بحرص السلوك الاخلاقي الحديث حتى لا تفسد حريتها بالانحراف .

وعلى المرأة أيضاً أن تحاول فهم الرجال بطريقة مختلفة عن الماضي ، لأن وضعها الآن أصبح مختلفاً بالنسبة لهم ، فهي اليوم أكثر أحتكاكا بهم نظراً لظروف التعليم والعمل والمشاركة الإيجابية في كافة الانشطة الإنتاجية والإجتماعية ، وبالتالي لم تعد المرأة في حاجة إلى تملق الرجال كي تصل إلى غاياتها لأنها أصبحت زميلة ورفيقة لهم بمعنى جديد .

وإذا تزوجت المرأة لا بد أن تعد نفسها لنمط جديد للعلاقة الزواجية ، مع ما يشمله من اتجاهات جديدة للزوج والزوجة وخاصة موقف كل منهما تجاه الآخر ، وذلك من حيث التوقعات والمتطلبات ، ونظراً لأن العلاقة الزواجية في العصر الحديث لم تعد أدوار الزوجين فيها محددة بشكل قاطع كما كان يحدث في الماضي فإن هذا يحتم وجود درجة أكبر من التبصر والتكيف والمرونة إذا أرادت الزوجة نجاح زواجها .

مكانة الرجال في المجتمع الحديث

بينما يتزايد الاهتمام في السنوات الاخيرة بالتساؤل عن مكانة المرأة لم يظهر اهتمام مقابل بالتساؤل عن مكانة الرجل ، حيث يرى الكثيرون أنه لا توجد أي مشكلة فيما يتعلق بمكانته . ولكن ظهرت وجهات نظر عديدة تؤكد أن الرجل المعاصر أصبح لديه مشاكل عديدة تتعلق بتعريف المركز ، وتحديد الوضع وخاصة عندما تحدث تغيرات اجتماعية تؤدي إلى اضطرابات في الادوار التقليدية وفي التوقعات المتصلة بها ، وهذا يؤدي بالتالي إلى ظهور تعريفات جديدة تتلاءم مع الظروف المتغيرة .

إن الدور الرئيسي للرجل ، حتى في أكثر المجتمعات تقدماً ، ما زال

يتم خارج نطاق المنزل باعتباره عائلاً لاسرته ، أي المسؤول عن الانفاق على زوجته وأطفاله ، وتفوق هذه الوظيفة أي وظيفة أخرى مثل دوره كزوج أو كأب[1] وقد تبين من الدراسات العديدة التي أجريت لبحث مكانة الرجال أن الرجولة تكون أساساً ثمرة العمل ، ويدخل في ذلك الاجر الذي يحصل عليه ، والهيبة التي تكون لوظيفته والمكانة التي تمنحها له في مجتمعه المحلي . بالإضافة إلى الأشياء المادية التي يكون في إمكانه شراءها والحياة المناسبة التي يستطيع أن يوفرها لاسرته[2] .

وتختلف النظرة إلى الرجل باعتباره عائلاً لاسرته باختلاف المستويات الطبقية العديدة في المجتمع . ففي الطبقات الاجتماعية العليا ترتبط هذه النظرة بالأشياء المادية التي يمكنه أن يحصل عليها وكذلك بالهيبة والمكانة Prestige التي تحظى بها مهنته . أما في الطبقات الدنيا فالمطلب الرئيسي هو أن يتمكن الرجل من إعالة أسرته بصورة مناسبة بغض النظر عن طبيعة مهنته . ويرى بعض الدارسين أن مقدار الدخل يرتبط بشدة بمدى عدم الرضى في الزواج أكثر من أي عامل آخر مثل درجة التعليم أو المهنة وقد يرجع ذلك إلى تأثيره الملموس على حياة الزوجين اليومية .

وهناك بعد هام تجدر الإشارة إليه يتعلق بالأدوار المهنية والاسرية وهو كيف تتزامن هذه الأدوار ، لأن الاوضاع يمكن أن تختلف بشدة نظراً للاختلافات العديدة في متطلبات العمل ، مثل عدد ساعات العمل ، وبعد مكان العمل عن المسكن . فبعض المهن تتطلب ساعات عمل غير منتظمة أو نوبات ليلية قد تبعد الرجل عن أسرته عدة أيام ، وكل هذه العوامل تحد من

---

(1) Benson Leonard, "Fatherhood: A Sociological perspective" Random house New York, 1968, p. 271.

(2) Myron Brenton "New Ways to Manliness" in Nancy Reeves. Womankind: Beyond the Stereotype, Aldine, Chicago, 1971, pp. 191-192.

إمكانية مشاركة الرجل في اتخاذ القرارات المتعلقة بأسرته كما تبعده إلى حد ما عن أطفاله .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن خصائص العمل الذي يقوم به الرجل في البناء المهني يكون لها تأثيرات عميقة على أدواره الزوجية والوالدية . وإذا كان هناك مجال للاختيار فإن الرجل يضع أدواره الأسرية في المقدمة إلا أن مصلحة الأسرة تجعله يضع دوره المهني في المقدمة . وفي بعض الاحيان يكون الرجل غير موفق في عمله فيتعلل بالتزاماته العائلية كمبرر للهرب منه ، على اعتبار أن أسرته في حاجة اليه وهكذا يبرر لنفسه ولزملائه سبب تغيبه أو عدم انضباطه .

ومن المشاكل التي تواجه الرجال اليوم ، ما يتعلق بمفهوم الرجل الحقيقي Real He-Man ، حيث كان هذا المفهوم في الماضي واضحاً وصريحاً بما يتضمنه من خصائص الرجولة التقليدية . أما اليوم وفي هذا المجتمع المعاصر الذي يغلب عليه طابع المنافسة والتصنيع والحضرية فقد أصبح مفهوم « الرجل الحقيقي » غامضاً إلى حد كبير ، وأصبح على الرجل المعاصر أن يواجه في نفس الوقت متطلبات الرجولة التقليدية والمعاصرة معاً . ويشكل الوفاء بهذه المتطلبات مشكلة بالنسبة له ، إذ كيف يستطيع أن يقوم بدورين مختلفين في نفس الوقت ، ومثال ذلك ، كيف يطلب من الرجل أن يكون قوياً جريئاً مقداماً وفي نفس الوقت يطلب منه أن يكون « مهذباً » وباحثاً عن السلام . إنه قد يسبق ويفوز في ظل نمط معين ، إلا أنه يقاسي ويعاني في ظل نمط آخر ، كما أن عليه أن يشعر بالحزن والألم ولكن ليس أن يولول وأن يصرخ على الاطلاق . وبالرغم من أن المناخ الاجتماعي أصبح يحتم أن يتعاون الرجال مع النساء على قدم المساواة إلا أن التقاليد في نفس الوقت تحتم عليه في أوقات معينة وخاصة أوقات الازمات أن يتحمل وحده المسؤولية . وهذا بالاضافة إلى أنه يجب إلا يسمح للمرأة تحت أي ظروف

بأن تسيطر أو تتفوق عليه وهكذا . . .

والخلاصة أنه لا يمكن أن تحدث تغيرات في عالم الانوثة دون أن تصاحبها تغيرات مماثلة في عالم الرجولة . وعلى كل حال نستطيع أن نقول أن العالمين يمران الآن في مرحلة تحول ، ولم تتبلور حتى الآن نتيجة ما يواجهانه من التغيرات ، كما أنه لا توجد وسيلة تمكننا من معرفة النتيجة النهائية ، الأمر الذي ستظل معه المسألة المتعلقة بمكانة الرجال موضوعاً حيوياً يستدعي المناقشة والاهتمام .

علاقة الرجل بالمكانة والمرأة والزواج

على الرغم من أن المرأة المعاصرة تعمل جاهدة وفي معظم مجتمعات العالم لاستخدام إمكانياتها العقلية بشكل إيجابي وبناء ، وعلى الرغم من تقدمها المستمر في هذا الميدان واقتراب مكانتها الاجتماعية من مستوى الرجال ، فما زالت هناك كثير من العوامل العتيقة التي تعمل كي تعوق المرأة الجديدة من الانتقال لمعايشة العصر الحديث ، فالافتراض التقليدي بأن المرأة أدنى من الرجل افتراض عفى عليه الدهر مثل الاعتقاد القديم بوجود الارواح الشريرة . وقد تغير اتجاه الرجل نحو المرأة ، وأختفى إلى حد ما المعنى المتأثر بالتقاليد القديمة ، ومع ذلك فما زال الكثيرون يقفون منها موقفاً مناهضاً ويضعون أمامها العراقيل ، وإذا أراد هؤلاء أن يسايروا منطقهم فعليهم أن يرتدوا الملابس الحربية القديمة ذات الدروع بطريقة تناسب اتجاهاتهم نحو النساء أو أن يعودوا لركوب الدواب .

(1) Karen S. Renne, "Correlates of Dissatisfaction in marriage" Journal of marriage and the Family. February, 1970, p. 61.

والرجال في حاجة إلى التوافق مع الحقيقة الواقعة وهي النمط الجديد للمنافسة بين الجنسين ولا بد لهم الا يتركوا اتجاهات وآراء أسلافهم تقود أفكارهم وبالتالي تحدد أسلوب عملهم . كما يجب أن يضعوا في اعتبارهم باستمرار الطريقة الصحيحة في معاملة النساء فالرجل الذي يضرب أمرأة ينتهك تقاليد ألفروسية والرجولة التقليدية ويعتبر جباناً ووغداً . بالإضافة إلى أنه لا يتوقع أن يعد الرجال أنفسهم للزواج بينما هم يفكرون في المرأة كغنيمة أو كفريسة أو كوسيلة للإشباع الجنسي .

ومن الملائم أيضاً أن يغير الرجال اتجاههم نحو الاعمال المنزلية ، وذلك بأن ينموا استعداداتهم من أجل المشاركة الإيجابية فيها . فقد مضى العصر الذي كانت فيه الأعمال المنزلية مسؤولية المرأة وحدها ، حيث كان الزوج يأخذ دور الضيف الدائم نظراً لأنه يعتبر رئيس الاسرة الذي يقوم بإعالتها ماديا . وقد أشرت إلى أن الاتجاه اليوم يشير إلى عدم وجود رئيس مطلق للأسرة أو حتى رئيسين (الزوج والزوجة) في نفس الوقت ، ومعنى ذلك (حسب الظروف) أن تصبح الأعمال المنزلية مسؤولية مشتركة بينهما . إلا أن هذا لا يعني أن يتقاسماها بطريقة متساوية ، وإنما يعني أن الرجل أصبح له دور جديد يمكن (أو ينبغي) أن يقوم به في المنزل ، وبالتالي لا بد أن يعد نفسه لهذا الدور في وقت مبكر حتى لا يقع في أخطاء فادحة . إن هذه المشاركة قد تعني من ناحية أخرى إتاحة وقت فراغ أطول يمكن أن يتيح للزوجين أفضل تفاعل ممكن .

الدراسة العلمية للأسرة

لما كان علم الاجتماع مهتماً أولاً وقبل كل شيء آخر بالظواهر الإجتماعية ، ولما كانت الاسرة جماعة بالتأكيد ، ترتب على ذلك أن أصبحت الإطارات النظرية الرئيسية لتحليل الأسرة ذات طبيعة سوسيولوجية . ولا يعني إدراك هذه الحقيقة بحال من الأحوال أن علم الإجتماع في مرتبة أعلى أو أفضل من العلوم الأخرى ، وإنما يعني أن الأسرة تدخل بشكل أوضح في بؤرة اهتمامه .

ومن الملاحظات الهامة أن المداخل الحديثة في دراسة الأسرة ليست جديدة كلية ، وإنما تمتد جذورها إلى المداخل والنظريات القديمة ، لكنها مع ذلك تكشف عن نمو متزايد من حيث السلامة المنهجية ، وعمق التحقيق الامبيريقي ودقة النتائج ، وزيادة قيمتها العلمية التي تستند إلى وضوح الفروض وتنمية أدوات البحث إلى جانب الكفاءة الفنية والاتجاه نحو إثراء النظرية العلمية السوسيولوجية بوجه عام .

ومع ذلك فقد واجهت أبحاث الاسرة صعوبات عديدة ، أهمها رغبة الاسرة العادية في الحفاظ على أسرارها وشؤون حياتها الخاصة بها إلا أن هذا الاتجاه المعارض زالت حدته في السنوات الاخيرة إلى حد كبير وأصبحت كثير

من الاسر ترحب بمثل هذه الدراسات لإدراكها أهمية تطبيق نتائج البحوث على ظروفها الخاصة .

وقد استغرق دارسو الاسرة وقتاً طويلاً قبل أن يدركوا وجهة النظر العلمية ، وربما كان هذا الوقت أطول بالقياس إلى بعض العلوم الإجتماعية الأخرى ، نظراً لأن العلوم الإجتماعية كانت أبطأ في نموها العلمي من العلوم البيولوجية أو الفزيائية . إلا أن أهم ما يميز دراسات الاسرة في الوقت الحالي هو زيادة الإهتمام باتباع المنهج العلمي حيث أصبح الاتجاه في هذه الدراسات يسير نحو استخدام عينات أكثر تمثيلاً وازدياد الاعتماد على الإحصائيات في تحليل المادة مع زيادة مصاحبة في الإعتماد على الملاحظة المباشرة في جمع المادة العلمية .

إلى جانب التأكيد المستمر على اختبار الفروض الموضوعية نظرياً واتخاذ المواقف التحليلية ذات الطبيعة الإحصائية ، ويلاحظ أن البناء المنهجي للنظرية أصبح يمثل اهتماماً رئيسياً في دراسات الاسرة وربما كان هذا الاهتمام بالنظرية هو الاتجاه الأكثر بروزاً في المرحلة الراهنة من تطور علم الإجتماع العائلي[١] .

تطور دراسات الاسرة

لم تبدأ الدراسة العلمية للاسرة (والزواج) إلا إبان القرن التاسع عشر ، وقد شهدت بعد ذلك وحتى اليوم تطورات عديدة ، يمكن أن نصنفها إلى أربعة مراحل ، وسوف أعرضها في إيجاز على النحو التالي :

---

(١) محمد الجوهري وآخرون « وميادين علم الاجتماع » مترجم دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٠ ، ٣١١ - ٣١٧ .

المرحلـة الأولى

وتتميز بسيادة الفكر العاطفي ، والخرافي والتأملي ، كما يتمثل في التراث الشعبي وكتابات الأدباء أو التأملات الفلسفية وتمتد هذه المرحلة حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً . حيث كان الفلاسفة والكتاب الإجتماعيون يعبرون عن وجهات نظرهم وآرائهم الخاصة في المسائل المتصلة بالحياة الاسرية ، وخير من يمثل هذا الإتجاه ما جاء في كتابات « كونفشيوس » في العصور القديمة حين يقول « أن السعادة تسود المجتمع إذا سلك كل فرد سلوكاً صحيحاً كعضو في الأسرة » وهذا يعني تأكيد أهمية التزامات الفرد تجاه الأسرة . وقد خصص الأدباء القدامى في الهند جانباً كبيراً من تفكيرهم لمعالجة مسائل الاسرة ، ومن وقت لآخر كان الفلاسفة الخياليون يرسمون خططاً « يوتوبيا » Utopia يضمنونها طرقاً جديدة لأدوار الاسرة كحل للمشاكل الإجتماعية التقليدية ، كما جاء في جمهوريه افلاطون عن الاسرة المثالية ، والفرص المتساوية أمام الرجال والنساء في تطوير ذكائهم والوصول إلى غاياتهم . وكان هدف أفلاطون أن ينادي أو يتوصل إلى إلغاء الروابط الاسرية التقليدية . وأن يبعد جميع الأطفال عن آبائهم فور ولادتهم لتربيتهم تحت رعاية أفراد متخصصين .

المرحلـة الثانية

وتمتد من منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين ، وتتميز بعدد من الأفكار التي تميل لتطبيق الأفكار التطورية على ميدان الاسرة والزواج ، وجدير بالذكر أن أفكار دارون أوحت إلى المفكرين الإجتماعيين أنه من الممكن أن تتطور أشكال ونظم الحياة الإجتماعية بنفس الطريقة التي تتطور بها الكائنات البيولوجية .

المرحلة الثالثة

وتقع كلها في القرن العشرين وحتى منتصفه تقريباً ، وفيها انتقلت دراسة الاسرة من الاهتمام بالماضي والتسلسل التاريخي إلى الاهتمام بالواقع ، ومن البحوث غير المحددة الواسعة النطاق ، إلى استخدام المناهج العلمية في تناول مشكلات أكثر تحديداً ، وركزت هذه المرحلة على دراسة العلاقات الداخلية بين أفراد الاسرة متأثرة في ذلك بعلم النفس ، في الوقت الذي ظلت فيه دراسة المشكلات الإجتماعية تشغل خلال هذه الفترة مكانة جوهرية ، وبقي الإطار النظري هو نفسه إلى حد كبير ، أما المناهج ومواد الدراسة فقد تغيرت ، إذ توفرت مصادر للبيانات والمعلومات أكثر ثراء من ذي قبل ، عن طريق الوثائق الرسمية وسجلات الهيئات الخاصة ، كما نمت المناهج وطرق البحث ، مع ازدياد الفصل بين العلم والاخلاق والاهتمام بأساليب التحقيق الامبيريقي لا المنطقي فحسب ، إلى جانب ارتفاع مكانة المناهج الكمية . ومنذ الحرب العالمية الثانية زاد الاهتمام بالحياة الاسرية عن طريق تدعيم القوانين المنظمة لها ، وخلق أنماط جديدة تتلاءم مع متطلبات التغيرات السريعة في المناطق الحضرية والصناعية إلى جانب تطوير الاسرة الريفية لرفعها إلى المستوى العصري .

المرحلة الرابعة

وهي الممتدة حتى الآن ، وتتميز بتزايد الاهتمام بالنظرية وتعميق الدراسات الكمية ، ولكن بطريقة أكثر منهجية ، علاوة على محاولات جادة لتجميع وتقييم البحوث التي أجريت في الماضي ، وتحديد المدارس الفكرية المختلفة أو الإطارات المرجعية النظرية التي استخدمت في دراسة الاسرة كما تتميز هذه المرحلة بتحديد المجال ، واختفاء الاحكام القيمية ، والاعتماد

بصفة عامة على مادة ميدانية أصيلة ثم جمعها وفقاً لاستراتيجيات منهجية عالية الدقة والكفاءة واستخدام أكثر من أسلوب واحد من أساليب التحليل المدعم احصائياً .

وهكذا نستطيع أن نستخلص أن الدراسات الأسرية في تطورها تعكس تطور التفكير الاجتماعي من العمومية إلى التخصيص والتحديد ومن الأصول الفلسفية والدينية إلى العلمية والمنهجية ومن الوقوف عند الماضي بحثاً عن نقطة البداية إلى تأكيد الحاضر ، ومن الدراسة التجريدية إلى الدراسة الامبيريقية كما تعكس النمو الذي يتزايد ظهوره في علم الاجتماع نفسه ، من الاهتمامات العامة إلى الاهتمامات المحددة ، ومن الكل إلى الجزء دون إهمال النظرة الشمولية في نهاية الأمر ، وهكذا تكشف الدراسات الأسرية المعاصرة عن موضوعات جديدة مثل : « الدور والمركز والزواج والطلاق والقوة والتنشئة الإجتماعية والتغير في البناء والوظيفة وهكذا .

نظريـــات الاســـرة

يحاول الباحثون في ميدان الأسرة ، مثلهم في ذلك مثل أغلب المنظرين في مختلف مجالات العلم ، تنظيم معارفهم المتراكمة في نسق من المفهومات Concepts ، والتعميمات Generalization والنظريات Theories. وقد شعر المتخصصون في الدراسات الاسرية بالحاجة إلى تنظيم مفهوماتهم وتطوير فروضهم وربط هذه الفروض بشكل له معنى وصولاً إلى تفسير التنظيم والسلوك الأسري وترجع أهمية النظريات عموماً إلى أنها تساعد الدارسين على اكتشاف النقاط الجوهرية التي يركزون عليها اهتمامهم .

إن نظريات الأسرة الحالية ليست أحكاماً نهائية من حيث الصدق أو الخطأ ولكنها طرق للنظر إلى الظواهر المرتبطة بالأسرة والتفسير العقلاني لها .

وتعتبر المفهومات من الأدوات الرئيسية في كل نظرية وفي كل بحث سوسيولوجي ، ولهذا يصبح مفهوم الأسرة « نسقاً معنوياً » يرمز أو يشير إلى كلمة أو جملة تتيح فهم الظاهرة وملاحظتها بطريقة معينة . والمفهومات فضلاً عن ذلك أدوات عن طريقها تبرز المعاني المشتركة بين مستعمليها ، وهي أفكار تستخدم كقوالب البناء من أجل تنمية وتطوير الفروض والقضايا والنظريات . ومن المفهومات التي تستخدم في مجال الاسرة مثلاً : الأسرة النواة ، Nuclear Family الوحدانية في الزواج Monogamy الأدوار Roles المعايير Norms القيم Values والشرعية Legitimacy الخ . . .

وعندما تستخدم هذه المفهومات درجتين أو أكثر فإنه ينظر اليها كمتغيرات Variables « فالزوج » مفهوم و« سنوات الزواج » متغير . والمتغيرات يمكن تصنيفها إلى متغيرات معتمدة أو مستقلة . فدخل الاسرة يمكن أن يكون معتمداً على عدد سنوات الدراسة مثلاً ويجب أن ننوه هنا أن المصطلح العلمي (أسرة) يستخدمه رجل الشارع كمصطلح عادي ، ولهذا عندما يستخدمه المتخصصون فإنهم يفرقون بين أنواع مختلفة من الأسر ، مثل أسرة التوجيه ، وأسرة الإنجاب والأسرة النواة ، والأسرة الزوجية ، والأسرة الممتدة ، والأسرة الدموية ، والأسرة المتصلة الخ . .

وعلى ذلك ، فطالما أن المفهوم المستخدم سوف يؤثر في النتيجة تبعاً لرؤيته لذلك يجب اختياره بدقة حتى لا تشوه الحقيقة[1] . ويسهل « الإطار التصوري » Conceptual Framework عملية البحث عن طريق ما يتيحه من التعريفات المناسبة للمفاهيم ، كما أنه يكشف عن سلسلة المتغيرات التي يمكن استخدامها في أي ناحية من نواحي الزواج والأسرة .

---

(1) J. Ross Eshleman, The Family: An Introduction, Boston, 1974, p. 35.

وفي هذا الصدد يرى كل من ناي Nye وبيراردوBerardo [1] أن هناك إطارات تصورية متعددة تختلف منظوراتها من حيث النظر إلى سلوك الاسرة ، إلا أن كلا منها يحدد مفاهيمه ويحاول أن يعرفها حتى تصبح الفروض المستخدمة واضحة ، وهذا أمر جوهري لسلامة الإجراءات المنهجية في البحوث .

وهناك اتفاق عام بين الباحثين أن البحث الجيد أو بناء النظرية لا يمكن أن يتقدم ويزدهر دون أن يكون لدينا اطاراً تصورياً أساسياً نستخدمه في دراسة الاسرة .

ومن المعروف أن « القضايا » Propositions « والفروض » Hypotheses « والنظريات » Theories تنبثق من الإطر التصورية . فالقضية هي عرض أو بيان لطبيعة ظاهرة ما وهي تتضمن بوجه عام العلاقة بين مفهومين أو أكثر ، ومثال ذلك القول بأن « صغر السن عند الزواج » مرتبط « بارتفاع معدل الطلاق » يمكن أن يشكلا قضية . وإذا خضعت مثل هذه القضايا للاختبار التجريبي . ينظر اليها على أنها فروض تقيم الصلة بين النظرية والبحث التجريبي . هذا وتعني القضية من جانب آخر أنه إذا تغير متغير معين بطريقة منتظمة فإنه من المتوقع أن يحدث تغير مصاحب في الآخر . فمثلاً إذا زاد التصنيع تناقصت روابط الأسرة الممتدة . ومعنى ذلك أن كلا من التصنيع والأسرة هما بمثابة متغيرين مترابطين ، إذا زاد أحدهما نقص الآخر .

أما النظرية فهي مجموعة من القضايا المترابطة منطقياً ومنهجياً أي أن الربط بينها هو السبيل إلى التوصل إلى النظرية ، والنظرية لا يمكن أن تستمد من الملاحظات والتعميمات ، ولكنها تستمد عن طريق الاستقراء الدقيق وهذا

---

(1) F. Ivan Nye & Felix M. Berardo, "Emergin Conceptual Frameworks in Family Analysis, N.Y., 1966, p. 5.

هو الذي يؤدي إلى القول بأن بناء النظرية هو إنجاز خلاق ، وبالتالي فليس من المستغرب أن قلة من العاملين في ميدان العلم تمكنوا من الوصول إلى نظرية . وتعتبر النظرية صحيحة إذا خضعت للتحقيق ولم يظهر ما يكذبها أو يتناقض معها[1] . والنظريات عموماً (مثل القضايا) لا تقدم تفسيرات للأشياء الملاحظة فحسب ولكنها تصلح كذلك كمصدر هام لفروض جديدة ، وسوف نعرض فيما يلي لأهم النظريات المستخدمة في ميدان الدراسات الأسرية .

أولاً : النظرية البنائية الوظيفية

تعتبر « النظرية البنائية الوظيفية » The Structural Functional Theory أحد الاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع المعاصر . وعندما تستخدم كإطار لفهم موضوعات الأسرة . فإنها تواجه متطلبات عديدة نظراً لتعدد الاهتمامات والموضوعات المتاحة داخل نطاق الأسرة مثل العلاقات بين الزوج والزوجة والأبناء . وكذلك التأثيرات المنبعثة من الانساق الأخرى في المجتمع الكبير كالتعليم والاقتصاد والسياسة ، والدين ، والمهن على الحياة الاسرية ، وتأثير هذه الحياة على تلك الانساق بالتالي .

وقد أستمدت النظرية البنائية الوظيفية أصولها من الإتجاه الوظيفي في علم النفس وخاصة النظرية الجشطلتية ، ومن الوظيفية الانثروبولوجية كما تبدو في أعمال «مالينوسكي» و« رادكليف براون»[2] . ومن التيارات الوظيفية القديمة والمحدثة في علم الاجتماع ، وهي التيارات التي تبلورت بشكل واضح في ميدان دراسة الأنساق الاجتماعية عند تالكوت بارسونز[3] .

---

(1) Nicholas S. Timasheff "Sociological Theory": Its Nature and Growth. N.Y., 1955, pp. 9-11.

(2) A.R. Radcliffe-Brown, 'Structure and Function in Primitive Society' Glencoe, The Free press, 1952.

(3) Talcott parsons, "The Social System", Glencoe, The Free press, 1951.

وجدير بالذكر أن النظرية الجشطلتية تركز على العلاقة بين الكل وأجزائه ، وقد انساق وراء هذا التصور عديد من الأنثروبولوجيين الاجتماعيين حيث يرون عدم إمكانية دراسة أي مظهر من مظاهر الحياة بعيداً عن دراسة الكل . ويربط مالينوسكي بين الوظيفة ودراسة العلاقات المتبادلة بين البناءات في أي نسق .

ويدور المحور الرئيسي للمدخل البنائي الوظيفي حالياً على الاقل حول تفسير وتحليل كل جزء (بناء) في المجتمع ، وإبراز الطريقة التي تترابط عن طريقها الأجزاء بعضها مع بعض ، ولهذا يكون عمل التحليل الوظيفي هو تفسير هذه الأجزاء والعلاقات بينها . فضلاً عن العلاقة بين الأجزاء والكل ، في الوقت الذي توجه فيه عناية خاصة إلى الوظائف التي تكون محصلة لهذه العلاقة .

ويتدرج التحليل وفقا للنموذج المثالي لهذه النظرية من الماكرو Macro (الوحدة الكبيرة) إلى المايكرو Micro (الوحدة الصغيرة) ويرجع الفرق بين هذين النمطين المتعارضين إلى حجم الوحدة التي تكون محلاً للتحليل . فالتحليل الوظيفي على النطاق الواسع (ماكرو) يعالج الإنساق الواسعة نسبياً وكذلك النظم ، أما التحليل الوظيفي على النطاق (مايكرو) فإنه يعالج الأسر الفردية أو الانساق الصغيرة نسبياً .

أ ـ الفروض (الوظيفية)

من المفيد هنا ـ رغبة في مزيد من الوضوح ـ أن نعرض لنوعين من الفروض[1] التي تندرج تحت نطاق النظرية البنائية الوظيفية كما يعرضها بعض علماء الإجتماع ، وهي التي نرى أنها مفيدة في دراسة الأسرة .

---

(١) من المعروف أن الفروض هي المحك الذي يمكن معه أن نميز بين نظرية وأخرى حتى ولو كانتا مندرجتين تحت نظرية أعم

١ ـ الفروض التي يستخدمها كل من هيل Hill وهانسن Hanson[١] :

أ ـ يمكن تحليل السلوك الاجتماعي بصورة مرضية عن طريق معرفة اسهاماته في بقاء النسق الاجتماعي أو تبعاً لطبيعته المندرجة تحت بناءات النسق .

ب ـ الانسان الاجتماعي هو أساساً صورة منعكسة للنسق الإجتماعي ، والفعل (المستقل) المستنبط ذاتياً نادر وغير اجتماعي .

ج ـ الوحدة الاساسية المستقلة هي النسق الاجتماعي الكلي ، والذي يتكون من « أنساق فرعية » Sub-Systems معتمدة (مثل النظم ، وأنساق الأسرة الخ . .) .

د ـ من الممكن دراسة أي وحدات فرعية للنسق الرئيسي .

هـ ـ يميل النسق الاجتماعي الى التوازن .

٢ ـ الفروض التي تستخدمها « ماك انتاير » Mcintyre[٢] :

أ ـ يجب أشباع متطلبات وظيفية أساسية إذا كان من المرغوب أن يبقى المجتمع عند مستوى معين .

ب ـ توجد انساق فرعية وظيفية لمواجهة هذه المتطلبات .

جـ ـ تؤدي الاسرة في كل مجتمع أحد هذه الوظائف الاساسية على الاقل .

---

(1) R. Hill and D. Hansen "The Identification of Conceptual Frameworks Utilized in Family Study" Marriage and Family Living, 22 (November 1960 pp. 299-311).

(2) Jennie Mcintyre, "The Structural Functional Approach to Family Study" N.Y. Macmillan 1966 pp. 63-64.

د ـ الاسرة الفردية نسق اجتماعي له متطلبات وظيفية تتقابل مع تلك القائمة في الانساق الاجتماعية الأكبر .

هـ ـ الاسرة الفردية كجماعة صغيرة لها خصائص شاملة معينة تميزها عن جميع الجماعات الصغيرة .

و ـ الانساق الاجتماعية بما فيها الاسرة ، تؤديّ وظائف تخدم الفرد تماماً مثل الوظائف التي تخدم المجتمع .

وهكذا يتبين أن هذه الفروض تلتقي جميعاً في أن إهتمام النظرية الوظيفية يتركز حول « بقاء » نسق الاسرة وتفترض ظاهرة بقاء « النسق » System maintenance عموماً أن كل جزء في النسق يلعب دوراً في أداء وظيفة الوحدة الكلية ، ولهذا يدرس السلوك الزواجي أو الاسري في محيط اسهاماته في بقاء النسق الزواجي أو الاسري .

ب ـ البناء والوظيفة

يشير البناء الإجتماعي للأسرة إلى الطريقة التي تنتظم بها الوحدات الإجتماعية ، والعلاقات المتبادلة بين الاجزاء ، كما يشير إلى أنماط التنظيم ، التي تختلف بصورة واضحة في أنحاء العالم إلا أن الاسرة على الرغم من هذا الاختلاف فإنها تكشف عن نمط معين من التنظيم كما أنها تؤدي إلى نتائج متكررة محددة . فاتخاذ زوجة أو زوجات ، أو تأسيس منزل مستقل ، أو مشاركة الزوج والزوجة في اتخاذ القرارات ، أو تركيز الميراث في الإبن الأكبر . كل هذا يبين أن نفس الأشياء يمكن أن تشارك فيها مجتمعات عديدة .

ويمكن مناقشة مفهوم « البناء » و « الوظيفة بشكل مستقل»، كما يمكن مناقشتهما مجتمعين لارتباط كل منهما بالآخر فالوظيفة هي الدور الذي يلعبه

البناء الفرعي في البناء الإجتماعي الشامل[١] .

ومثال ذلك أن الأسرة تؤدي وظائف عديدة لأعضائها : فهي التي تأويهم وتمنحهم المكانة وتقوم بالتنشئة الإجتماعية والحماية والعطف . ويقوم المجتمع كذلك بوظائف معينة مثل تنشئة أعضائه تبعاً لمعاييره وقيمه . وهذا إلى جانب كونه مصدراً للضبط الإجتماعي .

وفي هذا المقام يرى ميردوك Murdock[٢] أن عالمية الأسرة النواة ترجع إلى أنها تقوم بوظائف رئيسية هي : (١) التنشئة الاجتماعية ، (٢) التعاون الاقتصادي ، (٣) الإنجاب ، (٤) العلاقات الجنسية .

أما « وليم أجبرن » William Ogburn[٣] فيرى أن الأسرة « تقليدياً » تقوم بوظائف أساسية للمجتمع : (١) تناسلية (٢) واقتصادية (٣) وتربوية (٤) وترفيهية (٥) ودينية (٦) ونفسية اجتماعية .

كما يرى كل من بارسونز وبيلز Parsons and Bales[٤] أن وظائف الأسرة التقليدية تقلصت إلى اثنتين : (١) التنشئة الإجتماعية الأولية للاطفال التي من خلالها يصبحون أعضاء في المجتمع الذي ولدوا فيه (٢) والاستقرار للاشخاص البالغين .

ويؤكد كثير من علماء الإجتماع وعلى رأسهم أجبرن أن الاسرة أصابها التفكك نتيجة فقدها لكثير من وظائفها التقليدية التي انتقلت إلى أنساق أخرى

---

(١) احمد أبو زيد (البناء الاجتماعي : مدخل لدراسة المجتمع) دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ٥٧ .

(2) George p. Murdock. "Social Structure", N.Y., Macmillan 1949, p. 10.
(3) William Ogburn, "The Family and Its Functions". Recent Social Trends in the United States, N.Y. McGrow Hill 1933.
(4) Talcott Parsons and Robert Bales, Family, Socialization and Interaction process, N.Y., The Free press, 1955 p. 308.

في المجتمع مثل المدرسة والمصنع ودور الترفيه الخ . . . إلا أن رأيه هذا تعرض لكثير من النقد حيث أنه لا يقوم على دليل مادي . فمن الخطأ التأكيد على المحتوى التقليدي والشكل المعين للوظائف بدلاً من النظر إليها باعتبارها وظائف نقص أداؤها بالنسبة للأسرة ، وليس هناك شك في أن الأسرة فقدت كثيراً من وظائفها ، إلا أن هذا الفقدان في واقع الأمر ينطوي على تغير في الشكل وليس في المضمون . ومثال ذلك أن الأسرة في المجتمعات الصناعية المتقدمة لم تعد وحدة اقتصادية منتجة بالدرجة التي كانت عليها الأسرة الريفية في الماضي . ولكنها أصبحت وحدة اقتصادية مستهلكة . ووظيفة الاستهلاك لا تقل بأية صورة عن وظيفة الإنتاج ، من حيث حاجة المجتمع الملحة إلى من يستهلك البضائع التي ينتجها[1] .

جـ ـ الوظيفة والخلل الوظيفي

استخدم مصطلح « وظيفة » في الفقرة السابقة للإشارة إلى ما يقوم به بناء معين . فإذا تمكن البناء والنتائج المترتبة عليه من أن يتوافق ويتكيف مع النسق ويؤدي إلى نتائج مرغوبة فإن مثل هذا الموقف يوصف بأنه وظيفي Functional ، أما إذا ظهر أنه أقل تكيفاً وتوافقاً مع النسق فإن الوضع الناتج يوصف بأنه « خلل وظيفي » Dysfunctional .

ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن بناءات مختلفة قد تقوم بنفس الوظيفة . ولاكتشاف الوظيفة أو الخلل الوظيفي في أي نسق اجتماعي فإنه من الضروري أن نضعه في المحيط الاجتماعي والثقافي الذي يحدث فيه . والبناء الذي يمكن أن يكون خللاً وظيفياً بالنسبة لنسق ما قد يكون وظيفياً بالنسبة لآخر فالعمل الإضافي Over time قد يكون وظيفياً من حيث زيادة الدخل ولكنه يكون خللاً وظيفياً من ناحية انتقاصه للوقت الذي يقضى مع الوحدة الأسرية .

---

(١) سناء الخولي ، « الأسرة في عالم متغير » بيروت ١٩٧٤ ص ٦٩ .

وقد يكون إنجاب عشرة أطفال وظيفياً بالنسبة للفلاح الذي ينظر إليهم باعتبارهم مصدراً اقتصادياً ولكنهم يشكلون خللاً وظيفياً من ناحية الانفجار السكاني .

ويؤكد بعض علماء الإجتماع أن كل جزء من النسق الإجتماعي يسهم في بقاء النسق وتوازنه . ولهذا فإن أي بناء اجتماعي ، أو أي عنصر في تنظيم الجماعة الاجتماعية ، أو أي معيار اجتماعي ، أو أي قاعدة اجتماعية يمكن تحليلها من ناحية وظيفتها في المحافظة على بقاء النسق وتوازنه(١) .

د ـ المتطلبات الوظيفية ونسق الاسرة

تشكل المتطلبات الوظيفية ، والاحتياجات مشاكل محددة يتعين على الانساق الاجتماعية ، بما فيها الاسرة ، حلها أو أداء أنشطة معينة من أجل المحافظة على بقاء المجتمع . ويمكن وضع قائمة بالأنشطة الاساسية التي يجب أن تؤدي من أجل الحفاظ على بقاء المجتمع . وتتضمن أهم عناصر هذه القائمة : منح المكانة للأعضاء ، والإمداد بالطعام ، والمأوى والملبس ، وتدريب الأعضاء الجدد (التنشئة الإجتماعية) والمحافظة على النظام ، وخفض الصراع بين الأعضاء ، ودفع الأعضاء إلى القيام بالعمل المطلوب إنجازه ، والإنتاج ، والتوزيع واستهلاك البضائع المختلفة والخدمات . وتعتبر هذه العناصر مجموعة صغيرة من الأعمال التي تؤدي في مقابل بقاء أو وجود المجتمع . وإذا أمعنا النظر في هذه القائمة نجد أن الأسرة تقوم بمعظمها ، لأنها تعتبر نسقاً أساسياً وفعالاً في إنجاز معظم هذه المتطلبات .

ومن أهم هذه المتطلبات المعروفة على نطاق واسع في علم الإجتماع هي تلك التي قدمها بارسونز : التكيف Adaption وتحقيق الهدف Goal

---

(1) Eshleman, op. Cit. pp. 43-45.

والتكامل Attainment Integration والمحافظة على بقاء النمط Pattern Maintenance وامتصاص التوتر[1]

ويشير « التكيف » إلى ضرورة تكيف الأسرة أو تلائمها مع البيئة الإجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها . فالتبادل بين الأسرة والاقتصاد يكون عن طريق التحاق فرد أو أكثر من أفراد الأسرة بالعمل في مقابل الحصول على أجر ومعنى هذا أن الاسرة تواجه مشكلة التكيف لمقابلة ظروف الاقتصاد عن طريق العمل واكتساب المهارات والتدريب المتخصص الخ . . . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يواجه الاقتصاد مشكلة التكيف لمقابلة احتياجات ومتطلبات الأسرة عن طريق : حد أدنى للأجور ، وتوفير ظروف عمل صحية ، والاجازات المرضية في حالة الوضع ، والمكافآت في حالات الوفاة والكوارث وما شابه ذلك .

أما « تحقيق الهدف » فيشير إلى الفهم الاساسي والموافقة العامة على أهداف الأسرة ككل . فجميع الانساق الاجتماعية بما فيها الاسرة في حاجة إلى سبب للبقاء أو للوجود وهذا يعني وجود أهداف فردية وجمعية يتعين بلوغها مع إيجاد الوسائل الملائمة لتحقيقها وهذه هي المتطلبات الاساسية التى تشترك فيها الاسرة مع أنساق المجتمع المختلفة .

ويرى بل Bell وفوجل Vogel أن تحقيق الهدف يكون مسؤولية الحكومة أو الدولة . فالحكومة هي ذلك الجزء من المجتمع الذي يدير الانشطة التي تجعل المجتمع قادراً على تحقيق أهدافه[2] ويعتبر التبادل بين الأسرة

---

(1) Talcott Parsons, "The Social Systems", N.Y., the Free press, 1957 and Talcott Parsons and Neil Smelser", Economy and Society, N.Y. the Free press 1959.

(2) Norman Bell and Ezra Vogel, 'A Modern Introduction to the Family". New York, the Free press 1968. p. 11.

والحكومة أمراً أساسياً بالنسبة لوجود كليهما وكما هو الشأن في الاقتصاد ، فإن الاسرة تضع في مقدمة وظائفها أو متطلباتها مهمة تحقيق أهدافها . وهي لذلك تختار أنماطاً معينة للقيادة تستطيع أن تصنع أنماطاً من القرارات تتفق مع تحقيق هذه الأهداف أو إنجاز الأمور التي تشغلها في الدرجة الأولى . وهذا هو الذي يجعل الأسرة تدين بالولاء لقيادتها وتمتثل لما تتخذه من قرارات .

ويهتم « التكامل » على العكس من التكيف وتحقيق الهدف بموضوعات داخل النسق . فهو يشير بصفة مبدئية إلى العلاقة بين الوحدات أو الأجزاء داخل النسق ومن هذه الزاوية ينظر إلى المجتمع المحلي باعتباره نسقاً فرعياً من المجتمع الكبير ، كما أن التأثير المتبادل بين الأسرة النواة والمجتمع المحلي يبدو في مشاركة الاسرة في الانشطة الصناعية أو الاجتماعية أو الدينية في الوقت الذي يمنح المجتمع المحلي الأسرة هوايتها وكيانها . ويمد لها يد المساعدة وخاصة في أوقات الأزمات[1] . وفي ظل الظروف العادية يقوي المجتمع المحلي روابط التماسك داخل الاسرة النواة . ومع ذلك ففي أوقات أخرى ، يمكن أن يتسبب المجتمع المحلي في عدم تركيز الأسرة على عملياتها الداخلية .

وترجع عوامل التماسك والصلابة والوحدة داخل الاسرة النواة إلى نمط المجتمع المحلي الذي تنتمي إليه ، فعندما يكون المجتمع ثابتاً نسبياً وتعمل أنماط الجماعة في شبكة محكمة فإن الوحدة لا تصبح مشكلة على الإطلاق . أما في المجتمعات المتنقلة المتغيرة عالية التصنيع . فإن تنقل أعضاء الجماعة وتغيرهم قد يزيد من صعوبة التوصل إلى وحدة ثابتة .

هذا ويتركز اهتمام المتطلب الأخير وهو « المحافظة على بقاء النمط »

---

(1) Ibid., p. 16.

علي الموقف الداخلي في النسق الاجتماعي (الأسرة) ، فهو يهتم بالأفراد (الفاعلين) وتوقعاتهم وأيديولوجيتهم وقيمهم . فقد يعاني الفرد من صراع الدور أو اللامعيارية . وتكون الاسرة في هذه الحالة هي المسؤول الأول عن مواجهة هذه المتطلبات ، حيث تمتص التوتر وتعطي الوقت وتمنح الاهتمام من داخل عملية التنشئة الاجتماعية لاعضائها بحيث تطبعهم تبعاً للأيديولوجيات والقيم الخاصة بالنسق ، وعلى ذلك تصبح الاسرة أصغر وحدة اجتماعية مسؤولة عن المحافظة على نسق القيم ، الذي يتحدد عن طريق الدين والانساق التربوية ، فيتحكم في تحديد أنماط السلوك المرغوبة أو المطلوبة أو الشرعية . ولما كان الأطفال يتعلمون هذه القيم داخل محيط الاسرة فإن أحد واجباتها الاساسية أن تعمل على تماثل أعضائها وامتصاص توتراتهم . وبدون إنجاز هذه المتطلبات لا يمكن للنسق الاسري أن يوجد وكذلك المجتمع .

وباختصار ، فإن المتطلبات الاربعة السابقة التكيف ، وتحقيق الهدف والتكامل ، والمحافظة على بقاء النمط وامتصاص التوتر هي من وجهة نظر « البنائية » الوظيفية أساسية وعالمية في جميع الانساق الاجتماعية وعلى رأسها الاسرة ، ذلك لان الفشل في إنجاز هذه المتطلبات يؤدي إلى تعرض نسق الاسرة بل المجتمع بأسره إلى الانهيار .

ثانياً : نظرية التفاعل الرمزي

بدأ استخدام « التفاعلية الرمزية » كمصطلح يشير إلى مدخل معين ومميز لدراسة حياة الجماعة الإنسانية والسلوك الشخصي ، وقد عنيت من منطلق نفسي إجتماعي ببحث مسألتين رئيسيتين تدخلان في نطاق اهتمام الدراسات الأسرية الرئيسي : التنشئة الاجتماعية والشخصية ، وذلك أن التنشئة الإجتماعية Socialization ، تركز على كيفية اكتساب الإنسان لأنماط السلوك ، وطرق التفكير والمشاعر الخاصة بالمجتمع . في الوقت الذي تهتم

فيه البحوث المتعلقة بالشخصية بالطريقة التي تنتظم وفقاً لها الاتجاهات والقيم وأنماط السلوك .

وتدعو نظرية التفاعل الرمزي إلى استقصاء الأفعال المحسوسة للاشخاص ، مع التركيز على أهمية « المعاني » وتعريفات المواقف ، والرموز ، والتفسيرات الخ . . . ذلك لأن التفاعل بين بني الانسان وفقاً لهذه النظرية يتم عن طريق استخدام الرموز وتفسيرها والتحقق من معاني أفعال الآخرين .

أ ـ طبيعة التفاعلية الرمزية

يرتكز التفاعل الرمزي كما يعرفه بلومر Blumer[1] على ثلاث مقدمات منطقية هي :

١ ـ ان بني الانسان يتعاملون مع الاشياء على أساس معانيها بالنسبة لهم .

وفي محيط الاسرة قد تكون هذه الاشياء جماداً مثل : اللعب ، الكتب ، أو مخلوقات آدمية أخرى مثل : الجدة ، الاخ ، الطفل . أو فئات مثل : الجيران ، الاصدقاء . أو نظم مثل : المدارس ، والصناعات . أو مثل عليا مثل : الحرية . والعطف . أو أنشطة تتصل بالآخرين مثل طلبات الزوجة أو أوامر الأب .

٢ ـ إن المعاني مشتقة أو ناشئة عن التفاعل الإجتماعي الذي يمارسه الفرد مع رفقائه .

وهذه المقدمة تشير إلى مصدر المعنى . والمعنى يمكن التوصل إليه

---

(1) Herbert Blumer, "Symbolic Interactionism: perspective and Method," Englewood Cliffs, New Jersey, Prentice-Hall Inc., 1969, p. 2.

تقليدياً بطريقتين . إما باعتباره جوهر الشيء . (الوردة وردة والصفعة صفعة) فالمعنى هنا مستمد من الموضوع . وإما باعتباره صادراً من تركيب الإنسان النفسي والعقلي . فمشاعر الفرد وذكرياته ومثله العليا وإتجاهاته وما شابه ذلك ينتج عنها المعنى . ومن ثم يختلف التفاعل الرمزي تبعاً لوجهات النظر هذه ، لأن المعنى ينشأ أو ينبثق من خلال عملية التفاعل بين الناس ولهذا كانت المعاني نتاجا إجتماعياً .

٣ ـ ان هذه المعاني يمكن تناولها وتعديلها من خلال عملية تفسيرية يستخدمها الفرد في التعامل مع الاشياء التي يواجهها .

وارتكازا على هذه المقدمات الثلاث يصبح التفاعل الرمزي مخططاً تحليلياً للمجتمع الإنساني يختلف عن بقية المخططات .

ب ـ الفروض (التفاعلية الرمزية)

عندما يطبق الإطار التصوري التفاعلي على دراسة الاسرة ، فهو يقوم على فروض عديدة[١] :

الفرض الأول : يجب دراسة الانسان وفقا لمستواه الخاص . فإذا أردنا أن نفهم الزواج والسلوك الأسري بين البشر ، فلا بد أن ندرس الإنسانيات . ولا يمكن الاستدلال على السلوك الإنساني من دراسة الأشكال اللاإنسانية . ذلك لأن الاختلاف الأساسي بين الإنسان واللاانسان ليس فقط مسألة درجة بل هو إختلاف نوعي أساساً . وتتركز جوانب هذا الاختلاف في : اللغة والرموز والمعاني والاشارات والعمليات المنعكسة .

وعند محاولة تفسير السلوك الاجتماعي لرجل معين مثل اختيار زوجة أو طلب الطلاق فإن ذلك لن يتأتى بمراقبة سلوك شمبانزي أو كلب . فالحياة

---

(1) Eshleman, op. Cit. pp. 54-58.

الإجتماعية لا تشبه الحياة الطبيعية أو البيولوجية أو أي شكل غير إنساني .

والاختلافات بين الإنسان المهيأ إجتماعياً والحيوانات الدنيا ، أو بين العائلات الإنسانية والعائلات اللاانسانية تتلخص في أن الحيوانات الدنيا ليس لها ثقافة ، وليس لها نسق معتقدات أو قيم أو مثل عليا مشتركة بين أفراد الجماعة والتي تنتقل فيما بينهم بصورة رمزية . وليس لها نظم عائلية أو تربوية أو دينية أو سياسية أو إقتصادية وليس لها أيضاً معايير أو ايديولوجيات . فالتفاعل الرمزي إذن يفترض أنه لفهم الناس لا بد من دراسة الناس . لأننا لن نستفيد شيئاً من دراسة الأشكال اللاانسانية لفهم الأزواج والزوجات والأطفال والحموات والأجداد وأساليب حياة الأسرة في الطبقات العليا الخ . . .

الفرض الثاني : ان المدخل الملائم لفهم سلوك الانسان الاجتماعي انما يتم من خلال تحليل المجتمع . فمن الممكن فهم سلوك الزوج والزوجة والطفل من خلال دراسة وتحليل المجتمع ، والثقافة الفرعية التي يكونون جزءا منها . وجدير بالذكر أن هذا الفرض لا يوافق على أن المجتمع يصلح أن يكون حقيقة لا نهائية . فالمجتمع مثلاً ليست له أسبقية ميتافيزيقية على الفرد أو أن الحتمية الثقافية صالحة لتفسير كل سلوك .

إن ميلاد شخص في مجتمع ما يعني أن اللغة التي يتكلمها أو التعريفات التي يطلقها على المواقف ، وما هو ملائم وغير ملائم هو ما تعلمه من المحيط الاجتماعي والثقافي (فمثلاً الحرية الجنسية في المجتمعات الأوروبية لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم ودراسة المجتمع ككل) .

الفرض الثالث : إن الطفل الإنساني يكون لا انسانياً عند مولده . والمجتمع والمحيط الاجتماعي هما اللذان يحددان أي نمط من السلوك يكون اجتماعياً أو غير اجتماعي . فالطفل حديث الولادة لا يستطيع أن يبكي طوال الليل بقصد معاقبة والديه . وكذلك لا يستطيع النوم طوال الليل ليرضيهم . لأنه يكون عاجزاً عن إدراك هذه المعاني . ولمثل هذا الطفل أيضاً (كأي كائن

حي) دوافع ، وهي دوافع لا تكون موجهة نحو غايات معينة . إلا أن الطفل تكون لديه إمكانية النمو الاجتماعي ، ومع الوقت والتدريب ، ينظم هذه الدوافع ويوجهها وجهات محددة ويسمي علماء الاجتماع هذه العملية « التنشئة الاجتماعية » . .

الفرض الرابع : إن الكائن الانساني المهيأ اجتماعياً ، هو الذي يستطيع الاتصال رمزياً ، ويشارك في المعاني ، ويفعل وينفعل ويتفاعل . وهذا يؤكد أن الملاحظ لا يستطيع فهم السلوك ببساطة عن طريق دراسة البيئة الخارجية أو القوى الخارجية ، لانه لا بد أن يرى العالم من وجهة نظر موضوع بحثه . فالانسان لا يستجيب للمنبه ، بل يختاره ويفسره . ونتيجة لذلك يصبح من الضروري أن يكون لهذا التفسير معنى معروف .

وافتراض أن الانسان يفعل ويتفاعل يبين أن الناس فقط هم الذين يستطيعون القيام بدور الآخرين . فنحن نحزن لمصائب الصديق ، ونشارك أطفالنا السعادة والمرح ، والزوج يستطيع توقع استجابة زوجته إذا أرسل لها زهوراً أو دعاها للعشاء . وباختصار ، لا يكون سلوك الفرد مجرد استجابة للآخرين ، بل هو استجابة ذاتية أي استجابة لنتائج الرموز الداخلية .

جـ - المفهومات الرئيسية :

تعتبر المفهومات مطلباً أساسياً في كل بحث أو نظرية كما سبق أن أشرنا ، لأنها تتيح فهماً أفضل للظواهر التي لا نستطيع فهمها بدونها . وهي أيضاً رموز ومعناها ليس ملازماً أو متأصلاً في الكلمة أو الفرد ولكن يظهر من خلال التفاعل مع الآخرين .

والمفهومات الرئيسية المستخدمة في نظرية التفاعل الرمزي تتضمن التفاعل ، والفعل الاجتماعي ، والدور ، والمركز ، والذات الاجتماعية ، والمفهوم الذاتي والجماعة المرجعية ، وتقلد الدور ، ولعب الدور ، وتعريف الموقف الخ . . .

١ ـ التفاعل الاجتماعي الرمزي وغير الرمزي

يتضمن التفاعل الاجتماعي مجموعة كاملة من العمليات التي تحدث بين الأفراد ومن خلالهم . وقد حدد جورج هربرت ميد Meade مستويين للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الانساني « المحادثة بالاشارة » و « استخدام رموز لها دلالة » وقد أطلق بلومر Blumer على المستوى الأول « التفاعل غير الرمزي » والمستوى الثاني « التفاعل الرمزي »[1] .

ويندمج الأفراد في الحياة بوجه عام أو في الزواج والاسرة بصفة خاصة ، في تفاعل غير رمزي حين يستجيبون في الحال لحركات الآخرين الجسمانية ، وتعبيراتهم ، ونبرات أصواتهم . ولكن كثيراً من تفاعلاتهم تكون على المستوى الرمزي عندما يحاولون فهم معنى فعل كل منهم .

ويقابل فهم عمليات التفاعل الرمزي فهم معنى الزواجي Marital والأبوي Parental وأي سلوك اجتماعي آخر . وهذا بالإضافة إلى الإستجابة إلى معنى هذه الاشارات . فإذا كانت الاشارة لها معنى مشترك بين الاشخاص المتفاعلين فسوف يفهم كل منهم الآخر . ومن الممكن أن يكون للإشارة معاني مختلفة تبعاً لمضمونها والموقف والظروف المحيطة بالتفاعل .

٢ ـ المركز والدور

يكمن محور المنظور التفاعلي في مفهومات المركز (المكانة) Status والدور Role . وكما هو الشأن عند تعريف البناء والوظيفة يمكن تعريف المركز والدور ومناقشتهما مستقلين إلا أنهما لا يفترقان في الواقع ، فهما يكشفان الرابطة بين الفرد وبين المجتمع الذي ولد فيه . وبهذا المعنى لا يشير المركز إلى المكانة بل إلى الوضع في البناء الإجتماعي . فكل فرد في المجتمع له

(1) Blumer, Op. Cit., p. 8.

عدة مراكز بعضها موروث وبعضها مكتسب . فمثلاً الجنس (ذكر ، أنثى) والطبقة الاجتماعية تعتبر مراكز موروثة، أما المركز الزواجي والمركز المهني فهي مراكز مكتسبة وكل منا يشغل مراكز عديدة مثل : طالب ، مراهق ، موظف ، طبقة متوسطة ، عاطل . وكل مركز أو مجموعة من المراكز تتطلب سلوكاً مناسباً ، وهو ما يسمى بالدور ، هذا ويشير الدور « من وجهة نظر معينة » إلى مجموعة من المعايير أو التوقعات التي ترتبط بأوضاع معينة . فالمراكز مثل : الانثى ، الزوج ، الطفل لها توقعات مناسبة معرفة ثقافياً . وهذه التوقعات هي مفهومات إجتماعية وليست نفسية » كما أنها توجد مستقلة عن الفرد ، إلا أن الدور كما يستخدم في الإطار التفاعلي يشير إلى العلاقة بين ما نفعل نحن وبين ما يفعله الآخرون فالتوقعات (الأدوار) تنمو بالتفاعل . ولهذا يتضمن المفهوم التفاعلي للدور وصفاً لعمليات السلوك التعاوني ووسائل الاتصال . وإذن فالدور كعملية يشتمل على كل فاعل يكيف سلوكه وردود فعله نحو ما يعتقد أن الآخرين سوف يفعلونه .

د ـ التفاعلية الرمزية كما تطبق على الاسرة

تركز كل من نظرية التفاعل الرمزي والنظرية النفسية الاجتماعية على محاولة تفسير سلوك الأفراد كما ينضبط ويتأثر ويتحدد عن طريق المجتمع ، كما تركز من ناحية أخرى على الوسيلة أو الطريقة التي ينعكس بها سلوك الأفراد على الجماعات والبناءات الاجتماعية في المجتمع . وبصورة أدق يتركز الاهتمام على تفسير كيفية انضباط اعضاء الاسرة عن طريق جماعتهم الاسرية ، وكذلك تفسير التفاعلات والمعاني المشتركة التي تعتبر لب السلوك الزواجي والاسري .

ويرى هيل Hillوهانسن Hansen أن المفهوم التفاعلي للاسرة يتبنى الموقف التالي :

« إن ادراك الفرد للمعايير أو توقعات الدور تجعله ملتزماً في سلوكه بأعضاء الجماعة سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي . ويحدد الفرد هذه التوقعات في أي موقف تبعاً لمصدرها (الجماعة المرجعية) وبناء على تصوره الذاتي . وعندما يتمكن من ذلك يقوم بدوره . وتتم دراسة الاسرة الآن من خلال تحليل التفاعلات العلنية والصريحة (تفاعل القيام بالأدوار بين أعضاء الاسرة) القائمة في هذا البناء »[1] .

وقد كانت معظم الدراسات في الماضي تنظر إلى الاسرة كوحدة مغلقة نسبياً بمعنى أن تأثيرها في النظم الأخرى خارجها طفيف ، كما أن تأثرها بهذه النظم يكون طفيفاً بنفس الدرجة . ولكن الإطار المرجعي أو نظرية التفاعل الرمزي في ميدان الاسرة تحدد لأول مرة من خلال كتابات « ارنست برجس Ernest Burgess »[2] الموقف الذي ينظر إلى الأسرة كوحدة من الشخصيات المتفاعلة ، وهو يعني بذلك شيئاً حياً متغيراً نامياً ، إلا أن مدخله هذا يعتبر الآن من المداخل الكلاسيكية .

وظهرت بعد عدة سنوات من دراسة برجس محاولة متكاملة لدراسة الاسرة ومن وجهة نظر « التفاعلية الرمزية » قدمها ويلارد ولر Willard Waller[3] بعنوان : « الاسرة تفسير ديناميكي » وفي هذا المؤلف قسم « ولر » تجربة الاسرة إلى خمس مراحل : الحياة في الاسرة الوالدية (أسرة التوجيه) ـ التودد والمغازلة والحب ـ السنة الأولى للزواج ـ الأبوية ـ مرحلة العش الخالي Empty Nest إلا أن فكرته عن ضرورة تبادل الغزل قبل الزواج أصبحت في الوقت الحالي موضع نظر ، بسبب ما يكتنفها من مظاهر المساومة أو الاتفاق .

---

(1) Hill and Hansen, Op. Cit., pp. 302-303.

(2) Ernest Burgess, "The Family as a Unit of Interacting Personalities Family", 7 (1926), pp. 39.

(3) Willard Waller, "The Family: A Dynamic Interpretation" N.Y., Dryden, 1938.

وقد أصبح هذا الاطار مرجعاً رئيسياً لكثير من الابحاث الحالية التي تهتم بالاشخاص داخل محيط الأسرة ، وهو الأمر الذي أدى إلى توجيه عناية كبيرة إلى علاقات الزوج بالزوجة والآباء بالأبناء ، والأدوار والقواعد التي تحكمها ، والموقف الزواجي . وتمثل التنشئة الاجتماعية من جانب آخر محوراً هاماً في مدخل التفاعل الرمزي لما لها من أهمية مركزية في التنظيم الأسري .

وعلى الرغم من أن معظم علماء النفس يحددون أو يحصرون اهتمامهم في التنشئة الاجتماعية للطفل في سن مبكرة جداً (السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل) فإن الباحثين من خلال مدخل التفاعل الاجتماعي يركزون على فكرة أن التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة مدى الحياة ، وهي تتضمن استنتاج أو استنباط المعايير والقيم منذ الطفولة حتى الرابعة عشر ، ثم الزواج في حوالي العشرين - حتى يصبح الشخص والدا في الرابعة والعشرين مثلاً ثم ينتقل إلى وظيفة جديدة في الثلاثين ، ثم يصبح جداً في الخمسين ، وأخيراً يحال إلى المعاش . وما نقصده بعرض هذه المراحل هو أن الفرد يحتاج إلى عمليات تنشئة إجتماعية مستمرة تبعاً للمواقف الجديدة التي يتعرض لها طوال حياته ومعنى ذلك أن عمليات التفاعل ليس لها نهاية ، مما يترتب عليه ألا تكتمل التنشئة الإجتماعية على الاطلاق ، ولا تبقى الشخصية ثابتة أبداً .

وأخيراً فإن نظرية التفاعل الرمزي لا تقتصر على الأدوار ، وإنما تهتم ببعض المشاكل مثل المركز ، وعلاقات المركز الداخلية ، التي تصبح أساس أنماط السلطة وعمليات الاتصال ، والصراع ، وحل المشاكل ، وإتخاذ القرارات والمظاهر المختلفة الأخرى لتفاعل الاسرة، والعمليات المتعددة التي تبدأ بالزواج وتنتهي بالطلاق[1] .

---

(1) Hill and Hansen, Op. Cit., p. 303.

ثالثاً : النظريـة التنمويــة

تعتبر نظرية نمو الأسرة Family Development من النظريات الحديثة ، حيث يرجع ظهورها بشكل متكامل لأول مرة إلى حوالي عام ١٩٣٠ ، ويظهر إختلافها عن أي نظرية أخرى في محاولتها التوفيق بين الإتجاهات المتعددة في النظريات الأخرى ، ولهذا فهي تعتبر نظرية واسعة النطاق لأنها تشمل التحليل في المدى القصير وفي المدى البعيد ، وتعالج الموضوع في نطاقات واسعة وضيقة في نفس الوقت إلا أن الخاصية المميزة لها تكمن في محاولتها دراسة التغير في نسق الأسرة الذي يحدث بمرور الزمن ، وكذلك التغير في أنماط التفاعل . وتستخدم النظرية التنموية في تحليلاتها التي تبرز فيها « عامل الزمن » أداة تصورية أساسية يطلق عليها « دورة حياة الأسرة » Family Life Cycle .

دورة حياة الاسرة

إستخدمت دورة حياة الأسرة كأداة وصفية لمقارنة بناءات ووظائف التفاعل الزواجي في مراحل مختلفة من النمو . وقد كان هذا المدخل يستخدم في الماضي كمتغير مستقل يسمح بتفسير بعض جوانب معينة في ظاهرة الأسرة . مثل أنماط الإنفاق ، ومستويات المعيشة ، وأنماط الاستهلاك .

وقدم قام « روانتري » Rowntree في إنجلترا عام ١٩٠٦ بدراسة عن دورة حياة الأسر الفقيرة ، فتبين أن دورة حياة الأسرة تتضمن فترة من الفقر الشديد عندما تنجب أطفالاً صغاراً ، ثم تليها فترة من الرخاء النسبي عندما يكبر الأبناء ويصبحون قادرين على الكسب ، وتحل الفترة الثانية للفقر عندما يتقدم الزوجان في السن وعندما يكبر الأطفال ويغادرون المنزل ويؤسسون

سراً خاصة بهم[1] .

وفي عام ١٩٣٠ ناقش سوروكن Sorokin[2] وآخرين ، أربعة مراحل لدورة حياة الأسرة وهي :

١ ـ مرحلة زوجين ينشآن وجوداً إقتصادياً مستقلاً .

٢ ـ مرحلة زوجين مع طفل أو أكثر .

٣ ـ مرحلة زوجين مع طفل أو أكثر يعولون أنفسهم .

٤ ـ مرحلة زوجين تقدمت بهما السن .

ومن ناحية أخرى يحدد كيرك باتريك Kirk Patrick[3] مراحل دورة حياة الأسرة تبعاً لمكانة الأطفال في النسق التعليمي ويعضها في أربعة مراحل :

١ ـ أسرة ما قبل المدرسة .

٢ ـ أسرة المدرسة الإبتدائية .

٣ ـ أسرة المدرسة الثانوية .

٤ ـ أسرة البالغين .

وقد تطورت إبتداء من عام ١٩٦٠ فكرة دورة حياة الاسرة بصورة أفضل وإستخدمها جليك Glick ودوفال Duvall وورودجرز Rodgers كأداة للبحث ، فحاول جليك في تحليله للحالة الزواجية في الولايات المتحدة أن يوضح مضمون التغيرات المختلفة التي تتعرض لها الأسرة بتحركها خلال المراحل المختلفة[4] :

---

(1) B.S. Rowntree, "Poverty: Study of Town Life", London, Macmillan Company, 1906, pp. 136-138.

(2) P. Sorokin and C. Zimmerman and C.J. Gaplin. "A Systematic Source Book in Rural Sociology, University of Minnesota Pres, 1931, V. 2. p. 31.

(3) E. L. Kirkpatrick et al. The life Cycle of the farm Family in Relation to its Standard of Living, University of Wisconsin, 1934.

(4) Paul Glick. "The Life Cycle of the Family", Marriage and Family Living: 17 (1955) pp. 3-9.

أما ايفلين دوفال[1] فقد حاولت تقديم إيضاح لمفهوم المهمة (الواجب) التنموية Development Task حيث ترى أن هذه المهمة تنشأ في فترة معينة في حياة فرد ما . ذلك لأن الانجاز الناجح يؤدي إلى السعادة والنجاح في الأعمال التالية ، بينما يؤدي الفشل إلى تعاسة الفرد ، وإلى إحتمال رفض المجتمع له ، ومقابلة الصعوبات في الأعمال التالية . وتنشأ هذه المهام التنموية عندما يتوفر عاملين رئيسيين : (١) النضج الجسماني (٢) المميزات والضغوط الثقافية ، ومعنى ذلك أن المهام التنموية أو الواجبات التي يتعين على الفرد أن يواجهها لا نهاية لها .

وكما تفرض على الفرد مهام وواجبات فكذلك الأمر بالنسبة للاسرة حيث تتميز كل مرحلة من دورة حياتها بمهام معينة يكون من المحتم عليها أن تقوم بها . وتعرف النظرية التنموية الواجبات النامية للأسرة بأنها : « تعاظم أو نمو المسؤولية التي تظهر وعليها أن تواجهها في مرحلة محددة ، ولهذا يؤدي الإنجاز الناجح أيضاً في ميدان الاسرة إلى الرضا والنجاح في الأعمال التالية ، كما يؤدي الفشل إلى تعاستها وامتعاض المجتمع ، الأمر الذي يؤدي إلى احتمال وقوف مجموعة من الصعوبات أمام واجباتها أو مهامها التنموية التالية[2] .

ولكي تستمر الاسرة في النمو كوحدة فهي تحتاج إلى نوع من الاشباع إلى درجة معينة في : ١ ـ المتطلبات البيولوجية . ٢ ـ المتطلبات الثقافية . ٣ ـ المطامح الشخصية والقيم . ويبين الجدول التالي واجبات الأسرة المتطورة أو النامية من خلال دورة حياتها كما قدمتها إيفلين دوفال[3] .

---

(1) Evelyn Duvall; "Family Development", Philadelphia: J.B. Lippincott Co., 1957.
(2) Duvall, Op. Cit., pp. 149-150.
(3) Ibid., p. 151.

المراحل الحاسمة في الاعباء النامية للاسرة خلال دورة حياتها

مراحل دورة حياة الاسرة	المكانات في الاسرة	المراحل الحاسمة في الاعباء النامية للاسرة خلال دورة حياتها
١ ـ زوجان	زوجة زوج	إتمام زواج يرضي الطرفين ـ الاستعداد للحمل والوالدية ـ التلاؤم مع شبكة العلاقات القرابية .
٢ ـ إنجاب الاطفال	زوجة ـ أم زوج ـ أب طفل ذكر أو أنثى أو كلاهما	يصبح لديهما أطفال ـ يحاولون التوافق معهم ـ ويعملون على تربيتهم إقامة منزل يوفي باحتياجات الوالدين والاطفال .
٣ ـ سن ما قبل المدرسة	زوجة ـ أم زوج ـ أب إبنة ـ أخت إبن ـ أخ	التوافق مع الاحتياجات الضرورية واهتمامات الأطفال قبل سن المدرسة . الفرص المؤاتية للتراقي في العمل .

تابع ما قبله

مراحل دورة حياة الأسرة	المكانات في الأسرة	المراحل الحاسمة في الاعباء النامية للاسرة خلال دورة حياتها
٤ ـ سن المدرسة	زوجة ـ أم زوج ـ أب إبنة ـ أخت إبن ـ أخ	التلاؤم مع مجتمع عائلات سن المدرسة بطرق بناءة . تشجيع تحصيل الابناء في التعليم.
٥ ـ سن المراهقة ف١٠	زوجة ـ أم زوج ـ أب ابنة ـ أخت ابن ـ أخ	حرية نسبية مع تضاعف المسؤولية نتيجة لنضج المراهقين وتحررهم . تكوين اهتمامات خارج نطاق الوالدية . التقدم والترقي في العمل .
٦ ـ النشاط الحر	زوجة ـ أم ـ جدة زوج ـ أب ـ جد ابنة ـ أخت ـ عمة إبن ـ أخ ـ خال	إطلاق حرية الشباب في الالتحاق بالعمل أو الخدمة العسكرية أو الجامعة أو الزواج الخ . . . مع توجيهات ومساعدات مناسبة .

٧ ـ زوجان في منتصف العمر	زوجة ـ أم ـ جدة زوج ـ أب ـ جد	إعادة بناء العلاقات الزواجية . الإبقاء على الروابط القرابية بين الاجيال القديسة والجديدة .
٨ ـ زوجان متقدمان في السن	أرملة ـ أرمل زوجة ـ أم ـ جدة زوج ـ أب ـ جد	المعيشة المنفردة . غلق بيت الاسرة . التوافق مع الإحالة للمعاش .

وبمراجعة الجدول السابق يتبين أن « إيفلين دوفال » قد حددت دورة حياة الأسرة في ثمانية مراحل :

١ ـ زوجان بلا أطفال .
٢ ـ أسرة في حالة انجاب (أكبر الأطفال عمره ثلاثين شهراً) .
٣ ـ أسرة لديها أطفال قبل سن المدرسة (عمر الأطفال من سنتين حتى ست سنوات) .
٤ ـ أسرة مع أطفال في سن المدرسة (من ٦ إلى ١٣ سنة) .
٥ ـ أسرة مع أبناء مراهقين (من سن ١٣ سنة حتى ٢٠ سنة) .
٦ ـ أسرة النشاط الحر (من أول إبن يغادر المنزل حتى آخر إبن يغادره) .
٧ ـ زوجان في منتصف العمر (مرحلة العش الخاوي إلى المعاش) .
٨ ـ زوجان متقدمان في السن (من سن الإحالة إلى المعاش حتى الموت لكليهما) .

لكن هذه المراحل التي قدمتها « دوفال » ليست نهائية ولا تصدق على جميع الحالات وإنما تصلح كمصنف للدراسة والتحليل . والحقيقة أن دورة حياة الأسرة متصلة وكل مرحلة منها ليس لها بداية ولا نهاية بصورة محددة قاطعة . وعموماً ، يؤكد معظم الكتاب في هذا المجال أن النظرية التنموية هي في ذاتها في حالة نمو ، وأنها ستتغير بمرور الوقت . كما أنها تشارك المدخل البنائي الوظيفي فكرته الأساسية في أن هناك متطلبات (أعمال) معينة توصف بأنها « جوهرية » لا بد أن تتوافر من أجل وجود الاسرة وبقائها وإستمرارها ، وأن التغير في أي جزء من أجزاء النسق يؤدي إلى تغير في أجزاء النسق الأخرى . وتتعلق النظرية التنموية كذلك مع مدخل التفاعل الرمزي في أهمية الأوضاع والادوار والعمليات التفاعلية . إلا أن الميزة الوحيدة التي تنفرد بها هذه النظرية هي محاولتها التمسك ببعد الزمن Time Dimension عن طريق إستخدامها مفهومات مثل : تسلسل الدور Role Sequence .

الاختيار الزواجى

لماذا يتزوج الناس ؟

لا يحدث الزواج بصورة طبيعية تلقائية ، كما أنه ليس نتاجاً لأنماط سلوكية ووراثية وهي التي تسمى أحياناً بالغرائز Instincts، بل إنه نظام Institution، أي أنه يشمل مجموعة متناسقة من العادات والتقاليد ، والإتجاهات والأفكار فضلاً عن التعريفات الاجتماعية والقانونية . وهكذا فإن الغريزة الجنسية ليست سوى واحدة من العوامل-الجوهرية التي تقوم عليها ، ومعنى ذلك أن الزواج يعني أكثر من الإستجابة النظامية لدوافع الجنس ، لأنه إذا كان الزواج والتزواج يعنيان شيئاً واحداً فإنه لا مجال لمعنى الشرعية ، فالناس يتزاوجون وهم أيضاً يتزوجون ، الا أنه في حالة الزواج تلعب الغريزة دوراً ثانوياً نسبياً . إذن إذا كان الناس لا يتزوجون بسبب الغرائز ، فلماذا يتزوجون ؟

يتزوج الناس لأسباب عديدة ، منها : تبادل الحب مع شخص آخر ، والبحث عن الأمن الاقتصادي والمنزل المستقل، وإنجاب الأطفال، وتحقيق الأمن العاطفي ، والإستجابة لرغبات الوالدين ، والهروب من الوحدة أو من منزل الوالدين أو من موقف غيرمرغوب فيه ، أو الحصول على المال والرفقة ،

أو الجاذبية الجنسية ، أو طلباً للحماية والشهرة ، أو الوصول إلى وضع اجتماعي معين ، أو الوفاء بالجميل أو الشفقة أو النكاية أو المغامرة ، واهتمامات أخرى عديدة لا نهاية لها .

وفي بعض الحالات عندما يفشل شخص ما في الحب ، أو يفسخ خطبته أو يعاني من تجربة مؤلمة مشابهة لذلك ، فإنه يحول عاطفته من الحب الأول إلى حب ثان ، ويشعر نحو هذا الثاني نفس شعوره نحو الأول حتى لو كان الثاني مختلفاً عنه تماماً ، وحتى لو كان لا يعرفه فترة كافية يبادله أثناءها الحب فهو في هذه الحالة يختار قبل أن يكون قد استعاد توازنه العاطفي ، ويمكن اعتبار مثل هذا الزواج رد فعل مباشر وتلقائي للتعثر أو الأزمة التي مر بها .

ويلاحظ أن بعض الزيجات تحدث نتيجة لضغوط مختلفة تبعاً للظروف ، إلا أن هذه الضغوط لم تعد بالصورة التي كانت عليها في الماضي ، فلم يعد مقبولاً الآن الضغط على الشباب لكي يتزوجوا . بالإضافة إلى أنه في بعض الحالات يتزوج الناس لأن معظم أصدقائهم تزوجوا ولا يرغبون في البقاء بمفردهم دون زواج .

وعموماً فإن الناس يتزوجون لأن الزواج هو النمط الإجتماعي الذي يجد قبولاً واسعاً ومشروعية لإقامة علاقة بين الجنسين فاقتصار ممارسة الجنس مع شخص واحد كنوع من العفة والنقاء ، والتعاون من أجل الإبقاء على الحياة ، والوالدية ، والحياة المنزلية والقيم المتشابهة ، كل هذا يجذب الأفراد نحو الزواج . ولهذا يبحث كل فرد عن الزواج الذي يلائمه ويرضيه . كما يفشل الكثيرون في الحصول على الزواج الذي يستطيعون الاستمرار في احتماله ، ولكن بين هذين الطرفين المتناقضين يوجد ملايين الأشخاص يحصلون على نمط من الزواج يعتبر بالنسبة لهم أفضل من أي بديل حتى وإن لم يصل إلى النموذج المثالي

ويرى بعض علماء الإجتماع[1] . أن العوامل العقلية المحددة لعملية « الإختيار الزواجي » Mate-Selection لم تحظ بالدراسة الكافية ، كما أن دراسة مدى التماثل والتجانس في الاختيار الزواجي من وجهة النظر السوسيولوجية لا تعني إلا بعرض المشكلة ، دون أن تضع لها الحلول ، أما التشابه أو الإنتماء فإنه يقوم على أساسين :

١ ـ إمكان اعتبار الإختيار الزواجي وظيفة للفرص Opportunities ومعنى ذلك إمكان تفسير التماثل بين الزوجين على أساس إقامتهما في مناطق محددة ، ويعزز ذلك أن الاختلافات في أنماط الانشطة بين الفئات الإجتماعية المختلفة يؤدي إلى تحديد نوعية ومدى اتصالات الفرد إلى حد كبير ، الأمر الذي تسنح معه الفرصة لمقابلة أفراد متشابهين في جوانب عديدة ، مما يزيد من احتمالات التقارب والألفة ، ويشكل ذلك ما يمكن أن يسمى بالتفسير التفاعلي .

٢ ـ إمكان اعتبار أنماط التشابه نتيجة لمفضلات شخصية نابعة من الشخص ذاته الذي يفضل الاتصال بأشخاص يتشابهون معه ، ويشكل ذلك ما يمكن أن يسمى بالتفسير المعياري . وقد حاول عالمان من علماء الاجتماع في دراسة حديثة نسبياً صياغة القضيتين السابقتين في نظرية معيارية تفاعلية واحدة ، تقوم على فرضين : الأول يرى أن الزواج معياري والثاني يرى أنه من خلال المجالات المعيارية للمرشحين أو المؤهلين للزواج ، فإن إمكانية الزواج تختلف بصورة مباشرة مع امكانية التفاعل[2] .

---

(1) Burgess E.W. and Locke, H.J. "The Family" American Book Co., 1953.
(2) Kats, A.M. and Hill, R. "Residential propinquity and Marital Selection: A Review of theory, method and Fact-Marriage and Family Living, Vol. 20. pp. 27-35.

وهناك صورة أخرى للتفسير المعياري يمكن أن توضع موضع الاعتبار إذا افترضنا وجود معيار أو قاعدة للتشابه أو التجانس تتحقق بدرجات متفاوتة عن طريق الاشخاص في المجتمع . فإذا أمكن التحقق من وجود هذا المعيار بالفعل ، جاز لنا أن نفترض وجود قاعدة عامة تؤدي إلى القول بأن « الشبيه يتزوج الشبيه » أو أنه يوجد نسق شامل من المعايير المقررة مثل « المسلم يتزوج المسلمة » و«الزنجي يتزوج الزنجية » و«الجامعي يتزوج الجامعية » وواضح أن هذه المعايير ترتكز أساساً على الجنس Race والعقيدة Religion والطبقة الاجتماعية Social Class الخ . أي أن القاعدة في الاختيار تؤكد الميل بصورة عامة إلى البحث عن الشخص القريب أو الشبيه .

الا أن الفرص والمعايير تختلف باختلاف قطاعات السكان ، ومثال ذلك أن أفراد الطبقة المتوسطة يتميزون بحلقة واسعة من الاتصالات بمقارنتهم بأفراد الطبقة العاملة . كما أن درجة « التجانس » تختلف في الطبقتين ، لأن تجارب الحياة المختلفة يمكن أن تؤدي إلى اختلاف درجات التجانس ، ولهذا يكون الشخص كثير التنقل والاتصالات قادراً على إنشاء علاقات متعددة أكثر من أمثاله في نفس الطبقة .

وعموماً فإن البيانات المتاحة لمعرفة عناصر التجانس تركز على درجة التشابه بين الزوجين ، لأنها تهتم بنتيجة الاختيار الزواجي وليس بالعملية ذاتها . وهناك مجموعة من المتغيرات التي يقوم عليها التجانس وهي الجنس والعقيدة والطبقة الإجتماعية ، والتجمعات المهنية الواسعة ، ومكان السكن والدخل ، والسن ، ومستوى أو درجة التعليم ، والذكاء . الخ ، ووظيفة هذه المتغيرات أن « ترشد » أو توجه كل فرد إلى « نوع » الناس الذين يستطيع التفاعل معهم . وينتج عن هذا أن الناس الذين نعمل أو نلعب معهم أو نرتبط بهم بصورة أو بأخرى يشبهوننا في كثير أو قليل تبعاً لهذه المجموعة من المتغيرات ، وكذلك تبعاً للاهتمامات الثقافية والقيم . وإذن طالما أن هذه

المتغيرات تحدد « مجال الارتباط » للأفراد والجماعات ، فمن المعتقد أنها تحدد أيضاً « مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه » والذي من خلاله نختار شركاء الحياة[1] .

السن عند الزواج

يبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثير أو قليل تبعاً لظروف الشخص المقبل على الزواج . وفي استطاعة الشخص أن يختار من يتزوجه سواء كان مماثلاً له في السن أو أكبر أو أصغر (في حدود الشرعية) وسن الزواج المسموح به قانوناً في المجتمع المصري هو ١٨ سنة للفتى و ١٦ سنة للفتاة . ولكن يلاحظ أنه كثيراً ما يحدث انتهاك لهذه القوانين وخاصة في المناطق الريفية ، حيث يتم زواج فتيان وفتيات دون سن الزواج بكثير عن طريق استخراج شهادة « تسنين » والإدعاء بفقد شهادة الميلاد الأصلية . إلا أنه نتيجة للتغيرات الإجتماعية والثقافية العالمية والمحلية ، ارتفع سن الزواج وخاصة في المناطق الحضرية . لأن أعداداً كبيرة من الشباب يلتحقون بالتعليم بمراحله المختلفة ، وتستغرق بعض أنواع التعليم سنوات عديدة ، لا بد أن تتلوها فترة من الاستقرار المادي والاستعداد للزواج مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يتراوح بين ٢٣ ـ ٢٨ سنة للفتيات ، و ٢٧ ـ ٣٤ سنة للشباب .

والوضع المألوف لسن الزواج هو أن يكون الشاب أكبر من الفتاة سناً ويرجع ذلك إلى أن نضج الذكر البيولوجي عادة ما يكون أبطأ من نضج الأنثى كما أن الزوج باعتباره رئيس الأسرة والمسؤول عنها يحتاج إلى وقت أطول ليصبح مؤهلاً لهذه الوظيفة ، هذا وتكون اختلافات السن في الزواج أقل في

(1) Winch. R.F., "Mate Selection" Harper and Row, 1958, p. 14.

الأعمار الصغيرة وتزيد كلما تقدم السن ، لأن الرجال يفضلون دائماً الزواج ممن تصغرهم سناً .

القــرب المكاني

تتضمن فكرة الاختيار في الزواج بالضرورة وكما تظهر في كتابات علم الاجتماع العائلي ، عامل القرب المكاني Propinquity Factor فقد تبين من الدراسات العديدة التي أجريت في هذا المجال أن الناس يتزوجون ممن يلتقون بهم وهؤلاءيعيشون عادة بجوارهم سواء في المسكن أو العمل ، وتبين أيضاً أنه للقرب المكاني أهمية وظيفية في لقاء وتعارف الشباب ، ومرجع ذلك إلى أن الحق في حرية الاختيار محدود بالاعتبارات الثقافية التي تحدد الاشخاص الذين من الممكن أن يكونوا الشركاء المرغوب فيهم وهذا نتيجة (على الاقل) لأن كل جماعة ثقافية تميل إلى العزلة أو الإنفصال عن غيرها سكنياً ، وتبدو هذه النتيجة بوضوح لو تتبعنا المناطق السكنية ومن يعيشون فيها في مجتمعنا ، فسوف نجد أن كل فئة طبقية تميل إلى السكنى في منطقة منعزلة خاصة بها ، ولكن نظرة أعمق تكشف أنه إلى جانب هذه العوامل الثقافية هناك عوامل أخرى تسهم في العزلة النسبية لهذه المناطق وهي بالأخص عوامل اقتصادية واجتماعية .

المكانــة الاجتماعيــة

يعتبر الزواج من « داخل المكانة الاجتماعية المماثلة » معياراً اجتماعياً مفضلاً وخاصة من وجهة نظر الاباء ذوي المكانة العالية عندما يشرعون في تزويج أبنائهم . وسواء تم الاختيار في الزواج عن طريق الاشخاص أنفسهم أو عن طريق آبائهم أو آخرين ، فإن كونه من داخل المكانة الإجتماعية يعتبر شرطاً

أساسياً للمحافظة على نسب العائلة ومكانتها أما الأفراد الذين ينتمون إلى مكانات منخفضة فإنهم يكسبون كثيراً عندما يتزوجون من أشخاص ينتمون إلى مستويات طبقية أعلى من مستوياتهم . وبصرف النتظر عما يفضله الأفراد أو يرغبون فيه ، فإن معظم الزيجات تكون من داخل نفس المكانة .

وقد تبين من دراسة حديثة أجريت في جامعة ميتشجان الامريكية أن معايير الإندوجامية (الزواج من داخل الطبقة) تظهر بوضوح بين طلبة الجامعة[1]، وعند إجراء مقابلات شخصية مع الطلبة والطالبات المتزوجين الذين يعيشون في بيوت الطلبة تبين أن الرجال الذين ينتمون إلى عائلات عالية المكانة وآباؤهم من الأغنياء يفضلون الزواج من فتيات آباؤهن من نفس المستوى المهني والطبقي والاقتصادي . ونفس الشيء يحدث بالنسبة للجماعات المتوسطة والموظفين والطبقات الفقيرة والمهن الزراعية . ولكن عندما يحاول الأفراد الزواج من طبقة اجتماعية أعلى فإن هذا يعتبر دليلاً على وجود نمط آخر يسمى Intra Class (التداخل الطبقي) يحاول الأفراد من خلاله الحصول على أفضل صفقة ممكنة بالنسبة لأنفسهم ولابنائهم سواء على المستوى المادي أو الاجتماعي .

الزواج المرتب في مقابل الزواج الحر

تختلف العمليات التي يجري وفقاً لها الاختيار الزواجي من مجتمع لآخر فتتدرج وفقاً « للنموذج المثالي » من الزيجات المرتبة وصولاً إلى الاختيار الحر .

---

(1) Ross Eshleman and Chester L. Hunt, "Social, Class Factors in the College Adjustment of Married Students". Kalamazoo, Western Michigan University. 1965, p. 32.

وعندما يكون الزواج مرتباً ، فإن الاختيار يكون عادة من اختصاص الوالدين أو الأقارب ، ولا تعطى للعروسين فرصة للتدخل في الموضوع أما الاختيار الحر فبالرغم من وجوده فهو نادر وخاصة في المجتمعات الشرقية وبين هذين الطرفين المتناقضين توجد تركيبات عديدة لإمكانيات الاختيار « المرتب الحر » Arranged Free Choice فمن الممكن أن يرتب الوالدين للزواج وفي نفس الوقت يعطيان إبنهما أو إبنتهما حق الاعتراض . كما أنه من الممكن ان يقوم الشاب او الفتاة بالاختيار الحر ويمنحان والديهما حق الاعتراض . كما أنه من الممكن أن يختار الشاب عروسه على أن يشترك والده في الرأي والاختيار.

ولكن عندما يكون الاختيار الزواجي مرتباً ، يصبح الزواج بالإضافة إلى كونه تأسيساً لأسرة جديدة ، وسيلة لاستمرارية وثبات الأسرة القائمة . ولذلك يجب أن يكون الشريك الذي وقع عليه الاختيار له نفس مميزات الجماعة . فالمكانات الإقتصادية والاجتماعية والدينية يجب أن تكون متشابهة بالإضافة إلى ارتكاز الزواج المرتب على الحب والرغبة في انجاب الاطفال والرغبة الجنسية فإنه يشتمل على عوامل أخرى مثل : مقدار مهر العروس، وسمعة جماعة العريس القرابية الخ . . . وقد قدم جون بيتر John Peter مثالاً متطرفاً للزواج المرتب بين والدي العريس والعروس لا زال يحدث حتى الآن في شمال البرازيل « فالانثى ليس لها حق اختيار زوجها ، وأي فرد ينتمي لها بصلة القرابة يمكن أن يتزوجها إذا حصل على موافقة أسرتها ، ويتم الاختيار عادة عندما يكون عمر الأنثى ثلاث سنوات والذكر من ١٤ ـ ٢٠ سنة ، وقد يتم الاختيار عن طريق أم الذكر ، إلا أنه في معظم الاحيان يتم عن طريق الذكر نفسه . وفي بعض الحالات يسأل الرجل المرأة الحامل أن تزوجه الطفل الذي لم يولد بعد إذا كان بنتاً[١] .

---

(1) John Fred Peters "Mate Selection along the Shirishana" Practical Anthropology, 18 (January-February, 1971) pp. 20-21.

وعموماً فإن الإختيار الحر « تماماً » لا يوجد في أي مكان في العالم ، لأن هذا يعني « الزواج » من شخص بغض النظر عن رغبات أي فرد آخر ، وخاصة رغبة الوالدين أو الجماعة القرابية . ومع ذلك فإن الاختيار الحر يتضمن أيضاً إعتبارات معينة لا يكون لها أية أهمية في الزواج مثل : المال ، والقوة ، والمكانة الإجتماعية والمهنية ، والتعليم ، والسن ، والروابط الاسرية الخ . . . لأنه لا يخضع في واقع الأمر إلا للاحتياجات والقيم الشخصية .

عمليات الإختيار الزواجي

عملية الإختيار الزواجي هي الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من « أعزب » إلى « متزوج » ، وهناك بعض الإجراءات المتفق عليها في جميع المجتمعات لا بد من اتباعها لإتمام الزواج . إلا أن هذه الإجراءات تختلف من مجتمع إلى آخر . ففي بعض المجتمعات يسمح للأفراد المقبلين على الزواج أن يسهما في عملية الاختيار وفي هذه الحالة توجد درجة من الاختيار الشخصي بين طرفي الزواج . أما في حالة الزواج المرتب فإن العملية تحدث بين أعضاء الجماعة القرابية بوجه عام . وفي بعض الظروف لا يلقى العريس عروسه قبل يوم الزفاف ، إلا أن هذا الوضع أصبح نادراً في الوقت الحالي ، إذ أنه من النادر أن تحدث عمليات الاختيار الزواجي مستقلة عن النظم الأخرى مثل المدارس ، وجهات العمل والجيران .

هذا وتختلف عمليات الإختيار الزواجي في المجتمع المصري تبعاً للطبقة الإجتماعية التي ينتمي إليها الشباب المقبل على الزواج . كما أن درجة الحرية تتفاوت من طبقة لأخرى . فالأفراد في الفئات العليا يؤمنون بضرورة تبادل الحب أو التعارف على الأقل قبل الزواج ، وقد ظهر هذا الاتجاه نتيجة للتغيرات الاجتماعية التي تعرض لها المجتمع . ذلك لأن إتاحة الفرصة أمام الفتيات لتلقي العلم ووجودهن إلى جانب الشباب في ميادين التعليم والعمل

خلق ظروفاً متعددة للتفاهم والحب قبل الزواج ، ومع ذلك يميل معظم أفراد الطبقة العليا إلى أخذ رأي والديهم عند الزواج واضعين في أذهانهم إعتبارات كثيرة مثل إسم الأسرة والأصل العريق والمستوى الإقتصادي المرتفع الذي يسهم الأباء في الوصول إليه . ويلاحظ أن أفراد هذه الطبقة يعتبرون أنفسهم من « طبقة الصفوة » أما أفراد الطبقة المتوسطة فهم يميلون إلى المحافظة والتطلع في نفس الوقت ، إلا أنهم يتزوجون أكثر من غيرهم بفتيات ينشئن معهن علاقات زمالة أو عمل وهم في العادة متواضعون في مطالبهم ، ولكن يلاحظ أن مفهوم الإختيار الزواجي الحر يعني عند الطبقات الدنيا عدم وجود عنصر القسر أو الإكراه على الزواج . وهنا يجب أن نقرر أنه لا زالت توجد رواسب عديدة ثقافية واجتماعية متخلفة من الأسرة الممتدة التقليدية تحكم عملية الإختيار وأسلوب إتمام الزواج والعلاقات التي تقوم قبله ، على الرغم من أن هناك اتجاهاً يؤيد إعطاء حرية أكبر نسبياً للقاء الخطيبين وقد دلت أبحاث كثيرة أنه ما زالت نسبة كبيرة من الزيجات تتم عن طريق الوالدين والأقارب وخاصة بين الفئات الفقيرة ، كما أن الكثيرين يرفضون الاعتراف بأن زواجهم كان عن طريق الحب لأن تقاليد المجتمع المصري والأسرة المصرية بوجه عام وحتى اليوم لا يشجع ارتباط الفتى والفتاة عن طريق الحب الرومانتيكي .

وعموماً فما زال الشاب أو الشابة المصريان لا يقدمان على الزواج إلا بعد موافقة والديهما الصريحة ، وفي كثير من الأحيان يضحون بحبهما أو اختيازهما إرضاء لوالديهما وحتى لا يخرجا على طاعتهما ، وبالرغم من أن الزوجين لا يقيمان بعد الزواج مع أسرتيهما إلا أن طاعتهما والأخذ برأيهما وخاصة قبل إتمام الزواج يعتبر من المسائل الحيوية ، وهذه السمات المميزة للاسرة المصرية التي لا زالت تحكمها تقاليد ثقافية مختلفة عن تلك الموجودة في المجتمعات الغربية . وجدير بالذكر أن الأسرة المصرية تنظر إلى التربية

المتشابهة والوسط الإجتماعي المتماثل على أنهما من الأسس الهامة التي يقوم عليها الإختيار في الزواج . ولا تختلف الأسرة المصرية في هذا الأمر عن الأسر الأخرى في مجتمعات عديدة ، فالفرد حينما يقدم على الزواج فإنه لا يذهب بعيداً بل يبحث حوله في أقاربه أو جيرانه أو زملائه في الدراسة أو العمل ، لأن الناس عادة لا يقعون إلا في حب من يقابلونهم .

ويلاحظ أن أهداف الفتى من الزواج تختلف عن أهداف الفتاة . فالفتى يريد إشباع رغباته الجنسية ويرغب في الإستقرار ، أما الفتاة فهي تسعى إلى الحب وإلى إشباع غريزة الأمومة فيها . وتخضع عملية الاختيار الزواجي لنوع من « اللعبة » تدور بين الذكر والأنثى ، لها قواعد وأهداف واستراتيجية ، واستراتيجية مضادة . وتبدأ اللعبة عادة في سن مبكرة (سن المدرسة الاعدادية) وعند النضج يبدأ الأباء وجماعة النظراء في الضغط لتشجيع الشباب على الزواج . وأهداف اللعبة عديدة ومتنوعة فقد تكون الاستمتاع ، وتبادل العواطف أو التمرين على اللعب بصورة أفضل ، أو الحصول على شريك للحياة . وهناك مستويات للعبة تخضع لنوع اللاعب ، فالأناث لهن قواعد وأهداف مختلفة عن الذكور . فيتجه الذكر باللعبة عادة إلى ناحية جنسية ، وقد ينجح أو يفشل تبعاً لعوامل عديدة اجتماعية وشخصية ، أما الأنثى فهدفها الأساسي من اللعبة هو تحويل هذه العلاقة إلى وعد بالزواج .

التواعد أو التلاقي

كانت العلاقة بين الفتى والفتاة في الماضي مقيدة إلى حد بعيد ، حيث كانت العلاقات الاجتماعية بين الجنسين بوجه عام محددة ، وكان هذا التحديد يرجع إلى أسباب عديدة منها :

١ ـ أن أدوار الجنس كانت متمايزة بوضوح عما هي عليه الآن فالرجل الشاب

يعد لدوره المهني المستقبلي عن طريق والده أو الذكور البالغين الآخرين في الاسرة ، كما كانت الفتاة الشابة تعد لدورها كزوجة وأم مدبرة منزل عن طريق والدتها أو النساء البالغات الأخريات في الأسرة .

٢ ـ إنّ وقت الفراغ كان أقل بكثير مما هو عليه الآن ، وإذا وجد فإنه يقضي مع جماعة من نفس النوع أو مع الاسرة .

٣ ـ إن إختيار شريك الحياة كان لا يتم من خلال التفاعل العاطفي بين فردين ولكنه غالباً ما يكون مدبراً عن طريق الوالدين أو أفراد متقدمين في السن في المجتمع .

هذا وقد كان ينظر إلى احتياجات ورغبات الفرد في معظم مجتمعات العالم تقريباً كجزء من احتياجات الأسرة الكلية ورغباتها ، ولما كان للآباء دور كبير وهام في عملية الإختيار الزواجي ، فإن « لقاءات » الشاب والفتاة قبل الزواج أو الخطبة « على الأقل » لا توضع في الاعتبار . أما اليوم فإن احتياجات الفرد وأعبائه تعتبر موضوعاً قائماً بذاته وله أهميته القصوى عنده ، مما يجعله يسعى إلى تحقيقها أولاً بغض النظر عن احتياجات الأسرة ككل ويظهر هذا الإتجاه بشكل واضح في نمط الأسرة الحضرية ، حيث يتجه الفرد إلى الإختيار الزواجي الذي يتفق مع احتياجاته النفسية الخاصة ، وحيث يسود الآن اعتقاد شديد بأن هذا يؤدي إلى سعادة شخصية عظيمة . ولهذا أصبح هناك التأكيد على العوامل العاطفية أكثر من العوامل العملية التي ترجع إلى الاحتياجات الواسعة للاسرة .

إلا أنه من الجدير بالإشارة إليه هنا أن التحول من الضبط الأبوي أو الرقابة الأبوية Parental Control إلى حرية الفرد في الاختيار لم تقض تماماً على سلطة الوالدين ، حيث ما زال الوالدان وبدرجات متفاوتة يمارسون التأثير على أبنائهم كما سبق أن أشرنا وخاصة في المجتمعات الشرقية والنامية ولكن نظراً لتضاؤ ل الرقابة الأبوية في العصر الحديث في عملية الاختيار الزواجي

بوجه عام ، فإن مقدار الوقت الذي ينفق في العلاقات الاجتماعية التي تسبق الزواج يتزايد باستمرار ، وهكذا أصبح التواعد (أي اللقاء) بين الفتى والفتاة علاقة غير مباشرة للاختيار الزواجي المستقبلي ، إلا أنه عادة يحاط بالسرية حيث يسود اعتقاد بأن الاختيار الزواجي هو قرار خاص Private decision . وقد تأثرت فكرة السرية في مثل هذه العلاقة الثنائية إلى حد كبير بسبب تزايد الاعتماد على (خارج المنزل) لإشباع الاحتياجات الترفيهية ، فالترفيه كان محضوراً في الماضي داخل نطاق الوحدة الأسرية ولكنه الآن ونظراً لتطور وسائل الترفيه التجارية فقد أصبح الوقت الذي يقضيه الشباب في المنزل قليلاً للغاية .

وهناك عامل آخر ارتبط بالتحرر النسبي من الوالدين ، وهو الحرية التي حصلت عليها المرأة في العصر الحديث ، فالتواعد ما كان ليتم بصورته الحالية إذا كانت الحرية من حق الذكر فقط لكن حصول المرأة على حق العمل في المهن المختلفة ، وفي استكمال تعليمها ، وفي مساواتها القانونية بالرجل ، والسماح لها بحرية أكبر في علاقاتها الاجتماعية جعلها تطالب في كثير من المجتمعات الآن بحرية أكبر في إنشاء العلاقات التي تسبق الزواج وجدير بالذكر هنا أن المجتمعات الأوروبية والأمريكية لا ينكر على المرأة نفس الحقوق التي للذكر في الحب والعلاقات الجنسية التي تسبق الزواج بعكس الحال في المجتمعات الشرقية التي تغض الطرف عن علاقات الرجل الجنسية قبل الزواج بينما ترفض بشكل قاطع أي نوع من تلك العلاقات بالنسبة للمرأة(١) .

وعموماً فالتواعد أو ضرب المواعيد للقاء يعتبر عادة غربية أساساً .

---

(1) Robert Bell, "Marriage and Family Interaction" the Dorsey press, Homewood, Illinois, 1975. pp. 76-78.

ولكنها بدأت تظهر حالياً في المجتمعات الشرقية نتيجة للإتصال الثقافي بين المجتمعات المختلفة عن طريق وسائل الإعلام والسينما وسفر الشباب للخارج والتعليم وخروج المرأة للعمل الخ . . . ويعتبر الموعد أو التلاقي Date غاية في حد ذاته ، وينظر إليه كنوع من الترفيه وقد يتوقف تكراره بعد فترة قصيرة من الوقت ، وقد ينتهي عند المقابلة الأولى ، ولكن في حالة تكراره فإنه يتحول إلى علاقة من نوع جديد ويحقق التلاقي أهدافاً عديدة مثل :

١ ـ تحقيق شكل من أشكال الترفيه ، وقضاء وقت الفراغ ، في الوقت الذي يمكن أن يكون مصدراً للمتعة الفورية .

٢ ـ تحقيق شكل من أشكال التنشئة الاجتماعية ، حين يهيء الفرصة للأفراد من الجنسين ليعرف كل منهما الآخر ، ويتعلم كيف يتوافق معه ، وينمي الوسائل المناسبة للتفاعل مع الطرف المقابل .

٣ ـ قد يصبح التلاقي في ظروف متعددة وسيلة مناسبة لتدرج المكانة أو ارتفاع المركز الاجتماعي ، فمن طريق لقاء ورؤية أشخاص ينتمون إلى مكانة اجتماعية مرتفعة ، يمكن للفرد الذي ينتمي إلى طبقة أقل أن ترتفع مكانته وهيبته داخل جماعته .

٤ ـ يهيء التلاقي فرصة طيبة لتبادل مشاعر المودة والألفة (العواطف) حين يتيح للأفراد غير المتزوجين الظروف التي يرتبط خلالها كل منهم بالآخر بهدف اختيار شريك يمكن الارتباط به عن طريق الزواج[١] .

إلا أن الأسباب الأولية للتواعد والوظائف التي يحققها التلاقي تؤثر في

---

(1) James K. Skipper and Gilbert Nass, "Dating Behavior: or A Frame work for Analysis and an Illustration" Journal of Marriage and Family, 28 (November 1966) pp. 412-413.

دوره . فالأشخاص الذين يلتقون من أجل الترفيه وقضاء الوقت يختلفون عن هؤلاء الذين يلتقون بقصد التنشئة الاجتماعية ، أو الاختيار الزواجي ، أو تحسين المركز . إلا أن هذا التصنيف الذي ذكرناه لوظائف التلاقي وأهدافه قد تكون مجردة إلى حد كبير ، لأن التلاقي من ناحية أخرى له آثاره السلبية وخاصة في ظل ظروف مجتمعية غير مؤيدة أو غير ملائمة أو إذا استخدمه أحد الطرفين للتدمير الذاتي أو التشهير . ولهذا من المهم أن ندرس التلاقي في إطار موقف الرأي العام أو مدى مرونة الجزاءات الاجتماعية .

ويرى وينش Winch[1] أن « التواعد » ، يمثل من وجهة نظر معينة مرحلة « استعراض الواجهة » Window Shopping وهي مرحلة لا تتضمن أي وعد بشراء « البضاعة المعروضة » ولا يحقق اللقاء العشوائي إلا نمطاً عبثياً Dalliance للعلاقة بين الجنسين . ولهذا تكون العلاقة نوعاً من الترفيه ومجردة من أي وعد مستقبلي ، أو التزام من جانب تجاه الآخر . فاللقاء في هذه الحالة يكون غاية في حد ذاته .

أما التواعد كشكل من أشكال التنشئة الإجتماعية فهو ينحو للتأثير في طبيعة من نكون ، وماذا يحب فينا الجنس الآخر وهو يصلح كمجال اختياري ومصدر للإشباع الذاتي . وهو يعطي إجابات لعديد من التساؤلات مثل : هل أنا لطيف ومحبوب ؟ وهي من الممكن التحدث معي ؟ وهل أنا مرغوب ؟ أم أنا عنيف وسخيف ؟ أو أنني أشبه الآخرين ؟ وإذن فالتواعد من حيث هو وسيلة للتنشئة الإجتماعية يهيء الفرصة لمواجهة الذات في علاقتها بالآخرين .

هذا ويعمل « التواعد » باعتباره شكلاً من أشكال اكتساب المكانة على تهيئة الفرصة للبعض بأن يشاهد علنا مع الفتى أو الفتاة المناسبة وأن يلقى

---

(1) Robert F. Winch, The Modern Family, N.Y. Holt, Rinehart and Winston, Inc. 1971. p. 530.

اعتراف الآخرين بهذه العلاقة ، والتواعد الناجم في هذه الحالة يتضمن موافقة جماعة النظراء ، وهم في العادة أعضاء الفرق الرياضية أو الاشخاص الذين ينتمون إلى مستويات عليا ، والذين يتميزون في العادة بارتداء الملابس الفخمة ويقودون السيارات الفارهة الخ . . .

وتسنح الفرصة عن طريق « التواعد » كشكل للاختيار الزواجي للأفراد غير المتزوجين كي يتصل أحدهم بالآخر بقصد اختيار الشريك ، ومعظم حالات الإختيار الزواجي في المجتمعات الغربية يكون نتيجة للمواقف التواعدية[1] . ويرى سكيبر Skipper وناس Nass أن الأفراد الذين يتواعدون تكون لديهم رغبة قوية في استمرار علاقتهما إذا ظل شعورهما العاطفي متبادلاً وعميقاً . أما إذا كانت العاطفة مرتفعة في جانب ومنخفضة في الآخر فإن هذا يؤدي إلى فشل العلاقة ، ونشوء الصراع .

وعموماً فإن الزواج في الوقت الحالي لا يحدث دون أن تسبقة فترة من التعارف تتيح لكل من الفتى والفتاة التعرف على الشخص الذي سوف يصبح شريك المستقبل ، وإن اختلف أسلوب هذا التعارف تبعاً للطبقة الإجتماعية التي ينتميان إليها .

وهناك رأي يفصل بين التواعد أو التلاقي وبين الإعداد للزواج ذلك أن التواعد يعتبر غاية في حد ذاته ، حيث يستعد له كل فرد بأحسن ما يستطيع من مظهر وسلوك يعرضه أمام الآخر ، إلا أن معظم هذه الوعود (رغم حسن النية) لا تتحقق في الواقع ، كما أن معظم التوقعات والآمال التي يبنيها الشابان لا يمكن إنجازها ، والزواج في هذه الحالة يشبه الخذلان let down ،

---

(1) James Skipper and Gilbert Nass, "Dating Behavior, A Frame work for Analysis and an Illustration," Journal of: Marriage and the Family, 28 (November, 1966), p. 413.

ولا يرجع ذلك إلى أن الزواج أقل أهمية وجذباً للاهتمام من التواعد ولكن في الزواج يواجه الزوجان الواقع والحقيقة ، أما في التواعد فكثيراً ما تختلط الحقيقة بالخيال ، وربما كان هذا هو سبب ما نلاحظه من تغير الناس (وغالباً إلى الأسوأ) بعد زواجهم . فقبل الزواج يبدو الشابان في مظهر زائف ، ويرى كل منهما الآخر من وجهة نظر متحيزة ولكن بعد الزفاف يعود كل منهما إلى صورته الحقيقية مما يشكل صدمة لكل منهما .

وقد قيل وكتب الكثير عن الفشل في الزواج ، لكن ما يكتب عن الفشل في التواعد فإنه محدود للغاية على الرغم من أن فشل الزواج يترتب في الحقيقة على فشل التواعد أولاً Dating Failure ، وهذا يتضمن الفشل في قضاء وقت كاف للإلمام بصفات وإمكانيات الشخص الآخر والإطلاع على شؤونه الخاصة ، أو الفشل في إتخاذ قرارات ذكية ، وكذلك الفشل في ربط القيم بالسلوك ، ومع أن كل هذا قد يظهر بصورة ما قبل الزواج ، إلا أن نتائجه لا تظهر بصورة واضحة إلا بعد الزواج[1] .

أ ـ خواص الموعد

إن الخواص المطلوبة في الزوج أو الزوجة وتلك المطلوبة في الشخصين اللذين يتلاقيان في موعد ليست متماثلة بالضرورة . ففي التواعد :اعب بعض الخصائص السطحية دوراً بارزاً ، ومثال ذلك ، أن يبدو الفرد ـيماً وسخياً بغض النظر عن طموحه في العمل وعن إمكانياته المادية الحقيقية ، وكذلك يكون من الضروري أن تبدو المرأة جميلة جذابة بغض النظر عن إمكانياتها كربة منزل . وفي بحث أجري على مجموعة من الطلاب ، طلب منهم فيه أن يضعوا قائمة بالخصائص التي يفضلونها في التواعد ، وقائمة بالخصائص التي يفضلونها في الزوج أو الزوجة ، فجاء على

(1) Bowman: op. cit. p. 119.

رأس القائمة الأولى صفات معينة مثل : المقدرة على إدارة الحديث ، حسن السلوك ، الشخصية السارة الممتعة . أما القائمة الثانية فجاء على رأسها صفات أخرى مختلفة تماماً مثل : الرفقة ، المقدرة على التعاون ، التفاهم ، الحب والتعاطف ، الطموح ، والذكاء الخ . . .[1] .

ب ـ طول فترة التعارف

كثيراً ما يتساءل الناس عن الفترة المناسبة التي يستغرقها شخصان ليعرف كل منهما الآخر قبل أن يتزوجا ، وقد تبين أن هناك علاقة بين طول مدة التعارف وبين النجاح في الزواج ، حيث أن طول فترة التعارف أو التلاقي بين الشابين المقبلين على الزواج تؤدي إلى التوافق الزواجي .

وقد تبين أيضاً أنه عندما يتزوج شخصان بعد فترة قصيرة من التعارف ، فإنهما يعرفان أشياء عن بعضهما بعد الزواج كان من الأفضل لو عرفاها قبله . حيث أن معرفة هذه الأشياء في ظروف جديدة مختلفة قد تحول دون حرية الاختيار . وهنا تظهر بوادر ضغوط كبيرة سواء نحو الموافقة أو الصراع ، وهذا يعتمد على مدى إمكانية تعديل توقعات كل منهما تجاه الآخر . وتعتبر عدم القدرة على تعديل التوقعات وتقبل الشخص الآخر كما هو وليس كما كان يتوقع ، من العوامل الهامة المؤدية إلى الفشل الزواجي . ويقول آخر ، إن زواج رجل وإمرأة قبل أن يعرف كل منهما الآخر بصورة مناسبة يكفي لأن يرفضان بعضهما كشركاء في الزواج[2] .

جـ ـ اختيار شريك الزواج

يمكن النظر إلى طريقة الاختيار على أنها « نصف المعركة » فاختيار

---

(1) Bowman, Ibid. p. 120.
(2) Ibid., p. 121.

الفرد هو الذي يحدد نوعية حياته ، وهكذا فمن الأسهل والأنفع أن نختار جيداً بدلاً من أن نحاول تغيير الشخصية بعد الزواج ، وهذا لا يعني أن شخصية الزوجين لا تتغير على الإطلاق بعد الزواج ، فالتغير يمكن حدوثه من خلال التجربة والمجهود الذاتي أو بتأثير شريك الزواج ، ولكن هذا التغير لا يحدث إلا من خلال سمات وملامح الشخصية الموجودة أصلاً قبل الزواج .

إن سمات الشخصية تظهر من خلال أنماط أو مظاهر السلوك ، ولا يمكن اعتبار تغير هذه السمات على أنه عملية تشبه عملية تغيير الملابس ، فنحن هنا أمام عملية تغيير للسلوك ، وهذه تستلزم تنمية أنماط جديدة للعادات المألوفة لدى الفرد ، وعموماً ، فإنه من المعروف أن الناس لا يحبون أن يفرض عليهم تغيير سمة من سماتهم المستقرة[١] . ذلك لأن أي سمة في شخص معين تتناسب مع بقية سماته الأخرى ، في الوقت الذي تتناسب فيه أيضاً مع اتجاهاته ، هذا على الرغم من أن السمات ليس لها نمط يتصف بالدوام ، فالفرد قد يظهر سمة معينة تحت ظروف خاصة بينما لا تظهر نفس السمة في ظروف أخرى . ومثال ذلك ، أن الفرد يضبط مزاجه أو انفعاله في المنزل بينما لا يستطيع ذلك في مباراة لكرة القدم .

د ـ خواص شريك الزواج

إنه لمن المثير للاهتمام أن نحاول استعراض جميع الخواص المطلوبة أو المفضلة في شريك الزواج إلا أنه من غير المفيد أن نتكلم عن أية خواص معينة قبل أن نجيب على هذا السؤال « زوج أو زوجة من ؟ » فالخواص المرغوبة أو المطلوبة متغيرة على الدوام وتعتمد على شخصية وتوقعات الفرد الذي يتخذ القرار . ومعنى ذلك أن الخصائص أو الصفات نسبية وتختلف

---

(1) Ibid., 123.

باختلاف اتجاهات من يضع القائمة .

وقد قام أحد الدارسين بدراسة عن اتجاهات مجموعة من الأزواج والزوجات نحو أنماط السلوك التي يشعرون أنها تسهم في نجاح أو فشل زيجاتهم . وقد ظهرت إجابات عديدة ومتنوعة، ، ففي قائمة الازواج نجد إجابات مثل « أنها تعد الطعام في موعده دائماً ، وأنها تجيد حياكة الملابس ، وأنها تعد لي دائماً ملابس نظيفة ، أنها تغسل لي ظهري . أما إجابات الزوجات فكانت أيضاً متنوعة وطريفة مثل « إنه يساعدني في غسل الأطباق ، أنه يحب الطبيعة ، أنه لا يحكي نكتا قديمة وهكذا ... » ومن استعراض هذه الإجابات يتبين لنا مدى الإختلاف في أوجه التفضيل التي تختلف من شخص لآخر .

إن الإختيار المناسب قد يكون نصف المعركة كما سبق أن قلنا ولكنه مجرد « نصف » أي أنه بداية التوافق الزواجي وليس نهايته ، فالموقف هنا لا يشبه ما يحدث عند اختيار مهنة مثلاً فالظروف هنا مختلفة تماماً من حيث التكيف والإعداد .

إن الإختيار لا يتضمن فقط شخصية الفرد الآخر ولكنه يتضمن أيضاً أشياء أخرى مرتبطة به ، مثل الظروف التي سيعيش في ظلها الزوجان ، ومتطلبات مهنتهما ومكان السكن ، ونمط أقاربهما . وهذه الأشياء ترتبط أكثر باختيار الزوجة لزوجها أكثر مما ترتبط باختيار الزوج لزوجته ، لأنه من المحتمل وفي معظم الحالات ، حتى في الوقت الحالي حيث التغير الإجتماعي السريع ، أن نجد أن طبيعة مهنة الزوج هي التي تؤثر إلى أبعد مدى في حياة أسرته ، كما أنها لا تؤثر إلى حد كبير في تحديد دور الزوجة ، ونوع الصلاحيات الشخصية التي تحتاجها لتنجز هذا الدور بنجاح . وهذا

بالإضافة إلى أن مهنة الزوج تحدد إلى حد كبير مكان إقامة الأسرة وكذلك مكانة الزوجين في المجتمع المحلي[1].

الحـــب

إذا سألنا جماعة من الأفراد المتزوجين عن الأسباب التي دفعتهم للزواج ، فمن غير المحتمل أن يعددوا القيم التي أشرنا إليها من قبل ، ومن المحتمل أن يقول غالبية هؤلاء « تزوجنا لأن كلا منا أحب الآخر » إنهم إذن تزوجوا بسبب « الحب » . وليس هناك شك في أنهم صادقون ولو بصورة جزئية ، فقد يكون زواجهم قد تم لأنهم خبروا شعوراً معيناً فسروه على أنه حب . إلا أننا لا نستطيع أن نحدد بدقة ماهية هذا الشعور . لأننا نستخدم مصطلح « الحب » بمعان عديدة مختلفة . فنقول مثلاً : « أنا أحب والدي » أو « أنا أحب خطيبتي » أو « أنا أحب الله » أو « أنا أحب وطني » أو « أنا أحب الملابس الجميلة » أو « أنا أحب الصيد » ولكن من الواضح أننا لا نستطيع أن نحب أمنا بنفس الطريقة التي نحب بها الصيد ، كما أنه ليست لنا نفس التجربة العاطفية مع الوطن مثل تلك التي نمارسها مع الخطيبة . وهكذا . . .

ونتيجة لهذه الوجوه العديدة للحب لا بد أن نصفه بأن نضيف اليه بعض الصفات مثل : « بنوي ، أبوي ، زواجي ، رومانتيكي » . إلا أن هذا لا يفسر ماذا نعني بقولنا أننا تزوجنا بسبب الحب أو أننا « وقعنا في الحب » وأكثر من ذلك ، فالحب يعني أشياء مختلفة تبعاً لإختلاف الأشخاص ، وهذا يعتمد على خلفيتهم Back ground الثقافية وتجربتهم في الوقت الذي تتعدد فيه معانيه باختلاف فترات العمر .

---

1) Ibid., pp. 123-126.

وعموماً ، فالذي يميز الحب الذي « نقع » Fall فيه عن الانماط الأخرى للحب هو عنصر الجنس ، إلا أن الجنس لا يقوم بصورة كلية على أساس فسيولوجي ، فهو أكثر من ذلك ، لإنه يتشعب خلال حياة الفرد كلها ، ولكن في الحب الرومانتيكي ، وهو الحب الذي « نقع فيه » ، ويؤدي إلى الزواج ، فهناك تركيز للاهتمام على الشخص الآخر كمحور للدوافع البيولوجية ، وكوسيلة للراحة من التوتر البيولوجي .

تصورات خاطئة متعلقة بالحب

هناك كثير من الأفكار الخاطئة المتعلقة بالحب تشكل جزءاً من أفكارنا عنه ، وهي تزيد من ارتباك واضطراب الفرد الذي يحاول أن يحدد إذا كان ما يخبره هو حب حقيقي أم هو تجربة زائفة ، وسوف نحاول فيما يلي أن نستعرض بعض هذه الأفكار الخاطئة .

١ ـ أول هذه الأخطاء عندما نقول « لقد وقعنا في الحب » ذلك أنه من الصعب أن نعرف بدقة الدلالة التي تتضمنها كلمة « الوقوع » هذه . فالوقوع كلمة لها معان عديدة . فنحن نقول مثلاً : احترس حتى لا تقع على السلم ، وقد يحمل الوقوع معنى السقوط أو الهبوط : فنقول : هبط الليل ، أو هبطت درجة الحرارة ، أو سقط اللص صريعاً ، أو هبطت ثروة مفاجئة على شخص ما وهكذا . إلا أن الوقوع في الحب يختلف عن ذلك ، فهو شيء لا يكون بمقدور الفرد أن يتحكم فيه ولذلك فإنه غير مسؤول عن نتائجه . ولكن من الخطأ أن نربط بين « الوقوع في الحب » و « الوقوع في فخ » .

٢ ـ أننا عادة نفترض أننا نقع في الحب بقلوبنا فقط ولكن هذا غير حقيقي فنحن نقع في الحب فعلاً بقلوبنا ولكن أيضاً بعقولنا كما أن هذه العملية

تتأثر إلى حد كبير بالتقاليد والعادات والأفكار الخاصة بالجماعة التي نعيش فيها والتي منها تنبعث اتجاهاتنا . ولهذا من الأفضل أن نقول أننا ننموا من خلال الحب وهذا أقرب إلى الحقيقة . . فالحب عاطفة معقدة ، وهو يظهر عندما يعيد شخصان توجيه حياتهما ، من خلال نقاط محورية جديدة . » وعلى ذلك يكون الإنسان في حالة حب عندما يصبح في إمكانه أن يشبع الحاجات العاطفية لمحبوبه ، ويصبح هذا الأشباع ضرورة عاطفية مطلقة بالنسبة له[1] .

٣ ـ يعتقد بعض الأفراد أنه عندما يمارس شخص ما ما يفسره على أنه حب ، فإن تجربته الحالية تفوق جميع الاعتبارات الأخرى . وهناك أيضاً افتراض بأن ما يشعر به الفرد في لحظة معينة لا يمكن أن يتغير ، وإذن فلا بد أنه الحب . وهذه الأفكار الخاطئة تندرج جنباً إلى جنب مع الفرض القائل بأن الحب هو بوجه عام تجربة تعني في الدرجة الأولى بالجسد واحتياجاته .

٤ ـ يعزو بعض الأفراد إلى الحب قوة لا نهائية ؛ حيث يؤكدون أنه إذا كانت العواطف قوية بصورة كافية ، فإنها سوف تؤثر إلى حد بعيد ليس في علاقاتهم ولا في زواجهم فحسب بل أن السمات غير المرغوب فيها سوف تتحول وتتشكل لكي تصبح ملائمة وذلك من خلال « بلسم الحب الشافي » .

٥ ـ وهناك أفكار وتصورات خاطئة مشابهة تنسب إلى الحب المقدرة على حل المشاكل . فكثير من الأفراد يدخلون في علاقات الحب بسعادة طاغية بغض النظر عن المشاكل الأخرى المتعلقة بالوالدين والدخل والإنجاب والوظيفة وإختلاف مستوى التعليم وغير ذلك من العوامل التي يكون أحدها أو كلها عائقاً في استمرار الحب عملياً .

---

(1) Klemer, Richard H. "Marriage and Family Relationships", Harper and Row, Publishers, Incorporated, New-York 1970.

٦ ـ يعتقد بعض الأفراد أنه لا يوجد في العالم سوى « شخص واحد » يمكنهم أن يقعوا في حبه ويجدوا معه السعادة . وهذا تصور رومانتيكي إلى حد بعيد ولا يستند إلى أية حقائق ، فالقول بأن الأفراد الذين يتلاءمون مع بعضهم فقط هم الذين يقعون معاً في الحب افتراض زائف . والدليل على ذلك أن معدل المواليد كما نعلم يصل إلى حوالي مولود في الدقيقة وبالتالي يكون من الصعوبة بمكان أن نبحث في كل هؤلاء عن شخص وحيد لنقع معه في الحب .

وماذا يحدث لو تحقق هذا الفرض في الواقع : شخصان لهما أفكار معينة متعلقة بالشريك المثالي يلتقيان ويقعان في الحب . أنهما في الحقيقة ينقحان ويعدلان خلال هذه العملية مثلهما الأعلى كي يتلاءم مع الشخص الآخر ، ونتيجة لهذا يعتقد كل منهما أنه وقع في حب الشريك المثالي . فبعد تنقيح وتعديل النموذج المثالي أو المثل الأعلى وتركيزه في شخص معين فإن هذه الحقيقة سوف تشكل اتجاهه نحو الأفراد الآخرين ، وقد يكون من الصعب في هذه الحالة الوقوع في حب أي شخص آخر .

٧ ـ وأخيراً فهناك فكرة شائعة جداً وهي أن الحب قد يحدث من أول نظرة ولكنها فكرة خاطئة بلا شك ، فقد يكون هذا الشعور الفوري إعجاباً بالشكل قد يستمر أو لا يستمر وذلك تبعاً لبقية العوامل الأخرى ، بالإضافة إلى أهمية رأي الشريك الآخر ، فقد يعجب شاب بفتاة بينما هي لا تبادله نفس الشعور والعكس صحيح .

إن تصديق هذه التصورات عن الحب يجعلنا نعتقد خطأ أن الحب هو الأساس الوحيد للزواج ولكن من الخطأ أيضاً أن نتصور أن الوقوع في الحب هو مجرد مطلب سابق Prerequisite لإتمام الزواج ما يلبث أن يتلاشى بعد الزواج حيث يواجه الزوجان بعد ذلك حياة زوجية رتيبة ومملة ويعامل كل منهما الآخر بفتور شديد .

الحب : أهميته البنائية ، ووظيفته ونموه

بالرغم من أن الحب يعتبر في الاساس ظاهرة نفسية وعاطفية ، مثله في ذلك مثل الانجاب الذي يعتبر ظاهرة بيولوجية ، إلا أنه لم يحظ باهتمام كبير في كتابات علم الإجتماع . ومع ذلك فالحب مثل الإنجاب أو التكاثر يمكن النظر اليه من منظور أوسع بالتركيز على أنماطه البّنائية التي عن طريقها تتمكن المجتمعات من السيطرة عليه .

ويرى وليام جود Goode[1] أن المادة المطبوعة عن الحب ، يمكن تصنيفها إلى أربعة مجموعات هي :

١ ـ الشعر والانسانيات والأدب والكتابات الجنسية والاباحية .
وتصور معظم الكتابات الأدبية الحب كتجربة غامرة طاغية ، ويلاحظ أن الكتاب في هذا النوع من الكتابات يلجأوون إلى استثارة تعاطفنا ومشاركتنا الوجدانية مع ما يكتبون ، بما يتيحونه للقراء من كشف لحياة الآخرين الخاصة .

٢ ـ النصائح الزواجية : تصور معظم الكتابات الواسعة الإنتشار عن الحب أن المجتمعات الغربية تؤكد على أهمية الحب الرومانتيكي وعدم أهميته في المجتمعات الشرقية بصورة عامة ويرجع ذلك إلى إختلافات جوهرية عند كل منهما ، وهناك من الدارسين من يقول أن التمسك بقواعد الدين والتقاليد والعرف وسيطرة ورقابة الوالدين وتحفظ نظرة المجتمع ، تضع جميعاً عوائق عديدة أمام العواطف . ومع ذلك تختلف النظرة إلى الحب باختلاف الطبقة التي تنتمي إليها الأسرة ، فالأفراد في أسر الطبقات الفقيرة يعتبرون

---

(1) William J. Goode. "The Theoretical Importance of Love" American Sociological Review. 24 (February, 1959) pp. 38-40.

تبادل الحب غير أساسي في إختيار شريك الحياة (الحب يأتي بعد الزواج) ، وقد يكون الحب في رأي البعض حباً من طرف واحد ، كأن يقع شاب في حب فتاة دون أن تبادله هي نفس الشعور . وعموماً فإن الناس في مجتمعنا يتحدثون عن الحب ويفكرون فيه ، ويأملون في الحصول عليه ، ويتابعونه نظرياً في الأغنية والقصة والرواية وفي تجارب الآخرين ولكنهم يتهمونه في نفس الوقت بل قد يشيرون إلى المحبين بشيء من السخرية والإدانة ، وربما يرجع ذلك في جانب منه إلى أن طريقه محفوف دائماً بالعوائق والصعوبات ، لأن المناخ العام في المجتمع لا يزال غير معترف بإيجابية العواطف الإنسانية ، ولهذا تتذبذب النصائح التي تقدم لمن يقبلون على الزواج بين الإتجاهات المتحررة والإتجاهات المحافظة في نظرتها لمشروعية أو أهمية الحب كأحد أسس الزواج الناجح .

٣ ـ الأهمية البنائية للحب : قدمت جماعة من الكتاب بعض القضايا التي تعالج وظائف الحب والظروف التي من خلالها تنمو علاقاته وتنطوي هذه القضايا على أقوال مثل : « الحب كمقدمة عامة أو كأساس للزواج أمر نادر » ، أو « الحب تعبير أو هدف للجنس المكبوت » ولكن في المجتمعات التي تسود فيها المودة والصداقة الحميمة بين الأباء والأبناء ، يكون تبادل الحب مع الآخرين ضرورياً من أجل حث الطفل على تحرير نفسه ومحاولة التخلص من الإرتباط الشديد بوالديه . . . الخ .

٤ ـ تتجاهل وجهة النظر الانثروبولوجية الحب كعامل له أهميته في الأنماط القرابية ، ويدعي كثير من الانثروبولوجيين أن طبيعة الحب ووظائفه بدعة لم تظهر سوى في المجتمعات الغربية ، ويؤكدون أنهم لم يجدوا ما يدل على وجود هذه العاطفة في المجتمعات البدائية التي قاموا بدراستها .

ولكن على الرغم من هذا الرأي المضاد فالحب موجود بكل المجتمعات وإن إختلفت صوره من مجتمع لآخر ، ونظراً لأهميته ودوره الذي يؤديه في

العلاقات بين الجنسين فإنه يخضع لسيطرة المجتمع[1] . وقد أشرنا من قبل إلى أن الإختيار الزواجي يؤثر من حيث النتائج التي ترتبت عليه في كل من الأسرة والمجتمع ، ولهذا طالما يؤثر الحب في عملية الإختيار الزواجي فإن كليهما (الإختيار والحب) يجب أن يخضعا للضبط الإجتماعي . ويميل كثير من دارسي الأسرة إلى القول تأكيداً لذلك ، أن الأطفال يتأثرون بالإختيار المسبق لآبائهم ، وبما بينهم من عواطف إيجابية (الحب) ـ وهي مسائل كان ينظر اليها قبلاً على أنها مسألة فردية ـ ولكن ما دام تأثير المواقف الفردية يمتد فيما بعد إلى أجيال أخرى قادمة فإن الأنماط النظامية في المجتمع « يجب » بل إنها تتضمن بالفعل صوراً عديدة من صور ضبط الإختيار والحب على المستويات الفردية .

الضبط الاجتماعي للحب

يتجلى الضبط الإجتماعي للحب عن طريق وسائل عديدة :

أولاً : تزويج الأطفال بقصد إبعادهم عن أي فرصة للتفاعل العاطفي ، والحيلولة دون أي معارضة أو رفض للزواج ومن الواضح أن صغر السن وعدم إدراك مسألة الزواج بصورة كافية هو الذي يجعل من هذا الضبط إجراءاً فعالاً[2] .

---

(1) Ibid., p. 42.

(٢) إن هذا الاجراء وان حقق بصورة متعسفة بعض أهداف الضبط الاجتماعي من وجهة نظر مجتمع معين . الا أن نتائجه السلبية عديدة في الوقت الذي لا يواجه المشكلة بطريقة نهائية لأن الأطفال يكبرون ويصلون إلى مراحل من النضج قد يحسون معها بحاجتهم الى العواطف . وخاصة إذا لم تكن قد نشأت خلال الحياة الأسرية أو ربما يتمردون ويتوقف كل ذلك على الظروف المجتمعية القائمة وهناك من الدارسين من يؤكد أن هذا الاتجاه وان كان يميز المجتمعات التقليدية الا أنه مع ذلك يضيف الى استمرار تخلفاً ما لم تحدث تغيرات تؤدي الى الاقلاع عن هذه العادة .

ثانياً : تطبيق صارم لنوع من القواعد القرابية المتعارف عليها التي تحدد بشكل حاسم أزواج المستقبل ، ومن المعروف أن الكبار وفقاً لهذه القاعدة من الضبط هم الذي يصنعون القرار ، ويحددون موعد الزواج ، ويعينون الطبقات أو الجماعات التي تكون جديرة بأن يختار منها أزواج المستقبل (يحدث هذا في بعض فئات المجتمع المصري حين يقرأ الكبار الفاتحة ـ الإتفاق المبدئي على الزواج ـ ويتعهدون أمام شهود بإتمام الزواج ، وفي مثل هذه الحالات تراعى قاعدة الأولوية لإبن العم في زواج إبنة عمه) .

ثالثاً : العزل الإجتماعي والجسماني للشباب ويتم ذلك عن طريق عدم تمكين من هم في سن الزواج من وجهة نظر المجتمع من رؤ ية بعضهم البعض بغض النظر عن مدى صلاحيتهم بالفعل للزواج . ومما لا شك فيه أن عدم التقاء الفتى بالفتاة في ظل ظروف معوقة تمنعه حتى تبادل الحديث معها يؤدي إلى قيام عقبات شديدة أمام إمكانية نمو الحب أو ربما حدوثه أصلاً ، ويلاحظ أنه في المجتمع المصري توجد دلائل على مثل هذه الصورة التي أشرنا اليها من العزل وخاصة في مجتمع الصعيد بوجه عام ، وفي أنماط معينة من القرى البعيدة عن المؤثرات الحضرية المباشرة في الوجه البحري حيث تمنع الفتيات بعد سن معينة من الخروج وحدهن أو محجبات في الوقت الذي يحظر عليهن الاختلاط مع الشباب من الجنس الآخر بأي صورة من الصور .

رابعاً : الوصيفات أو القريبات ، وهن اللائي يقمن بوظيفة الملاحظة والرقابة لمن يسمح لهم المجتمع بنوع من تبادل الحب ، ومعنى ذلك أن السماح في هذه الحالة (تهيئة جو الحب لا يكون عادة إلا بين من هم مؤهلين لاختيار الشريك المناسب) ويترتب على ذلك أنه لا يوجد في هذا النوع من الضبط أي تشجيع للحب على الإطلاق إلا إذا كان

الزواج هو الهدف الوحيد ، وجدير بالذكر أن غاية عملية الملاحظة الدقيقة هذه هي المحافظة على الطهارة الأنثوية . والحيلولة دون « الحب المحرم » (يلاحظ أن بعض الأسر في المجتمع المصري لا تسمح بخروج الإبنة مع خطيبها إلا في صحبة أحد أخوتها أو والدتها حرصاً على عدم التمادي في العلاقات أو ربما التخوف من التقولات أو لذعات الرأي العام) .

خامساً : تشجيع تبادل الحب تحت مراقبة الوالدين وموافقتهما بين الفتى والفتاة ، وتحقيقاً لذلك درج الآباء وخاصة في السنين الأخيرة على إختيار الجيران المناسبين لإنشاء علاقات معهم وانتقاء المدارس التي يلحقون بها أبنائهم وتخطيط الزيارات والرحلات التي يحتمل أن يؤمها من هم مؤهلين للزواج ، ويحقق هذا الموقف أهدافاً عديدة من بينها الوقوع على الإختيار الأنسب وضمان ان تكون جميع علاقات الأبناء وتصرفاتهم إزاء الجنس الآخر تحت بصرهم الأمر الذي يمكنهم من متابعتها والتحكم فيها في الوقت المناسب .

إذن فإن استعراض وجهات النظر السابقة يجعل من الممكن أن نتبين أن هناك عديداً من العوامل تعمل على ضبط الحب والسيطرة عليه أو توجيهه في كل مجتمع إلا أن معظم الناس في المجتمعات الغربية المتحضرة اليوم يرون أن الحب عامل هام جداً كشرط ضروري لإتمام الزواج ولهذا ينظرون إليه باعتباره أهم أساس يجب مراعاته في عملية الاختيار الزواجي . وهذا لا يستبعد بالطبع أسساً أخرى عديدة مثل المال والمكانة الإجتماعية وغير ذلك .

ويرى سيدني جرينفيلد Sidney Greenfield[1] . أن الحب في المجتمع

(1) Sidney M. Greenfield. "Love and Marriage in Modern America. A Functional Analysis" Sociological Quarterly, 6. (Autumn, 1965) p. 361-377.

الأمريكي يقوم بوظيفة حفز الأفراد على القيام بأعمال لاعقلانية لأنهم لن يقوموا بالإقدام على الاختيار لو كان عقلانياً صرفاً ، وخاصة في مسائل الزواج ، ويرجع ذلك إلى أن المطالب الحيوية ابتداء من الطعام حتى الجنس يمكن الحصول عليها من الخارج ، وبالتالي فإنه من المتوقع أن كثيراً من الأفراد لن يتزوجوا إذا كان الاختيار عقلانياً[1] . وهنا يصبح بعض الإغراء ضرورياً لغرس وتشجيع الاتجاهات العاطفية واللاعقلانية التي تسهم في مساندة نظام الزواج ، وربما كان ذلك هو المبرر وراء ما يؤيده كثير من دارسي الاسرة عن أهمية الدور الذي يلعبه الحب الرومانتيكي لإتمام الزواج .

وعلى الرغم من عدم وجود أية محاولات لتعريف الحلقة الواسعة التي تستخدم لوصف الحب أو التمييز بين الحب الحقيقي (الصادق) والحب غير الحقيقي (المزيف) فإن الحب لا يمكن أن يوجد مستقلاً عن المعايير الاجتماعية والثقافية ولا بمنأى عن الضبط الإجتماعي ، فهو (ظاهرة) نتعلمها أثناء التفاعل مع الآخرين وهو الأمر الذي يجعله يتأثر إلى حد كبير بالموقف الإجتماعي والثقافي السائد[2] .

---

(١) هناك اتجاه بين المثقفين وبين بعض الدارسين يميل إلى القول بأن الزواج عملية غير عقلانية خاصة إذا فكر المقبلون عليه في دوافعهم وأسلوب إشباعها والمسؤوليات التي سوف تلقى على كاهلهم فيما بعد وأمور أخرى تتعلق بنوع الحرية التي يتطلعون اليها والتي يمكن أن يكون الزواج قيداً عليها .

(٢) هناك مناقشات عديدة عن أصل الحب ففي تراث الأدب والفلكلور قصص وكتابات هائلة تشهد على ذلك حتى استقر في أذهان الناس بوجه عام أن الحب جزء من الطبيعة الانسانية لا بد أن يعبر عن نفسه بشكل أوبآخر او ان يجد طريقة إلى الاشباع وهو فضلا عن ذلك عنصر دائم ومطلب حيوي شأنه في ذلك شأن التنفس والطعام وتسهم اليوم وسائل الاعلام المختلفة في كل أنحاء العالم في تدعيم هذا الاتجاه ولكن الدراسة العلمية له تعالجه كظاهرة كيفية الظواهر الأخرى التي تتأثر بنظم المجتمع وقيمه وتقاليده ، وقد تؤكد بعض جوانب هذه الدراسة إلى أهمية الحب البنائية في الصحة النفسية ، وفي التوازن النفسي الاجتماعي للانسان ، أو في اكتمال نضجه أو تحقيقه لأهدافه أو في إعطاء الحياة معنى أو في رفع الروح

في محاولة قام بها أحد علماء الإجتماع لوصف العمليات الداخلية الشخصية المتضمنة في نمو علاقة الحب وجد أنه كمرحلة أولى أي في بداية العلاقة بين شخصين ، فإنهما يدركان للوهلة الأولى حضور أو غياب الشعور بالألفة Rapport فإذا كانا يشتركان في خلفية إجتماعية وثقافية واحدة . فمن المحتمل أن يشعرا بالتقارب والاطمئنان وتنشأ لديهما رغبة قوية في التحدث عن نفسيهما . وأن يعرفا أكثر كل عن الآخر . فإذا اختلفت الخلفية الثقافية بطريقة ما ، فيمكنهما مع ذلك أن يشعرا بالإنجسام . أما إذا لم يشعرا بالألفة كخطوة أولى فإن نمو العلاقة يتوقف .

وما تلبث المرحلة الثانية المصاحبة للألفة وهي التي تسمى مرحلة « البوح الذاتي » Self-revelation أن تبدأ . وذلك أنه عندما يشعر الفرد بالاطمئنان إلى علاقة اجتماعية ، فإنه يبدأ في المصارحة بما تكنه نفسه ، فيتكلم عن أمانيه ورغباته ، ومخاوفه ، وطموحاته . وهنا تعمل الخلفية الثقافية الاجتماعية المشتركة على سرعة التقبل والتفاهم .

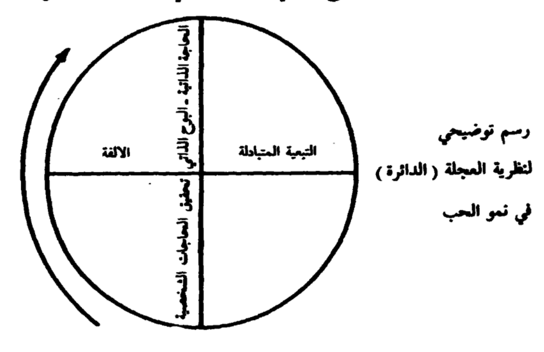
وعند ذلك تكون الظروف قد تهيأت للمرحلة الثالثة أن تظهر وهي « نمو التبعية المتبادلة » The Development of Mutual Dependencies وفي هذه الحالة يصبح الفرد معتمداً على الآخر في إنجاز احتياجاته ورغباته الشخصية ، وهذا يرجع إلى أن كل منهما يحس بعمق أنه في حاجة من الآخر لأن يشاركه

المعنوية . . . الخ ومعنى ذلك أن علم الاجتماع حين يعالج مسألة الحب فانه يستخدم تراث الأدب والفلكلور كخلفية وفي نفس الوقت يعالجه كظاهرة لا يغفل معها أو ينكر الأهمية التي يشكلها في حياة الانسان وفي توازن المجتمع ككل . أنظر في هذا الموضوع ما كتبه جرينفيلد وغيره من الدارسين في علم الاجتماع الأسري .

أفراحه وأحزانه ومشاعره وأن يقاسمه المرح والمزاح . وباختصار أن يعيش معه الحياة[1] .

وأخيراً تأتي المرحلة الرابعة وهي « تحقيق الحاجة الشخصية » . Personality need Fulfillment وتختلف الحاجات الشخصية باختلاف الخلفية الثقافية ، كما هو الشأن في التآلف والبوح الذاتي والتبعية المتبادلة .

هذا وتنطوي العمليات المشكلة للمراحل الاربعة السابقة في واقع الأمر على عملية واحدة تسميها « رايس » Reiss نظرية العجلة (الدائرة) Wheel Theory . لأنه عندما يشعر شخص بالألفة يبوح للآخر بذلك ، ثم يصبح تابعاً ومعتمداً ، وبذلك يحقق احتياجاته الشخصية . وتقوم هذه النظرية (الدائرية) على أن الرغبة في تحقيق الاحتياجات الشخصية هي السبب الأصلي في الشعور بالألفة . ويمكن أن تدور (الدائرة) في اتجاهين : اتجاه سلبي يحد أو ينقص من درجة الألفة والبوح الذاتي واتجاه إيجابي يزيد من كثافة كل عملية .



رسم توضيحي
لنظرية العجلة (الدائرة)
في نمو الحب

---

(1) Ira L. Reiss, "Toward a Sociology of the Heterosexual Love Relationship," Marriage and Family Living, 22 (May 1960) pp. 139-145.

وترى « رايس » أن الحب الرومانتيكي أو الحب الجنسي أو الحب العقلاني . أو أي نوع آخر من الحب يمكن تفسيره نظرياً بمتابعة عمليات (العجلة) مروراً بمراحل الألفة فالمصارحة ثم التبعية المتبادلة وأخيراً تحقيق الحاجات الشخصية وتعتقد رايس أن هذه العمليات الاربع تحدث بصفة أساسية في أي علاقة أولية مثل علاقة الصداقة ، أو علاقات الآباء والأبناء ، أو علاقة الذكر والأنثى الخ . .

وأخيراً فقد أثبتت البيانات والمعلومات[1] المستمدة من الدراسات التي أجريت في ميدان الاختيار الزواجي أننا في حاجة إلى إعادة اختبار أفكارنا التقليدية عن أنماط التجانس وعمليات هذا الاختيار في مجال المرغوبات . وعدم الإعتماد على الفكرة العامة القائلة « بميل الشبيه للبحث عن شبيهه » ذلك لأن نتائج الدراسات كشفت عن وجود بعد « ميولي » معين يتغير خلال الزمن ، لأن مفضلات الشباب أو الفتاة اتضح أنها تتغير تبعاً لسنوات عمره ، فما تفضله الفتاة وهي في سن السادسة عشرة يختلف عما تفضله في سن العشرين أو الخامسة والعشرين وهكذا . . وهذا فضلاً عن العوامل الأخرى العديدة التي تتدخل في التأثير في عملية الاختيار ومعنى هذا أننا نحتاج إلى معرفة أبعد بالعوامل البنائية والدينامية المرتبطة بأنماط الإختيار ، وإلى استكشاف الاختلافات في العوامل سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية وارتباطاتها بالقطاعات المختلفة للسكان . كما أننا نحتاج كذلك في أي بحث مستقبلي أن نميز بوضوح بين عملية الاختيار في الزواج والنتائج المترتبة على هذا الاختيار وبين التفسيرات التي تقوم علي الفرص البنائية من ناحية وتلك التي تقوم على الالتزام المعيازي من ناحية أخرى . وباختصار ، من الضروري

---

(1) A. C. Kerckhoff, "Patterns of Homogamy and the field of Eligibles" Social Forces, Vol. 42, 1963-4, pp. 289-297.

أن ندرس بحرص الدرجة التي يكون فيها مجال « المرغوبات » هو مجال الأشياء المتاحة أو مجال المفضلات .

الخطبـــة

إذا قورنت الخطبة بأي بناء عاطفي قبل الزواج فإنها تتضمن أكثر الوعود جدية ، وفي هذه الحالة يكون « استعراض الواجهة » قد أوشك على النهاية أو أنضج دوافع الإقدام . والخطبة موجودة في كل مكان من العالم وإن اختلفت أشكالها فنادراً ما يحدث الزواج فجأة أو بدون تمهيد ، ويتضمن البناء الاجتماعي لمعظم المجتمعات طريقة للتعارف بين الشابين المقبلين على الزواج تؤكد لهما جدية العلاقة وضرورة حدوث الزواج . وتحظى الخطبة في كثير من المجتمعات بأهمية كبرى وخاصة في المجتمعات الشرقية التي لا تقبل أي علاقة غير رسمية بين الفتى والفتاة ، الأمر الذي تصبح معه الخطبة هي الوسيلة الوحيدة المقبولة من الاسرة والمجتمع للتعارف بين الفتى والفتاة . وتنطوي الخطبة على مرحلة التحول النهائي للمكانة المتغيرة من « العزوبة » إلى « الزواج » وكذلك التحول من التواعد مع أكثر من شخص إلى التواعد المقصور على شخص واحد (الخطيب أو الخطيبة) وما يصحب ذلك من طقوس ومراسم معينة ، وهدايا ، وغير ذلك مما يعمل على أن تترسخ في أذهان الخطيبين وأسرتيهما والناس أيضاً أهمية هذه العلاقة .

وتؤدي الخطبة وظائف متنوعة لكل من الخطيبين والمجتمع . فهي تقدم للخطيبين مؤشراً واضحاً على قرب حدوث الإرتباط النهائي وهو الزواج . وتعطيهما فرصة مناسبة للاختيار الشخصي المتبادل دون تهديد من القوى المنافسة ، وهو الذي يعرف من خلاله كل منهما توقعات الدور الزواجية من وجهة نظر الآخر . وكذلك القيم المشتركة بينهما أو المختلفة . وأمال المستقبل وتطلعاته ، وتقدم الخطبة الفرصة الاخيرة قبل الإرتباط الرسمي

والقانوني لكي يفهم الفرد نفسه وعلاقته بالشخص الآخر .

ويعتبر خاتم الخطبة Engagment Ring « إعلاناً رسمياً » ورمزاً للارتباط بين شخصين . وفي كثير من المجتمعات بما فيها المجتمع المصري لا يكتفي بخاتم الخطبة بل لا بد من توفر تعهد له قيمة مالية من جانب الذكر في شكل هدية للعروس (شبكة) وهي عادة من معدن ثمين كالذهب أو الماس ، وتتفاوت قيمة هذه الهدية تبعاً للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها العروسان . ويرمز هذا العبء المادي إلى جدية العلاقة والرغبة في إتمام الزواج . ويلاحظ أن كثيراً من الأسر تحرص في الوقت الحالي على إعلان نبأ الخطبة عن طريق نشر صور العروسين في الصحف والمجلات .

ومن المناسب هنا أن نعرض للدراسة التي أجراها كل من برجس Burgess ووالين Wallin عن الخطبة والزواج على ١٠٠٠ خطيب وخطيبة والتي توصلا منها إلى النتائج التالية :

أ ـ الخطبة ليست ضماناً نهائياً لإتمام الزواج ، فقد تبين من الدراسة أن نسبة الخطبات الفاشلة عالية نسبياً .

ب ـ هناك تعارض واختلاف في الرأي بدرجة عالية بين معظم المخطوبين (١٧٪ فقط يتفقون في جميع المجالات) في المسائل المتعلقة بإظهار العواطف ، وترتيبات الزواج ، والأمور الدينية ، وعادات المائدة ، ونوعيات الترفيه ، وفلسفة الحياة ،[1] وكسب المال وإنفاقه ، وطرق الاتصال بالأقارب والاصدقاء الخ . . . هذا وينظر إلى قيام التعارض بين الخطيبين في فترة الخطبة على أنه مؤشر على مدى الخلافات التي يمكن أن تحدث بينهما

---

(1) Ernest W. Burgess and Poul Wallin. "Engagement and Marriage" philadelphia: J.B. Lippincott Company, 1953.

بعد إتمام الزواج . إلا أنه على الرغم من ارتفاع نسبة الخلافات بين المخطوبين فإن الزواج يتم ، مما قد يؤيد فكرة أن « الحب أعمى » .

جـ - يمكن استخلاص المؤشر الوحيد لاحتمالات الزواج الناجح مما يحدث خلال فترة الخطبة ولهذا يرى كل من برجس ووالين أن الخطبة الناجحة تنبيء بالنجاح في الزواج مستقبلاً .

النسق الزواجى

وظائف الزواج

الزواج أمر شائع ومقرر في جميع أنحاء العالم ، فعلى الرغم من مظاهر الصراع الذي ينطوي عليه ، وتغير أهدافه ووظائفه ومعانيه وكثرة وقوع الطلاق فإن الناس مع ذلك يتزوجون . ويرجع ذلك إلى أن التوقعات المعيارية تنظر إلى الزواج كموقف أو كحالة مناسبة أو مفضلة ومطلوبة . ومهما كانت التعقيدات والالتزامات التي تصاحبه مثل الإختيار وحفل الخطبة وعقد القران والبحث عن مسكن إلى جانب كثير من المتطلبات المادية والمعنوية التي تصاحب عملية الزواج فإن الذين يبقون بدون زواج قلة في معظم المجتمعات . وفي هذا دليل واضح على أن الزواج ينجز أو يؤدي وظائف عديدة لكل من الفرد والمجتمع .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن وظائف الاسرة تشتمل على حلقة واسعة من النتائج ، مثل التشكيل أو التكوين الأساسي للشخصية ، واكتساب المكانة ، والتنشئة الإجتماعية . وامتصاص التوتر ، والتعاون الاقتصادي ، والإنجاب ، والاستقرار بالنسبة للأفراد البالغين (الزوجين) ومع أن عديداً من هذه الوظائف

يمكن انجازها بدون زواج إلا أن النسق الزواجي يعززها ويقويها .

وتختلف وظائف الزواج باختلاف بنائه ، فعندما يكون الزواج من داخل النسق القرابي أو الأسر الممتدة يصبح الإنجاب والمحافظة على إسم الأسرة وملكيتها من الوظائف الاساسية للاسرة وفي هذه الحالة يكون عدم الإنجاب بوجه عام أو عدم إنجاب طفل ذكر سبباً قوياً لطلاق الزوجة والزواج من أخرى أو الزواج بأخرى مع الاحتفاظ بالزوجة الأولى .

أما في المجتمعات المتقدمة فإن الزواج تكون له وظائف أخرى مختلفة عن تلك التي توجد في النمط السابق مثل : الاستقلال والاستقرار وتأسيس أسرة خاصة ، والانجاب ، وتحقيق الرفقة والسعادة ، والحب ، والاعتماد على النفس ، والأمن الاقتصادي ، والعلاقة الجنسية المشروعة ، وتبادل العواطف ، واستبعاد مشاعر الوحدة . . الخ . أما لماذا يحدث الزواج فإن أي سبب من الأسباب السابقة يمكن أن يفسر الزواج على المستوى الشخصي ، أما على المستوى الاجتماعي فإن جميع المجتمعات تقبل أسباباً معينة وترفض أخرى . إلا أنه من المؤكد أن العوامل الشخصية في الزواج تعمل من خلال حدود اجتماعية واضحة ، والوظائف التي يؤديها الزواج تتحدد من خلال المضمون الثقافي والاجتماعي .

وهنا يجب أن نشير تأكيداً لذلك إلى أنه على الرغم من أن الشريعة الإسلامية تبيح تعدد الزوجات بالنسبة للرجل المسلم ، إلا أن المضمون الثقافي والاجتماعي في المجتمع المصري يؤكد ويشجع على الشكل الأحادي للزواج من أجل إنجاز أفضل وأكثر تكاملاً لإحتياجات الفرد . وتعتبر نسبة من يتزوجون أكثر من واحدة قليلة جداً نتيجة للضغوط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تستنكر تعدد الزواج وتحبذ الوحدانية في الزواج ، وتكشف التعدادات التي اجريت حتى الآن في المجتمع عن تناقص مستمر في حالات تعدد الزوجات ، إلى الدرجة التي يمكن أن يقال معها إن تعدد الزوجات لم

يعد مشكلة بالنسبة للحياة الأسرية أو لم يعد يشكل ظاهرة جديرة بالبحث ، وليس هناك شك في أن التغيرات الإجتماعية والثقافية والاقتصادية قد أسهمت بشكل حاسم في الاختفاء التدريجي لحالات التعدد هذه ، ويعزز من هذا الاتجاه التوسع المستمر في تعليم المرأة واستقلالها من الناحية المادية نتيجة لالتحاقها بالعمل في مختلف ميادين الأعمال على المستوى العام والخاص .

حفل الزفاف

إن الانتقال من أدوار (العزوبة) إلى أدوار الزواج يتضمن نوعاً من الاحتفال ويعتبر هذا الاحتفال الذي يكون جزءا من النسق الإجتماعي أمراً شائعاً في جميع المجتمعات وإن اختلفت صوره وأشكاله ، ومن خلاله يكتسب الفرد حقوقاً وتفرض عليه التزامات جديدة نتيجة لحصوله على هذه المكانة . وتختلف طبيعة هذا الحفل إلى حد كبير لدرجة أنها قد تستمر أياماً عديدة في بعض المجتمعات . إلا أن إقامة حفل للزواج أصبحت في العصر الحديث مسألة اختيارية بحتة ترجع إلى رغبة العروسين وإمكانياتهما المادية والإجتماعية ، إذ من الممكن أن تتم مراسم الزواج في دقائق معدودة ودون أي احتفال على الاطلاق كما يمكن أيضاً إقامة حفل بسيط أو حفل كبير وضخم تنفق فيه مبالغ طائلة .

ويشتمل الزفاف على جانبين أحدهما ديني والآخر اجتماعي ، فالأول هو عقد القران الذي يقوم باتمامه رجل دين حيث يقوم باجراء الشعائر الدينية التقليدية التي تتم في مثل هذه الحالة بالإضافة إلى كتابة « عقد الزواج » الذي يشير إلى النواحي المدنية وهو مكلف من قبل الحكومة والهيئة الدينية بالقيام بهذا الاجراء الرسمي ، أما الجانب الاجتماعي فهو الاحتفال الذي يلي عقد القران والذي يدعى إلى حضوره أقارب العريس وأقارب العروس والاصدقاء

وعادة ما يصاحب هذا الحفل الموسيقى والغناء والرقص وتناول الأطعمة والمشروبات .

وفي هذا الحفل يظهر العروسان للناس كزوجين وذلك بجلوسهما متجاورين في مكان معد لهما خصيصاً ، ويكون العمل الأول الذي يشتركان فيه هو قطع كعكة الزفاف بأن يضع العريس يده فوق يد العروس ويقومان بقطعها معاً كرمز للمحبة والتعاون والمشاركة ، هذا إذا كان المستوى الاقتصادي والاجتماعي لاسرتيهما يسمح بذلك .

ويعتبر حفل الزفاف بالنسبة لبعض الناس مناسبة « محزنة » إذ يفقد الفرد بانتهائه حريته وانطلاقه وينتقل الى سنوات تحمل المسؤولية . وتنظر جماعات أخرى إلى حفل الزفاف بسعادة كبيرة ، حيث يعتبرون هذا الحفل بداية فترة السعادة والاستقرار الذي أصبح الآن في متناول هؤلاء الذين اكتسبوا مميزات الزواج .

ويعتبر حفل الزفاف مثل حفل الخطبة إهتماماً انثوياً بالدرجة الأولى ، وعادة ما تقع مسؤولية الاعداد للحفل على أسرة العروس ، ويقوم بالتخطيط العام له العروس ووالدتها . والدور الرئيسي للعروس في حفل الزفاف يتركز في الزمن الذي ينفق في إعداد ثوب الزفاف وتكاليف إعداده ، ذلك الثوب الذي لا يلبس سوى مرة واحدة ، بينما على العكس من ذلك فإن العريس يشتري ملابس جديدة ليرتديها ويمكن أن يستخدمها بعد الزواج أيضاً .

وتكون العروس عادة هي الشخصية اللامعة والمهيمنة فهي محط الإنظار في الحفل ، ويمتد هذا اللمعان والهيمنة إلى والدتها باعتبارها وراء كل ما يجري في الحفل ، وترجع أهمية الأنثى في حفل الزفاف إلى عدة أسباب تاريخية منها ، أنها ستترك منزل والديها إلى منزل زوجها ، كما أنها في كثير من المجتمعات تترك اسم اسرتها بعد الزفاف وتحمل اسم زوجها ، بالإضافة إلى أن هذا الحفل يعتبر احتفالاً بدخول الأنثى إلى دورها الهام كزوجة وأم كما

أنه رمز إلى تغير دورها بالزواج عن هؤلاء اللاتي لم يتزوجن بعد ، فالزواج ينظر اليه عادة على أنه « جواز مرور » للانثى كي تنتقل لتحتل مكانة البالغين .

هذا ويؤدي حفل الزفاف وظائف اجتماعية عديدة ترتبط غالباً بالهيبة والاعتبار . ذلك أن ثوب الزفاف والنسيج الذي يصنع منه والحائك الذي قام بصنعه وكذلك أثواب الوصيفات ونوع حفل الاستقبال يشار اليها على أنها أمور تتصل بالمكانة والهيبة الاجتماعية لأسرة العروس أو العريس أو لهما معاً ، ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام أن مظاهر البذخ في حفلات الزفاف قد زادت بشكل واضح في المجتمع المصري في السنوات الاخيرة واصبحت مظهراً من مظاهر التفاخر والتباهي التي تحرص عليها بعض الطبقات الجديدة التي ظهرت مؤخراً والتي تحرص على إقامة حفلات الزفاف في قاعات الفنادق الكبرى مع ما يصاحب هذا من ثياب فاخرة وفرق موسيقية ومطربين مشهورين وموائد الاطعمة ونشر صور الزفاف في الجرائد والمجلات الخ . . . وقد يلجأ البعض لتحقيق ذلك إلى انفاق كل ما معهم من نقود أو ربما الاستدانة على أعتبار أن حفل الزواج هو « ليلة العمر » .

إن عقد الزواج ، هو في الواقع الاساس الديني (الشرعي) والوضعي (القانوني) الذي يعبر عن مشروعية ارتباط رجل بأمرأة ارتباطاً دائماً بما يخوله هذا الارتباط من الدخول في علاقات جنسية وتحمل مسؤولية الإنجاب والرعاية الضرورية للإطفال والنهوض بمسؤولية اعداد المواطن الجديد لحياة المجتمع بكل ما فيه من قيم وعادات وتقاليد . . . الخ . وهذا العقد هو الذي يعطي لنظام الزواج الهيبة والقداسة ويعبر عن إستمرار تأكيد المجتمع لدور الزواج في قيام النسق العائلي وفي حفظ العلاقات بين الجنسين حفاظاً على استمرار الحياة الاجتماعية نحو التناسق والتعاون وتجنب التنافس والصراع والتدمير الذاتي . أما حفل الزواج فانه يؤدي دور « الإعلان الإجتماعي » ويعكس طابع الثقافة والبعد الطبقي ونوعية القيم والعادات والتقاليد وما ينالها من تنمية أو تحديث .

شهر العسل ووظائفه

تسبب الفترة التي تسبق الزواج مباشرة والتي تنتهي بحفل الزفاف إرهاقاً بدنيا ونفسياً للعروسين ، وخاصة العروس . وذلك لانشغالها طوال الوقت في استكمال متطلبات بيت الزوجية والإجراءات الأخرى مما يحتم قضاء فترة مناسبة من الراحة والاستجمام بعد الزفاف . ويميل الكثيرون للقيام برحلة في شهر العسل إلا أن هذا التقليد منتشر في البلاد الأوروبية وإلى حد ما في المجتمع المصري ولكن بالنسبة لفئات معينة لديها من الامكانيات ما يساعدها على ذلك ، وإذا لم تتوفر إمكانيات السفر فإن العروسين يحصلان على إجازة من العمل يقضيانها معاً كل حسب وسائله وامكانياته ويساعد الأهل العروسين في تلك الفترة باعداد الطعام لهما وكذلك الملابس .

ويهيء شهر العسل ظروفاً ايجابية لكي يبدأ الزوجان أدوارهما الجديدة ، حيث يكرسان معظم انتباههما لإنجاز هذه الأدوار بنجاح ، ويتركان أي أدوار أخرى ، كما ينقل شهر العسل الفرد من البيئة التي كانت عاداته القديمة تعمل من خلالها ويشجعه على التركيز من أجل تكوين أنماط جديدة . وبينما يضع كل شريك تحديدات وتعريفات معينة مسبقة لأدواره الزوجية وكذلك لأدوار شريكه ، فإن المشاركة الفعلية في هذه الأدوار تكون جديدة تماماً بالنسبة لكليهما ويعتبر توافق الفرد مع دوره الجديد من أهم العوامل في التوافق الزواجي ، ومع ذلك نجد أنه من المناسب أن نشير إلى أنه :

١ ـ نادراً ما يعود الفرد من شهر العسل وهو متوافق تماماً مع دوره الجديد ، لأن التوافق في الزواج هو عملية ديناميكية ، وما شهر العسل سوى بداية لهذا التوافق ، والملاحظ أن التأثيرات السلبية لشهر العسل غير المرضي قد يكون لها نتائج غير مرضية في المدى البعيد . لأن علاقة الزوجين في شهر العسل تكون مثالية إلى حد كبير ، وعدم الرضى الأولي للتوافق قد يحطم

المثالية المبكرة في الزواج ويؤدي إلى الشعور بالفقدان وخيبة الأمل لكلا الزوجين .

٢ ـ عندما يعود الزوجان لحياتهما اليومية العادية ، فإن متطلبات دور أخرى سوف تظهر لتشارك متطلبات دور الزواج الجديد . فإذا بذل الزوجان أقصى مجهود في القيام بالأدوار الزوجية في شهر العسل وكان نجاحهما محدوداً مع ذلك ، فإن النجاح في الدور الزواجي قد يكون أكثر صعوبة عندما يصبح من الضروري توجيه الاهتمام إلى أدوار أخرى . وبغض النظر عن نجاح شهر العسل فإنه يجب على الزوجين أن يوجها اهتمامهما إلى متطلبات الدور الأخرى عند انتهائه .

بناء القوة في الوحدة الزواجية

تعتبر أوضاع أو درجات القوة من المظاهر الهامة في النسق الزواجي عند كل من الزوجين . ويعرف الباحثون مفهوم « بناء القوة » في الوحدة الزواجية باستخدام مصطلحات معينة مثل « اتخاذ القرار Decision making والسلطة Authority والتأثير Influence فقوة الأسرة يمكن قياسها بدمج حصيلة هذه المصطلحات . وفي هذا المجال تقول « سافيليوس روتشيلد ، Sofilios Rothschild » إن قوة الأسرة مفهوم « متعدد الأبعاد » يمكن قياسه بطريقة غير مباشرة على أساس الأفعال السلوكية التي تختبر من خلالها درجة قوة الفرد . وإذن فالقوة في الوحدة الزواجية يمكن قياسها إذا استطعنا أن نجمع حصيلة « اتخاذ القرارات ، وأنماط ادارة التوتر والصراع . ونمط تقسيم العمل السائد »[1] .

---

(1) Constantina Safilios – Rothschild, "The Study of Family Power Structure: A. Review 1960-1969" Journal of Marriage and the Family, 32 (November, 1970) pp. 539-552.

١ ـ القوة واتخاذ القرارات

يتضمن قياس القوة من خلال اتخاذ القرار بعدين آخرين هما : السلطة والتأثير . ومن المعروف أن المعايير الإجتماعية تحدد الشخص الذي بيده السلطة . ففي بعض المجتمعات تمنح السلطة للزوج ، وفي بعضها الآخر تبقى مع الذكر المسن كما هو الشأن في حالات الأسرة الممتدة ، وفي بعض الأحيان قد تكون السلطة في يد « الحماة » إلا أنه على الرغم من « تركز السلطة » في يد فرد معين فإن الأعضاء الأخرين يستطيعون التأثير » حين يمارسون الضغط على الشخص الذي بيده السلطة . ومثال ذلك أن رئيس الجمهورية في أي مجتمع يكون بيده السلطة لاتخاذ حلقة واسعة من القرارات ، ولكنه « يتأثر » إلى جانب ما توجهه اليه القنوات النظامية (المؤسسات) بالرأي العام والصحافة أو أسرته الخاصة . ولهذا قد يكون للزوج السلطة على زوجته وأطفاله ، ولكنه يتأثر بهم كثيراً في نفس الوقت ولهذا كان من المعروف أن الضغط الذي يمارسه أحد الزوجين على الآخر ، يمارس على درجات متباينة رسمية أو غير رسمية[١] .

ومن الواضح أن أوضاع القوة عند كل من الزوجين وتوازنها بينهما تشكل

---

(١) تكشف دراسات علم الاجتماع السياسي في مسألة السلطة عن أنواع عديدة منها كالسلطة الاسمية أو الشكلية (النظرية) والسلطة الفعلية (العملية) كما أن صاحب السلطة لا يمارس سلطته بعيداً عن أنساق القيم السائدة أو خبرات التاريخ ، وعندما يتخذ قراراً فانه يضع في اعتباره عديداً من الاعتبارات الشخصية أو الموضوعية ، في الوقت الذي يمكن أن يتصور مقدماً نتائج قرار معين على مجرى الاحداث أو على كيان سلطته واستمرارها . لهذا فان السلطة في الوحدة الزواجية تعكس صورة السلطة في المجتمع الكبير والتقاليد والانساق القيمية التي تساندها ، وهي كأي ظاهرة اجتماعية تخضع لتأثير عوامل التغير واتجاهات وأبعاد النمو الاجتماعي والاقتصادي ومستويات النضج الثقافي وغير ذلك ، أنظر في ذلك :

Lipset and Bendix. «Class, Status and Power

وكذلك دراسات C. Wright Mills وبالاخص كتابه عن Power Elite

عنصراً هاماً في بناء الأسرة ، وذلك لأن بعد « القوة » هو انعكاس حساس للأدوار التي تلعب في الزواج ، حيث يقوم كعامل يؤثر في معظم مظاهر العلاقة الزوجية . وفي محاولة لقياس توازن القوة بين الأزواج والزوجات ، وقد قام « بلد وولف Blood and Wolfe »[1] باختيار ثمانية مواقف تتضمن قرارات أسرية ومحاولة معرفة موقف كل من الزوج والزوجة ، من هذه القرارات :

أ - العمل الذي يجب أن يلتحق به الزوج ؟
ب - أي نوع من السيارات يشتريه ؟
جـ - هل يؤمن على الحياة أم لا ؟
د - أين يجب الذهاب في الأجازات ؟
هـ - أي نوع من المساكن يجب أن تعيش فيه الأسرة ؟
و - هل من الضروري أن تعمل الزوجة ؟
ز - أي طبيب يستدعى في حالة المرض ؟
حـ - ما مقدار المال الذي تستطيع الأسرة إنفاقه على الطعام في أسبوع ؟

وقد تبين من الإجابات التي حصل عليها الباحثان أن القرارات التي تتخذها الزوجة كانت تتصل بعملها ، ثم اختيار الطبيب ، والمال الذي ينفق على الطعام . ولكن لوحظ أن الزوج كان أكثر تدخلاً في القرار المتصل بعمل الزوجة بالمقارنة بتدخل الزوجة في اختيار العمل الملائم لزوجها .

ويقوم التفسير النظري لاتخاذ الازواج قرارات في الوقت الذي تتخذ الزوجات فيه قرارات أخرى ، على الإمكانات أو الوسائل الخاصة أو المتاحة لكل منهما . والتي تتعلق بمصدر السلطة والقوة عند كل من الزوجين ، وقد تكون هذه الوسائل : المال أو الجنس أو الإستجابة العاطفية أو المهارات ، أو

---

(1) Robert Blood and Donald M. Wolfe, "Husbands and Wives The Dynamics of Married Living" Glencoe, Illinois, the Free Press, 1960 p. 20.

قد تكون أي شيء آخر يمتلكه أحدهما ويحتاج إليه الآخر . ولكن الإمكانات الذكرية الأنثوية ترتبط بشدة بالعوامل البيولوجية . ومثال ذلك أن أحد تفسيرات سيطرة الذكر ترجع إلى أن الأنثى كمنجبة للأطفال ومرضعة لهم يؤدي إلى تكليف الرجال بالأعمال الشاقة الخارجية وتكليف النساء بأعمال المنزل ورعاية الأطفال . إلا أن العالم شهد بمرور الزمن عدداً من التحولات التاريخية الهامة في الحياة الانسانية . ومنها التوصل إلى طرق عديدة للتحكم في الحمل ، والاهتمام بالتعليم وارتفاع مستوياته ، والتحاق المرأة بالعمل الأمر الذي أصبحت معه كل الطرق مفتوحة أمام المرأة لكي تتنافس مع الرجل على أساس من المساواة . وكلما زادت إمكانات المرأة زادت قوتها ، فالزوجة المتعلمة الحاصلة على درجة جامعية والتي تشغل مركزاً مهنياً مرموقاً لا يمكن أن تتبع أوامر زوجها الذي لا يساويها في الدرجة العلمية أو زوجها العاطل عن العمل .

وتعتبر مسألة الإمكانات من المسائل الهامة في بناء القوة في الوحدة الزواجية فمن المعروف أنه عندما تجتمع جماعة من الناس لأول مرة لا بد أن تمضي فترة معينة من التجربة والخطأ نتيجة لفكرة « من سوف يفعل ماذا ؟ ففي البداية لا يتمكن أي منهم من مقارنة مهاراته الخاصة بمهارات الآخرين ، أو من الذي يستطيع أن ينهي عملاً بنتيجة أفضل وبأقل مجهود ، أو من يجد إرضاء أكثر في القيام بعمل معين ، ونتيجة لهذا يقوم الفرد بدور يتزايد تخصصاً بمرور الوقت ، وفي حالة الأسرة ، يكون لتمايز الدور أهمية بارزة في الزيجات الجديدة حيث يلاحظ العروسان في طفولتهما المبكرة نموذجاً خاصاً لوالديهما ، وللآباء بوجه عام (النموذج التقليدي لتمايز الدور تبعاً للجنس) فهناك في العادة تدريب معين (وخاصة للبنت) على الأعمال التي سوف تقوم بها عندما تصبح زوجة وأما ، ولهذا فإنه في أثناء عملية التنشئة الاجتماعية يعد كل من الزوج والزوجة للدخول في الزواج بتوقعات واضحة عن كيفية تقسيم الواجبات بينهما ، وبالإضافة إلى ذلك الاعداد التمهيدي ، يبقى شيء ما في

الزواج ، يرجع إلى التجربة الخاصة التي تميز أي جماعة جديدة . والملاحظة الجديرة بالذكر أن كثيراً من الفتيات في الوقت الحالي يتزوجن دون أية دراية بالاعمال المنزلية نتيجة لظروف الدراسة والعمل التي لا تتيح لهن الفرصة الكافية للتدريب على هذه الأعمال في منازل أسرهن[١] .

وتختلف إمكانات معالجة الأشياء تبعاً للاشخاص ، فإذا كانت الاطباق في حاجة إلى غسل ، والملابس في حاجة إلى كي فالزوجة هي التي تقوم بهذه الأعمال في العادة ، ولكن إذا حدثت ظروف تحول دون قيامها بذلك « فان العرض يجب أن يستمر » أي أن كل زوج ، يكون بديلاً لزوجته ، وكل زوجة تكون بديلة لزوجها . ولكن كثيراً من الأزواج لا يرحبون بالقيام بمثل هذه الأعمال ، إلا أن الضغوط الاخلاقية والظروف الواقعية تفرض عليهم الرضوخ ، لأنه إذا لم ينهضوا بهذه الأعباء يتعرضون للوم ونقد الزوجات ، ويمكن أن يشعروا بتأنيب الضمير أيضاً .

وهناك نظريات عديدة حول إمكانيات القوة الزوجية ، تختلف منظوراتها للعوامل التي تسهم في القوة النسبية للازواج والزوجات ، وقد عدد سنتر Centers وزملاؤه قائمة بخمسة إمكانيات[٢] :

أ ـ تنميط الدور Role Patterning

يكون للازواج المقدرة على اتخاذ القرارات في مجالات معينة . وهناك خط متصل لقوة الزوج يتدرج من أسفل (اختيار الطعام) إلى أعلى (اختيار نوع العمل) .

---

(1) R.O. Blood and D.M. Wolfe, "Husbands and Wives: The Dynamics of Family Living" Free Press and Collier – Macmillan. 1960. pp. 68-69.
(2) Richard Centers, Betram W. Rayen and Aroldo Rodrigues, "Conjugal power Structure, A re-examination", American Sociological Review (April 1971) pp. 264-278.

ب ـ الشخصيــة Personality

يمكن أن نعزو وجود عديد من عناصر الشخصية إلى القوة النسبية ، فقد وجد « سنتر » أن كلا من الأزواج والزوجات الذين يتمتعون بدرجة عالية من السلطة يوجدون في الأسر التي يسيطر فيها أحد الزوجين على الآخر .

جـ ـ العوامل الثقافية Cultural Factors

هناك معايير متباينة من حيث النظر إلى المدى الذي يجب أن تكون عليه قوة الزوج في الوحدة الأسرية . ويؤكد رودمان Rodman في « نظرية الإمكانات في المحيط الثقافي » أن توزيع القوة الزواجية يمكن أن يكون نتيجة للتفاعل بين : أ ـ الامكانات المقارنة للزوج والزوجة . ب ـ التوقعات الثقافية عن توزيع القوة الزوجية[1] .

د ـ السيطرة على الامكانات ذات القيمة Control Valued Resource إن القوة كما فسرناها من قبل ، هي الجانب الذي يتحكم أو يسيطر على الإمكانات ذات القيمة ، فإذا كان لأحد الزوجين إمكانات أكثر من شريكه ، فإنه يصبح الجانب القوي .

هـ ـ الجدارة والانهماك Relative Competence and Relative Involvement ويعني ذلك أن الزوج أو الزوجة الذي يكون أكثر معرفة في مجال معين يصبح أكثر قوة .

لكن تحليل هذه النظريات التي تحاول تفسير بناء « القوة الأسرية » يكشف أنها جميعاً تحاول تفسير الديناميات ولكنها لا تضع في الاعتبار

---

(1) Hyman Rodman, "Marital Power in France, Greece, Yugoslavia and the United States: A Cross-National Discussion," Journal of Marriage and the Family, 29 (May 1917) pp. 320-324.

الإسهامات الممكنة لأعضاء الأسرة الآخرين . وخاصة الأطفال والأقارب فبالرغم من أن الأطفال لا يكون لهم السلطة إلا أنه يكون لهم تأثير قوي ، كما أنهم يشاركون ويمارسون الضغوط على القرارات التي يتخذها آباؤ هم .

٢ ـ تقسيم العمل بين الزوجين

يعتبر تقسيم العمل تبعاً للجنس نظاماً عالمياً ، فجميع المجتمعات لديها أعمال للذكور وأخرى للأناث . ومع ذلك ، فإن الاسهام الذي تقوم به النساء والرجال والأعمال التي يؤدونها تختلف من مجتمع لآخر . وقد وضع دوركايم Durkheim نظرية محتواها أنه في المجتمعات البدائية جداً كان الرجال والنساء متساويين في القوة والذكاء[١] وبناء على ذلك كان الجنسان مستقلين اقتصادياً ، ولكن مع تقدم وتطور صور أخلاقية معينة أصبحت النساء أضعف وعقولها أصغر ، وزاد اعتمادها على الرجل ، في الوقت الذي وضع تقسيم العمل تبعاً للجنس قيداً على حريتها ومركزها الزواجي .

وقد قدم ميردوك Murdock[٢] تفسيراً فسيولوجياً للاختلافات بين الجنسين في تقسيم العمل ، فهو يرى أن الرجل بقوته الجسمانية المتفوقة يستطيع القيام بالأعمال العنيفة لأنه ليس معوقاً كالمرأة بالأعباء الفسيولوجية للحمل والرضاعة ، ولهذا يستطيع الابتعاد عن أسرته للقنص أو الصيد أو الرعي أو التجارة . أما الأعمال الخفيفة التي يمكن انجازها في المنزل أو قريباً منه فتستطيع المرأة القيام بها .

وقد تعرضت آراء ميردوك لمناقشات عديدة ، نشير هنا إلى ، إحداها ،

---

(1) Emile Durkheim, "De la Division du travail "Reference here in to the division of Labor in Society, George Simpson, trans, Glencoe: The Free Press 1933, p. 61.

(2) George P. Murdock, "Social Structure" New-York, The Macmillan Co. 1949, p. 7.

وهي التي أثارها وليام جود Goode[1] حيث يقول ، إذا حصرنا الاختلافات بين الجنسين التي تظهر في أنماط الأسرة . فإن أشهرها هي أن الأنثى تحيض وتلد الأطفال وترضعهم ، وهذا أمر واضح ومفروغ منه ولكن هذا لا يعني أنه لذلك ، يجب على المرأة أن تظل حبيسة المنزل وأن ترتبط بأعمال معينة ، أو أن أدوار النساء والرجال يجب أن تختلف بسبب هذه العوامل .

وأغلب الظن أن المسألة تقوم على تصور اجتماعي وليس على تصور فيزيقي ، وعلى ذلك نستطيع أن نستنتج أن تأثير القدرات البيولوجية في تقسيم العمل بين الجنسين لا يمكن قبوله لأنه لا يقدم تفسيراً حاسماً . ففيما عدا الحمل والولادة والرضاعة يستطيع الرجل بيولوجياً القيام بجميع الأعمال التي تقوم بها المرأة ، وفي المقابل ، تستطيع المرأة القيام بجميع الأعمال التي يقوم بها الرجل بما فيها الأعمال التي تتطلب قوة جسمانية خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن القوة الجسمانية لم يعد لها قيمة تذكر في العصر الحديث .

ويمكن أن نشير إلى الأعمال التي يقوم بها الرجال والنساء بوجه عام فيما يلي :

أ ـ توجد في كل مجتمع قواعد نظامية ثقافية متداخلة في تنميط الأعمال تبعاً للجنس ، فبعض الأنشطة تكون دائماً تابعة للرجال ، وبعض الأعمال تقوم بها النساء . فالزوجة تقوم دائماً بالأعمال المنزلية (الطبخ ، التنظيف ، غسل الملابس وما شابه ذلك) هذا بالإضافة إلى عبء رعاية الأطفال (إذا كان لديها أطفال) .

ب ـ في معظم المجتمعات ، تقوم الزوجات بأشياء أكثر من « الأعمال المنزلية » و « رعاية الأطفال » فهن يسهمن أيضاً في الانشطة الاقتصادية سواء

---

(1) William Goode, The Family "Prentice Hall Inc. Englewood Cliff, New Jersey.

كن مقيمات في الريف أو الحضر .

جـ ـ يمكن بناء على عدم التمييز أو التباين الواضح في العمل في بعض المجتمعات ان يساعد الازواج زوجاتهم في الأعمال المنزلية . في الوقت الذي يستبعد ذلك في مجتمعات أخرى ، حيث يعتبر الأزواج أن القيام بهذه الأعمال يجلب العار ويستدعي الخجل(١) .

د ـ إن إمكانية المساعدة أو القيام بالأعمال المنزلية تحتم التواجد بالمنزل ، ولهذا فإن العوامل أو الظروف التي تبعد الزوج أو الزوجة عن المنزل تنقص من مشاركتهما في الأعمال المنزلية . ولكن حتى إذا كان الزوجان معاً في نفس الوقت فإنهما لا يتساويان . فالزوج يمكن أن يكون في المنزل بجسده بينما يكون عقله مشغولاً بمسؤوليات وظيفته .

هـ ـ ومن المعروف أن الزوجات الريفيات أكثر إسهاماً وانهماكاً ومقدرة في الأعمال المنزلية إذا قورن بالزوجات في المدينة . ومع أن الأزواج في القرية تكون أعمالهم في العادة قريبة من منازلهم إلا أنهم لا يشاركون على الاطلاق في الأعمال المنزلية ، والمرأة الريفية لا تقوم بالأعمال الانثوية فقط بل تشارك أيضاً في أعمال الرجل ، وهذا يرجع إلى أن أعمال الذكور لا تخضع لتحديد واضح في القرية . وقد يقال أن زوجات المدينة مدللات إذا قورن بزوجات القرية فإن نفس القول يمكن أن يصدق على الأزواج في القرية إذا قورنوا بالأزواج في المدينة .

و ـ تبين من دراسة أجريت على الأسرة أن الأزواج ذوي الدخول المرتفعة أقل مشاركة في الأعمال المنزلية ، لأنهم في العادة ينشغلون كلية بعملهم ، وتستطيع الزوجة نظراً لثراء الزوج أن تستخدم الخدم للقيام بدلاً منها

---

(1) **William N. Stephens "The Family in Cross – Cultural Perspective N.Y.: Holt Rinehart and Winston, Inc. 1963, pp. 281-284.**

بالأعمال المنزلية ، ومع ذلك تقع مسؤولية أداء العمل بالمنزل كلها على عاتق الزوجة سواء انجزت بعض هذا العمل بنفسها أو انجزه غيرها تحت إشرافها .

ز ـ ليس الأزواج فقط هم المستغرقون في العمل خارج المنزل ، فهناك عديد من الزوجات يعملن أيضاً ، وليس هناك شك في أن عمل كل من الزوج والزوجة يؤثر على مدى إنجاز الأعمال المنزلية . ومن الواضح نتيجة لدراسات عديدة وجود ذلك الفرق الواضح في إنجاز الأعمال المنزلية بين الزوجات المتفرغات وبين الزوجات العاملات ، فعندما تكون الزوجة بعيدة عن المنزل معظم ساعات النهار فإنها تواجه أعباء عملين في نفس الوقت ، عملها الذي تحصل منه على مرتبها بالإضافة إلى عبء الأعمال المنزلية . وقد يشعر الزوج تحت ضغط هذه الظروف أن عليه التزاماً بمساعدة زوجته في أعمالها بالمنزل ، ومع ذلك فمما لا شك فيه أن حياة المرأة العاملة شاقة وعسيرة إذا قورنت بحياة الزوجة المتفرغة من حيث رعايتها لمنزلها وأسرتها . ويستطيع الزوج أحياناً أن ينقذ الموقف بتخفيف العبء الجسماني عنها ، وأن يقلل إلى الحد الأدنى من درجة الاستياء الموجهة له نتيجة عزوفه عن المشاركة والإسهام ، ومع ذلك ، فإن مقدرة الزوج على تقديم العون لزوجته تعتمد على الوقت الذي يقضيه في عمله . فإذا كان يعمل لفترة واحدة في اليوم فإنه في بقية ساعات فراغه يستطيع مساعدة زوجته ، أما إذا كان يعمل وقتاً إضافياً فإن مساعدته تهبط إلى الحد الأدنى وقد لا يساعدها على الإطلاق[1] .

جـ ـ يصل الزوج إلى مرحلة معينة لا يعمل فيها ، وذلك عندما يحال إلى المعاش ولا يزاول أي نشاط أو عمل آخر ، إلا أنه مع ذلك لا يساعد زوجته بصورة مرضية، بل قد يكون معوقاً لها في كثير من الأحيان بكثرة طلباته .

---

(1) Blood, op. cit., pp. 265-267.

ط ـ يظهر عند مقارنة الأسر ذات الدخل الواحد والأسر ذات الدخلين من ناحية درجة النمطية في توزيع الأعمال ، اختلاف في الأدوار ، ويتجلى ذلك في الأسر التي تكون الزوجة فيها عاملة ويكون دخل الزوج في نفس الوقت منخفضاً جداً . ويرجع ذلك إلى أن الأسرة ذات الدخل المرتفع يمكنها استخدام من يقوم بالأعمال المنزلية أو استخدام الأدوات المنزلية الحديثة . أما في الأسر منخفضة الدخل ، فإن الزوجة تقوم بنفسها بجميع الأعمال وعلى الزوج في هذه الحالة أن يساهم في العمل وأن يساعد زوجته .

وهكذا يتبين من استعراض تقسيم الأعمال بين الزوجين أنه تحت ضغط ظروف معينة يمكن أن يعاد تقسيم العمل في اتجاه الشريك الأكثر ملاءمة أو الأكثر مقدرة . ولكن تقسيم العمل في الأسرة المصرية بشكل عام ، وحتى الآن ، ما زال يجري على النمط التقليدي الذي يخصص أعمالاً معينة لكل من الجنسين فالمرأة مسؤولة مسؤولية كاملة عن الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال حتى ولو كانت عاملة ، والزوج مسؤول عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية إلا أن هناك تغيرات عديدة بدأت تفرض نفسها مؤدية إلى مؤشرات تسمح بنوع من المرونة ، ومن أبرز ما أسفرت عنه بعض الدراسات في هذا المجال أن مدى مساعدة الزوج لزوجته في الأعمال المنزلية ، يختلف تبعاً للطبقة التي تنتمي اليها الأسرة . فأكثر الازواج إقداماً على مساعدة زوجاتهم ينتمون إلى فئة الوظائف المتوسطة ، ولعل ذلك يرجع إلى إرتفاع المستوى الثقافي في هذه الفئة والاتجاه إلى المساواة بين المرأة والرجل، كما أن الإمكانيات المادية المتاحة لها لا تسمح بالاستعانة بالخدم أو إقتناء الأدوات المنزلية الحديثة كلها أو بعضها[1] .

---

(١) راجع الدراسات التي أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة وكذلك ، سناء الخولي : الأسرة في عالم متغير (مرجع سابق) .

ولكن يلاحظ أنه على الرغم من المساواة والديموقراطية التي تسود العلاقات الأسرية في « الطبقات العليا » في المجتمع المصري ، فإن نسبة الأزواج الذين يساعدون زوجاتهم في الأعمال المنزلية صغيرة جداً ، ويرجع ذلك إلى أن ظروف الأسر في هذه الطبقة تسمح بالاستعانة بالخدم ، واقتناء الأدوات المنزلية الحديثة وإرسال الأطفال إلى المدارس ودور الحضانة الخاصة ، وبالتالي لا توجد ضرورة ملحة لإشتراك الزوج في الأعمال المنزلية . وعموماً فإن معظم الأزواج المصريين لا يمدون يد المساعدة لزوجاتهم إلا لضرورة ملحة أو لظروف طارئة أي أن مساعدتهم لزوجاتهم لا تتخذ مظهر الانتظام وتحمل مسؤوليات معينة في تلك الأعمال . إلا أن هذا لا يمنع من استنتاج مدى التغير الذي لحق بوجهة نظر الازواج نحو المشاركة في الأعمال المنزلية .

وهناك عدة أسباب تدفع الزوج في الاسرة المصرية إلى عدم مشاركة زوجته في الأعمال المنزلية :

١ ـ إمكانية الاستعانة بالخدم الذين لا زال المستوى الاقتصادي والإجتماعي في المجتمع المصري يسمح للبعض بأداء مثل ما يقوم به هؤلاء في المنازل على عكس ما هو قائم في كثير من البلاد المتقدمة صناعياً ، وعلى ذلك فإن الزوج يشعر بأنه ليست هناك حاجة لأن يشارك في الأعمال المنزلية .

٢ ـ انتشار استعمال الأدوات المنزلية الحديثة مثل البوتاجاز والسخان والثلاجة . . الخ . مما خفف كثيراً من عبء الأعمال المنزلية عن الزوجة وبالتالي لا يكون هناك داع لمشاركة الزوج في تلك الأعمال ، وخاصة في الأسر التي يتيح لها مستواها الاقتصادي اقتناء هذه الادوات .

٣ ـ وجود نسبة عالية جداً من الزوجات في المجتمع المصري لا يعملن في

وظائف أو أعمال خارج المنزل وبالتالي فهن متفرغات للقيام بالأعمال المنزلية بينما يقضي الأزواج معظم أوقاتهم في العمل ويعودون مرهقين ، مما يحول بينهم وبين مساعدة زوجاتهم .

٤ ـ ما زال كثير من الأزواج وخاصة في الطبقات الدنيا ينظرون إلى الأعمال المنزلية باعتبارها شيئاً ينقص من كرامتهم ومن هيبتهم . ويستنكرون تماماً القيام بمثل هذه الأعمال .

٥ ـ إن فكرة سيادة الرجل وقيادته للأسرة عند أكثر المصريين تتنافى مع أعمال عرفت تقليدياً بأنها من اختصاص المرأة ، بل إن كثيراً من الأزواج ممن لا يؤمنون بالتمييز الحاسم بين الرجل والمرأة يساعدون زوجاتهم ، إلا أنهم لا يعترفون بذلك . لأن التراث الثقافي والإجتماعي التقليدي وما يتخلله من قيم وعرف وتقاليد لا زال يمثل الخط الاساسي للسلوك الإجتماعي الذي يساند نوعاً من الأعمال للرجال ونوعاً آخر للنساء . ويستتبع ذلك أن أساليب التنشئة الإجتماعية في مجتمعنا لا تزال تميز منذ الصغر بين الذكر ودوره والأنثى ودورها .

وأخيراً نستطيع أن نقول أن أهم مظاهر عدم المساواة التي تحدث في الزواج تكون في التقسيم المتطرف للعمل بين الأزواج والزوجات ، والواجبات الكثيرة المفروضة على النساء لرعاية الأطفال والقيام بالأعمال المنزلية وهي المسائل التي تخفض من مكانتها بالنسبة للرجل في الوقت الذي لا يقابلها الجزاء المناسب ، وقد ثبت من دراسات عديدة حجم التأثيرات السلبية التي يتركها كل ذلك على الزوجين . ومن المعروف أن المهنة والأجر يكسبان الشخص مكانة وهيبة ، ولهذا يكون نصيب النساء المقيدات برعاية الطفل والانشطة المنزلية ضئيل جداً من هذه الإمكانيات . وفي هذا المقام ينصح خبراء الأسرة أن تغيير طريقة أداء العمل وتوزيعه بين الأزواج والزوجات لا بد أن يتم عن طريق إعطاء الزوجات حرية الاختيار للتخلص من تلك الاعباء

التقليدية وتشجيع الأزواج لتنمية وإنجاز وظائف معينة ، وكل هذا يجب النظر إليه من منظور إنساني وليس من منظور استقطابي Polarizing[(١)] .

التوافق في الزواج

هناك مظهر هام آخر في النسق الزواجي له أهمية كبيرة ، وهو : كيف يتمكن كل من الزوج والزوجة من شق طريق الحياة معاً ، وقد بذلت محاولات عديدة للدراسة وتحديد نوع العلاقة الزواجية وذلك باستخدام مفهومات معينة مثل التوافق الزواجي ، والنجاح ، والإرضاء ، والثبات ، والسعادة ، والتماسك ، والتكيف ، والتكامل . . . الخ . وكثيراً ما تستخدم هذه المصطلحات بالتبادل لتشير إلى نفس الشيء ، وأحياناً أخرى تشير كل منها إلى معنى مختلف ، كما أنها قد تستخدم بمعنى سيكولوجي ، لتشير إلى الحالة النفسية لأحد الزوجين أو كليهما . أو بمعنى اجتماعي ـ نفسي لتشير إلى « موقف العلاقة » أو بمعنى سوسيولوجي لتشير إلى موقف الجماعة أو النسق . أو تستخدم بالإضافة إلى ذلك للإشارة إلى تحقيق الهدف . وواضح أن كل الاستخدامات وما تنطوي عليه من مفهومات تؤكد على المعاني التي تتعارض مع عدم التوافق ، وعدم الرضا ، وعدم الثبات والتعاسة الخ .

إن التوافق Adjustment في العلاقة الزواجية يناظر أي علاقة إنسانية أخرى، إذ أنه من الممكن أن نتحدث عن كل شكل من أشكال التوافق في

---

(١) يعتقد كثير من دارسي الاسرة أن النصائح والارشادات في هذا المجال ربما تكون غير مؤثرة ، وإنما يمكن الوصول إلى هذا التوازن كمحصلة للتفسيرات التي تفرض وطأتها على الحياة الأسرية والعلاقات بين الأزواج نتيجة تأثيرات الحضيرية واستمرار ظهور المرأة على مسرح العمل وتوجيه المجتمع والمشاركة الفعلية في عمليات الانتاج والخدمات المختلفة . الخ .

العلاقات بين جماعات الأصدقاء أو جماعات النظراء ، أو جماعات العمل ، إلا أن الدور الذي تقوم به علاقات الازواج والزوجات تختلف تماماً عن الدور الذي تقوم به العلاقة المشار إليها . فالزواج ، الذي يتحقق عن طريق معيشة فردين من جنسين مختلفين في قرب مكاني ، هو أمر شائع وله طابع ارتباطي ، يصعب أنهياره بسبب نوع العلاقة الرسمية والعلنية التي يقوم بقاؤه عليها . والإرتباط هنا معناه أن أعضاء يعملون كوحدة وبالتالي يصبح الإتفاق بينهم شيئاً أساسياً . فكل قرار يتخذ يجب أن يضع في اعتباره متطلبات ورغبات كل من الزوجين ولهذا تحدد هذه « القوى » من غير شك مستوى التوافق وطبيعة العلاقة الزواجية .

قياس التوافق الزواجي وتنبؤاته

من المقدمة السابقة . يتضح أن التوافق الزواجي مفهوم متعدد المعاني ، والدليل على ذلك كثرة التعريفات التي تطلق عليه . والمفهوم العام للتوافق الزواجي يتضمن التحرر النسبي من الصراع ، والاتفاق النسبي بين الزوج والزوجة على الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة وكذلك المشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة وتبادل العواطف ، ويختلف النجاح الزواجي عن التوافق الزواجي في أنه يشير بصفة عامة إلى تحقيق واحد أو أكثر من الأهداف التالية : الدوام ، والرفقة ، وتحقيق توقعات الجماعة . . الخ . كذلك تختلف السعادة الزوجية عن كل من التوافق والنجاح في أنها إستجابة عاطفية لفرد معين . ومع ذلك فالسعادة ظاهرة فردية بينما يشير النجاح والتوافق الزواجي إلى إنجازات ثنائية أو مواقف زواجية .

وترى جيسي برنارد Jessie Bernard أن الأبعاد الرئيسية لأي مشكلة في التوافق الإنساني يمكن تحديدها في النقاط التالية :

١ ـ الدرجة أو المضمون أو طبيعة الاختلاف بين الأطراف .

٢ ـ الدرجة أو المضمون أو طبيعة تبادل الآراء والأفكار بين الأطراف .

٣ ـ نوع العلاقة السلبية أو الإيجابية بين هذه الأطراف[1] .

هذا ويمكن أن تكون الإختلافات مسألة درجة أو قد تكون مطلقة ، فالاختلافات في الدرجة تسمح بالأخذ ، والرد ، والمساومة ، والتفاوض ، أما الاختلافات المطلقة فهي لا تسمح بأي درجة من الاتفاق لوجود اختلافات أساسية في الرأي .

وينطوي تبادل الآراء والأفكار على « التفاعل » بالضرورة . ولهذا يعتبر عاملاً بالغ التعقيد في العلاقات الزواجية . ويتجلى في صور عديدة ، فيكون شفهياً أو غير شفهي ، واضحاً أو غامضاً ، مؤدياً إلى علاقات وثيقة أو إلى فرقة دائمة أو مؤقتة .

ويعتبر « نوع العلاقة » البعد الرئيسي الثالث للتوافق ، فالزوج المحب الصديق لا يتوافق آليا مع زوجته لأن الحب (فقط) يجعل الاتصال بينهما أسهل ، ولهذا فإن نوع العلاقة التي تتمثل في المودة والمحبة والعاطفة تؤدي إلى نتائج تختلف كثيراً فيما لو كانت بغضاً أو عداءً أو كراهية .

ومن أجل هذا كله يميل كثير من الدارسين في ميدان الاسرة إلى القول بأن هذه الأبعاد الثلاثة « الاختلافات » ، و« تبادل الآراء والأفكار» ، و« نوع العلاقات » لها أهمية كبيرة في فهم عملية التوافق .

---

(1) Jessie Bernard, "The Adjustment of Married Mates" in Handbook of Marriage and The Family, Harold Christensen (ed.), Chicago: Rand McNally Company, 1964, p. 690.

وقد بدأ قياس التوافق الزواجي بطرق متعددة في أواخر العشرينيات[1]، ثم ظهرت بعد ذلك بعشرة سنوات دراسات واسعة وشاملة اهتمت بتحديد العوامل الشخصية المرتبطة بالتوافق الزواجي[2] ، وتتنبأ بالنجاح الزواجي[3] . وتبين أن معظم هذه الدراسات تركز بصفة أولية على خمسة مقاييس أو أقسام : الإنسجام أو عدم الانسجام ، والاهتمامات والانشطة المشتركة ، وإظهار العواطف والثقة المتبادلة ، وعدم الإشباع ، والشعور بالعزلة الشخصية والتعاسة .

وهناك محاولة أخرى لتصميم مقياس آخر يمكن تطبيقه لتقييم العلاقات الزواجية يقوم على تساؤلات مهمة هي : كيف يقابل الزواج احتياجات وتوقعات المجتمع ، وما هي العوامل التي تسهم في دوامه وثباته ، ودرجة الوحدة التي تنمو بين أعضائه ، والدرجة التي يسهم بها في نمو الشخصية .

وقد وضعت « برنارد » علامة مميزة تصلح لتقييم العلاقة الزواجية . فالمعيار أو المقياس المناسب في رأيها ، يجب ألا ينهض على علاقة متخيلة ، وإنما يجب أن يقوم على علاقة ممكنة وملموسة . ولهذا يمكن أن نقول ، إن الزواج ناجح استناداً إلى مدى الإشباع الممكن الذي يقدمه ، وليس استناداً إلى ما يمكن أن نتخيله ، وعلى ذلك تكون العلاقة الزواجية ناجحة إذا :

أ ـ كان الإشباع إيجابياً ، أي إذا كان الجزاء لكل من الشريكين أكبر من الخسارة .

---

(1) Gilbert V. Hamilton, "A Research in Marriage, N.Y., Albert and Charles Boni. 1929.

(2) Lewis M. Terman, Psychological Factors in Marrital Happiness N.Y., McGrow-Hill Book Company, 1938.

(3) Ernest Burgess and L.S. Cottrell, Jr., Predicting Success of Failure in Marriage, N.Y., Prentice-Hall, 1939.

ب ـ إذا كان استمرار العلاقة الزواجية أفضل من أي بديل آخر كما في المثالين التاليين[1] :

الأول : أ ، ب زوجان ، لا يحب أحدهما الآخر ، وهما على خلاف مستمر ، وتكاليف بقاؤهما معاً كبيرة من حيث الشعور بالفشل والإحباط والوحدة . ولكن بقاءهما معاً له فوائد كبيرة أيضاً ، فهما يستطيعان إقامة مسكن جميل ، ويحصلان على مكانة عالية في المجتمع ، ويحميان أطفالهما من المشاكل التي قد تنتج عن الانفصال والطلاق ، ولهذا تعتبر تلك العلاقة ناجحة ، ليس لأنها أفضل ما يمكن تخيله ولكنها أفضل ما يمكن بمعنى أن الفوائد أكثر من التكاليف ، أو المكسب أكبر من الخسارة .

الثاني : زواج تكون فيه العلاقة الزواجية ناجحة فقط لانها أفضل من أي بديل آخر ، كما في حالة « زوجة غير عاملة » تعتمد اقتصادياً على زوجها ، فيكون بقاؤها معه أفضل من أي بديل آخر بالرغم من عدم التوافق والتعاسة القائمة بينهما .

وللتنبؤ بالتوافق الزواجي ، يمكن استخدام طريقة « عوامل ما قبل وما بعد الزواج » . وقد قدم برجس[2] وآخرون قائمة بالمؤشرات التنبؤية لما قبل ولما بعد الزواج والتي يمكن أن تكون سبباً مباشراً في التوافق الزواجي .

---

(1) Bernard, op. cit., p. 732.

(2) Ernest Burgess, Harvey J. Loke and Mary Margaret Thomes, "The Family: From Traditional to Companionship" Fourth Edition, N.-Y., Van Vostrand Reinbold Company, 1971 pp. 344-345.

المؤشرات التنبؤية المؤدية للتوافق الزواجي

أولاً - مؤشرات ما قبل الزواج

١ - التعرف : لا بأس به أو يدوم أكثر من ستة أشهر .
٢ - القدرة على التوافق : حسنة بوجه عام .
٣ - السن عند الزواج : ٢٠ فأكثر للفتيات و ٢٢ فأكثر للرجال .
٤ - فرق السن : الرجل أكبر أو في نفس سن المرأة .
٥ - الارتباط بالأب : وثيق .
٦ - الارتباط بالام : وثيق .
٧ - المواظبة على الصلاة : مرضية بوجه عام .
٨ - الصراع مع الأب : لا يوجد أو يكون قليلاً للغاية .
٩ - الصراع مع الام : لا يوجد أو يكون قليلاً للغاية .
١٠ - مراعاة النظام والدقة : ليس صارما .
١١ - المستوى التعليمي : تقارب في درجة التعليم بين الشاب والفتاة .
١٢ - فترة الخطبة : تسعة أشهر أو أكثر .
١٣ - الأصدقاء قبل الزواج : لهما أصدقاء .
١٤ - السعادة في الطفولة : مرتفعة أو مرتفعة جداً .
١٥ - السعادة في زواج الآباء : مرتفعة أو مرتفعة جداً .
١٦ - أسلوب إتمام الزواج : الجهات الرسمية .
١٧ - المقدرة العقلية : متساوية .
١٨ - المهنة : التفرغ في خط مهني معروف .
١٩ - التنظيمات : العضوية في واحدة منها .
٢٠ - الإدخار : موجود إلى حد ما .
٢١ - المعلومات الجنسية : مناسبة وصحيحة .

٢٢ ـ مصدر المعلومات الجنسية : الوالدان .

٢٣ ـ العلاقة الجنسية قبل الزواج . عدم وجودها أو مع من سيصبح شريك المستقبل .

ثانياً : المؤشرات الزواجية

١ ـ الأطفال : وجود الرغبة في إنجابهم .

٢ ـ الصراع حول الانشطة : لا يوجد .

٣ ـ المستوى الاقتصادي : البيت الخاص المستقل .

٤ ـ الوظيفة : منتظمة ودائمة بالنسبة للزوج .

٥ ـ وظيفة الزوجة : تعمل والزوج موافق .

٦ ـ المساواة بين الزوج والزوجة : عدم وجود أدنى أو أعلى .

٧ ـ المقدرة العقلية متساوية : من وجهة نظر الشريك .

٨ ـ مهنة الزوج : متفرغ في خط مهني معروف .

٩ ـ ملامح الشخصية : القبول والخلو من الاضطرابات العصبية .

١٠ ـ العلاقات الجنسية : في إطار الزواج فقط مع قليل من مظاهر الرفض .

١١ ـ الجنس : قوة الرغبة المتساوية .

١٢ ـ الاستمتاع بالجنس : ممتع أو ممتع جداً .

وعموماً فقد أصبح هناك شبه إجماع منذ عام ١٩٦٠ على أن المراكز المهنية المالية ، والدخل ، ومستويات التعليم بالنسبة للزوج ، وتشابه الزوج والزوجة في المكانة الاجتماعية والاقتصادية ، والسن ، والدين ، والجزاءات العاطفية ، والاستمتاع الجنسي ، والرفقة ، كلها متغيرات ترتبط إيجابياً مع السعادة الزوجية[1] .

---

(1) Mary W. Hicks and Marilyn Platt, "Marital Happiness and Stability. A Review of the Research in the Sixties" Journal of Marriage and the Family, 32 (November, 1970, p. 555.

توقعات الدور والتوافق في الزواج

إن تكوين أسرة جديدة يتضمن تغيراً أساسياً في الأدوار المشكلة لأنماط السلوك لكل من الفتيان والفتيات . فمعظم هؤلاء يكون جديداً على هذه الأدوار وليس لهم خبرة في تكييف أنفسهم لمتطلبات التفاعل مع شخصية أخرى . ومفهوم الدور نستخدمه هنا للإشارة إلى التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين . والموقف هنا هو الزواج ، وأجزائه هي مكانات الزوج والزوجة ، فالشخص الذي يعرف ماذا يتوقع في موقف معين ويستطيع الاستجابة بصورة ملائمة يكون « متوافقاً » للدور الذي يلعبه ومن المناسب هنا أن نعرض العوامل الرئيسية التي تشكل أهمية كبيرة في التوافق الزواجي من منظور تحليل الدور كمحور أساسي .

١ ـ التوجيه المعياري

إن الطريقة التي يمارس بها الفرد دوره في أي موقف اجتماعي تعتمد أساساً على فهمه للمعايير الثقافية ، أو مستويات السلوك التي توجه تفكيره نحو الموقف . وكل زوج جديد أو زوجة جديدة لديهما ما يشكل الاتجاهات الأساسية عن الأسرة من خلال تجربتهما في أسرتيهما ومن قراءاتهما ومشاهداتهما وما يسمعانه عن الأسر الأخرى . ونتيجة لذلك يؤكد الزوجان عادة على وحدانية الزواج وضرورة إتمام مراسم الزواج التقليدية وغير ذلك من الطقوس المتعارف عليها في الثقافة الخاصة بالمجتمع الذي ينتميان إليه . إلا أن إنتماء الزوجين إلى انساق اجتماعية مختلفة . وبالتالي تعرضهما لعمليات تنشئة اجتماعية مختلفة يمكن أن يوجههما إلى أنساق معيارية قد تكون متعارضة أو على الأقل غريبة بالنسبة لكل منهما .

ويرى كل من ناي Nyeوماكدوجال MacDougal[1] أنه بالرغم من أن كل أسرة جديدة تتبنى ثقافة فرعية خاصة بها ، ناتجة عن ظهور وضع جديد وهو قيام الأسرة . نجد أن الزوجين الجديدين يحافظان على جزء رئيسي من نسق أسرتيهما (السابقتين) حيث يتعرضان لبعض الضغوط الخارجية والداخلية من أجل التطابق مع معايير أسرتي التوجيه لكل منهما ، فإذا كان الزوجان ينتميان إلى أنساق اجتماعية مختلفة من حيث العقيدة الدينية أو الاجتماعية أو السكنية أو السياسية أو الثقافات الفرعية ، فهناك احتمال كبير لنشوء الصراعات وعدم التفاهم ، لأن سلوك كل منهما يعبر في المحل الأول عن المعايير الخاصة التي ينتمي إليها أحدهما والتي تختلف عن معايير شريكه .

٢ - وضع الدور

يتحدد وضع الدور Role position بناء على المعايير التي يعتنقها الأفراد فكل من الزوجين يدخلان في العلاقة الجديدة بأفكار مسبقة عن ، كيف يجب أن يكون هو أو تكون هي كزوج أو زوجة . وهذا يشتمل على مظهرين أو اتجاهين :

أ - اتجاه معين عن وضع الشريك النسبي أو مركزه في التنظيم الجديد .

ب - اتجاه نحو تحديد « الفعل » أو دور الفرد وماذا يجب أن يفعل باعتباره عضواً في أسرة .

ويستخدم مفهوم الدور هنا بطريقتين : الأولى ، لتصوير المجموع الكلي للسلوك المقبول معيارياً في أي وضع معين . والثانية ، للدلالة أو الإشارة إلى المتطلبات السلوكية المختلفة للوضع أو المركز ، ذلك أن كل

---

(1) Nye, I. and Macdougal, E., "Do Families have Sub-Cultures" Sociology and Social Research, Vol. 44.

سلوك متوقع يصبح دوراً وترجع أهمية هذين التصورين للدور إلى أن الزوج والزوجة في وضعيهما الجديدين يكون عليهما حلقة واسعة من الواجبات المحددة معيارياً بالنسبة لهما . والمشكلة الرئيسية في القيام بهذه الأدوار ترجع إلى أن الزوجين يكونان في العادة بدون خبرة تقريباً بهذه الأدوار الجديدة .

وجدير بالذكر أن الوضع أو المكانة لا ينفصل عن الدور (لأنهما وجهان لشيء واحد) ولهذا فإن المشاكل الرئيسية لاختلافات الوضع تنشأ عندما يؤدي شخص ما دوره بناء على تصوره لوضعه الخاص . فإذا كان الزوج يشعر بأن وضعه له مكانة أعلى في الاسرة ، فإنه يظهر هذا الشعور عادة عند أدائه لدوره . وإذا حدث وكانت له المكانة الأعلى بالفعل ، فإن ذلك يعطيه الحق في بلورة القرار الاخير ، وإصدار الأوامر ، ويصبح من المألوف أن يتوقع في كل موقف التأييد والامتياز .

٣ ـ توقعات الدور

تشير توقعات الدور Role Expectations إلى الطرق التي يتوقع بها الفرد كيفية (أسلوب) سلوك الآخرين . وبناء على ذلك وبالتطبيق على الاسرة ، فإن الشريكين إلى جانب الأفكار المعينة عن كيف يجب أن يكون الزوج أو الزوجة في الوضع الجديد ، فإن كلا منهما يأتي ولديه توقعات معينة عن دور الشخص الآخر[1] . ومثال ذلك أن الزوج في العلاقة الزوجية الجديدة ، تكون لديه بعض الأفكار عن كيفية سلوكه (دوره) كزوج وكذلك بعض الأفكار عن كيفية سلوك الزوجة (توقعاته لدور الزوجة) وفي المقابل يكون عند الزوجة بعض التحديد لدورها وتوقعات معينة لدور زوجها .

وتتمثل إحدى المشاكل الهامة في موضوع سلوك الدور Role Behavior

(1) Talcott Parsons "The Social System" N.Y. The Free press, 1951, p. 8.

في التحديد العلمي (المجرد) لتعريفات الدور ثم مقارنتها بأداء الدور بالفعل . ذلك لأن هناك اختلافاً بين ما يجب أن يكون وبين ما هو قائم بالفعل . فمن المعروف أن الزوجين يوافقان على أن الاهتمام بالإبن الذكر وتخطيط مستقبله يشكل جزءاً من دور الزوج في الأسرة ، ولكن في الواقع لا يقوم الزوج بشيء من هذا .

ومن المحتمل في مطلع الزواج أن يبدأ كل شريك بتوقعات معينة من الآخر ومن ثم تطبق هذه التوقعات في كل مناسبة على سلوك الشريك ، ولكن بمرور الوقت ، يمكن أن يتغير مضمون هذه التوقعات ، لتشمل مضمونات أخرى تتصل بعناصر الدور الخاصة المستقاة من تجربتهما معاً . ويجب أن يوضع في الاعتبار أن كل شريك لا تكون توقعاته فقط عن « ماذا يجب أن يفعل الآخر بل أيضاً عن « كيفية » الأداء . فالزوجة قد لا تتوقع من زوجها أن يشارك في الأعمال المنزلية فقط ، بل تتوقع أيضاً أن يقوم بها بطريقة تعاونية وسعيدة . ولكن توقعاتها قد تخيب إذا لم يؤد الزوج عمله هذا كما يجب ، أو إذا قام به بطريقة لا ترضى عنها الزوجة . ونتيجة للتعارض بين التوقعات وما يحدث في الواقع فإنه من المحتمل أن تحدث الصراعات ، فالزوج قد يتصور أنه على كفاءة عالية ، وأنه مقبل على التعاون ويسلك سلوك الصديق المحب ، بينما تراه الزوجة غير ذلك تماماً .

٤ ـ الجزاءات

الجزاءات Sanctions هي المكافآت ، أو العقوبات التي يفرضها فرد على الآخر تبعاً للدرجة نجاحه أو فشله في القيام بتوقعات الدور . وفي حالة الأسرة ، إذا كان أداء الزوج لدوره يلتقي مع توقعات دور الزوجة فإنها سوف تطبق عليه جزاءات إيجابية مثل الإطراء ، وإظهار العواطف ، والشعور الودي . . . الخ . أماإذا كان أداؤه للدور يتعارض مع توقعاتها فإنها في الغالب سوف تطبق عليه جزاءات سلبية مثل : ذرف الدموع ، والشجار أو الإرتداد

بالعواطف (سلوك النكد) .

هذا ويمكن أن تؤدي التفاعلات الانسانية بصفة عامة إلى خلق مناخ إنسجامي مرن ورقيق في حالة توفر الظروف الآتية :

أ ـ أن تتميز الأطراف المتفاعلة بدرجة عالية من الاتفاق على المعايير والمفضلات الشخصية

ب ـ أن تكون الأطراف المتفاعلة متفقة على تعريفات الدور وتوقعاته لكل منهم .

جـ ـ أن يتفق أداء الدور لاحدهما مع توقعات الآخر ، وتكون الجزاءات الايجابية هي النتيجة النهائية للتفاعل .

وباستخدام المخطط التصوري السابق القائم على وضع الدور وتوقعاته يمكن أن نرجع أسباب الصراع في الموقف الزواجي إلى :

أ ـ أن تكون المعايير والمفضلات الشخصية للزوج في صراع مع معايير الزوجة ومفضلاتها .

ب ـ أن يكون أداء الدور بالنسبة للزوج لا يتفق مع توقعات دور الزوجة .

جـ ـ أن يكون أداء الدور بالنسبة للزوجة لا يتفق مع توقعات دور الزوج .

وفي كل من حالات عدم الرضى السابقة تنشأ ضرورة توقيع الجزاءات السلبية التي قد تتخذ صورة مباشرة . ولهذا فإن أي سبب من الأسباب السابقة يمكن أن يكون مصدراً للإحباط في العلاقة الزواجية .

ومع ذلك فإن نقاط الصراع السابقة يمكن تلافيها بإيجاد طرق معينة

للتوافق فإذا أخذنا الموقف الأول للصراع ، نجد أن الزوجان يكونان في حاجة إلى أن يفسر كل منهما معاييره ومفضلاته الشخصية حتى يتمكنا من معرفة واضحة بوجهة نظرهما .

ـ أما في المواقف الصراعية الثانية والثالثة ، فان كلا من الزوج أو الزوجة يستطيعان أن يغيرا تماماً من طريقة أدائهما لدورهما لتتقابل مع توقعات دور رفيقه . كما يستطيعان أيضاً أن يغيرا توقعات دورهما بشكل حاسم لتتطابق مع أداء دورهما . وفي هذه الحالة نستطيع القول أن هناك توافقاً متبادلاً ، ويحدث ذلك إذا نجح كل من الزوجين أن يغيرا أو يعدلا جزءاً من عاداتهما وقيمهما لتتقابل مع قيم وعادات الآخر . أو بمعنى آخر تكون نتيجة التغيير أو التعديل النهائية قيام اتفاق بين أداء الدور وتوقعاته .

وجدير بالملاحظة أن ما ذكرناه ليس هو نمط التوافق الوحيد ، فهناك نمط آخر ، ذلك أنه في بعض الحالات يستطيع الزوجان أن يسلما بالتباين والتفاوت بين أداء الدور كما يحدث في الواقع وبين توقعاته أو بين المعايير التي يكون التغير فيها صعباً أو غير ممكن على الإطلاق . وعند ذلك يكون على الشريك أن يحترم وضع الآخر ويسلم به دون الموافقة عليه أو التوافق معه ويطلق على هذا النمط « الموافقة على عدم الاتفاق » Agreeing of Disagree[1] إلا أن هذا لا يعتبر توافقاً بالمعنى السابق كما أنه لا يحدث في جميع مراحل الزواج ، بل إنه يحدث في مرحلة متأخرة منه حين يصبح التوافق بالمعنى الأول غير ممكنٍ ويصبح الخضوع للأمر الواقع أمراً لا مفر منه .

وعموماً فإنه من الخطأ أن نستدل من المظهر الخارجي والسلوك العام للزوجين كمؤشر على التوافق الكامل بينهما ، لأن التوافق الكامل لا يمكن حدوثه إلا إذا صاحب التغير في السلوك حالة عقلية « تقبل وتدعم هذا التغير »

---

(1) W.C. Dyer, "Analysing Marital Adjustment using Role Theory" Marriage and Family Living, Vol. 24, 1962, pp. 371-375.

وعلى ذلك ، إذا غير الزوج طريقة أدائه لدوره ليقابل توقعات زوجته علانية ، فإن التوافق يحدث بشكل ظاهر أو ملموس ، ولكنه قد يكون مستاءاً أو مغتاظاً وهو يفعل ذلك . ويمكن أن يوجه هذا الإستياء أو الغيظ إلى مجالات أخرى غير تلك التي حدث فيها التوافق .

ومن دراسة لعدد من الحالات تبين أنه يمكن أن يوجد اتفاق وتعايش بين الزوجين دون وجود توافق ، فالإعتداء على التوقعات ينتج غالباً من الشعور بعدم الانسجام والخلافات أو النزاع بين الزوجين إلا أنه في أوقات الحنان المتبادل والاعتذار عن الأفعال الماضية ، يمكن أن يعتذر الزوجان كل منهما للآخر ويطلب مغفرته . وهذا يعود بهما إلى العلاقات المتناسقة ولكن بمجرد وقوع أي اضطراب في التوقعات أو السلوك فإن الخلاف يعود مرة أخرى .

٥ ـ صراع الدور والتوافق

إن أساس مشكلة صراع الدور هو حالة التناقض التي يتميز بها ، وذلك لأن نفس الإستجابة قد تحمل في طياتها الثواب والعقاب . فمثلاً الزوجة شديدة التدين التي تستجيب لتوقعات زوجها بالذهاب معه للتنزهة في أماكن تحول بينها وبين القيام بشعائر الدين يمكن أن تنتهك توقعاتها وتوقعات الآخرين . وإذن تحمل الإستجابة لتوقعات الزوج في طياتها العقاب والثواب . والثواب هنا من الزوج والعقاب من نفسها ، من خلال شعورها بالتجريم الذاتي نتيجة لإنتهاكها لدورها الآخر .

وقد يجد أحد الزوجين نفسه في صراع نتيجة لإختلاف التوقعات عن الدور الذي يجب أن ينهض به . فالزوجة الشابة يمكن أن تكتشف أن توقعات زوجها تختلف عن توقعات أمها وحماتها عن كيفية أداء دورها كزوجة . وفي حالة توافق الزوجة مع توقعات الزوج فإنها بذلك تخالف توقعات الآخرين . ويبدو أن هذا النوع من الصراع يستعصي على الحل . وخاصة إذا كان كل فرد يشعر أن توقعاته هي الصحيحة وفي بعض الأحيان يشعر الفرد بأنه في حاجة

إلى أداء دوره بطريقة معينة ترضيه هو شخصياً بغض النظر عن متطلبات الآخرين .

ومع أن هذا الفعل الأخير يقلل إلى حد كبير من الصراعات الداخلية ، إلا أنه لا يستطيع استبعاد الضغوط الخارجية بصفة نهائية .

هكذا يبدو واضحاً أن ما سبق ليس تخطيطاً منطقياً لإمكانيات التوافق بين وجهات نظر معينة ، فهو لم يتناول الديناميات النفسية الإجتماعية المتضمنة في العملية الصعبة لتغير الاتجاه أو السلوك . إذ لا يمكن أن نفترض أن أي توقعات تصلح ان تكون مسألة نفسية بحتة . فقد سبق أن أشرنا إلى أن كل صراع يكون نتيجة لسلوك فرد معين لا يتفق مع توقعات الآخر . إلا أن الصراع يكون صعباً للغاية ، ذلك لأن تغيير سلوك شخص معين أو تغيير توقعاته يتطلب توافقات شخصية وهذا أمر تكتنفه صعوبات بالغة ، وهذا بالإضافة إلى أن مستوى نضج الشخص يكون عاملاً هاماً يحدد مقدرته على تحقيق التوافقات . والمخطط السابق لم يبين كذلك أي أنماط الصراع أكثر حدوثاً ، ولا أي أنماط التوافق اكثر سهولة ، ومع ذلك فإننا نستطيع أن نقول ، إن التغير في توقعات الدور يكون أكثر سهولة من التغير في السلوك . كما يجب أن يوضع في الاعتبار أنه توجد وسائل أخرى ممكنة لخفض الصراع في المواقف الزواجية دون الحاجة إلى التوافق الفعلي بالمعنى الذي أشرنا إليه ، ذلك حين يكون بإمكان الزوجين القيام ببعض التغييرات في المعايير والأدوار أو التوقعات . فإذا كان الصراع يقع بين الزوجين نتيجة لقضاء الزوج وقتاً طويلاً مع أصدقائه في الخارج (وهذا سلوك يختلف مع توقعات الزوجة) فإن تغيير منطقة المسكن قد تكون طريقة فعالة للحيلولة دون لقاء الزوج بأصدقائه ، لأن هناك احتمالاً نتيجة لتغير الموقف المسبب للصراع أن يقضي الزوج أكثر وقته مع زوجته . ولكن

---

(1) Dyer, Ibid. p. 256.

إذا لم يتمكن الزوج من التوافق مع زوجته في ضوء الظروف الجديدة فمن الممكن أن يصنع مجموعة جديدة من الأصدقاء . وليس هناك شك أن الموقف الزواجي يكون عرضة للتغير نتيجة لأفعال معينة مثل : التنقل ، تغيير الأعمال ، وإنجاب طفل ، والكوارث العائلية . . . الخ ، وفي هذا الصدد يميل عدد كثير من دارسي الأسرة الى القول بأن المواقف المتغيرة يمكنها أن تستبعد الصراع ، وقد تؤدي إلى حدوث التوافق بين الزوجين .

التغيرات التفاعلية المصاحبة لامتداد الزواج

يرى كثير من الباحثين أن التوافق الزواجي يميل إلى التغير خلال دورة الحياة ، وهذا الرأي يتناقض مع الآراء السابقة التي تفترض أن مفاتيح النجاح الزواجي تتركز في الاستعداد الشخصي والانسجام في الاختيار الزواجي والتوافق المبكر .

وبناء على الاتجاه الأول فإن إعادة تعريف الأدوار الزوجية تصبح مطلباً ملحاً إذا أراد الزوجان الإبقاء على علاقة مرضية بينهما في ضوء تجربتهم الجديدة . إلا أن التوافق الزواجي الذي يتغير بامتداد الزواج لا يكون في العادة متعمداً أو مدركاً من الزوجين ، « فالناس يفاجئون أحياناً عندما يدركون التغيرات التي حدثت لعلاقاتهم الزوجية خلال الزمن ، فهم يتوافقون مع بعضهم البعض دون أن يشعروا بهذه الحقيقة »[1] .

وقد بينت الدراسات أن امتداد الزواج تصاحبه زيادة في نظرة عدم الرضا المتكامل عند كل من الزوجين . ويبدو أن الأشخاص السعداء في زواجهم

---

(1) Jessie Bernard, "The Adjustments of Married Mates" in Harold T. Christensen (ed.), Handbook of Marriage and the Family, Rand McNally and Co., Chicago, 1964, p. 680.

ينظرون إلى شركائهم بشكل أقل اعجاباً بمرور الوقت ، في الوقت الذي ينظر فيه غير السعداء إلى شركائهم أنهم أصبحوا غير مرغوب فيهم على الاطلاق .

وتقل بمرور الوقت أيضاً جاذبية العلاقة الرومانتيكية في الزواج . ففي دراسة أجراها « بينو » تبين أن الرجال يتمكنون في السنوات المبكرة للزواج من التحرر من هذه الجاذبية أو هذا الوهم أكثر من النساء ويعيشون الواقع ، وربما كان ذلك من بين الاسباب التي تخلق التباين بين الرجال والنساء مما يجعل من التوافق بينهما مشكلة إلى حد كبير نظراً لاختلاف وجهات نظرهما نحو موضوعات بعينها[١] .

وهناك اختلافات أخرى في اتجاهات وميول وآراء الازواج والزوجات تؤثر إلى حد كبير في درجة التوافق الزواجي ، وقد تبين من إحدى الدراسات التي أجريت في مجال التوافق ان النساء أكثر ميلاً إلى التوافق في الزواج من الرجال ، ونتيجة لذلك تكون الزوجة أكثر حرصاً وانتباهاً ويقظة في إنجاز متطلبات زوجها وتحقيق رغباته ، وربما كان ذلك هو الذي دعا بعض الدارسين إلى القول بأن التوافق في الزواج يكون أسهل عند الرجال لأن توقعاته بالنسبة له تكون أقل[٢] .

ويظهر اختلاف آخر عندما يمتد عمر الزواج ، وخاصة عندما تدعو الحاجة إلى معالجة النزاع أو الخلاف بين الزوجين ، فالمحلاظ أن الأزواج يتبعون سياسة « التريث » في الرد عندما تقوم زوجاتهم بأفعال تتعارض مع

---

(1) Peter C. Pineo, "Disenchantment in the later Years of Marriage", Marriage and Family Living, February 1961, p. 10.

(2) Nick Stinnett, Janet Collins, and James E. Montogomery, "Marital Need Satisfaction of Older Husbands and Wives", Journal of Marriage and Family August, 1970, p. 432.

توقعاتهم . وعلى العكس من ذلك تبين أن الزوجات يقابلن انتهاك توقعاتهن بالثورة أو بالثرثرة (توسيع نطاق الموضوع كلامياً) أو برد الفعل السلبي .

هذا وتتناقص مع مرور الوقت كذلك درجة المثالية الرومانتيكية التي كانت تسبق الزواج ، وتبدأ في الظهور قيم جديدة تحل محلها ، فالتجربة المشتركة بين الزوجين تمدهم بروابط قوي ، فضلاً عن أنهما يستمدان الاشباع من المواقف التي تعترضهما والتي يستطيعان حلها معاً ، أي أنهما يستطيعان خلق عالم خاص يجمعهما فيتبادلان من خلاله الأخذ والعطاء . ولهذا تؤدي مشاركة الازواج زوجاتهم في مواجهة المتاعب ومعالجة المشاكل يمكن إن تؤدي إلى إيجاد رابطة وثيقة بينهما تمكنهما من تبادل المشورة والمساعدة وكسب الرضى عندما يتم لهما حل مشاكلهما بنجاح .

وغني عن البيان أنه إذا أريد للعلاقة الزوجية أن تحقق الشعور بالأمن وأن تتوصل إلى استمرار الإشباع فإن أنماط السلوك في المرحلة الرومانتيكية تكون غير ملائمة ، فالزوجة التي تنزعج أو تشعر بالقلق لأن زوجها لم يعد يقدم لها زهوراً كما كان يفعل من قبل لأنها تريد التمسك بالرمز المرتبط بفترة الحب الرومانتيكي ، أو أنها تريد الزهور كعلامة وحيدة على حب زوجها ، فإن هذا يؤكد أنها لا تشعر بأي دليل آخر على حبه لها . ومن المعروف أنه بمرور الوقت يتغير الزوجان خلال مراحل حياتهما المشتركة ، فتتعرض أهمية الزواج والأسرة تبعاً لذلك لتغيرات عديدة . ومن بين ذلك أن معرفتهما أحدهما للآخر تزداد عمقاً الأمر الذي يجعل من التوقعات المتبادلة شيئاً ليس جديداً ولا مثيراً .

وهناك مؤشرات عديدة أخرى تؤكد أن الازواج يكونون أقل إنغماساً في الزواج من الزوجات . ويظهر هذا الاختلاف بوضوح في معظم مراحل دورة الحياة الزوجية . ويختلف التقييم الموضوعي للاشباع الزواجي بشكل بسيط للغاية خلال أطوار الانجاب وتربية الأطفال بالنسبة للذكر ، أما الزوجات فإنهن

يواجهن نقصاً في الاشباع الزواجي العام ونسبة عالية من المشاعر السلبية خلال هذه الأطوار نفسها . ومن المتوقع أن تستمر هذه الاحاسيس حتى المرحلة التي يتهيأ فيها الابناء لمغادرة المنزل . إلا أنه يلاحظ أن الزوجان يشعران بعد انتهاء جميع مراحل تربية الأطفال بزيادة حقيقية وجوهرية في الاشباع الزواجي خلال مراحل الاستيداع أو المعاش[1] .

ولكن يبدو أن مرور الوقت يؤدي إلى نمو اتجاهات جديدة نحو الزواج ، ذلك أن معدلات السعادة الحقيقية عند عدد كبير من الأزواج تتناقص كلما تقدمت بهم السن وامتد عمر الزواج ، حيث يرى معظم هؤلاء أن السعادة الحقيقية كانت في سنوات الزواج المبكرة ، تلك السنوات التي حدثت فيها معظم مشاكل التوافق الزواجي . وفي هذا الصدد يرى جارين Gurin أن مشاعر عدم التلاؤم والمشاكل الأخرى تتناقص بتقدم السن ، وقد يتوهم البعض أنه بمرور الوقت يزيد التوافق مع شريك الزواج ، وترد جيسي برنارد على هذا الرأي بقولها « إن العلاقة الزواجية التي تتكون مع تقدم السن يمكن أن تكون مؤشراً على الاستسلام وليس على السعادة[2] . أن مرور سنوات من التفاعل الزواجي الذي قد يؤدي إلى التآلف بين الزوجين يمكن أن يحيل العلاقات الزواجية إلى نمط روتيني ويكون من السهل التنبؤ بأبعادها ونتائجها .

ونظراً للأهمية العظمى التي توليها المرأة للزواج ، فإن تأثرها به يكون كبيراً مهما بلغ امتداده . وعندما تصل المرأة إلى أواخر الاربعينات فإنها تتعرض لتغيرات جذرية ، وخاصة عندما يكبر الابناء ويغادرون المنزل ، وتتضح هذه التغيرات أكثر ما تتضح عند النساء اللائي وهبن حياتهن لأطفالهن

---

(1) Boyd, C. Rollins and Harold Feldman, "Marital Satisfaction Over the Family life Cycle" Journal of Marriage and the Family. February, 1970, pp. 26-27.

(2) Bernard, op. cit. p. 732.

حيث يواجهن صعوبة كبيرة في التوافق ، ويضاف إلى ذلك بوجه عام أن المرأة في تلك السن تصل الى سن اليأس مع ما يصحبه من نقص في الهرمونات مما يؤدي إلى تغيرات فيزيقية ووظيفية . إن التأثير النفسي المصاحب لسن اليأس يكون قوياً للغاية لأنه ينهي بعنف ما تعتقد كثير من النساء أنه أهم الوظائف الا وهو القدرة على الانجاب .

كيف ينجح الزواج

مقدمة :

سوف نحاول فى هذا الفصل مناقشة بعض العمليات وأنماط السلوك وسمات الشخصية التى تلعب دورا هاما فى جعل الزواج ينجح أو يفشل . ونظرا لأن النجاح أو الفشل ليسا وجودا متميزا ولكنهما مظاهر للاستمرار ، ولذلك فمن دواعى الدقة أن نقول أننا سوف نناقش بعض العوامل التى يحدد التأثير المترابط بينها مستوى التوافق فى الزواج . ولذلك فإن القارىء من خلال قراءته لهذا الفصل يستطيع القيام بعمل شىء ، إما من خلال اختبار الذات على مستوى الوعى أو من خلال وضع هذه العوامل موضع التنفيذ فى سلوكه المتعلق بالزواج أو من خلال تجنبها . ولا نعنى بذلك أن يكون الأمر معادلا لإعطاء القارىء « وصفه » للزواج الناجح ، أو منهجا مبسطا مثل « إفعل هذا بنفسك » أو « الزواج السعيد فى ثلاثة دروس » . ولكننا هنا نخاطب القارىء على أنه شخص يهتم بالاعداد لزواجه ، ولذلك فمن المفروض أن يدفع الى عمل ما يستطيع للمشاركة فى نجاحه . وأى مناقشة مثل تلك التى سوف تتوالى فى هذا الفصل لا يمكن تجنب تعميمها على افتراض أنه عند تحقيق أى زواج مفرد فهناك مكان متسع للابداع والتخيل و غرس انعكاسات متعددة المظاهر للشخصيات الفردية . والاطار الثقافى الذى تحدث الزيجات من خلاله يمارس بعض الضغوط تجاه تشابه البناء . ولكن داخل هذا البناء فإن الزوجين قد يكون لديهما مرونة للعلاقات المتبادلة والوظيفة ، ومن هنا فإننا سوف نهتم ببعض العوامل داخل الزواج التى تحتاج الى أن تكون مفهومة من أجل اسهام الفرد فى مثل هذه العلاقات المتبادلة والوظائف .

---

* استعنت فى كتابة هذا الفصل بكتاب :

Henery A. Bowman , « Marriage for Moderns »
Mcgraw Hill ,Inc . , New - York , 1974 .

الصراع مسألة طبيعية

أن بعض الصراعات التى تنشأ خلال الزواج هى مسألة طبيعية ومتوقعة . فلا يمكن لشخصين أن يعيشا فى وحدة حميمة بدونها يكون كل منهما فاتر الشعور يقبل العلاقة بهدوء بليد . فالرجال والنساء بطبيعتهما يكون لكل منهما أهداف متميزة ومع ذلك فلا بد أن يأخذ كل منهما فى اعتباره وجود الآخر . فهناك دفعة تبعد كل منهما عن الآخر ، كما أن هناك انجذاب نحو بعضهما البعض . وقد أطلق « سامنر وكيلر »[1] مصطلح « التعاون العدوانى » ليشيرا به الى ارتباط الجنسين . والصراع ليس دائما مظهرا مكشوفا ولكنه قد يكون خفيا . وليس معناه دائما التشاجر، كما لايعنى بالضرورة الفشل . فلا بد للزوجين أن يتركا فكرة أن زواجهما قد انتهى بمجرد حدوث أول صراع أو توتر أو خلاف بينهما . فالزوج والزوجة ليسا فى حاجة الى أن يكونا متفقين على كل شيء أو حتى أن يتشابها فى كل سمة . ان الامر ليس فقط عدم الاتفاق ولكنه الطريقة التى يعبر بها عن هذا الموقف والتى تسبب الصعوبة . ومع ذلك ، فمن المهم الاتفاق على الاهداف الرئيسية على الاقل من أجل الوصول الى حل وسط يمكنهما العمل به معا .

فهم للشخصية والسلوك :

إن الشخصية ليست موروثة ، وبالرغم من ذلك فان بعض مكوناتها موروث فبناء جسم الفرد ، والطريقة التى تتكامل بها الاعضاء ، والطريقة التى يقوم بها بوظائفه ومزاجه واستعداداته كل ذلك يكون الامكانات الطبيعية التى يواجه بها الطفل حديث الولادة بيئته ويبدأ فى التوافق معها . فشخصيته تصبح نتاجا للتفاعل بين امكاناته الطبيعية وبين بيئته . ويمثل الافراد الأخرون جزءا هاما من بيئة الفرد . فردود أفعاله نحو الأخرين وكذلك ردود أفعالهم بالنسبة له تلعب دورا فى تكوين شخصيته . وقد تبدأ ردود أفعال الأخرين حتى قبل ولادة الفرد . مثل أن يفضل

---

1 - Sumner. , William Graham and Albert Galloway Keller , « The Science of Society » , Yale University Press , New Haven , 1927 .

الوالدان مثلا انجاب ابن ذكر او العكس . وهما قد يختاران له اسما ، وتلاحظ الأم أو حتى الأب وكذلك الاقارب نمو هذا الفرد وحركاته حتى قبل أن يولد . وهكذا فإن المسرح قد أعد لنمو شخصيته حتى قبل الولادة .

ويمكن مقارنة الشخصية بجبل من الجليد يظهر جزء بسيط منه طافيا فوق سطح الماء . وبالرغم من ذلك فهذه النسبة الصغيرة الظاهرة مع اختفاء النسبة الاكبر بعيدا عن الابصار تحت السطح هما جزئين متكاملين لنفس الكتلة . فالسلوك الظاهر والذى يمكن ملاحظته للفرد يمثل فقط نسبة صغيرة من شخصيته الكلية . وبالرغم من ذلك فالباقى موجود وبعضه مختف دائما بعيدا عن الرؤية أو يظهر على السطح من وقت لآخر وذلك طبقا لحركة الامواج وظروفها التى تجعلها ترتفع أو تنخفض خلال تجارب الحياة .

ويظهر أغلبنا سمات وأنماط للسلوك لا تتغير بسهولة من خلال مجهوداتنا الشخصية . و ما يصدق علينا يصدق على من يرتبطون بنا سواء كانوا أزواجنا أو زوجاتنا أو المرتبطين معنا بالخطبة . فهم أيضا لا يتغيرون بسهولة . و من ناحية أخرى فهناك سمات قد تتغير من خلال المجهود و التحليل . وقد يساهم الفهم المتعمق لردود فعل الانسان فى تحسين التوافق المتبادل . فإذا فهمنا لماذا يكون الانسان كما هو عليه فإن هذا الفهم نفسه يميل الى استخراج علاقات اكثر اتفاقا معه حتى لو لم نستطع تغييره . وقد لا نكون قادرين على تغيير سلوكه ولكننا قد نغير تفسيرنا لسلوكه ، وهذا فى حد ذاته له دلالة هامة . « والمعرفة المتعمقة » تمكننا من أن نلعب دورا أكثر تأثيرا فى توجيه نمونا . وبالرغم من أن الفرد قد لا يكون قادرا على تغيير كل سماته غير المرغوب فيها ، فإنه قد يستطيع من خلال المعرفة والفهم أن يصنع معظم حدوده ، ويمنع جعل السمات غير المرغوبة فى حالة أسوأ أو يجعلها أكثر وضوحا .

١ - كل سلوك له سبب أو أسباب

لكى نتوخى الدقة فإنه من المناسب أن نقول أن كل سلوك له ما يسبقه أو هو نتاج لعوامل مشتركة . والسلوك الذى يسلكه أى فرد له دائما جذوره . وهذه قد

تكون حديثة نسبيا أو قد تمتد بعيدا الى عهد الطفولة . وقد يرجع هذا الى خبرات هامة أو الى أحداث غير هامة نسبيا . كما ان العمليات الفسيولوجية لها أيضا آثارها على السلوك . فالفرد هو نتاج لخصائصه الموروثة بالاضافة الى تجربته . ومع ذلك، فهذا المفهوم يجب الا نفرط فى تبسيطه . فالتجربة أو الخبرة لا يجب ان تعرف من خلال قطاعات كبيرة مثل : الازمات والصدمات . وحياة الاسرة ، ومنهج الكلية . حيث يمكن النظر اليها من خلال مصطلحات التغير المتواصل فى البيئة والأمزجة والاتصال ، والافكار ، والعواطف والاحداث التى تمتد خلال أكثر من ٨٥ الف ثانية فى اليوم وخلال الحياة اليومية .

وبما أننا نعيش فى الحاضر اللحظى فإن جذور السلوك يجب أن تكون بالضرورة فى الماضى ، فيما عدا العمليات الفسيولوجية الراهنة التى قد تؤثر فى السلوك . وقد يغير الفرد اتجاهه نحو الماضى أو قد يغير من نتائجه من خلال التجربة الحاضرة والمستقبلة ولكنه لايستطيع تغيير الماضى ذاته . ولكنه يستطيع أن يتغير من خلال بناء انماط جديدة للسلوك . وهو لا يمكن أن يتغير بمجرد قوله هذا أو بمجرد ان يطلب منه شخص آخر أن يقوم بهذا التغيير . إن خبراته قد تؤدى به الى اتخاذ قرار يتضمن التغير، ولهذا يبدو وكأنه غير من سلوكه بارادته . ولكن الحقيقة ان السلوك يتغير بالفعل من خلال الخبرة والتجربة .

وعندما يواجه الفرد موقفا جديدا فإنه يقوم برد فعل مؤثر أوغير مؤثرمعتمدا على كيفية ودرجة ارتباط الموقف الجديد بالخبرة . فقد يسيطر عليه الماضى بطريقة مكثفة لدرجة انه لا يستطيع أن يتمثل الموقف الجديد . ومثال ذلك ، الاب الذى يعارض الحرية التى يتمتع بها أبناؤه ، ففى هذه الحالة ، تحدث مقاومة للجديد لأن القديم أصبح متبلورا ، وليس للفرد أى اهتمام لاستيعاب المواقف الجديدة .

٢ – التكييف

عند محاولة فهم جذور السلوك الانسانى نلاحظ ان استخدام مصطلح « التكييف » يعتبر من المفهومات المثمرة . فالتكييف يفسر معظم مخاوفنا وأذواقنا و اتجاهاتنا . فالخوف من الحيوانات والاماكن المرتفعة أو الاماكن المغلقة ، و من

النساء والرجال والجنس أو الزواج يتطور بهذه الطريقة . وتذوق الطعام أيضا ناتج بدرجة كبيرة عن التكييف ، وفي هذا التكييف تلعب العادة دورا بارزا . فبعض الاطعمة تكون مستساغة وبعضها ليس كذلك ، وقد يكون نفس الطعام مقبولا باسم ومثيرا للتقزز تحت اسم آخر . وقد يصبح الفرد متكيفا من خلال خبرة واحدة تترك لديه انطباعا لا يمكن ازالته ، فحادثة خطيرة واحدة تجعل الشخص يخاف من قيادة السيارة . وإحدى حالات التخمة في الأكل قد تجعل الطفل يفقد شهيته لطعام معين يقدم اليه . وتعلم الطفل الا يلمس الأشياء التي ليست ملكا له هي نتيجة لسماعه أوامر « لا » الكثيرة أو عقابه ، ولكن تعلمه عدم لمس الموقد الساخن قد يكون نتيجة خبرة واحدة .

٣ - العقد

العقد هي مجموعة أو سلسلة من ردود الافعال تسببت عن منبه واحد قد يكون له ارتباط مباشر مع الاستجابة الكلية . والعقد قد تأخذ المظهر الانفعالي لأحد عناصرها . وهذا المظهر الانفعالي يكون واضحا في العادة . فمن الملاحظ أن الانسان يمكنه أن يبدأ مناقشة جامية بسهولة عند التعرض لموضوعات معينة خاصة تلك التي تتصل بالسياسة أو العقيدة . فالناس في الغالب تكون لديهم عقدا من هذه الموضوعات . وتعتبر النقود أيضا مركزا للعقد وكذلك الجنس . فإذا نمت عقدة الشعور بالنقص عند شخص معين من خلال التجربة ، فإن هذه العقدة قد تظهر الى الوجود عند حدوث أبسط منبه . وقد يقول البعض شيئا يفسره هو على أنه يحط من قدره أو يقلل من قيمته أو مكانته ، وهنا تكون الاستجابة غير متناسبة مع درجة أو كثافة المنبه . وعموما فهناك سوء استخدام لمصطلح « عقدة النقص » إذ أن بعض الاستخدامات قد تكون مبالغا فيها أو غير مترابطة ، ولكن من المفيد أن نوضح كيف أن مجموعة من ردود الافعال قد تتجمع حول رد فعل أصلي وتتخذ المظهر الانفعالي .

ولا يشير أي شعور وقتي بالنقص أو عدم الامان الى عقدة النقص ، ومع ذلك فقد يشعر الفرد أنه أقل اذا أضطر الى الدخول في مناقشة مع فرد يتفوق عليه

بوضوح . وقد يشعر بعدم الامان فى موقف تكون فيه مخاطرة واضحة . ففى مثل هذه المواقف فإن الشعور بالنقص أو عدم الامان ينشأ مباشرة من الظهور الموضوعى للعوامل الموجودة فى الموقف الراهن . ومدخله فى مثل هذا الموقف يكون عن طريق توجيه الجهد لمنع النتائج غير المرغوبة أو لإزالة الاسباب . ولكن عندما يكون لدى الفرد عقدة نقص ، فانه يقوم برد فعل للموقف الراهن كما لو كان موقفا من الماضى . وهو يقوم بهذا لأن نمط رد الفعل الذى تطور نتيجة للماضى بطريقة قد تستدعى أو تثار بمواقف لا علاقة لها بالموقف الأصلى،والاستجابة هنا ليست متفقة مع الموقف الفعلى . وقد يستجيب الفرد كما لو كان أقل بينما هو ليس كذلك فعلا . ومثل هذا الفرد قد يحاول تعويض نقصه كما يشعر به بطريقة موجهة لا الى هذا النقص ولا الى أسبابه ، إذ قد يأخذ تعويضه شكل الاعتذار غير الشفهى مثل المرض السيكوسوماتى .

فاذا كان شخص ما مدركا لعقد الشخص الآخر « الزوج او الزوجة » فإنه قد يتجه الى أن يجعل من علاقاتهما المتبادلة علاقة أكثر انسجاما بأن يعوض عن العقد المرغوب فيها ويتجنب المنبهات التى تثير الأخرى . فمثلا ، إذا كونت زوجة عقدة من النوع الرومانسى الذى قد يتأثر بالزهور فإن الطريق يكون مفتوحا أمام زوجها لزيادة سعادتهما المتبادلة بوسيلة سهلة جدا . وإذا كانت قد تكونت لديها من ناحية أخرى عقد تتعلق بالمال أو الجنس أو الخوف فإن إثارة هذه العقد يمكن تجنبها بقدر الامكان .

ويمكن تغيير العقد أو محوها تماما من خلال التجربة والتكييف . ولايمكن إزالتها عن طريق المناقشة أو الأمر ، فلا يستطيع انسان ما ان يقتلع عقدة من جذورها وأن يزيلها من شخصيته بإرادة منه أو بسهولة . فاغلب الناس يعيشون بعاداتهم وانفعالاتهم اكثر مما يعيشون بعملياتهم العقلية . ونتيجة لذلك فإن المنطق والعقل والمناقشات العلمية لا تكون مؤثرة غالبا فى تعديل السلوك .

٤ – التكيف السلبى

التكيف السلبى هو أحد مظاهر التكييف بمعناه الواسع . فقد يفقد المنبه تأثيره

الأصلى ويفشل فى اثارة أى استجابة . فقد يصبح الطالب معتادا على الضوضاء التى كانت تمنعه فى الماضى من التركيز فى استذكار دروسه . كما أنه قد يكون فى حاجة الى الضوء الذى كان يزعجه من قبل والدليل على ذلك ، أنه عندما كان صغيرا لم يكن يستطيع المذاكرة عندما يدير أحد فى المنزل المذياع . والآن وقد أصبح يافعا فإن اول شىء يفعله عندما يبدأ فى الاستذكار هو أن يدير المذياع . كما أن الأشياء الشخصية الغريبة التى كانت تضايقه أولا قد لا ينتبه اليها تدريجيا ، فالفتاة التى تكره الأعمال المنزلية عندما تدفع لتأديتها فى منزل والديها قد تتغلب على هذه الكراهية عندما تقوم بها فى منزلها . ففى مثل هذه الحالات تفقد الاستجابة لأن المنبه يتبعه منبه آخر ويفقد المنبه الأول تأثيره فى إحداث الاستجابة المطلوبة . والتكيف السلبى هو أحد أجزاء توافق الشخصية ، وفى الارتباط مع بعض أوجه التمشى مع الناس ، فهو شىء يمكن تعهده وتهذيبه .

٥ - العادات والطرائق الشعبية

تعتبر « العادة » واحدة من العوامل الهامة فى عملية التكييف ، أو بمعنى اكثر دقة « الاعراف » و « الطرائق الشعبية » التى هى العادات المقبولة من الجماعة وتختلف الاعراف وطرق سلوك الشعوب من جماعة الى أخرى . فهى تضع منظارا ملونا على كل شخص يربى وينشىء تحت تأثيرها . وتقرر بمقياس موضوع مسبقا أذواقه واتجاهاته ووجهات نظره . فالشخصية تتقرر اجتماعيا من ناحية ، وكل فرد يتطور فى المناخ الثقافى الذى يأخذ أغلبه دون مجهود ويقبله دون سؤال . وتقر العادات وطرق سلوك الشعوب الى درجة ما اتجاهاتنا المختلفة نحو الزواج أو الأخلاق أو قواعد السلوك والملكية والعقيدة وغيرها من الموضوعات مما يعد من صميم ثقافتنا وطريقتنا فى الحياة . ولأن العادات وطرق سلوك الشعوب تختلف من جماعة الى أخرى،ومن مكان الى مكان ومن وقت الى آخر،فانه يجب عند دراسة أى شعب أو أى مجتمع أن نضع فى اعتبارنا العوامل المختلفة التى لعبت دورا فى تكييف سلوكه .

٦ - مظاهر أخرى للسلوك

دون التعمق فى التفاصيل نستطيع ان نستعرض بعض الاعتبارات المتعلقة بالسلوك وخاصة تلك التى تتعلق بالتوافق الزواجى .

ا – يتأثر السلوك بالعمليات الفسيولوجية الى حد كبير . فالتعب والجوع والمرض والمزاج والارهاق ودورة الحيض كلها تترك آثارها . ويختلف الافراد فى درجة تعبير سلوكهم عن آثار مثل هذه الظواهر ، وفى درجة سيطرتها عليهم .

ب – يميل الناس بوجه عام الى الغضب أو الاضطراب عندما يواجهون مقاومة لتصرفاتهم وقد ينخفض هذا الاضطراب اما بالتقليل من المثير أو بزيادة المقاومة . ويحاول كل فرد أن يحتفظ بما يعتبره الوضع المناسب له حسب تقديره وفى اعتبار الأخرين . فإذا لم يحافظ على هذا الوضع من خلال الانجازات الفعلية ، وفى الدفاع عن النفس فهو قد يحاول أن يحافظ عليه من خلال بعض الوسائل الاخرى مثل التعقل ، واسقاط اللوم ، والعدوان ، والهروب الى الكحوليات ، وقد يحاول حماية نفسه من توقع اللجوء الى المحافظة عليه بوسائل أخرى مثل الوسواس المرضى ، والانسحاب أو المرض السيكوسوماتى .

ج – ان الظاهرة « السطحية » الملاحظة تمثل غالبا أعراضا اكثر منها اسبابا لسلوك الانسان . ومن ناحية اخرى فإن الظاهرة « السطحية » ليست بالضرورة انعكاسا لاتجاهات الفرد الضمنية . فالتعبير عن الغضب على سبيل المثال قد يكون مثلا على الاستجابة العادية عند الشخص الحاد المزاج . فهو ليس بالضرورة دليل على نقص الحب . ولا يمكن ان نتوقع من الفرد أن يغير سلوكه الا اذا حدث تغيير فى الموقف ، ويتضايق الناس بسهولة من أقرب الناس اليهم فى العاطفة والمكانة .

د – ليس هناك شخص منطو تماما أو منبسط تماما . ولكن الاشخاص المختلفين قد يميلون الى أحد جوانب الحد الفاصل بين الانطواء والانبساط فى قيامهم بهذا العمل ، فهم يعرضون سلوكا واحتياجات مختلفة ، فلا يمكن لنموذج معين من الافراد ان يتحول الى نموذج آخر يصرف النظر عن رغبة القرين (الزوج والزوجة) فى هذا التغير .

هـ – من المستحسن بقدر الامكان أن يكون الانسان ايجابيا أكثر منه سلبيا . وتستعمل كلمة « ايجابى » هنا بالمعنى البنائى والمجامل . وليس بالمعنى الاعتقادى المسرف بالثقة . وتستعمل كلمة « سلبى » عادة بمعنى الميل الى النقد القاسى والتقليل من القيمة وليس بمعنى الاجابة السلبية على سؤال . ويقال أن أوقية من الاعجاب تساوى رطلا من النقد ، والمكافأة أكثر تأثيرا من العقاب . والمديح اكثر

كفاية من اللوم . وابداء الملاحظات على نجاح الفرد أفضل من ابداء الملاحظات على فشله . وهناك مثل قديم يقول « إذا لم تستطيع ان تبدى ملاحظة جيدة عن شخص ما فالأفضل الا تقول شيئا » . فالانسان ليس محتاجا لان يكون مفرطا بالتفاؤل ولكن من المؤكد ان الكثير من الملاحظات غير المحبوبة لا ينتج عنها اى مكسب ، ولذلك فمن الأفضل الا تذكر . وليس هناك شك فى وجود درجات من النقد والاستهجان واللوم ولكنها يجب ان تستعمل بتحفظ ، حيث انه نادرا ما نجد شخصا يقبل النقد دون استياء أو دفاع أو اعتراض . ويرجع هذا الى الطبيعة المزدوجة للنقد ، فالفرد يقوم برد فعل لكل من حقيقة النقد ومحتواه . والنقد البناء أكثر تأثيرا من النقد الهدام . وعند ضرورة استخدام النوع الأخير فإن الانسان يجده مقبولا إذا قدم له بطريقة مناسبة . ولنفرض مثلا انك تريد ابلاغ شخص ما بشيئين احدهما مفضل والآخر ليس كذلك ، فإذا بدأت بالأخير فإن هناك حاجز ينشأ فى الحال بينكما . وعندما تصل الى التعليق المفضل فإن الاستياء والمشاعر المجروحة ودفاع الشخص الاخر تكون قد أصبحت كلها جزءا من الموقف . ولكن إذا بدأت بالتعليق المفضل فإن الطريق هنا يكون ممهدا للتعليق الاخر ويصبح النقد موضوعا من منظور جديد . ويشعر الشخص الاخر انك بجانبه ولست ضده ، وهناك احتمال كبير أن يتقبل النقد بامتنان .

كما يجب الاخذ باهداف الشخص الاخر ودوافعه لكى يكون للنقد تأثيره وفعاليته . فإذا ظهر النقد بمظهر تقديم المساعدة لانجاز الاهداف بدلا من أن يكون وسيلة لمعارضة هذه الأهداف فمن السهل قبوله والعمل بمقتضاه .

وتعتبر المضايقة تعبيرا عن الشعور من ناحية الشخص المتاضيق اكثر منها محاولة للتأثير على سلوكه وهى نادرا ما تحقق ما تهدف اليه . فبدلا من ذلك فهى تجعل الشخص الأخر اكثر تصميما على أن يفعل ما هو متضايق منه . فقد تجعله يقاتل إذا لم يجد مخرجا آخر لانفعالاته . وقد تتسبب فى تجميع الانفعالات لتنفجر فى النهاية . وقد تجعله يبحث عن الهروب من موقف المضايقة . وقد تؤدى الى أن يحصن نفسه ضد اى شيء يقوله شريك حياته ، وأن يصل الى حالة اليأس أو الانهزام التام . وقد تجعله زائد الحساسية من أى شيء يقوله القرين بسبب الاستمرار

فى رد الفعل من حالة مضايقة الى حالة أخرى وهكذا .

ولا يمكن لأى من هذه الاستجابات السابقة أن ينتج عنها علاقات إنسانية أحسن أو زواج موفق . فالانسان لا يستطيع ان يغير « ما بداخل » الشخص باستمرار الطرق على ما « بالخارج » وتكشف المضايقة أيضا عن النقاط التى يكون فيها المتضايق عرضة للهجوم . فهى تجذب الانتباه الى المواقف التى تؤذيه وتضايقه .

ويقبل الناس النقد بسهولة أكثر إذا كان موجها الى ما يقولونه أو يفعلونه أكثر منه عندما يكون موجها اليهم كأشخاص . حيث ان النقد الذى يصل الى حد التصنيف كثيرا ما يواجه بالمقاومة والرفض . فقولنا مثلا « ان مافعلته يدل على الاهمال » فإن هذه العبارة تكون موجهة الى الفعل . ولكن إذا قلنا « إن الشخص المهمل هو الذى يفعل ما فعلته » فإن النقد فى هذه الحالة يكون موجها الى الشخص ذاته ويصل الى مرحلة التصنيف . وبالمثل إذا قلنا « أنت أفسدت الحفل بسلوكك » يكون هذا نقدا ، أما القول « أنت دائما تفسد الحفلات بسلوكك » فإن هذا يقترب من التصنيف . وبالمثل فان استعمال الكلمات المشحونة مثل « غبى » و « كسول » و « أنانى » قد تبدو للشخص المنتقد على أنها تصنيف وبالتالى تثير لديه ردود فعل عنيفه .

وعموما فإن بعض الأشخاص قد يتحسنون من خلال النقد ، ويستجيب غيرهم للتشجيع بسهولة ، كما ان البعض يجعلهم النقد خجولين ، وهنا تواجههم الصعوبة فى التحسن وخاصة إذا شاهد الناقد جهودهم ، بل أكثر من ذلك إذا قلل هذا الشخص من قيمة مجهوداتهم لتحسين ما نقدوا من أجله ، أو لأنه يذكرهم بالنقد الذى أدى بهم الى بذل هذا الجهد .

عوامل أخرى لفهم الشخصية والسلوك

١ – **المنظور** قد يكون المنظور غائبا فى الزواج فأحيانا يكون هناك شىء يحجب الرؤية عن شىء أكثر اهمية . فقد يتسبب التركيز على أحد العناصر

وتضخيمة فى الاضرار بكل شيء . فإذا فشل الفرد فى رؤية الموقف الزواجى الكلى من حيث تناسب العلاقات بين اجزائه . فإنه يفشل فى التمييز بين الأساسيات وبين الاشياء المؤقته والدائمة ، وبين الأشياء التى لها علاقة والتى ليس لها علاقة بأهم عناصر الزواج ، وبين ما يفسد الحياة الزوجية وما يسبب الاثارة فقط . فإذا لم يستطع أن يرى الشيء من خلال مكوناته فإنه يفقد المنظور . وبمرور الوقت يتبين للزوجين أن ماكان يضايقهما فى البداية لم يكن له تأثير فعلى على زواجهما . وعند النظر إلى الخلف فى نظرة استرجاعية لأحداث الماضى فانهما يجدان أن علاقتهما لم يصبها التلف . فاذا تمكنا منذ البداية من التمييز بين الأشياء قليلة الأهمية والأشياء الهامة فان هذا يجنبهما كثيرا من المشاكل والمتاعب .

وفى الايام المبكرة فى الزواج ، فإن التوافق يجب أن يحدث حتى للاحوال قليلة الأهمية نسبيا ، ويفشل بعض الأزواج فى التنبؤ بها ولذلك فهم يخرجونها من منظورهم ويجدونها مزعجة . فمثلا قد يواجه الزوجان مشكلة النوم فى سرير واحد أو استخدام نفس الحمام مع وجود أدوات التجميل لها وأدوات الحلاقة له . وقد يتضايقان عندما يظهر الزوج عند الافطار دون حلاقة ذقنه أو تظهر الزوجة بأدوات تثبيت شعرها . كما قد يتضايق أحدهما من شخير الأخر .

وهناك فكرة عامة على أن « الأشياء التافهة » كثيرا ما تؤدى الى فشل الزواج . الا أن معنى « الأشياء التافهة » يتحدد من وجهة نظر معينة ، فقد تكون تافهة بالنسبة لملاحظ خارجي ولكن ليس للزوجين أنفسهما . فالكثير يعتمد على الدلالة النسبية لهم بالنسبة للمنظور . فعندما يفتقد المنظور فان « الأشياء التافهة » قد تفسد الزواج . فبعض الأزواج يهتمون « بالتوافه الهائلة » لدرجة أنهما قد يفقدان المعنى الأساسى للزواج . ومن « التوافه الهائلة » التى تصور هذه النقطة والتى تدور حولها كثير من الفكاهات ربما لأنها تعتبر مشكلة فى كثير من الزيجات هى « معجون اسنان » فالازواج الذين يتركون غطاء أنبوبة المعجون أو يضغطون على الأنبوبة من وسطها ، قد يصبحون مصدر اضطراب وازعاج لشركائهم الذين يضعون الغطاء باحكام ، ويضغطون الأنبوبة من طرفها الاسفل ، ويدركون فى نفس الوقت أن طريقتهم هى الصحيحة والطبيعية ، ويفشلون فى رؤية أن هذه النزعة

الكمالية والنقدية قد تكون هى مصدر المضايقة للفرد الذى يكون مفهومه لمعجون الأسنان أقل أهمية ولايعتبره مسألة تستحق الانتباه . ولذلك نرى بعض الأزواج يبدأون يومهم بالصراع حول أنبوبة معجون الاسنان مضحين بالروح الطيبة التى قد تكون أفضل من هذه « التوافه الهائلة » .

والدقة من الامور الهامة والمطلوبة فى المنظور ، فالدقة تكون هامة فى ظروف معينة،ولكنها ليست كذلك تماما فى كل الظروف . فبعض الازواج والزوجات يصححون سلوك بعضهم حتى فى وجود الآخرين،وأحيانا بطريقة تدعو الى المضايقة فعلا . وأقل خطأ يدعو الى التصحيح بالرغم من أنه قد لا يحمل فى طياته أى تفسير يتصل بالاحداث الشخصية .

وزيادة التأكيد على الناحية الجنسية فى الزواج يعتبر علامة على منظور مشوه ومضطرب . فالجنس ليس كل شىء فى الزواج . وزيادة عدم التوافق الجنسى بين الزوجين ترتبط بزيادة استمرار وجود الجنس فى تفكيرهما .

فإذا فشل أى فرد فى رؤية نفسه فى علاقه مع الموقف الكلى ومع قرينه – فإذا كانت الرغبة الشخصية مثلا أو الاهواء الانانية أو المشاعر المؤلمة لها الاسبقية على النجاح فى الزواج – فهو ينقصه المنظور . فإذا كان الزواج أكثر أهمية من أحد أجزائه فأى اختلاف فيمن الذى يبادر باصلاح مشاجرة فقد أثناءها المنظور لحظة ؟ ورغم ذلك ففى هذا الموقف الاخير يبدو أن علاقة الزوجين ستكون علاقة سعيدة وسيكون الزواج ناجحا بعد اصلاح المشاجرة . فمن الملاحظات الغريبة أن علاقات الازواج والزوجات تزداد تقاربا ووثوقا بعد المشاجرات الشديدة بينهما .

والفشل فى التفكير فى الزواج الناجح كهدف لابد أن يسعى الفرد الى تحقيقه يعتبر من أعراض نقص المنظور أو قصوره . فعدم المعرفة بأن النجاح يتطلب مجهودا ، وفهما ومثالية وبأنه ليس موقفا عارضا يعتبر علامة أيضا على قصور المنظور . وعدم الرغبة فى السير أكثر من نصف الطريق لتحقيق النجاح يعتبر علامة أخرى .

ويمكن تشبيه العمل من أجل التوصل الى «زواج ناجح » بمحاولة الكتابة فى

موضوع معين . فاذا لم يبد هذا الموضوع متقنا بعد المحاولة الاولى فإن الكاتب لا يمزق هذا الموضوع ويبدأ موضوعا جديدا ثم يكرر هذه العملية مرات و مرات حتى يحقق موضوعا متقنا لا يحتاج الى مراجعة . والا فأنه يختار موضوعا ويعمل فيه ويعيد العمل ويغير الكلمات هنا وهناك ، ويعيد كتابة الجمل والفقرات ، ويدخل أفكارا جديدة ويحذف الأفكار غير المناسبة حتى يصل فى النهاية الى ما يريده ويكون بذلك قد انجز الموضوع حسب ما تسمح به قدراته .

وتعتبر « فلسفة الحياة » التى تمكن الزوجين من مواجهة أى أزمةعاملايساهم فى التوافق الناجح ، وعدم وجود هذه الفلسفة يسهم فى فشله . فالشخص الناجح يعرف أن الأزمات لابد ان تعترض حياة الانسان عاجلا أم آجلا . فالاصدقاء والاقارب يموتون،والأمراض تحدث،والأطفال يولدون . فالأشياء المخيبة للآمال من نوع أو آخر تفرض نفسها على الوجود . وعدم القدرة على الوصول الى أحسن ما يمكن فى الموقف غير القابل للتغيير قد يؤدى الى توافق غير كامل . فهناك أوقات يجد فيها الناس أنفسهم مضطرين الى أن يتعلموا الحياة مع مشاكل لا تقبل الحل . وقد قال احدهم « انها تحتاج الى دعامات فى الداخل للصمود أمام الضغط الخارجى » وقال آخر « لا يمكن لكل المياه فى البحار السبع أن تغرق سفينة الا إذا تسربت المياه الى داخلها » وفلسفة الحياة تعطى هذه الدعامات الداخلية-قدرة وتعمل على منع تسرب المياه الى الداخل .

وبهذا المعنى تكون « فلسفة الحياة » إنموذجا للمنظور (فالحياة ككل تكون موضوعا للرؤية أكثر من أى جزء فيها ،وعندما نفكر فى صيغ كهذه فاننا قد نفكر فى « العقيدة » كنموذج للمنظور،وكذلك أيضا تكون « المثالية » و « روح الدعابة » . وهذه الأشياء الثلاثة – العقيدة والمثالية وروح الدعابة والمرح تفعل الكثير كعوامل تمكن الفرد من أن يرى نفسه فى موقف الحياة الكلى وأن يرى العلاقات بين الكل والأجزاء).

ب – نقاط محورية

إذا كان هناك توتر فى الموقف الزواجى فإن أى شىء قد يصبح نقطة محورية

للصراع . والنقطة المحورية للصراع قد تكون غير هامة نسبيا ، وقد لاتكون هى السبب الحقيقى أو حتى ترتبط به . وكما تكون الحال بالنسبة للفرد تكون أيضا بالنسبة للزوجين حيث يكون السبب الظاهر للسلوك ليس هو دائما السبب الحقيقى . والصراع فى الزواج يعتبر شيئا مقحما بالنسبة للزوجين اللذين يمارسانه . فاذا أصبح الصراع على درجة كبيرة من الخطورة وبصورة تسمح بالفشل فإن هذا الفشل سواء كان مهددا بالوقوع أو وقع بالفعل فإنه يكون هاما جدا بالنسبة لكل من الزوج والزوجة . والفشل فى الزواج يعتبر شيئا « ضخما » ولذلك فان الزوجين اللذين يسطان الموضوع يدركان أنه لابد من وجود سبب « ضخم » ولذلك فهما يبحثان عن واحد . ومن بين الأسباب « الضخمة » والأكثر وضوحا وواقعية أشياء مثل :

الاطفال ، والجنس والنقود ، والانسباء والعقيدة ، واستغلال وقت الفراغ ، وقد يكون أحد هذه العناصر السبب الحقيقى وراء الصراع . . وفى أحيان أخرى قد يكون هو « الشماعة » التى يعلق عليها الصراع ، وتكون الأسباب الحقيقية تأثيرات عديدة بسيطة وأقل وضوحا ومن ثم تكون بعيدة عن التحليل . وعادة ما يكون الفشل فى الزواج نتيجة لعدة عوامل مجتمعة اكثر مما يكون نتيجة لعامل واحد بسيط .

وإذا ركزنا على الشخصيات والظروف فإن نفس الأشياء التى تربط بين زوجين بعلاقة حميمة قد تكون سببا فى ابتعاد غيرهما . فالأطفال والملكية والعقيدة والجنس والعوامل الأخرى المتعددة قد تكون مجمعة للزوجين أو مفرقة لهما طبقا لمدى رد فعلهما إزاءها . فلا يمكن لأى من هذه العوامل ان يكون سببا فى الفشل الا اذا كان لدى الزوجين اتجاهات وسمات شخصية تسمح للصراع أن ينشأ . فبعض الزيجات تنجح فى نفس الوقت الذى تحتوى فيه على عناصر تتضافر من أجل الفشل فى زواج آخر . فعدم التوافق هنا هو عملية ذاتية وهو نتيجة لكل الشخصيات المشتركة فى ردود أفعالها للموقف ككل فالموقف بمفرده لايمكن ان ينتج عنه عدم توافق .

وهناك كثير من المغالطات تقع عند تحليل التوافق فى الزواج . لأنه فى مثل هذا التحليل من المناسب أن نتأكد من أن السبب والنتيجة يوجدان فى ترتيب

مناسب . فالزوجين فى صراع دائم على النقود ، وتبدو النقود على انها سبب عدم انسجامهما . ولكن أى سمات للشخصية هى التى أدت بهما الى الصراع على النقود ؟ فقد يكون استعمالها نتيجة كما قد يكون سببا . وبالمثل فإنه يمكن ان يقال الكثير عن خبرات شهر العسل باعتبارها السبب فى التوافق الجنسى الفاشل للزوجة . وقد تكون كذلك الفعل ورغم ذلك ففى بعض الحالات تكون السمات الشخصية هى التى جعلت ردود الفعل التى تظهر فى الأيام الأولى للزواج تلعب دورها فى إحداث سوء التوافق . فخبرات شهر العسل قد تكون نتائج كما قد تكون أسباب .والصراع على شيء قد يصبح هو نفسه عاملا فى تطوير ردود الافعال التى تؤدى بدورها الى صراع آخر . وبهذه الطريقة تنشأ سلسلة متعاقبة من الأسباب والنتائج . فاذا لم تنكسر هذه السلسلة عند نقطة ما ، ولم يسترجع الموقف أو يتوازن فان الزوجين يتعدان عن بعضهما اكثر وأكثر . وتوصف هذه العملية بأنها « تنافر وانعزال» .(1)

وقد ينظر الى النقاط المحورية بمعنى ايجابى ايضا . فقد يعززان توافقهما الزواجى بتركيز زواجهما على نقاط اهتمام لها معنى . ولا يتطلب هذا بلورة دائمة ، وإنما يتطلب فقط استخدام نوع من القوة العاطفية الانفعالية التى تجذبهما إلى بعضهما البعض . فمثلا قد تكون النقطة المحورية لديهما هى أطفالهما أو منزلهما وهكذا تصبح المشاركة فى نشاط مشترك هواية . فالطقوس المنظمة أيا كان نوعها مثل الاحتفال بالمناسبات الخاصة مثل أيام الاجازات أو الأعياد أو أعياد الميلاد أو الزواج قد تفيد من وقت لآخر فى استرجاع الميول والذكريات والامال الى بؤرة الاهتمام مرة أخرى . وقد يصنع الأزواج ذوى الخيال والابداع من مثل هذه النقاط المحورية مواقف يكون لها معنى بالنسبة لهم . مما يدفع السعادة الى قلوبهم وكذلك الى قلوب المحيطين بهم .

ج — استخدام النقود

قد يكون استخدام النقود عاملا بناءا بالنسبة للزوجين حيث يعطيهما اهتمامات

---

1 - Waller , Willard , «The Family : A Dynamic Interpretation , Rev , by Reuben Hill , Holt Rinehart and Winston , Inc . , New York , 1951 .

مشتركة ويكون لهما أهدافا مشتركة . وقد يكون أيضا نقطة محورية أو سببا فى الصراع . فقد يجد زوجان السعادة فى دخل يتساوى مع دخل زوجين آخرين يبحثان عن الطلاق بسببه .

ويتناسب مقدار الدخل وعلاقاته بالسعادة أيضا مع التوقعات . فإذا كان كل من الزوج والزوجة معتادان على مستوى متواضع من المعيشة،أو إذا كانا يعملان فى مجال وظيفة عائدها المالى منخفض فإنهما قد لا يأملان أبدا فى دخل أكبر . ولكن إذا كانت توقعاتهما رغم ذلك تسير فى اتجاه أعلى من دخلهما المتاح فإنها عندئذ تكون شوكة فى لحمهما ، تدفع بهما دائما الى الشكوى والشجار .

ونظرا لأن مرتب الزوج يدفع له ، فإن بعض الرجال يفهمون أنهم وحدهم هم الذين يكسبون هذا المرتب . فإذا كانت الزوجة تهتم بالمنزل وترعى الأطفال والزوج ، وتكون ماهرة أيضا فى الاستهلاك وتقوم باتصالات اجتماعية تساعد الزوج فى مهنته فإنها تكون فى هذه الحالة زميله له تثرى حياته وتحرك طموحاته وتساعده فى عمله وتعطيه شيئا يعمل من أجله فهما إذن يكتسبان الدخل معا .

وطالما كان هناك اهتمام بسعادة الأسرة فإن الطريقة الفعلية للوصول الى الدخل ليست مهمة جدا مثل الوسائل التى يصل اليها الزوجان عند استخدام هذه الطريقة . فإذا كانت الطريقة مناسبة لكل من الشريكين فإن أى طريقة قد تكون ناجحة . و من ناحية أخرى فاذا كانت الطريقة تمثل فرضا على شريك من الاثنين من خلال الاصرار أو عدم المسئولية وهى لذلك تكون محتمله ولكن من خلال المعارضة المستمرة وليس من خلال الرغبة ولهذا فان أى طريقة فى مثل هذه الحالات تسبب الصراع .

وليس هناك معيار للميزانية ولا توزيع للدخل يناسب احتياجات أى زوجين بطريقة آلية : والتعليمات والتوجيهات المطبوعة قد تساعد الى حد ما ولكنها لا تستطيع بمفردها حل مشاكل الزوجين . فلكى نتوقع منهما أن يحلا مشاكلهما بهذا الاسلوب نكون كمن يتوقع ان كل انسان يلبس زيا من نفس المقاس . فلا يجب أن نتوقع ان تكون الميزانية غير قابلة للتغير تماما . حيث كثيرا ما تظهر الاحتياجات

غير المتوقعة والتى يجب ان تتوافق الميزانية معها . بل لا بد ان يتوقع الزوجان إرتكاب أخطاء فى الانفاق . فالميزانية هى أداه أو هى وسيلة للوصول الى هدف ما . وهى ليست غاية فى حد ذاتها ولا يجب ان تسيطر ولكنها يجب ان تخدم . وليست هناك حاجة الى دليل على أنها كثيرا ما تكون مصدرا للاضطراب وهكذا تقضى على الهدف منها . فهى قد تصبح حجر عثره فى طريق النضال،أو سببا فى الاحتكاك أو مصدراً للصراع . ونفس الشىء يحدث فى حالة الدخل الذى يكفى فقط حياة الكفاف .

ومن الملاحظ أن كلا من الزوج والزوجة من المستهلكين . وتضع الظروف الاقتصادية الحديثة على المستهلك مسئولية متزايدة . وهذا يصدق بصفة خاصة على الزوجة طالما أن أغلب مشتريات الاسرة تكون فى نطاق مسئوليتها . وقد توجه الفتاة الى نفسها هذا السؤال : « هل سأتزوج رجلا معدا لكسب المال كما أنا معدة لإنفاقه ؟ » ومن الوظائف الرئيسية للزوجة المعاصرة هو دورها كأخصائية فى الاستهلاك . ولذلك فانها تستطيع رفع دخل أسرتها بالشراء الواعى بتكلفة اقل . أى تجيد فن الشراء . وكما سبق أن اشرنا فى أجزاء متفرقة من هذا الكتاب فان الزوجة قد فقدت كثيرا من الوظائف التى كانت تقوم بها فى الماضى ، فما هو البديل ؟ ان أهم هذه البدائل هو « المعرفة بالاستهلاك » ، فهناك كثير من المعينات تكون تحت أمرها وهى تستطيع أن تساهم فى حياة اسرتها بالاستفادة منها .

د - استخدام وقت الفراغ

قد يعرف وقت الفراغ بأنه الوقت الذى لايوجد فيه عمل اقتصادى بما فى ذلك مراعاة شئون المنزل . فهو الوقت الذى يكون للفرد حرية كبيرة فى كيفية استخدامه . وقد زادت الاحوال الاجتماعية الحديثة من القدر المتاح منه الجنسين . وقد خلقت أيضا فرصا جديدة ومشاكل جديدة .

فالزوجان الشابان غالبا ما لا يدركان أهمية استغلال وقت فراغهما أو الحقيقة بأن استغلاله قد يكون مشكلة فى الزواج . والفكرة التى يعبر عنها الناس غالبا هى أنه اذا كان لدى الشخص وقت فراغ فإنه يعرف ماذا يفعل فيه ، ولا فائدة إذن من

الحديث عن هذا الموضوع . الا أن التجربة تؤكد أن الكثيرين لا يعرفون ماذا يفعلون فى وقت الفراغ . فهم يمضون الوقت بدلا من استغلاله ويعتبر تعبير « قتل الوقت » مؤشرا لاتجاه عام .

وكيفية استخدام وقت الفراغ فى الزواج هام للغاية . اذا أنه يأتى دائما فى ساعات عدم العمل والتى يكون فيها الزوجان أكثر ارتباطا . ولذلك فان متابعتهما معا لوقت الفراغ تساهم الى حد كبير فى تطور علاقتهما ، وهذه المتابعات قد تصبح نقطا محورية إما بالمعنى الايجابى أو السلبى . وهى قد تخدم كاهتمامات مشتركة أو كنقط لنشأة الصراع . وهى قد تزيد من التوتر أو تبدده . وهما قد يحتفظان بالرومانسية أو يسمحان لها بالضمور . وليس من الضرورى أن تمثل كل هذه المتابعات اهتمامات مشتركة . فمن المهم فى الزواج أن تكون هناك اهتمامات فردية مثل وجود الاهتمامات المشتركة بين الزوجين .

ويكون برنامج الزوج عادة أكثر صرامة وجدية من برنامج الزوجة بسبب الاختلاف فى ضغوط العمل ، الا اذا كانت هى الاخرى تعمل . فالزوجة قد تنظم وقتها لكى يكون لها ولزوجها وقت فراغ يقضيانه معا . فإذا كانت تقوم بعمل ما لا يمكن تأجيله فإنها تستطيع بسرعة ان تتوافق ببرنامجها لكى يشمل اهتمامات وقت الفراغ لديها . ومن ناحية أخرى إذا كان لديها ميلا الى ان تقوم بما يمكن تأجيله أولا فهى قد تجد ان هناك أشياء يجب أن تقوم بها عندما يكون زوجها حرا .

وهناك رأى يكاد أن يكون جازما فيما يتعلق باستخدام المرأة المتزوجة لوقت الفراغ وهو أنه لا توجد سيدة تكون صالحة كزوجة إذا خصصت جزءا معينا من وقتها للقيام باهتمامات أخرى ، إذ يجب أن تكرس حياتها للأعمال المنزلية ، ومطالب أسرتها . والحقيقة ان هذا الرأى بعيد عن الواقع ، فكل ما تقوم به المرأة ويسهم فى تطور شخصيتها وفى إثراء حياتها يقوم باسهام غير مباشر فى حياة منزلها واسرتها ، كما ان اهتمامات المرأة الاخرى لا تكون استهلاكا للوقت لدرجة اهمال المنزل والاسرة . ونفس الشىء يصدق بالنسبة للزوج . فمهمة الزوجين ليست فقط المحافظة على المظهر العام المستقر بل ايضا خلق مجموعة من الميول والعلاقات . فالزوجة التى تشعر بالذنب إذا اقتطعت وقتا من واجباتها المنزلية من أجل الترويح لا

تدرك معنى الواجبات المنزلية بأوسع صورها . إذ قد يكون من المناسب لها أكثر أن تشعر بالذنب عندما تسمح لواجباتها المنزلية ان تحد من ممارستها للأنشطة الترويحية .

هـ - الحفز

من أهم العوامل التى تعمل على انجاح الزواج هو « الحفز » و« التشجيع » والوعد بأن الارادة سوف تنجح فى تحقيق الآمال . وهذا يفترض وضع الزواج كهدف يكافح الزوجان من أجله ، مع الوضع فى الاعتبار بأن الأهداف الأخرى التى ربما تكون جديرة بالاهتمام فى ذاتها مثل الطموح الوظيفى،أو تربية الاطفال لا يجب أن تنحرف بجهود الزوجين عن تحقيق النجاح فى الزواج نفسه وتؤدى بهما الى إبعاد الزواج الى موقع إضافى بالنسبة لأهدافهما الأخرى .

ويتضمن مثل هذا التعهد « العمل » ليس بمعنى الوظيفة ، ولكن بمعنى بذل الوقت والجهد من أجل النجاح فى الزواج . ويتضمن مثل هذا المجهود كبح الذات أى اعتبار أن النجاح فى العلاقات الزوجية أكثر أهمية من مشاعر الاشخاص الفردية فى هذه العلاقة ، وضبط الذات عند توجيه السلوك الشخصى ، والتحلى بالصبر والمثابرة عند حل المشاكل وهذا يتطلب الابداع فى ايجاد خبرات جديدة فى الزواج باستمرار حتى لا يكون هناك « فتور » ، ولا يعنى هذا وجود كثير من الرومانسية والعواطف الجياشة كما كان الوضع قبل الزفاف ، ولكن يتضمن أن الزواج لا يعنى بالضرورة فقدان الحماس والمغامرة .

وتؤدى متطلبات الحياة الأسرية الى خلق نوع من الروتين كشىء ضرورى فى الزواج . الا ان هذا الروتين قد يكون خادما للزواج وليس سيدا له . و ما هو الا وسيلة الى غاية أكثر منه غاية فى حد ذاته . فكثير من النساء المتعلمات والذكيات يصبحن مايسمى « بذوات الاهتمام بالمطبخ » وهن فى هذه الحالة يصبحن متشبعات بأمور المنزل الى أقصى درجة ، وتتحدد نظرتهن بجدران المنزل . فكل اهتمامهن يتركز فى شئون المنزل ، وفى نطاق المطالب العاجلة للأسرة . ولا يدخل فى ذلك أن قذارة الجسم أو الملبس أو المظهر العام شىء هام جدا ويجب وضعه فى الاعتبار وأن هذه الأشياء قد تكون مرغوبة من ناحية الازواج أكثر من النظام .

وعموما فان الروتين يعنى التكرار المميت ، وإذا تحدثنا بطريقة تصويرية فان الرومانسية لا تحتاج أن نضحى بها من أجل اعداد الأطباق .

وقد يعانى الرجال من الطبع المساوى « للاهتمام المطبخ » عند النساء . إذا انهم يركزون على أعمالهم أيا كانت هذه الاعمال لدرجة انهم يفقدون القدرة على رؤية الأشياء الأخرى من حولهم .

وهكذا قد يعانى الرجال والنساء من التمسك ببعض العادات التى يكون من الصعب عليهم التخلص منها الا إذا أرادوا ذلك ، وقاموا بمحاولات جادة من أجل التخلص منها . فلماذا يجب أن تحرم شخصيتين معقدتين ومركبتين من التنوع فى علاقاتهما ؟ فوحدانية الزواج والرتابة ليسا مترادفين . فالبحث عن التنوع بمعنى اكتشاف مظاهر جديدة فى شخصية القرين الآخر والبحث عن أشياء جديدة يمكن أن يحدثا فى نفس الوقت ، كما أن انعاش الأشياء القديمة قد يؤدى الى تدعيم الاهتمام المتبادل أو منع الزواج من التردى فى روتين العادة .

ومع ذلك فالعادة ليست دائما شرا يجب مطاردته ، فقد تكون كثير من مظاهرها سببا فى اثراء الزواج وانجاحه . فمثلا عادات اللطف والكياسة والمجاملة والتدليل تدفع بالعلاقة الزوجية الى الأفضل باستمرار . ولا ندرى لماذا نرى ان كثيرا من الناس يعتقدون أنه بحفل الزواج تنتهى فترة اللطف والكياسة وتبدأ فترة أخرى من الخشونة والغلظة أى ان هذا الحفل هو اشارة لعدم الاستمرار فى الكياسة من جانب الزوج أو الزوجة .

القبول

وهكذا وكما رأينا فى الفقرة السابقة فان حفل الزفاف يشير من ناحية كل من الزوج والزوجة الى « قبول » الشخص الآخر كما هو . وهذا لا يعوق توقع النمو . ولا يعنى قبول الشخص الآخر كما هو عدم وجود صراعات أو اضطرابات فى الزواج . وهو لا يعنى أيضاً أن الصراع أو الاضطراب لهما مكان فى المنظور . ومن الناحية المثالية فإن هذا « القبول » يجب ان يكون كاملا قاطعا .

وبالرغم من ذلك فإن الحياة اليومية توجد حدودا لهذا القبول . فالحساسية المفرطة قد تكون مرتفعة عند البعض ومنخفضة عند البعض الآخر . وكذلك إذا ظهر تعارض بين الدور المتوقع والدور كما يؤدى بالفعل . فالرجل قد يتوقع من زوجته أن تكرس نفسها له وللمنزل وللحياة الزوجية ولكنه يجد نفسه قد تزوج بسيدة ترفض دور « الزوجة – الأم » من أجل الوظيفة ، وكذلك قد تتوقع الزوجة من زوجها أن يكون رفيقا مهتما وواعيا وحساسا ولكنها تجد نفسها زوجة لرجل « منغمس بكليته فى العمل » . وهو بعيد كل البعد عن الرومانسية التى كانت تتوقعها . فالى أى حد يستطيع الشخص صاحب هذا التوقع أن يستمر فى قبول أشياء تعرف بأنها غير أخلاقية مثل العجز الجنسى ، أو البرود الجنسى عند النساء ، والخيانة الزوجية والمرض العقلى ، والجنسية المثلية .. الخ .

ويجد بعض الازواج أنفسهم فيما يبدو أنه مفترق الطرق فى حياتهم الزوجية « حتى لو كانت المشاكل أقل خطورة من تلك التى ذكرناها » فهم يصلون الى نقطة حرجة بعد عامين أو ثلاثة من الزفاف . حيث يبدو لهما أن زواجهما قد تردى الى نقطة وصلا فيها الى حالة اليأس . ومع ذلك فهما مازالا يتعلقان بالزواج على أمل وجود شيء فيه . ومشكلتهما فى الواقع هى مشكلة تعارض بين حقيقة زواجهما وبين ما كانا يتوقعان منه . فإذا استمرا فى نفس الحالة فقد ينتهى الزواج الى الفشل . كما أنهما قد يعيدا تقييم زواجهما ككل ، وتقييم كل منهما للآخر فى ضوء الموجودات الفعلية الحاضرة والامكانيات المتاحة وليس فى ضوء أحلامهما عند الزفاف . فإذا استطاع كل منهما أن « يقبل » الآخر عند هذه النقطة وان يقبل الزواج كما هو فانهما يستطيعان التوصل الى زواج موفق بالرغم من أنه لن يتفق تماما مع توقعاتهما الأولى وربما أقل من ذلك .

وهذه العملية لإعادة التقييم ، بالاضافة الى قبول الجديد ترتبط مع توقعات أكثر واقعية تقوم على أساس من التبصر فى داخل كل قرين ، وما يستطيع كل منهما أن يسهم به فى الزواج ، الا أن كل هذه الأشياء لم تعد مطلوبة فى الزواج الحديث . حيث يكون فى امكان الشاب والفتاة أن يتعرفا ببعضهما عن قرب قبل الزواج ، ولكن هذا يصدق فى حالة معرفة الزوجين لبعضهما لفترة قصيرة جدا قبل

الزواج بحيث لا تتاح لهما المعرفة الكاملة والواضحة ببعضهما . فهما قد تزوجا بحماس رومانسى وبدافع كبير تولد عن الانجذاب الجسمانى ، فهما يستمران لفترة ولكنهما يصلان أخيرا الى نقطة يصبح فيها زواجهما « اذا استطاع التحمل والصمود » محتاجا الى أساس أكثر واقعية .

التعرف على عوالم الفرد الخاصة

يعيش كل فرد فى عالم خاص به يكون هو مركزه ويكون هذا العالم جزئيا من إبداعه الخاص . فنحن نعيش على نفس الكوكب ، لكن الارض ليست هى عالمنا . فالعالم الشخصى للفرد ليس فقط عالم الاحساس ولكن أيضا عالم المعنى . فالاحاسيس هى المواد الخام التى تتكون من خلالها خبرات الفرد . والاحساس والمعنى ليسا منعزلين . فكل خبرة جديدة تتلاءم مع نموذج معقد يحتوى على كل خبرة الفرد حتى الآن . ولا تتوقف المعانى على الأحاسيس ولكن على تفسيرها الذى يرتكز بدوره على كل الخبرات السابقة . ولهذا فان العالم هو « شىء وهمى » فريد من نوعه بالنسبة لكل شخص . وكل شخص يعتبر « شيئا وهميا » فريدا من نوعه بالنسبة للأشخاص الآخرين . ولهذا السبب فإن شخصين قد يتجاوبان بطريقة مختلفة تجاه شخص أخر ، ومثال ذلك رد فعل الوالدين بالنسبة لطفلهما ، ورد فعل الزوج والزوجة تجاه والدة أحدهما وهكذا .

ومن الممكن أن يتدخل شخص ما فى عالم شخص آخر ولكن الى درجة محدودة . فمن المؤكد أنه لا يستطيع أن يعيش فى هذا العالم الا الفرد ذاته . وبمعنى ما فنحن جميعا « نساك » كل منا منفصل جزئيا عن الآخرين . ومع ذلك فان جزءا من خبرة الشخص تكون قابلة للنقل . ويعتمد النقل على اللغة والرموز الأخرى . وهى مجموعة معلومة من الظروف تتجاوب معها الكائنات البشرية بنفس الطريقة . ولهذا فان الكلمات تستطيع فقط أن تعبر عن هذا الجزء من خبرة الفرد الذى يشترك فيه مع الآخرين ، ويصدق نفس الشىء على الرموز الأخرى .

والمعيشة فى عالم خاص تعطى كل فرد إطارا فريدا « للأصالة » مما يجعل من « كل » الخبرة نسبية . فتخيل مثلا أن قامتك قد قصرت بمقدار ٢٤ بوصة .

فإن عالمك يتغير لأن إطار أصالتك قد تغير . وهنا يبدو كل شيء فى اطار جديد ، فقد تبدو الأبواب والسيارات والمنازل أكبر من حقيقتها . وسوف يأخذ السير الى أماكن معينة وقتا اطول ، ويقبل الضوء الى عينيك من زاوية مختلفة . وفى وسط الجماهير يكون لك منظور جديد . فقد تجد نفسك متكيفا مع بعض أنواع الرياضة وأقل تكيفا مع غيرها . وقد تكون بلا ميزة فى وظيفة ما . وفى غيرها تجد نفسك متميزا عن الأخرين الأطول منك .

كل هذا يبدو حقيقيا نتيجة لمجرد تغير بسيط فى القامة . ومن هذا نفهم كيف يكون لكل فرد إطارا منفردا متميزا للأصالة ، وكيف تتسبب خبرة كل فرد فى ان ينظر الى الحياة من خلال عيون تختلف ، وكيف أن كل تجربة نسبية . فلا يوجد شخصان لهما نفس التجربة الكلية . ومن ثم لا يوجد اثنان لهما نفس « اطار الاصالة » ، بل أكثر من ذلك فكل شخص يرى نفسه والآخرين ومع ذلك لا يستطيع ان يرى نفسه كما يراها الآخرون ، أو أن يرى الآخرين كما يرون انفسهم . ولذلك فإن كل فرد هو جزء من مجالات عوالم الآخرين بطريقة تختلف عن كونه جزءا من عالمه الخاص .

ويضاف الى الاختلافات الفردية « الاختلافات الجنسية » . فالعالم يبدو مختلفا للمرأة عما يبدو للرجل . فالوظائف والملابس والآخرين والاطفال والانجاب والمنازل والجنس ، كل ذلك يظهر لكل منهما فى ضوء مختلف يعتمد على ما إذا كان إطار الاصالة مذكرا أو مؤنثا . فمن المستحيل لجنس واحد أن ينظر الى الحياة كلها من خلال عيون الجنس الآخر . فكثير من خبرات أحدهما مغايرة لخبرات الآخر وليست هناك طريقة معروفة حتى الآن للتوصيل أو الاتصال بينهما . فالامومة مثال على ذلك . فليست هناك طريقة تستطيع بها الأم أن توضح للرجل معنى ومشاعر وأحاسيس الحمل والولادة . وبسبب الاختلاف فى الضغوط الاجتماعية ودور التوقعات التى يعيش من خلالها الجنسين والتى هى مغروسة فيهما منذ الولادة فمن الصعب أحيانا على الرجل أن يشرح للمرأة ميله الشديد نحو وظيفته ، وليس هناك طريق للرجل كى ينظر الى النساء أو الرجال الآخرين من خلال عيون المرأة . وفى أفضل الظروف وفى أنجح الزيجات حيث يوجد تفاهم كامل بين الزوج والزوجة

فلا تزال هناك هوه لا يمكن عبورها هى الاختلاف الجنسى .

وهذه الهوة التى لا يمكن عبورها تتأكد بحقيقة أن الجنسين ليسا مختلفين فقط ولكنهما يكملان بعضهما البعض كما أشرنا من قبل . وقد نستطيع أن نفهم أنه كلما زاد الفرق بين فردين كلما زادت صعوبة اتصالهما . وعندما نضيف « التناقض الكامل » الى الاختلاف، فإن كل جنس يتجه ناحية الجنس الآخر . ولذلك فبقدر الاختلاف نستطيع أن نفهم حقيقة أن الاتصال بين الجنسين هو فى الغالب لا يكون كاملا . وهذا لايعنى أن الجنسين لا يمكن لهما أن يتصلا . ولكنه يعنى فقط ان اتصالهمايقوم على فهم خاص لكل منهما ليس فقط كفردين ولكن كذكر وأنثى .

الاتصال

ان الاتصال هام جدا فى الزواج . ومع ذلك فكما افترضنا من قبل فهو دائما غير كامل بالضرورة . ولكن الوعى بهذا النقص يعتبر فى حد ذاته اسهام فى التوافق الزواجى . فعدم الوعى بهذا النقص الضرورى قد يخلق طريقا مسدودا .

وكثيرا ما نسمع أنه عندما يكون لدى الزوجين مشكلة زوجية فانهما لا بد أن يتحدثا بشأنها . فطالما أن المشكلة تستمر والى الحد الذى يتطلب اظهارها فى النور بدلا من « الأغلاق عليها » فان هذا يكون مستحسنا . ولكن بسبب النقص الحتمى للاتصال فإن المناقشة ليست مجرد حل آلى للمشاكل . حيث يمكن ان يجرى الاتصال دون مناقشة .

وعندما يلجأ الزوجان للاستشارة بصدد المساعدة فى مشكلة زواجية فان كلا منهما يكون ميالا الى أن يقرر أنه يتعامل مع الحقائق . وهذا حقيقى الى حد ما . ولكن الواقع أنه لا الزوج ولا الزوجة ولا المستشار يتعامل مع حقائق فقط . فكل من الزوجين لا يعطى المستشار حقائق تحليلة ولكنه يعطيه تفسيرا لموقف الزواج من وجهة نظره . ومن ثم فان المستشار يعمل من ناحية مع حقائق ، ومن ناحية أخرى مع تفسيرات ولهذا السبب (وللاسباب الأخرى ايضا) فانه من المهم إذا

أمكن أن يزور الزوجان معا المستشار فى حالة مرور زواجهما بأزمة ، ولا يهم مدى خطأ أحدهما بالمقارنة بالآخر .

وبسبب نقص الاتصال ، والمعيشة فى عالمين خاصين بكل منهما ، فإن الفهم بين الزوج والزوجة لايكون كاملا . ولذلك فمن المناسب أن يدركا أنهما لا يستطيعان دائما أن يفهما . وعندما يصل زوجان يعملان على نجاح زواجهما إلى نهاية الاتصال وبالتالى إلى الفهم فانهما يكونان مدعوين للقيام بعمل من أعمال الاخلاص ، وهو قبول الاختلاف الذى يقوم على الثقة والاخلاص والحب .

كيف يتحسن الاتصال فى الزواج ؟

ليست هناك وصفة معينة ولا طريقة مختصرة ولكن يمكن تقديم بعض الاقتراحات . فكل من الفردين لديه شىء يقوله،والفرد المتوقع منه ان يستمع يجب أن يندفع ليحاول أن يثبت اتصالهما المتبادل . فالاتصال ليس عملية من جانب واحد وهناك اختلاف بين الحديث وبين الاتصال . وهناك أيضا اختلاف بين الاستماع والسمع . فالسمع يعنى مجرد ادراك الصوت أما الاستماع فانه يعنى الانتباه لاشتقاق المعنى . فأجهزة الاستماع الوظيفية تؤهل الفرد لأن تندفع اليه الاصوات لدرجة أنه لا يستطيع تجنب سماعها . وفى حالة شجار زوجين فانهما يصيحان فى وجه بعضهما البعض ، وهما لا يستطيعان تجنب سماع الصوت ولا يلتفت أحدهما لما يقول الآخر . وهناك زوجان آخران يناقشان موضوعا له اهتمام مشترك ولذلك فهما شغوفان للوصول الى الفهم . وكل منهما يعطى الآخر فرصة ان يعرف أن ما يقوله « يستقبل » جيدا وأنه موضع اهتمام . فالزوجين فى المثال الاول « يتحدثان » ، أما الزوجين الآخرين فانهما « يتصلان » .

وقد يقاوم محتوى الاتصال بسبب نغمة الصوت ، أو اتجاه المتكلم ، فالمستمع يستجيب ليس فقط لما يقال ولكن للطريقة التى يقال بها . فالاستماع فن ايجابى أكثر منه سلبى . فبإمكان شخص ما أن يسهل حديث الآخر أو يجعله صعبا بالطريقة التى يستمع بها . فإذا كان الانتباه مشتتا أو إذا قام المستمع بعمل شىء مثل قراءة جريدة أو بالطرق بأصابعه على مائدة فان مشكلة المتحدث تتزايد . وبالعكس فإن المتحدث لا يستطيع أن يتوقع انتباها كاملا إذا خاطب

المستمع فى ظروف لا يستطيع الآخر أن يعطى فيها انتباها كاملا مثل الزوج الذى يتحدث الى زوجته وهى تضع الطعام على المائدة أو تعطى طفلها الدواء ، أو أن تتحدث هى اليه و هو متناوم أو متوتر من متاعب العمل .

وتقول « لوسى جى »(1) فى كتابها عن الايقاعات البيولجية « أن الناس يسيرون نحو دقات طبول مختلفة » و هناك فردية فى الإيقاع والنغم واختلاف الفرد فى تركيب الوقت يتفق مع اختلافه فى النطق والعبقرية والطول والمزاج . وقدرة الشخص على التفكير والتمييز وحل المشاكل والقيام بأعمال معينة،ومشاعره الشخصية،ويقظته وحساسيته كل هذا يتعرض لتغيرات متباينة أثناء دورة الحياة اليومية « فنحن نكون أشخاصا مختلفين فى العاشرة صباحا عنا فى العاشرة مساء » ولذلك فإذا كان الزوجان يريدان تحسين اتصالهما المتبادل فإنهما يحتاجان الى التركيز على نقطة فى تركيب الوقت يحاول فيها كل منهما الاتصال بالآخر .

وهناك أيضا ما يمكن صياغته فى عبارة « الانتباه الانتقائى » أو « عدم الانتباه الانتقائى » فالمستمع يسمع ما يريد أن يسمعه أو « يرفض » ما لا يريد سماعه . فعدم الانتباه الانتقائى قد يحدث عندما لا يسمع الزوج المتعب شيئا مما تقوله زوجته الا ما يتعلق منه بالنقود التى صرفتها فى السوق . وكذلك فان الزوجة المتعبة « فإنها تبعد » كل ما يقوله الزوج عن عمله اليوم الا ما يتعلق بذهاب زميله فى العمل فى رحلة نهاية الاسبوع مع اسرته . وعدم الانتباه الانتقائى هذا هو ايضا أحد أسباب عدم تأثير الازعاج .

وليس الاستعمال الشائع للكلمات يكون له بالضرورة نفس المعنى بالنسبة للشخصين . ومن ثم فمن المهم لكل شخص أن يتعلم لغة الآخر،وليس فقط الأسلوب العامى والكلمات الخاصة ولكن ايضا ظلال المعانى والكلمات والنغمات الانفعالية للكلمات . وبالنسبة لبعض الأشخاص فإن الكلمات تكون ذات شحنة انفعالية زائدة بمعنى أنها غير مقبولة لأنها رد فعل ضد موقف فردى تكون للفرد خبرة به ووجهة نظر خاصة .

1 -Luce , Gay Gaer ,« Biological Rhythms in Psychiatry And Medicine » , National Institute of Mental Health ,Washington . 1970 .

فالمتحدث عادة يفترض أن معنى الكلمة الذى يستخدمه سوف يثير نفس المعنى عند المستمع . ولكن المستمع (حِسب خبرته) قد يفسر الكلمة بطريقة مختلفة أولا يعطيها أى معنى . وقد يتحسن الاتصال بتأكيد معنى الكلمات خاصة الكلمات التى تساعد على فهم شيء مجهول . ومع ذلك فان كثيرا من الناس يستمرون فى الحديث دون معرفة عما اذا كان المستمع يعرف ما يتحدثون عنه . ويقول« هارب » وهو أحد خبراء الزواج ، « إن أكثر المصادر شيوعا فى صعوبة الاتصال فى العلاقة الزوجية هو الموقف الذى يفترض فيه أحد الزوجين أنه يعرف ما يعنيه الآخر »[1] .

ويعزز الاتصال الى الدرجة التى يكون فيها الشخص واعيا بالعقد و الحساسيات الخاصة والمخاوف والقيم والانحرافات و نقط المقاومة عند الشخص الآخر . ويعزز الاتصال ايضا الى درجة أن كل فرد يكون واثقا من أنه سوف يكون مفهوما ومقبولا وليس مرفوضا ، ومن ثم فهو حر فى أن يبوح بأفكاره ومشاعره واهتماماته وفشله وأخطائه .

والتعمق فى معرفة كيفية تناول الشخص الآخر للحقائق والافكار يسهل الى حد بعيد عملية الاتصال . فهل هو يستعمل الحقائق بدقة أو بتحريف ومبالغة ؟ وهل يرحب بمعرفة الحقائق الجديدة لزيادة معلوماته أو أنه يقاومها ؟ واللوحة التى كتب عليها « لا تضايقنى بالحقائق فإن عقلى مرتب » مقصود بها الفكاهة بالطبع ولكنها تصف فى الواقع نسبة كبيرة من السكان ليسوا على استعداد لتقبل أى معلومات جديدة وخاصة بالنسبة للظواهر غير المادية للحياة والعلاقات الانسانيه . ان فهم رأس الموضوع الذى تندرج تحته المناقشة يسهل الاتصال . ولا يستطيع شخصان أن يتصلا بفعالية الا اذا كانا يتكلمان حول نفس الشيء .

---

1 - Harper , Robert A , « Communication Problems in Marriage and Marriage Counseling » , Marriage and Family Living , Vol . 20 , NO .2 ,pp .107 - 112 , May ,1958 .

ج – الخوف

قد تلعب أنواع مختلفة من الخوف دورا فى التوافق الزواجى . فالخوف من انغماس شخصية أحد الزوجين فى شخصية الآخر ، أو الخوف من فقدان الحرية ، أو القدرات الخاصة أو حتى عدم الكفاية مما يؤدى الى ردود فعل غير مستحبة للنجاح .

والخوف من فقدان العاطفة والاخلاص من الشخص الأخر نوع شائع ، وهذا ما يطلق عليه مصطلح « الغيرة » . والغيرة رد فعل للخوف . وهناك معنيان للغيرة ويمكن تصوير النوع الأول من الغيرة بمجهودات الزوجين للاحتفاظ بمنزلهم ضد الهجوم الغادر لاحد الأقارب الذى يريد تحطيم سعادتهما إذا استطاع . والنوع الثانى هو الذى يظهر عندما يرى الزوج رجلا آخر يبدى اهتماما بزوجته ويخشى ان يكون غير قادر على الاحتفاظ بعاطفتها واخلاصها عند ظهور شخص آخر له جاذبية اكبر . وقد لا يحلل الزوج خوفه الى هذا الحد ولكن يكون « الخوف » موجودا رغم ذلك . وقد يكون رد الفعل عنده هو الغضب والكراهية وذلك حسب مقدار وعيه بالخوف ولكن هذا الشعور يرجع فى الاصل الى عدم الامان .

ويمكن تقسيم الغيرة الى نمطين على أساس آخر ونعنى بهما (١) الغيرة القابلة للتبرير ،وهى تلك التى تقوم على ملاحظة سلوك القرين و (٢) الغيرة غير القابلة للتبرير ،وهى تلك التى لا تقوم على حقيقة ملموسة بل فقط على أساس عدم الامان والشعور بالدونية ،أو الشك عند الرجل الغيور . ففى النوع الأول قد تعرف الزوجة ان زوجها مهتم بامرأة أخرى وقد تشعر بالعجز فى الامساك به ، وفى النوع الثانى لا يظهر الزوج أى سلوك يدعو الى الشك ولكن نظرا لأن الزوجة تشعر بعدم الامان فإنها تصبح غيورة عند مجرد محادثة الزوج لزميلته فى العمل أو مناقشته لسيدة تجلس الى جواره فى إحدى الحفلات .

ولعدة أسباب فإنه يمكن اعتبار الغيرة « انهزام للذات » وذلك لأسباب الآتيه :

١ – ان الحب والاخلاص لا يمكن الحصول عليهما بالارغام عن طريق الشك

والمراقبة فالحب الجدير بالحصول عليه هو الذى يعطى بحرية وارادة واعية
٢ – نقص الثقة يؤدى الى استياء الشخص الآخر .
٣ – حتى عندما تكون الغيرة قابلة للتبرير فهى لا توجه للاسباب الحقيقية لعدم الاخلاص .
٤ – من الصعب جدا الحياة مع الشخص الغيور ولهذا من المحتمل أن يصبح غير جذاب ، وهذا قد يؤدى بالقرين الى أن يفقد الاهتمام وأن يقوم فعلا بعمل ما كان يخشى منه أن يفعله،أو هكذا يصل الى نهاية ما كانت تهدف الغيرة الى منعه .
٥ – تدل الغيرة على عدم النضج ، وهى فى الغالب جزء من السلوك غير الناضج الذى لا يؤدى الى زواج سعيد .
٦ – تتضمن الغيرة غالبا اسقاط اللوم على الشخص الأخرى . فالشخص الغيور لا يقول « أنا غيور لأنى خائف وغير آمن » ولكن يقول « أنا غيور لما تفعله » .

ولا يتعلق الموضوع فقط بالغيرة ولكن أيضا باسلوب التعبير عنها ، فهو أيضا يؤثر فى الزواج . فالتعبير عن الغيرة يستلزم النقد والشك والاستجواب والمضايقة وطلبات تفسير وعرض للمزاج والنكد وفقدان الاحترام ، وتقييد للحرية الى آخر هذا من الصفات أو الخبرات المضايقة والمضجرة . وكثيرا ما يرفض القرين الغيور أن يؤمن بالحقيقة . وكلما حاول الشخص الآخر أن يفسر عدم وجود أى سبب للغيرة كلما زاد الطرف الأول فى غيرته مصرا على أن هذا التفسير ما هو الا محاولة لتغطية الموقف . وهكذا يهبط الزوجان الى أعماق بعيدة فى الرمال المتحركة للنفور .

ورغم هذا فقد تكون الغيرة صفة ملطفة تعوض الى حد ما صفتها الضارة ، وقد تجعل من هذه الحبة المرة حبة سهلة الابتلاع . فحقيقة أن الفرد يبدى الغيرة قد تكون اشارة الى أنه لا يرغب فى فقدان الشخص الآخر ، وأنه يريد الاحتفاظ بعلاقتهما ، وأنه يفعل ذلك لأنه يحبه حبا شديدا ، وهذه الافكار تستحق الاهتمام من أى شخص يكون قرينه غيورا .

د - السيطرة

إن نتائج السيطرة الفعلية أو ادعائها سببية وتتوقف على الشخصيات التى تتضمنها

هذه السيطرة . وعموما فإن السيطرة تعتبر ظاهرة غير صحية الى حد كبير . فبعض الزيجات تتحول الى ما يمكن أن نطلق عليه « معارك الهيبة » . والسؤال الذى يبحث الزوجان عن اجابته هنا ليس « كيف نستطيع أن نعمل معا على أحسن ما يكون ؟ » بل « من الذى سوف يستسلم ؟[1] » فالفرد الذى يجعل الزواج نضالا للقوة لأنه يصر على ممارسة سلطة الذكر أو أن شخصية الزوجة تحتاج الى أن يسيطر عليها ، فهو أو هى يحاولان أن يجدا طريقهما الخاص والملائم لهما بصفة شخصية أكثر من حرصهما على نجاح الزواج .

ويتحدث « الفرد أدلر » عن « المنزل الذى يدار بقوة الماء » وهو يعنى بذلك المنزل الذى تحكمه دموع المرأة . وقد يلجأ الفرد الى ادعاء « المرض » كى يسيطر على قرينه . وقد تصبح الزوجة فجأة مهتمة بقواعد الاتيكيت ،أو قد تستعمل مراعاة المواعيد كسلاح ، كما أنها قد تزيد التأكيد على ضعفها وهكذا تعجب بما يفعله زوجها لدرجة أنه يصبح محملا بتوقعات اكبر للنجاح . فإذا لم ينجح الزوج فإن الزوجة تلوم الآخرين لأنهم وقفوا عقبة فى طريقة . وهذا يربط الاثنين معا اكثر وأكثر ويعطى الزوجة نفوذا على الزوج . وبعض النساء يتزوجن رجالا عاجزين جسمانيا خلف تظاهرهن بالعطف و الشفقة وهن راغبات فى السيطرة .

ومن نماذج السيطرة الشائعة طلب العرفان بالجميل ، كأن يقول أحد الزوجين للآخر « لولاى لما كنت اليوم فى مركزك هذا » أو « لقد ضحيت بالكثير من أجلك » أو « فكر فيما كنت عليه قبل أن أتزوجك » . وعندما يكون العرفان بالجميل اختياريا وتلقائيا فإنه يكونه مفيدا للطرفين . أما عندما يطلب فإنه قد يؤدى الى الاستياء . فهو يلقى ضوءا جديدا على العمل الذى تم وعلى الشخص الذى يطلب .

وعندما يأخذ طلب الاعتراف بالجميل صيغة الاستشهاد ، ويلعب دور التضحيات والزهو بها فى وجه الشخص الآخر فإنه يفقد قيمته نهائيا « فالتضحية

1 - Knoph , Olga , « The Art of being a woman « Doubleday and Company , Inc., Garden City , N.Y, 1932 .

بهذا الاسم تشبه الهدية التى تقدم وعليها طابع السعر متروك عمدا وفى هذه الحالة تكون إهانة اكثر منها هدية[1] » .

هـ - الاعتماد المفرط

يحدث الزواج عادة بين الاشخاص الناضجين ، ونمط الشخص المفرط فى الاعتماد على غيره أو الطفيلى لا تقع تحت هذه المقولة . إن الاعتماد المعقول لأحد الطرفين على الآخر شيء طبيعى ومقبول . ولكن عندما يصل الى حد الابتعاد عن المسئولية والفشل فى الاسهام فى نجاح الزواج أو عدم القدرة على القيام بنصيبه فى المسئولية فإنه بهذا المعنى يضر الزواج .

وقد يكون الاعتماد المفرط أيضا عرضا من أعراض عدم النضج الذى ينتج عن النرجسية التى هى حب الذات . وقد تندمج الزوجة مع زوجها وتخضع نفسها له وتنحنى بطاعة عمياء وتأخذ أقل رغبة يبديها على أنها أمر . وقد يضايق هذا السلوك الزوج ، أما اذا اعتقد فعلا أن كل شيء كما تعتقد هى فإن هذا النموذج من السلوك قد يؤثر فى شخصيته .

وما يمر أحيانا على أنه اعتماد مفرط قديكون سيطرة فعلية . فقد يسيطر شخص على سلوك الآخر بالخضوع والاستسلام واظهار الحاجة الى المساعدة والارشاد وتوقع أن يأخذ الآخر القرار وأن يفهم مسئولياته ، حيث يتحمل الفرد ضبط سلوك الآخر .

و - التوتر

يمكن تعريف التوتر بأنه حالة فسيوليوجية انفعالية أو عقلية تميل الى اظهار النشاط . وليس معنى النشاط فى هذه الحالة ان يكون موجها بالضرورة الى ازالة أسباب التوتر . فالتوتر يميل الى الانتشار من منطقة فى الحياة الى مناطق آخرى فيها وأن يتراكم ثم ينفجر عند أقل منبه قد لا يكون له أى علاقة أو له علاقة طفيفة

1 - Wile , Ira s., and Mary Day Winn , « Marriage in the Modern Manner , Appleton Century Crofts , Inc. , N.Y , 1929 .

بسبب التوتر الفعلى . ومثال ذلك ، رجل منهك طوال اليوم فى عمله ، واثيرت انفعالاته عدة مرات وزاد عليه التعب . وقد اضطر الى التمسك بالصبر حفاظا على موقفه فى العمل وأظهر كذلك طبيعة حسنة وتحكما فى الذات ، وفى نهاية اليوم يذهب الى المنزل ، وهنا يقوم أحد أطفاله بعمل تافه يزعجه فينفجر غاضبا ، ويفرغ فيه شحنة توتره طوال اليوم . والانفجار هنا ليس موجها لازالة سبب التوتر كما ان المنبه علاقته محدودة جدا بسبب التوتر .

وقد يكون أحد الزوجين ماهر جدا فى الشعور بعلامات توتر الآخر ، وأحدهما لايستطيع ذلك . وليس من المفروض أن نستخدم علامات معينة كوسيلة لجعل الشخص الآخر يدرك أن هناك توترا غير عادى وأنه مطلوب منه الصبر والاهتمام . وقد تبدو هذه العلامات أحيانا على أنها غباء أو أنها حركات أطفال ، ولكنها فى الواقع ليست بهذه الدرجة ، لأنه قد ينشأ شجار غير متوقع من التوتر ، ويثار بشىء بعيد عن الموضوع ، وأيضا فإن استعمال مثل هذه العلامات البسيطة يشير الى أن كل قرين يعى توتره الشخصى وزيادة حساسيته وهذه هى الخطوة الأولى نحو تناول الموقف بطريقة فعالة .

أحيانا يتشتت التوتر لدرجة امتناع تأثير تراكمه وحلول الراحة محله ، فكل زوجين ، وكل انسان بوجه عام يحتاج الى ما يسمى « مسكنات التوتر » ، فقليل من البراعة تشبه بعض نقط الزيت التى تمنع الاحتكاك من اتلاف العلاقة . وقد يطور الزوجان فنونا للتخلص من الشجار اثناء تجمعه بدلا من الانتظار حتى يطيح بزواجهما . ومن الصعب القول ماهى المهدئات المناسبة لزوجين معينين لأن لكل حاله خصائصها .

وأحيانا فإنه بالرغم من كل الجهود التى تبذل من أجل منع هذا التوتر فإنه يسبب الشجار . ومن الخطورة بمكان أن نوحى بالشجار أو نتعمد التخطيط له كوسيلة للتقليل من حدة التوتر . فلا توجد وسيلة لضمان أن الشخصين سوف يكون لهما نفس رد الفعل . ولذلك فهناك احتمال كبير جدا لحدوث توتر أكبر مما كان مقصودا التخلص منه أو تهدئته . وعموما ، فإنه عندما يتشاجر الزوجان فهناك عدة أشياء يجب أن نعيها و من خلالها نستطيع أن نضع هذه القواعد

للشجار : –

١ – لابد أن يفهم كل من الزوجين ان ما يقوله الآخر أو يفعله أثناء الشجار هو نتاج التوتر القائم وليس انعكاسا حقيقيا لشخصيته اذا لم توحى الخبرة التراكمية بالعكس .

٢ – لابد أن يفهم كل من الزوجين أنه مهما كانت الاحكام التى يصدرها اثناء الشجار فهى أحكام باطلة . فالاحكام التى يقوم عليها الفعل تتشكل بطريقة أحسن من ذلك فى وقت يكون فيه الفرد هادئا نسبيا ومستعيدا لمنظوره .

٣ – من الملائم أن يحاول كل منهما الاحتفاظ بالشجار فى حدود معينة . فلا حاجة الى أن ينتشر الى مظاهر علاقتهما،وموقفهما،وشخصيتهما مما لا علاقة له بأصل موضوع الشجار . ولا حاجة للزوجين للانتقال من مهاجمة المشاكل الى مهاجمة بعضهما البعض .

٤ – من الأفضل أن يكون الشجار سرا بينهما ، فلا داعى لأن يكون أمام الآخرين وخاصة الاطفال .

٥ – قد يتسبب الشجار فى زعزعة توافق الزوجين مما ينتج عنه ارادة عليلة وعدم أمان . ولذلك من الافضل ان ينسياه عندما ينتهى ، فدع ما انتهى ينتهى ولا تحمل ضغائن وخذ خطوة الى الامام الى جو رائق بعيدا عن العاصفة .

٦ – بما أن الزواج أكثر أهمية من مشاعر الزوجين ، وفى أغلب الاحوال أهم من الاختلاف الذى أثار الشجار فإنه من المهم أن يكون كل من الزوجين راغب فى السير الى منتصف الطريق من أجل تحقيق المصالحة . وأحيانا تكون الخطوة الاولى فى هذا الاتجاه أسهل بالنسبة للشخص المخطىء ، لأن كرامته لن تكون فى هذه الحالة عقبة من أجل الاعتذار .

٧ – كلما عاد الزوجان الى حالة العاطفة والتخاطب أسرع بعد المشاجرة كلما كان أسهل عليهما تأخير شجار آخر من الصعب أن يجىء . فمن الأفضل الا ينام الزوجان وهما متخاصمان لأنهما بذلك يعتادان على الضغينة والتباعد .

وبالرغم من أننا نتفاخر بأننا نعيش عصر العلم ، فإن أغلبنا لايفهم الحياة بطريقة علمية . فنحن فعلا نعيش فى عصر يحظى العلم فيه بقدر كبير من

الاهتمام ، فيه يساهم العلم والعلماء فى تكنولوجيا نتمتع بها فى نطاق واسع . ولكن « عالم الانسان العادى » وميله تجاه العالم وعلاقته به وبالناس تتأثر الى حد كبير بافتراضات وانطباعات وتقاليد وانفعالات التفكير المرغوب فيه . وهذه كلها تكون تربة خصبة ينمو فيها التوتر والمناقشة والشجار لأنها أكثر احتمالا فى أن تغلفه بضباب الحاجة الى الحقائق أكثر من أن تؤدى الى الغائها . فعندما يتناقش شخصان فكل منهما يكون مقتنعا أنه يدافع عن الحقيقة ، فإذا استطاع أحدهما أن يرى أنه من المحتمل أنه يعتمد على وجهة نظر لا اساس لها من الصحة فإن التوتر يتراجع . وهناك ظاهرة عامة على أنه يوجد من الانسباء من هم أنانيين ومولعين بتدبير المكائد ومن هم قصار النظر وفضوليين ولحوحين أو حقودين . وهناك أيضا من لا يتماشون مع أبنائهم مما يجعلهم يفشلون فى تصور أن هؤلاء كبروا وأصبحوا مستقلين ، بل قد يصبح بعضهم ملتصقا بزوج ابنته أكثر مما كان والديه ملتصقان به . وبعض الانسباء يساهمون فى إنجاح الزواج ويساعدون الزوجين فى تحسين توافقهما .

وعندما تكون هناك مشكلة عائلية فإن الزوجين الشابين ووالديهما يكونون فى وسط هذه المشكلة . وقد قيل الكثير عن الانسباء ، وكثيرا ما قيلت الفكاهات عن الحموات لدرجة أنهن استحوذن على شهرة عالمية فى مجال المكائد وإثارة المتاعب للزوجين . ونتيجة لذلك فكثيرا ما يدخل الشباب الى الزواج وهم فى موقف دفاعى ، وفى حالة استعداد للتحرش بأنسبائهم من أجل الاطاحة بهم ، فإذا حدثت هذه الاطاحة حتى بدون قصد فهنا تبدأ المتاعب .

وعندما يقع الرجل أو المرأة فى الحب ويتزوجان فإن كلا منهما لابد ان يحترم ذكاء الآخر . فإذا كان كل منهما قد تعود التفكير فى أن والديه كانا أشخاصا مناسبين فهناك احتمال بأنهما على حق ، ولا بد للطرف الآخر ان يتقبل ذلك حتى تبرهن الحقائق عكس ذلك . فإن كان هناك اخلاص فى مشكلة النسب ، فإن الزوجين الشابين يحتاجان أولا الى التأكد من منظورهما . فنجاح زواجهما يوضع فوق أى اعتبار آخر حتى فوق الارتباط الشديد بالوالدين . فالزوج أو الزوجة أولا ، والا أظهر الفرد عدم نضج إذا لم يكن القرين غير محتمل وفشل الزواج بدون أمل .

وهنا فإن الموقف يتطلب دبلوماسية واهتمام وحزم وذكاء أيضا .

وفهم المشكلة التى تواجه الزوجين مع أنسبائهم قد تساعد على تسهيل التوافق بينهم . فالاسرة هى جماعة تظهر الانسجام ، وحتى عندما يكون الاعضاء فى صراع مع بعضهم البعض فهناك ميل الى الوقوف متحدين ضد الضغط الخارجى ، وضد الجماعة الخارجية ، وزوج الابنة مثلا يكون عضوا فى الجماعة الخارجية ، والأمر يحتاج الى وقت ويتطلب بعض اعادة التوافق لقبوله كعضو فى الجماعة الداخلية . فهو فى البداية يعتبر خارجيا وهناك اشياء لا يفعلها الانسان مع الخارجين عن الجماعة . فالانسان لا يخبره عن أسرار الاسرة ، ولا يعبر له عن عاطفته بدون تحفظ ، ولا يظهر أمامه فى حالة غير لائقة (بملابس النوم مثلا) .

إن الآباء يتلقفون أبناءهم وهم صغار بدون أى آراء أو تحيز أو استياء أو عادات أو ميول أو أفكار خاصة ، ثم يستوعبونهم تدريجيا فى الاسرة ويشكلونهم بصورة تتلاءم مع نمطهم فى الحياة . ولكن النسيب يقذف به داخل الاسرة ، وأحيانا بدون توقع وأحيانا ضد ارادة العائلة ، ودائما تكون له أفكار وميول وعادات وشخصية قد تطورت من قبل وفى ظروف قد تكون مغايرة تماما .

وقد يستاء الآباء من تحول عواطف أبنائهم عنهم الى أشخاص آخرين . وقد ينشأ تبعا لذلك صراع للأدوار بين توقعات الوالدين والقرين . فالوالدان يفكران فى أبنائهم بعد ان يتزوجوا ويتوقعون منهم الاستمرار فى أدوارهم السابقة أى علاقة الابن بالأب والأم ، بينما يتوقع القرين من الشخص الا يسلك كابن بل كشخص بالغ مسئول ومستقل .

وقد يكون الابن معتادا على تدخل والديه فيما يعمل وأن يسألوه عن خططه ، ويتحدث أمامهم بحرية فيما يتعلق بآرائه . وهو يقبل هذا منهم وهم بدورهم يقبلون السلوك المشابه منه . ولكن لا يكون الأمر بنفس الصورة مع الانسباء فكل منهم يعتبر الآخر عضوا فى الجماعة الخارجية . بل إن الانسباء الكبار فى السن يكونون قد نشأوا فى عصر مختلف ، ولذلك فإن آرائهم تختلف ولا توجد الفرصة المناسبة لاصلاح المعوج نتيجة الاحتكاك المستمر فى حالة الآباء والابناء . فالاستيعاب المتبادل والتوافق بالنسبة للأنسباء ليس دائما أمرا سهلا . وأى شىء يمكن ان يخدم

العملية أكثر فهو جدير بالمحاولة وما يعوقها يكون جدير بالتجسب

ز - مبدأ الاهتمام الأقل

حينما يندمج شخصان عاطفيا فإن ظروف الارتباط سوف تكون مملاه ، وسوف يسيطر الشخص ذو الاهتمام الاقل فيها على هذه العلاقة . فالشخص الأقل اندماجا يكون أكثر تطلبا لأنه الأقل خسارة دائما ، وكلما زاد اندماج الشخص كلما زاد اضطراره للقيام بتنازلات لأن عدم الاستمرار فى العلاقة سيكون أكثر خطورة بالنسبة له .

وهناك مبدأ مشابه لما سبق ومرتبط به ، وهو اذا كان زوج وزوجة لهما درجة مختلفة فى رؤية العلاقة الزوجية ، فإن الشخص ذو الرؤية الأوضح والوعى الاكثر غالبا ما يقوم بالقدر الاكبر من التوافق لكى يؤكد استمرار العلاقة . وهذا قد يبدو للوهلة الأولى أنه ظلم ولكن النظرة اليه بطريقة واقعية تؤكد أنه لابديل لهذا

فإذا سيطر شخص على العلاقة باهتمام أقل بها أو بتبصر أقل فمن الواضح أنه فى حالات الطلب الزائد فإن هذا قد يؤدى الى الفشل . وفى حالات أخرى حيث نجد الأكثر اهتماما والأكثر تبصرا يستطيع أن يدير العلاقة بطريقة كافية أو يستطيع أن يجعل التوافق المطلوب ناجحا ، وبالرغم من ذلك ففى أى حال فهناك فقدان للتبادل .

ح - قانون العائد المتناقص

يذكر قانون العائد المتناقص فى مجال الاقتصاد . وهو يمكن تضبيقه كذلك فى مجال الزواج . وباختصار فما نناقشه هنا قد يكون شبيها بقانون هامش الربح . ولكن بالنسبة لغير المتخصصين فى الاقتصاد فإن « العائد المتناقص » يوحى بشىء لا يوحى به « هامش الربح » .

ويؤكد هذا المبدأ فى الاقتصاد أنه عند الحصول على أو عند استهلاك مجموعة معينة من البضائع الاقتصادية ، فإن كل وحدة من المجموعة بالرغم من تشابهها مع الوحدة السابقة عليها فإنها تكون أقل جاذبية أو أقل قيمة بالنسبة للمستهلك

ولنأخذ مثالا على ذلك شخص جائع جدا يجلس على المائدة ، فإن أول طبق يقدم له يستهلك بشهية كبيرة ، والطبق الثانى لايؤكل بنفس الشهية والحماس الأول ، وتقل جاذبية الطبق الثالث والرابع وهكذا وإذا اضطر الانسان للاستمرار فى الاكل فإنه يأكل لمجرد الأكل وليس نتيجة للشهية .

وينطبق قانون العائد المتناقص على عدد من مظاهر الزواج . وربما يكون أهم مجال لتطبيقه هو العلاقات الجنسية بين الزوجين . فعندما يرتبط الجنس بالحب ويتكاملان فى علاقة زواجية ممتدة ونامية ، فإن العنصر الجنسى نفسه يزداد غنى . حقيقة أن الزوجين قد يلاحظان نقصانا فى تكرار الاتصال الجنسى بمرور الزمن ولكن لا يعنى ذلك بالضرورة نقصانا فى الاهتمام والاستجابة أو المعنى .

ومن ناحية أخرى فعندما يكون الجنس بعيدا عن الحب فهو فى هذه الحالة يكون أكثر احتمالا للخضوع لقانون العائد المتناقص . فالزوجان اللذان يتزوجان على أساس الجاذبية الجنسية بينهما ويخلطانها بالحب غالبا ما يصلان الى نقطة يصل فيها زواجهما الى مستوى الموت . وهناك بالفعل بعض الازواج لا يعرفون بعضهم البعض تمام المعرفة ، فليس لديهما المطالب الضرورية لبناء الزواج ، وكذلك فإن بعضهم ليس لديه حتى الشيء المشترك للشجار . وعندما يترك قانون العائد المتناقص انطباعه على علاقتهما الجنسية ، فإن لا يتبقى شيء للزوجين .

ط - المساعدة الخارجية

قد تكون المساعدة الخارجية عاملا هاما فى نجاح الزواج لأنه فى بعض الحالات يستهلك الزوجان كل مصادرهما الخاصة ، وبالرغم من أن لديهما إرادة النجاح فهما لا يعرفان الخطوة التالية الواجب اتخاذها . ولهذا فإن المساعدة الخارجية قد تعطيهم الدافع وإعادة التوجيه المطلوبين . فعندما تفشل العلاجات المنزلية فى الزواج فمن المناسب الاتجاه الى خبير كما يفعل الشخص فى حالة المرض . فمن المستحسن القيام بهذا عن ترك الزواج يموت .

ونادرا ما يكون للأصدقاء قيمة فعاله . فعادة ما ينقص هؤلاء الاصدقاء المعرفة

المطلوبة أو يكون لديهم وجهة نظر متحيزة تجاه الزوجين . وقد يساعد الطبيب أو رجل الدين مساعدة لها قيمة إذا أعطى معلومات صحيحة وإذا كان لديه نوع من التبصر أبعد من مجرد المظاهر الفسيولوجية والاخلاقية طبقا للحاله .

ويوجد الآن وفى كثير من المجتمعات وخاصة المجتمعات الغربية مستشارون لأمور الزواج أو وكالات خاصة بذلك حيث يحصل الانسان على مساعدة خبير متخصص لقاء دفع رسم معين . الا انه يجب الا يكون الزواج قد وصل الى حافة الهاوية عند زيارة الزوجين أو أحدهما لإحدى هذه المؤسسات . وبالنسبة لبعض الازواج فهناك مراكز تعليمية وعيادات لمعالجة سوء التوافق . وتتفاوت الموضوعات التى يطلب الأزواج المشورة فيها من حيث الأهمية والخطورة ، فقد يطلبان المساعدة من أجل تنظيم ميزانيتهما، أو النصيحة فى تربية الأطفال، أو معلومات عن الحمل، أو اقتراحات بشأن استغلال وقت الفراغ أو أى من هذه الامور مما يقتضيه إثراء الحياة الزوجية أكثر من مجرد الحاجة الى حلها .

ورغم ذلك فاننا لا يمكن أن نتوقع أن مشكلة توافق معقدة يمكن أن تحل فى كليشيه يقرؤه فى جريدة أو فقرة اذاعية أو تلفزيونية . فعمود النصائح فى الجريدة له مكانه وهو أكثر الجهات المتاحة لعدد كبير من الناس المرتبكين والذين يحتاجون الى المساعدة والمشورة . ويجب أن نقر ان كتاب الاعمدة الصحفية يعرفون احتياجات الاعداد للزواج وتقديم المساعدة للذين تزوجوا بالفعل قبل أن يعرفها كثير من المربين وأعضاء المهن الأخرى : وحيثما أمكن ، ففى حالة الحاجة الى المشورة ، فمن الأفضل الرجوع الى مستشار محترف فهو الذى يستطيع ان يعطى الحالة الاهتمام اللازم .

ويجب أن يتم اختيار المستشار بحرص . فهناك أشخاص يفرضون أنفسهم فى مجال ولكنهم غير مؤهلين . ويمكن التعرف على المشعوذين والدجالين من الآتى :

١ – لهم دائما مطالب مبالغ فيها .
٢ – يؤكدون كثيرا على أنهم قادرون على التعامل مع عدة مشاكل مختلفة .
٣ – يعلنون عن أنفسهم .

٤ - يؤكدون على دفع رسوم وهى غالبا مرتفعة .

٥ - يطلبون دفع الرسوم مقدما من أجل خدمة لم تقدم بعد .

٦ - يعرضون دبلومات أو شهادات من مدارس غير معروفة .

٧ - يدعون الحصول على درجات غير عادية كالدكتوراه فى علم النفس .

٨ - عندما يسألون عن مدى تدريبهم فإنهم يكونون غامضين ومبالغين

٩ - يضعون تشخيصا عيفا .

١٠ - يضغطون على العميل كى يعود لطلب استشارة أخرى وهكذا ..

النسق الأبوى :
سنوات الطفولة المبكرة

مقدمة

يرتكز النسق الأبوي The Parental System « بصفة مبدئية » على المراكز المترابطة للآباء والابناء . فمن المعروف أن جميع المجتمعات تضع قيوداً معينة وتحديدات معيارية عن السلوك الملائم والسلوك غير الملائم فيها ، كما تصطلح على سلسلة من توقعات الدور تتفق مع مكانات الأب والإبن . وتنظر إلى بعض معايير الأب والإبن باعتبارها عالمية لأنها توجد في جميع المجتمعات بلا استثناء ، وهذا يعني أن بعضها الآخر مقصور نسبياً على مجتمع معين أو ثقافة فرعية معينة . ومثال ذلك أنه لا يوجد أي مجتمع معروف يضع المسؤولية الأولى لتربية الأطفال على عاتق الرجال كما أنه لا يوجد مجتمع معروف يسيطر فيه الابناء الصغار على آبائهم . ومع ذلك فإنه توجد اختلافات واسعة بين المجتمعات من حيث مناهج تربية الطفل ، وعدد الأطفال ، وسن الفطام . . . الخ . أي أنه في كل مجتمع تكون علاقة الآباء بالأبناء منظمة ومنسقة وتتكرر بصفة دورية . وتعمل هذه الانماط كما هو متوقع من خلال محيط اجتماعي معين ، وإذن « فالأبوية » Parenthood لا يمكن تقييمها بعيداً عن المجتمع الذي يكون موضع الدراسة ، وهو الأمر الذي يؤدي

إلى كتشاف التباين في الأدوار الأبوية والسلوك نتيجة لإختلاف المستويات الإجتماعية والاقتصادية، والثقافة الفرعية التي تنتمي إليها الأسرة.

مرحلة الانتقال إلى الابوية

ماذا يعني قولنا «مرحلة الإنتقال إلى الأبوية» The Transition to Parenthood . إننا نعني ، فترة التحول النفسي وإعادة ترتيب الأدوار للتحرك برفق من حالة زواج بلا أبناء إلى حالة زواج مع أبناء ، أي تكوين أسرة ، أي التحول من مجرد الحياة كأزواج إلى الحياة كأزواج وآباء وأمهات في نفس الوقت . ولكن ما هو أثر هذا الشعور أو هذا التحول على الشخص البالغ ؟ وما هي الطرق التي يتغير وفقاً لها الآباء وخاصة الأمهات نتيجة لتجربتهم الأبوية ؟ ولقد كانت الإجابة على هذه التساؤلات نقطة البدء في اهتمام « أليس روسي Alice Rossi عند تحليلها للدور الأبوي Parental Role .

إن التركيز الاساسي عند روسي على عكس ، ما كان سائداً عند دراسة علاقات الأبناء بالآباء ، كان على الأب أكثر من الطفل . وقد مهد السبيل لهذا المنظور الجديد تطورات عديدة في العلوم السلوكية ، وخاصة تلك الفكرة القائلة بأن الشخصية هي ظاهرة تتغير باستمرار ، أي أنها ليست ثابتة ، لأن الأفراد يتغيرون طوال حياتهم تبعاً للتجارب التي يمرون بها ، وخاصة تلك التجربة التي يصبحون عن طريقها آباء .

وتسلك روسي مدخلاً مقارنا عند مناقشتها وطأة الأبوة ، وذلك عن طريق تساؤلها عن الطرق البنائية الاساسية التي تختلف الأدوار الأبوية فيها عن الأدوار الأولية الأخرى للبالغين مثل الأدوار الزوجية أو المهنية ، وهي في ذلك تركز على أربعة مظاهر فريدة وجادة في هذا الدور الابوي :

أولاً : أن هناك بالنسبة للنساء ما يعرف بالضغط الثقافي من اجل

استيعاب الدور في الوقت الذي تكون فيه للرجال حرية « ليست كبيرة من الاختيار . وخاصة إذا اتصل هذا الاختيار بالعمل ، ذلك أن الضغط الثقافي بالنسبة للمرأة الشابة يتمثل في النظر إلى الأمومة على أنها مسألة هامة من أجل تحقيق فرديتها وضمان مركزها كأنثى بالغة وجدير بالذكر أن هذا الضغط الثقافي ربما تضاءل في هذه الأيام بسبب الانخفاض المستمر في معدل المواليد والرغبة في الوصول بالنمو السكاني إلى نقطة الصفر ، وكذلك إعطاء مزيد من الاهتمام بالعائلات أو الاسر ذات الطفلين فقط .

ثانياً : يبدو أن الدور الأبوي ليس دائماً مسألة قرار طوعي أو اختياري ، فعلى خلاف الخطبة ، فإن الحمل يمكن أن يكون نتيجة غير مقصودة للفعل الجنسي الذي يمارس باعتباره مصدراً من مصادر اللذة أو السعادة لا باعتباره مؤدياً إلى الإنجاب ، والحمل كذلك يختلف عن الخطبة في أن نهايته ليست مرتبطة بنوع من الجزاءات الاجتماعية . أي أنه يتوقف على اجراءات معروفة في تقاليد المجتمع وقيمه .

ثالثاً : والدور الأبوي فضلاً عن ذلك مصير محتوم . فأن يكون لك طفل هو دائماً وببساطة أن يكون لك طفل ! ذلك أنه من الممكن أن يكون للمرء زوجات أو أزواج سابقين . كذلك يمكن أن يكون المرء قد عمل في مهن كثيرة قبل مهنته الحالية ، إلا أنه من المستحيل أن يكون له أطفال سابقين ، وما أن يخرج الطفل إلى الوجود فهناك احتمال ضئيل جداً في ألا يتحمل الأب أو الأم الدور الأبوي أو الأموي إلا في الحالات النادرة التي يوضع الطفل فيها في ملجأ أو يتم التنازل عنه لتتبناه أسرة أخرى .

رابعاً : يلاحظ أن هناك اهتماماً قليلاً في فترة ما قبل الولادة بالإعداد للدور الأبوي ، ذلك أنه من الملاحظ أن هناك مقاومة لهذا التحول ، كما أن هناك نقصاً واضحاً في التوجيه لبلوغ هذا الدور والقيام به بنجاح . وترجع روسي هذا إلى أن النظام التعليمي يهتم في كثير من فقراته بالتركيز على العلم

والرياضيات ، وغير ذلك بينما لا توجه عناية تذكر إلى الموضوعات المتعلقة بالعلاقات الأسرية أو الجنسية أو تدبير المنزل أو رعاية الطفل ، وإذا قارنا فترة الحمل بفترة الخطبة التي تسبق الزواج فإن الخطيبين تسنح لهما كثير من الفرص للمشاركة في الخبرات الإجتماعية وربما بعض الخبرات الجنسية المبدئية الأمر الذي يعتبر إعداداً لزواجهما ، في الوقت الذي لا تحظى فيه فترة الحمل بنفس القدر من الخبرة للإعداد للدور الأبوي اللاحق ، الأمر الذي يؤثر بشكل أو بآخر على خصائص مرحلة البلوغ عندما يبلغها الطفل فيما بعد[1] .

دور الأم

ليس هناك تماثل في دور الأم في كل المجتمعات ، بل أكثر من ذلك ليس هناك تماثل في هذا الدور بين طبقات المجتمع المختلفة . فقد دلت الدراسات التي أجريت في ثقافات مختلفة أو متداخلة أن الدور الذي يتمثل في علاقات الأم بطفلها والذي يكون طبيعياً في بلاد كالولايات المتحدة الامريكية لا يكون كذلك في كثير من المجتمعات الأخرى . إن ادوار الأب والأم في المجتمعات التقليدية له من الوضوح والتحديد الدقيق ، وهذا راجع إلى أن الأب له في هذه المجتمعات على أبنائه سلطة واضحة ويمارس تأثيراً من مركز متميز تماماً . لكن الأمر في بعض المجتمعات الأخرى التي تتطور أو تتحضر بسرعة يبدو أنه اختلف الى درجة كبيرة وخاصة في الطبقات الوسطى ، فغالباً ما تثبت الدراسات والابحاث أن دور الأب والأم في الضبط والتأثير على الأطفال وخاصة بعد بلوغهم سناً معينة بدأ يختفي تدريجياً . ومع ذلك فإن المقارنة بين دور الأب ودور الام في هذا المجال يبرز أن دور الام لا زال حتى مع غيابها عن المنزل بسبب العمل يمارس دوراً إيجابياً . إن وجود الأم مع الأطفال ولو بشكل

(1) Ibid., p. 35.

غير منتظم يعتبر ضرورة ترقى إلى درجة الإيديولوجية بالنسبة لنمو الأطفال وتوقع استجابتهم لتوجيهات الأم حتى سن متأخرة[١] .

وقد كتبت اليس روسي عن الأهمية الإجتماعية المرتبطة بدور الأم تقول : « إن الأمومة ولأول مرة في تاريخ مجتمع معروف قد أصبحت عملاً يستغرق كل الوقت للنساء البالغات[٢] وتستنج فضلاً عن ذلك من دراساتها أن الانشغال بالأمومة كل الوقت ليس بالدرجة التي تبرر انصراف المرأة اليوم ولمدة خمسة عشر عاماً للقيام بمتطلبات هذه الأمومة كعمل وحيد يستغرق كل انشطتها وتستطرد اليس روسي فتقول : « أن النساء آجلاً أو عاجلاً سيواجهن مشكلة من الذي سيكون بجوار أطفال الأم[٣] .

ومع ذلك فيبدو أن دور الزوجة الأم سيستمر باعتباره الدور المتطلع اليه والإنجاز الذي تأمل فيه كل النساء . وقد اثبتت إحدى الدراسات أن الزواج بالنسبة للزوجة لم يكن كدور يفوق دورها المتوقع كأم ، وربما يكون هذا صحيحاً لأن الأهمية الكبيرة والتقدير الاعظم هو للمرأة كأم أكثر منها كزوجة . ويلاحظ أن الأم الشابة تجد نفسها متجهة نحو دورها الجديد وخاصة عندما تشعر باعتماد وليدها الكامل عليها ، وعند ذلك تدرك أن دورها كأم ربما يكون أكبر من دورها كزوجة في هذه الحالة . أن الإنتقال من دور الزوجة بلا أطفال الى دور الزوجة الأم ليس عرضياً ولا مرحلياً لانه يتطلب مراجعة شاملة لكل نواحي حياتها اليومية .

إن الإنتقال إلى عهد الأمومة يستدعي تغيرات هامة في سلوك الزوجة ، بل أنه بمرور الزمن يتطلب أنواعاً عديدة من التوفقات الهامة والجوهرية ، وفي

---

(1) Arlene S. Skolnick and Jerome H. Skolnick, "Family in Transition," Little Brown & Co., Boston, 1971, p. 306.
(2) Alice Rossi, "Equality Between the Sexes", Daedulus, Spring-1964, p. 615.
(3) Ibid., p. 624.

إحدى الدراسات سئلت عينة من الامهات : كيف تتغير حياة الأم عندما تحصل على الأطفال ؟ ولقد كانت الإجابة الشائعة أن وجود الأطفال يعني حرية أقل وخاصة أن وجودهم قد أدى إلى تحديد حرية حركة الأم[١] .

إن الدور وما يفرضه من متطلبات وما يلقي على كاهل الأم بسببه من مسؤوليات قد يؤدي إلى إصابة الأم الحديثة بنوع من القلق أو الشعور بالانشغال الشديد ، ذلك أنه من خلال الرعاية اليومية للوليد أو الطفل فإن على الأم أن تأخذ قرارات دائمة ، إلا أنه بسبب عدم خبرتها قد تكون هذه القرارات خطيرة بالنسبة للطفل ومن ناحية أخرى ، فإن بعض النساء قد يواجهن مشاعر متصارعة حول دور الأم ، فالانثى تنشيء اجتماعياً لتكون أما ، ولكنها لا تهيأ بالقدر الكافي للقيام بهذا الدور ، فهي تريد الطفل وتحبه إلا أنها في نفس الوقت تواجه بالمصاعب التي يفرضها الدور ، ولهذا فإن الصورة المثالية المرسومة في ذهن المرأة للحصول على الأطفال يمكن أن تتغير عن طريق المعلومات الواقعية المتعلقة بانجاب الطفل والعناية به عملياً .

دور الأب

إن التحول الذي طرأ على دور الأب لا يقاس بالتحول الذي طرأ على دور الأم وربما يكون هذا صحيحاً لأن دور الأب عادة لا يكون ملحاً أو مستغرقاً لاطول فترة من الزمن ، ويقول بنسون Benson في هذا الصدد أن الابوة كدور لا تتطلب تدريباً أو نظاماً معيناً أو بذل مجهود مسبق بمستوى معين ، وجدير بالذكر أن دور الذكر المهني يتحقق في وضع مختلف عن أدواره العائلية ، ولعل هذا هو السبب في أن الطفل لا يمارس تأثيراً مباشراً على دوره ، بل إنه

---

(1) Gerald Gurin, Joseph Veroff, and Sheila Feld. "American View Their Mental Health, Basic Books, New York. 1960, p. 30.

حتى إذا كان الآباء الجدد يقضون وقتاً طويلاً في المنزل فإن الطفل الجديد لا يمارس إلا تأثيراً ضئيلاً على الدور الجديد للأب بالقياس إلى الأدوار المستقرة لعلاقة الزوج بالزوجة ، وفي العادة يجد الزوج أنه ينبغي عليه أن يتوصل إلى إعادة النظر في موقفه من زوجته كأم عن طريق تعديلات توافقية جوهرية بشكل يفوق ما ينبغي عليه أن يفعله في دوره الجديد كأب[1] .

ويلاحظ أن الذكر في دوره المهني يتأثر بالتزاماته إزاء دوره الجديد كأب ذلك لأنه من خلال التزام الذكر بناء على مهنته أو عمله في أن يزود زوجته وأطفاله بحاجاتهم المادية فإن الأطفال في هذه الحالة يضعون على كاهله مسؤولية مالية متجددة ، ويواجه الزوج هذه المسؤوليات عن طريق محاولاته زيادة دخله عاماً بعد آخر ومن المحتمل أن يشعر الزوج بالاحباط إذا كانت الزيادة في الدخل لا تستطيع أن تواجه التكاليف المتزايدة في تربية الأطفال ومن خلال عديد من الدراسات التي تعالج نواحي دور الأب توصل ولترز Walters وستينت Stinnett إلى أن الأطفال ينظرون إلى أبائهم على أنهم يميلون إلى تخويفهم وعقابهم وتحديد أنشطتهم كما أنهم أكثر بروداً وأقل فهما لهم من الآخرين[2] .

تأثيرات الاسر الكبيرة أو الصغيرة

ليس هناك شك في أن عدد الأفراد في الجماعة يؤثر على تفاعل وسلوك الأعضاء فيها . ولهذا فإن الأسر ذات الطفل الواحد تختلف أنماط حياتها عن

---

(1) Leonard Benson, Fatherhood: A Sociological perspective, Random House, New-York, 1968, p. 6.

(2) James Walters and Nick Stinnett, "Parent-Child Relationships: A Decade Review of Research", Journal of Marriage and the Family, February 1971, p. 85.

الأسر ذات الطفلين أو الثلاثة أو الأربعة أطفال أو أكثر .

ومن المعروف أن الأسرة الكبيرة أو الصغيرة أمر نسبي ، ففي بعض المجتمعات (وخاصة المتقدمة) تعتبر الأسرة التي لديها أربعة أطفال أو أكثر أسرة كبيرة Large Family ، بينما تعتبر نفس الأسرة في مجتمعات أخرى أسرة صغيرة Small Family وبصرف النظر عن هذه المسائل النسبية فإن الأسرة الصغيرة ينظر إليها كذلك لسببين :

أ ـ إذا كان الوالدان يريدان أسرة صغيرة ويستطيعان تحقيق ذلك .

ب ـ أو أنهما يـريدان أسرة كبيرة ولكن ظروف معينة تحول دون ذلك .

وفي كلتا الحالتين لا توجد إمكانية لاطفال غير مرغوب فيهم وبصورة عامة يكون الآباء في الأسر الصغيرة أكثر اهتماماً وإيجابية مع كل طفل بعكس الحال في الأسر الكبيرة . كما يعتبر الطفل الأخير في الأسرة الكبيرة غير مرغوب فيه عادة أو ليس موضع الحب الكافي بعكس الطفل الأول أو الثاني . والمشاكل الناشئة عن كثرة عدد الأطفال تدفع بكثير من الآباء إلى تحديد عدد أطفالهم وكذلك تحديد الفارق الزمني بين مولد كل طفل وآخر ، وترجع مقدرة الآباء حالياً على ذلك إلى استخدام الوسائل الحديثة لمنع الحمل أو اللجوء إلى الاجهاض في حالة عدم استخدام هذه الوسائل . وبالرغم من أن الاجهاض ممنوع شرعاً وقانوناً في معظم المجتمعات إلا أن الكثيرين ينادون بإباحته حرصاً على راحة الأم وسعادة الأسرة .

إن التأثيرات المتعلقة بأثر حجم الأسرة على رفاهية وسعادة أعضائها والأطفال فيها بصفة خاصة متنوعة للغاية ، فاحتمالات زيادة المرض بما في ذلك سوء التغذية وزيادة معدلات الوفيات ، والإشباع الأقل ، والذكاء الأقل ، وزيادة أمراض الوالدين ترتبط بالاسرة الكبيرة . ومع أن حجم الاسرة ليس السبب الوحيد أو النهائي لهذه التأثيرات إلا أنه يعتبر من الأسباب الواضحة

والرئيسية[١] . وتشير هذه المعلومات إلى موقفين مختلفين :

١ ـ موقف الآباء الذين يستطيعون تحديد حجم أسرهم ويختلفون بذلك نوعياً عن هؤلاء الذين لا يستطيعون . ويؤدي هذا الإختلاف إلى إنجاب عدد أصغر من الأطفال أكثر صحة وأشد ذكاء .

٢ ـ موقف الأباء الذين لا يستطيعون تحديد حجم أسرهم بينما تكون لديهم نفس امكانيات الذين يستطيعون ذلك ، ولكن نظراً لعدم معرفتهم بوسائل تحديد حجم الاسرة فإنهم يفشلون ، وتكون النتيجة إنجاب أطفال كثيرين يشكلون أسرة كبيرة الحجم ، وعندئذ يحتمل أن يتعرض الاطفال للأمراض ، وسوء التغذية كما يفشلون في الحصول على ما يحتاجون إليه من إمكانية النمو الجسماني والعقلي[٢] . ويرى « راي » Wray أنه إذا كان هناك اهتمام برفاهية الأطفال ، وبضرورة توفير جميع السبل التي تكفل حصولهم على أفضل الإمكانيات فإن الهدف يصبح واضحاً ، وهو أن نهيء كل التسهيلات للآباء الذين يريدون تحديد حجم أسرهم[٣] .

وقد قدم بوسار Bossard واليانور بول Boll دراسة مقارنة بين أنساق الأسر

---

(1) Joe D. Wray, "Population Pressure on Families: Family Size and Child Spacing" Report on population Family Planning N.Y. The Population Council. 9 (August. 1971) p. 454.

(2) Ibid., p. 456.

(٣) يلاحظ أن راي يهتم في المحل الأول بالأطفال من حيث رعايتهم عند التأكيد على ضرورة تحديد حجم الاسرة ، أي أنه ينظر الى الموضوع من زاوية « صغرى » ولكن الاجدر أنه الى جانب ذلك لا بد أن ينظر اليه من زاوية « كبرى » وهي التحديد من أجل تمكين المجتمع ككل من مواجهة مشاكله الاقتصادية والاجتماعية التي تتفاقم بسبب زيادة معدلات النمو السكاني بشكل خطير ـ لأن نجاح المجتمع في مواجهة هذه المشاكل من خلال خطة قومية عامة لخفض حجم الاسرة بوجه عام سيؤدي إلى نفس النتيجة التي يريدها راي ودون معالجات جزئية قد لا تفلح كثيراً .

ذات الطفلين والأسر الكبيرة ذات الستة أطفال أو أكثر ، وقد تبين من نتائج هذه الدراسة مجموعة من الإختلافات بين النمطين نشير إليها فيما يلي :

١ ـ تختلف طريقة ممارسة تربية الطفل بين النمطين من عدة أوجه ، فالاسر الكبيرة يسيطر عليها الأب ، بينما تسيطر على الاسر الصغيرة الأم ، وتختلف أنماط ممارسة السلطة فتقوم على العقاب الجسماني أو التهديد به في الاسر الكبيرة التي يبدو عليها بعض مظاهر التفكك وتكون غير سعيدة في معظم الحالات .

٢ ـ تكون الاسر الكبيرة في بعض الأحوال أكثر عرضة للتصدع والانهيار لأن معظمها يمر بأزمات اقتصادية ، وقد يتعرض بعض الأطفال فيها للأمراض أو الحوادث الاليمة ، وجدير بالذكر أنه مع أن معدل الطلاق منخفض في الاسر الكبيرة إلا أن نسبة الهجر أو الموت الذي يصيب أحد الوالدين أو كليهما مرتفعة إلى حد كبير .

٣ ـ تتضاءل اللهفة أو القلق على الاطفال كثيراً في الاسر الكبيرة إذا قورنت بالاسر الصغيرة . فالإم التي لديها عدداً كبيراً من الأطفال تكتسب خبرات تعرف من خلالها أن كل الاطفال يمرون ببعض الصعاب أو المشاكل ، وهذا شيء طبيعي ومؤقت ولا يدعو إلى القلق أو اللهفة . ولكن الأمر يكون على عكس ذلك في الأسر الصغيرة التي تكون خبرتها قليلة في هذه المجالات بسبب قلة الاطفال مما يدفعها للانزعاج الشديد بمجرد تعرض الطفل لاي حادث أو مرض مهما كان بسيطاً .

٤ ـ يختلف إحساس ونظرة الأطفال في الاسر الكبيرة والصغيرة تماماً من حيث مصادر الأمن . فالاطفال في الاسر الكبيرة يجدون الامن في كثرة عدد الاشقاء الذين يشكلون جماعة متماسكة للدفاع عن النفس ، أو اللعب ، أو حتى في التآمر ضد الآباء . أما اتجاهات الأطفال في الاسرة الصغيرة

فهي على العكس من ذلك تماماً ، حيث يستمدون أمنهم من آبائهم مباشرة .

٥ ـ تختلف مشاكل العلاقات بين الآباء والابناء أيضاً في هذين النوعين من الاسر . ويلاحظ أن أطفال الاسر الكبيرة يتحدثون عن الحرمان العاطفي لان آباؤهم ليس لديهم الوقت الكافي لإرضاء الجميع . أما الاطفال في الاسر الصغيرة فهم يشكون من كثافة العلاقات وتركيزها ومن المنافسة على العواطف والارتباط الشديد بالوالدين الذي قد يستمر سنوات طويلة .

وليس هناك شك في أن هذه الاختلافات بين الاسر الكبيرة والصغيرة تؤثر على الاطفال الذين يعيشون في ظلها ، فالتركيز في الاسرة الكبيرة يكون على الجماعة وليس على الفرد . بينما يحدث العكس في الاسر الصغيرة ، حيث يحظى الطفل بكل أنواع العناية .

إلا أنه يجب أن يوضع في الاعتبار أن حجم الاسرة ليس هو في حد ذاته الذي يخلق الانساق المختلفة لمعيشة الاسرة ، فإلى جانب الحجم توجد عوامل أو عناصر الحياة والقيم الشخصية . فالأسر الكبيرة ترفع من درجة العلاقات المعقدة داخل الجماعة ، وربما تقف أمامها المعوقات ، كما أن الحجم قد يؤثر في مقدار المدح والثناء المتاح لكل طفل . إلا أن طبيعة التعقيد ، وأنماط المشاكل تختلف تبعاً لعوامل أخرى مثل جنس الاطفال (ذكور أو إناث) وكذلك المكانة الطبقية للوالدين . هذا ويمكن أن يصبح الآباء أكثر فعالية (على سبيل المثال) . في تربية الذكور عندما تكون الأسرة كبيرة وتتضمن على الأقل ولداً واحداً . ويرى كثيرون أنه إذا نظرنا إلى الأمر من منظور الطبقة الإجتماعية ، فإن اتجاه الضبط السلوكي الابوي يمكن أن يرتبط بشدة بالحجم في أسر الطبقات المتوسطة بالنسبة للابناء الذكور ، وبالنسبة للبنات في أسر الطبقات الدنيا وعلى ذلك فإنه يمكن القول باختصار أن تأثيرات

حجم الاسرة على السلوك الابوي يرتبط بشدة بجنس الطفل وبطبقته الإجتماعية[1] .

التنشئة الاجتماعية وتفاعل الاباء والابناء

نظراً للأهمية الشديدة للنسق الابوي ، نعود الآن بعد أن ناقشنا بعض الابعاد البنائية إلى موضع التفاعل . وسوف يقوم تحليلنا على أساس المدخل الإجتماعي - النفسي ، الذي ينظر إلى التفاعل بين الآباء والابناء ، ليس على أنه شيء منعزل بل إنه يتم داخل النظام الإجتماعي الكبير ، ولهذا يكون نسق الاسرة هو المحيط المباشر الذي يحدث فيه التفاعل بين الآباء والابناء ويطلق على المفهوم الرئيسي لهذا المدخل مصطلح التنشئة الإجتماعية Socialization .

١ - شروط التنشئة الاجتماعية

يؤكد كل من الكين Elkin وهاندل Handel على ضرورة وجود ثلاثة شروط أساسية للتوصل إلى تنشئة إجتماعية ملائمة أو صحيحة[2] .

وينطوي الشرط الأول ، على أن الطفل حديث الولادة يدخل مجتمعاً موجوداً بالفعل Existing society له قواعده ومعاييره وقيمه واتجاهاته ، وبه بناءات اجتماعية عديدة منتظمة ومنمطة ومع ذلك تتعرض للتغير باستمرار ، ولا يكون للطفل الوليد غير المهيأ اجتماعياً أي علم بهذه العمليات أو البناءات أو

---

(1) Glen H. Elder, Charles E. Bowerman. "Family Structure and Child – Rearing Patterns, The Effect of Family Size and Sex Composition, "American Sociological Review 28 (December, 1963). p. 901.

(2) Frederick Elkin and Gerald Handel, "The Child and Society" The Process of Socialization" N.-Y., Random House, 1972. p. 9.

التغيرات ، وتكون وظيفة أنماط التفكير والشعور والعمل في مثل هذا المجتمع تحديد الوسائل والطرق التي يجب أن يمر فيها « القادم الجديد » New Comerومن المعروف أن هذه الوسائل والطرق هي التي تشكل عملية (أو عمل) التنشئة الإجتماعية .

أما الشرط الثاني للتنشئة الإجتماعية الملائمة ، فهو الميراث البيولوجي Biological Inheritance الذي يسمح لعمليات التعلم بالحدوث. ذلك أن العقل والجهاز الهضمي ، والقلب النابض كلها متطلبات أساسية وضرورية من أجل التنشئة الاجتماعية . وبالرغم من أهمية هذه المتطلبات وحيويتها إلا أنها غير كافية ، لأن هناك عوامل معينة مثل إصابة العقل أو المخ أو الصمم ، وكذلك الطول الشديد أو القصر الشديد ، أو شكل الأنف والذقن ، ومجموعة كبيرة من الشروط الجسمانية قد تعوق أو تؤثر في عمليات التفاعل والتنشئة الاجتماعية . ويجب أن يكون واضحاً أنه على الرغم من أهمية الميراث البيولوجي في عمليات التعلم وضرورته ، إلا أنه لا يشكل جانباً جوهرياً في عملية التنشئة الاجتماعية المتكاملة ذلك لأنه من المعروف أن هناك احتياجات معينة مثل الشراب والنوم تكون أساسية من أجل البقاء ، ويمكن إشباعها بطرق مختلفة ، كما أن المزاج والذكاء بيولوجي في أساسه ، إلا أن نموهما وتطورهما واتجاههما يتأثران إلى حد كبير بالمجتمع الذي يولد فيه الطفل .

ويتمثل الشرط الثالث للتنشئة فيما يسمى « الطبيعة الإنسانية » Human Nature . وهي هنا تشير إلى عوامل معينة وعالمية بين البشر . أي أنها تميز البشر في حالة مقارنتهم بالحيوانات الأخرى . ويرى مدخل التفاعل الرمزي كما سبق أن اشرنا أن الطبيعة الإنسانية تتضمن المقدرة على القيام بدور الآخرين وكذلك المقدرة على الشعور مثلهم أو عموماً المقدرة على التعامل بالرموز Symbolic . وهذا يعني إعطاء المعنى للأفكار المجردة ، ومعرفة الكلمات ، والأصوات ، والإيماءات ، فالغمز بالعين مثلاً ، والمصافحة

باليد ، والإيماء بالرأس ، كل هذه أشياء يكون لها معنى تبعاً لمقدرة الفرد على فهم ما ترمز إليه . وبصفة عامة نستطيع أن نقول أن هذه الأشياء طبيعية ، وينفرد بها البشر دون غيرهم من المخلوقات .

٢ ـ عمليات التنشئة الاجتماعية

عند معالجة التنشئة الاجتماعية ، فإن أهم ما يعنينا أن نشير إلى العمليات التي يتعلم عن طريقها الطفل أو البالغ أساليب المجتمع أو الثقافة التي تعينه على أن ينمو ليتمكن من المشاركة في الحياة الاجتماعية في مجتمع بعينه وقد طور الدارسون في هذا المجال عدداً من النظريات الشاملة التي تصلح لتفسير الجوانب المختلفة لهذه العملية . وجدير بالذكر أن هناك عدداً كبيراً من النظريات الشاملة أو الجزئية التي يمكن أن تصلح لتحليل هذه العمليات وسوف نختار ثلاثة منها نرى أن لها أهمية مباشرة تتفق مع ما نتوخاه في عرضنا هذا .

أ ـ نظرية التعلم السلوكية

تعتبر نظرية التعلم نظرية في التعزيز ، أو نظرية تفسير العلاقة بين المؤثر والاستجابة ، أو قد ينظر إليها بوجه عام على أنها نظرية سلوكية ، وبغض النظر عن إختلاف المسميات فإن هذه النظرية تزعم أن المفهومات والمبادىء التي تطبق على الحيوانات الدنيا قابلة للتطبيق على بني الإنسان ، وربما يكون هذا منطقياً حين ننفق جهداً ووقتاً في التجريب المعملي مع الفئران والقطط والكلاب والقردة وأنواع أخرى من الحيوان من أجل أن نعرف المزيد عن الإنسان . إن التعلم أو التنشئة الإجتماعية كما تطبق على الوليد الإنساني تتضمن تغيرات في السلوك تنشأ عن التجربة أو الخبرة . وهذا يتعارض بالطبع مع التغيرات في السلوك التي تنشأ عن النضج الفسيولوجي أو الظروف البيولوجية ، وهنا يجب أن نشير إلى تجربة بافلوف Pavlov الشهيرة عن الكلاب التي تصلح كمثل على

ما يسمى بالتشريط الكلاسيكي ، والذي يعنينا هنا هو أن نشير إلى أن الطفل يربط بين الأصوات التي تصدر عن والديه أو بين ما يقدم له يومياً كغذاء أو تدليل وبين استجاباته لهما عند صدور إشارة أو رمز أو صوت يدل على قرب حدوث مثل هذا السلوك منهما ، وعلى ذلك تكون التنشئة الإجتماعية من خلال هذا المفهوم نتيجة لتشريط المؤثر والاستجابة ونتيجة كذلك للتعزيز السلبي أو الإيجابي لها .

ويرى الدارسون في هذا الميدان أن أكثر هذه العمليات يمكن ملاحظتها في حالة الطفولة المبكرة عندما يستخدم الوالدن العقاب والثواب كأدوات أو كوسائل لتعليم الطفل الصور المفضلة للسلوك . وهنا يجب أن نقرر أنه كلما تقدم الأفراد في طريق النضج ، تصبح الجزاءات أكثر تعقيداً وتفقد في نفس الوقت الصور الأخرى للعقاب والثواب التي كانت صالحة في مرحلة سابقة قدرتها على كف السلوك غير الموافق عليه أو تشجيع السلوك المقبول أسرياً أو اجتماعياً[١] .

ولست أريد أن أتوسع في هذا التحليل ، إلا أنه من المناسب أن نقول إن هذا المدخل الآلي لعملية التنشئة الإجتماعية يتعرض لمزيد من الرفض من علماء الإجتماع الذين يرون أن الذات والأدوار والجماعات المرجعية والعمليات الرمزية تحتل جميعاً أهمية محورية في فهم السلوك الإنساني ، وعلى الرغم من أن نظرية التعلم ألقت أضواء قوية على الأبحاث التي تمت في مجالات الحيوانات والأطفال ، إلا أنها لم تكن موفقة في تفسير المواقف

---

(١) من أجل مزيد من المعلومات عن هذه النظرية أرجع إلى :

B.F. Skinner, The Behavior of Organism: An Experimental Analysis N.Y. Appleton – Century – Crofts. 1938.

وأيضاً :

John T. Doby, "Introduction to Social Psychology,: N.Y., Appleton Century – Crofts, 1966.

الإجتماعية والمعايير الجماعية أو حتى تفسير اكتساب اللغة وتعلمها في حد ذاتها ، لهذا فإن كثيراً من الدارسين في علم الإجتماع (وهذا حق) ينظرون إلى أنه من قبيل تضييع الوقت والجهد محاولة تفسير سلوك الإنسان الإجتماعي الذي يستطيع أن يتعامل مع العمليات الرمزية والاستدلالية وأن يشارك مع غيره في عدد كبير من المعاني المشتركة وما إلى ذلك ، عن طريق دراسة الأشكال أو الأنواع اللاإنسانية ، إلا أن هذا لا يمنعنا من القول بأن السلوكية قد أضافت بشكل واضح إلى فهمنا للإنسان الذي لم يستطع أن يتعلم من خلال مشاركته للمعاني ، أو فهم الطفل أو الإنسان المنعزل أو الشخص المتخلف عقلياً بصورة واضحة ، أو أبعد من ذلك ، ذلك الشخص الذي تعلم ولكنه فشل في متابعة تنمية المعاني التي حصلها وغير ذلك من الحالات التي تبدو عليها مظاهر الشيزوفرينيا Schizophrenia حيث تبقى الألفاظ إلا أنها تكون مفرغة من المعاني المشتركة مع الآخرين .

ب ـ نظرية التحليل النفسي

تؤكد نظرية التحليل النفسي Psychoanalytic Theory التقليدية التي طورها كل من سيجموند فرويد Sigmund Freud وأتباعه أهمية الدوافع البيولوجية والعمليات اللاشعورية . وتتعارض هذه النظرية كما هو معروف تعارضاً واضحاً مع النظرية السلوكية التي أشرنا إليها ، لأن عملية التنشئة الاجتماعية بناء على هذا الإطار التصوري تتكون من عدد من مراحل النمو المحددة التي قد يسبق أحدها الآخر ، ذلك لأن ما قد يحدث في هذه المراحل من الولادة حتى سن الخامسة أو السادسة يمكن أن يصبح دائماً وثابتاً نسبياً على الرغم من أنه قد يكون لا شعورياً .

هذا وتحل المرحلة الأولى من النمو(Oral)[1] خلال السنة الأولى من

---

(1) Calvin S. Hall, "A primer of Freudian psychology", N.-Y., World publishing Company, p. 104.

حياة الطفل حيث يكون الفم ممثلاً للجذب الشبقي المبكر ، مما يترتب عليه أن يكون الطفل أشكالاً من الارتباط الانفعالي القوي مع أمه التي تكون بالنسبة إليه مصدر الغذاء والدفء والرضاعة ، ولهذا يكون الطفل في هذه السنة الأولى نرجسياً لأنه يستمد إشباعه أو تحقيقه لذاته خلال مصدر ذاتي Oral وعلى الأخص الفم .

وتأتي بعد تلك المرحلة الفمية ما يسمى بالمرحلة الشرجية التي تتداخل معها وهذه التسمية تعود إلى أن الطفل يحصل على خبراته في اللذة من خلال التبرز ، وكذلك بسبب أن تدريبه على التبول أو الإخراج يصبح مشكلة كبرى . ويقول علماء النفس إنه عندما يصل الطفل إلى هذه المرحلة يواجه بوظيفتين أساسيتين هما الإبقاء (حبس البول والبراز) والإخراج (إخراج البول أو البراز) ولهذا طالما أن الأم تكون حتى في هذه المرحلة لا زالت الشخصية المسيطرة ، فإن أساليبها في تدريب الطفل واتجاهاتها بشأن هذه المسائل مثل التبرز والنظافة والسيطرة على النوازع البيولوجية يكون لها تأثير بالغ في نموه ، وخاصة من خلال ما تعوده عليه في مجال عمليات ضبط الاخراج ، ويذهب كثير من الدارسين إلى أن موقف الأم في هذه المرحلة يكون مسؤولاً عما يمكن أن يتحول إليه في المستقبل فيما يتصل بعادات النظافة أو التنظيم أو المسؤولية أو قدرته على الخلق والابداع أو إحداث تأثير مريح في الوسط الذي يعيش فيه .

وتأتي بعد ذلك المرحلة الأخيرة ، والتي تسمى بالمرحلة القضيبية وهي تلك المرحلة من النمو التي ينشغل فيها الطفل بأعضائه التناسلية . ولكن قبل حلول هذه المرحلة يلاحظ علماء النفس التحليليون أن موضوع الحب الاساسي عند الولد والبنت يتركز حول الأم ، ولكن ما أن تحل تلك المرحلة ويتزايد الدافع الجنسي يتكثف حب الإبن لامه مما يترتب عليه أن يشعر بالغيرة من أبيه الذي يتصوره منافساً له وتستمر نظرية التحليل النفسي في تشخيص

أحوال نمو الذكر والأنثى على هذا النحو إلى الدرجة التي يزعم فيها أنصار هذا الاتجاه أنه تكمن في هذه الرحلة القضيبية جذور ما يمكن أن يسمى بسيادة الذكر وسلبية الأنثى واستسلاميتها أو تفوق الذكر وتبعية الأنثى . هذا ويعتقد المؤيدون لنظرية التحليل النفسي أن المراحل الثلاث الفمية والشرجية والقضيبية إذا نظر إليها معاً يمكن أن تصلح لتفسير السنين الخمس أو الست الأولى من الحياة ، وهي السنوات الهامة التي تكون مسؤولة عن تشكيل أنماط الشخصية والتي يصعب أن تتحول عنها بعد ذلك في مراحل النمو المختلفة .

ويعتقد علماء الإجتماع أن ادعاءات الفرويديين[1] فيما يتعلق بأهمية مراحل النمو الأولى في الطفولة بالنسبة لتوافق الشخصية فيما بعد لم تحظ من الناحية الإمبيريقية بأي تأييد يذكر ، لأن أكثر ما ذكره فرويد وأنصاره في هذا الصدد كان متعلقاً بحالات مرضية لا يمكن أن تقيم دليلاً على ما يحدث بالفعل بالنسبة للغالبية العظمى من أعضاء المجتمع الذين يحتمل ألا يتعرضوا لظروف استثنائية يمكن أن توصلهم إلى مستوى تلك الحالات التي عكف فرويد وغيره ممن إقتنعوا بآرائه على دراستها .

جـ ـ نظرية التفاعل الرمزي

تتعارض هذه النظرية مع كل من نظريتي التحليل النفسي والتعلم ، وطبقاً لمضمونها فإنه على الرغم من أهمية السنين الخمس الأولى ، فإن الشخصية لا تصبح ثابتة ، كما أن عملية التنشئة الإجتماعية تستمر مدى الحياة ، كذلك فإنه إلى جانب أهمية الأم يكون الآباء والأجداد والمعلمون في نفس مستوى الأهمية للطفل والبالغ معاً . وتثير هذه النظرية قضية أخرى هي أنه إلى جانب أهمية الحاجات الداخلية والدوافع باعتبارهما مصادر للطاقة ،

---

(1) William H. Sewall, "Infant Training and the Personality of the Child" The American Journal of Sociology. (September, 1952). pp. 150-159.

فإن التفاعل مع الآخرين والتعريفات المستدمجة والمعاني التي نخلعها على العالم لا تقل أهمية ، فالمسألة هنا بالنسبة لنظرية التفاعل الرمزي ، أن العالم الخارجي بما فيه من أشخاص وأفكار ومعاني لا بد من أخذه في الاعتبار عند تفسير نمو الطفل أو في موجهات التنشئة الإجتماعية أو في تطور سمات الشخصية حتى مرحلة متأخرة من الحياة[١] .

إن أهمية السنين الأولى وما يرتبط بها أمر هام في حياة الطفل ، ولكن طبيعة العلاقات الإجتماعية مع الأم والآخرين تعتبر أكثر أهمية لأنها تؤثر على الصورة التي يأخذها الطفل عن نفسه . والدليل على ذلك أنه على الرغم من أن الأم تنهض بكل احتياجات الطفل وتسهر على رعايته فإن خبرات التنشئة الإجتماعية لاغلب الأطفال تتضمن تفاعلاً مع الاعضاء الآخرين في الاسرة النواة وكذلك في الاسرة الممتدة ، وغني عن البيان أن عملية التنشئة الاجتماعية تأخذ وقتاً[٢] ، فالطفل عند الولادة لا يكون اجتماعياً أو غير اجتماعي ، لكنه عن طريق التفاعل مع الآخرين تنمو اللغة وتستدمج المعاني ، ومن ثم تبدأ الذات الاجتماعية في الظهور . وفي هذه الحالة يمكن للأشخاص المهمين لنا أو الآخرين المهمين أن يقوموا بدور « موصلي النزعة الاجتماعية » لنا[٣] . وفي ضوء هذا المنظور فإن التنشئة الاجتماعية والسلوك الذي يعتبر تعبيراً عن عملياتها لا يعتمد في كثير من نواحيه على الدوافع أو الحاجات أو العمليات اللاشعوريةأو الخصائص النظرية أو البيولوجية ، وإنما يعتمد أكثر على العمليات التفاعلية وعلى المعاني المستدمجة للذات وللآخرين .

---

(1) Elkin and Handle, op. cit., p. 37.
(2) Erik Erikson, "Childhood and Society", N.Y., Norton, 1950.
(3) Alfred R. Lindesmith and Anselm L. Strauss, "Social psychology", N.Y. Halt Rinehart and Winston, 1968. p. 236.

التفاعل والأوضاع العائلية

إن الأباء لا يزودون أطفالهم بالتوجيه فيما يتعلق بالادوار التي يلعبونها في مرحلة معينة من الزمن فحسب ، بل انهم يوجهونهم أيضاً لادوارهم المستقبلية إن الخبرات التي يتلقاها الأطفال وخاصة في مجال التعلم من أبائهم التي تتعلق بأدوار الزوج والزوجة تترك آثاراً بعيدة المدى على زواجهم المستقبل وهذا صحيح أيضاً إذا كان الأمر متعلقاً بالأدوار المستقبلية للأطفال كآباء .

إن أحد الأدوار الهامة التي يلعبها الآباء خلال نمو الطفل يتعلق بنماذج الدور الجنسي ذلك أن الأطفال يتكلمون إلى حد كبير وخاصة خلال سنواتهم المبكرة توقعات الدور المتصلة بالذكورة والأنوثة من آبائهم ، وهذا لا يكون مهما في تعلم الدور الجنسي الذي ينبغي على الطفل أن يلعبه فحسب بل أيضاً في تعلم شيء عن الدور الجنسي المقابل ، ولهذا يكون تأثير الأب كنموذج لدور الذكر مهما للبنات والاولاد معاً ، ولكنه نظراً لأن دور الأب أقل تطوراً بالنسبة للطفل إذا قورن بدور الأم فإنه من المحتمل أن يتأثر الأطفال بنماذج دور الذكر أكثر من خلال وسائل الاتصال من تعلمهم ذلك من خلال آبائهم .

وهناك قول مثالي لا يمكن الدفاع عنه وهو القول الذي يؤكد أن الآباء يحملون مشاعر متساوية نحو كل أطفالهم أو على الأقل لا يظهرون تفضيلاً واضحاً معلناً ، ذلك أنه حتى لو كان هناك ارتباط عاطفي بالاطفال على نفس المستوى فإن معاملة كل طفل سوف تكون مختلفة بسبب الشخصية والاختلافات الجنسية والعمرية ، وعندما يحدث ذلك فإن الطفل سوف يرى الأخ أو الأخت يتلقى معاملة مختلفة ويمكن أن ينتهي إلى تصور ذلك على أنها معاملة تنطوي على مفاضلة فالطفل الأكبر قد يشعر أن آباءه يسمحون للأصغر بما لا يسمحون به له ، غير مدرك أن الأصغر يعطي هذه الحرية أو يتسامح معه

لأنه أقل نضجاً ، ومن ناحية أخرى قد يشعر الطفل الأصغر أن الأطفال الأكبر منه لهم امتيازات أكبر دون أن يدرك أن هذا يكون نتيجة طبيعية لادراك الآباء أن هؤلاء أكثر نضجاً .

إن شخصيات الأطفال في كل أسرة تختلف ، كما أنه نظراً لاختلافهم على مستوى الجنس والعمر فإن الآباء ينبغي أن يعاملوهم بطريقة مختلفة فبعض الأطفال يظهرون التعاون ولهذا لا يحسون بالضوابط الابوية بالدرجة التي يحس بها آخرون من غير المتعاونين ، لهذا ومن خلال وجهة نظر الطفل فإن سبب الاختلافات أو منطقها من ناحية المعاملة الابوية هو أمر يصعب على الفهم عادة .

وأخيراً ، يلاحظ أن كثيراً من الآباء يفضلون في الواقع أحد ابنائهم أو بعضهم ومثال ذلك أنه من الممكن القول بأن الأم قد تكون أكثر التصاقاً واتصالاً بأبنها الأكبر لانه أول من ولد لها ، وبنفس الدرجة يمكن القول أن الأم تكون أكثر اتصالاً بإبنها الأصغر لأنه يمثل لها طفلها الذي ترعاه بطريقة دائمة ومباشرة ، كما أنه يقال أن الأب يكون أكثر اتصالاً بإبنه لأنه يعتبره امتداداً له وبالعكس يمكن القول أيضاً بأنه قد يكون أكثر اتصالاً بابنته نظراً لجاذبية الطفل من الجنس المقابل . ولهذا ينبغي أن نعترف بأن انتقاء الطفل المفضل يعتمد على مجموعة من العوامل تتصل بشخصية كل من الآباء والأطفال .

الطبقة الاجتماعية وعلاقات الاباء بالابناء

تؤكد غالبية الابحاث في مجال التنشئة الإجتماعية على وجود اختلافات رئيسية في أساليب ممارسة التنشئة الإجتماعية بين الجماعات ، تبعاً للمستويات الاجتماعية الاقتصادية والثقافية المختلفة . وهذه الإختلافات لا تكون فقط في مجال أساليب تربية الطفل ولكن أيضاً في مناهج التأديب وفي

طرق إظهار العواطف وفي طريقة ترتيب اللعب ، وفي الطرق التي تحدث بها الامهات أطفالهن ، بالإضافة إلى طموحات الآباء بالنسبة لابنائهم .

والإختلافات إذن كبيرة ومتعددة ولا يمكن حصرها . إلا أن معظم الابحاث المعاصرة تؤكد أن هذه المتغيرات لا تعمل بصورة مباشرة وإنما تؤدي إلى نمو الاختلافات القيمية التي تكون حافزاً مباشراً للسلوك .

ولهذا نحاول هنا تفسير تأثيرات الطبقة الإجتماعية على علاقات الآباء بالابناء[1] (من المنظور السوسيولوجي بالطبع) لأن كثيراً من الباحثين الذين سبق لهم دراسة المشكلة افتقدوا دائماً هذا المنظور ، حيث كان تناولهم للمشكلة يركز على الناحية النفسية وليس على الناحية البنائية الإجتماعية ، وقصروا كذلك اهتماماتهم في دراسة بعض الاساليب الخاصة التي تستخدمها الأم في تربية الأطفال في أعمارهم المختلفة . وقد اكتشفوا أن الطبقة الإجتماعية تحدد الاتجاه الذي يجب أن تتجه اليه أساليب الآباء المستخدمة في التربية ، ولكن حالما يصلوا إلى المشكلة من هذه الزاوية فإن اهتمامهم بالطريقة لا يذهب خلف آثارها في هذه الناحية المحدودة جداً لعلاقات الآباء بالابناء .

أما التحليل السوسيولوجي الحديث فإنه يتناول مشكلة الطبقة الاجتماعية وعلاقات الآباء بالابناء كمثال لمشكلة أهم وأكبر لتأثيرات البناء الاجتماعي على السلوك . ويبدأ هذا المنظور بافتراض أن الطبقة الاجتماعية لا ترجع أهميتها لمجرد أنها تؤثر في المستوى التربوي أو المهني أو أي عدد آخر من المتغيرات المرتبطة بذلك ، بل ترجع فائدتها لتأكيدها على الحقيقة القائلة بأن التفاعل المعقد لكل هذه المتغيرات مجتمعة يخلق ظروفاً أساسية مختلفة

(1) M.L. Kohn, "Social Class and Parent Child Relationships. An Interpretation, 'American Journal of Sociology. Vol. 68 pp. 471-480.

للحياة في المستويات المختلفة للنظام الاجتماعي . وتختلف نظرة أعضاء الطبقات الاجتماعية المتباينة إلى الحياة إستناداً إلى الاستمتاع أو المعاناة من الظروف المختلفة التي تمر بهم ، فتنشأ لديهم تصورات عديدة للحقيقة الاجتماعية وكذلك تمنيات ومخاوف مختلفة ، وأفكار متناقضة لما هو مرغوب فيه .

والنقطة الاخيرة لها أهمية خاصة بالنسبة لموضوعنا الحالي من حيث تصورات الناس لما هو مرغوب وخاصة تصوراتهم عن الخصائص والصفات التي تكون مرغوبة في الأطفال ، ويستطيع الفرد أن يتبين فعاليتها وآثارها في تربية الطفل . إذن التصورات عن « المرغوب » التي هي القيم Values[1] تصبح المفتاح الملائم لهذا التحليل ، والجسر بين الوضع في البناء الاجتماعي الكبير وسلوك الفرد ، وهدف التحليل يكون في هذه الحالة هو معرفة تأثيرات الوضع الطبقي الاجتماعي على القيم الأبوية وتأثيرات القيم بالتالي على السلوك .

ويختلف هذا المدخل عن التحليلات التي تركز على اختلافات الطبقة الإجتماعية في استخدام أساليب خاصة في التربية ، وبالتالي يكون من الضروري إعادة إختيار الصياغات المبكرة للمنظور الحالي . وهنا يجب الإجابة على ثلاثة أسئلة :

ما هي الاختلافات التي توجد في القيم التي يتمسك بها أو يلتزم بها الآباء في الطبقات الاجتماعية المختلفة ؟ ما هي مميزات الحياة التي تتميز بها تلك الطبقات والتي عن طريقها يمكن تفسير سبب الاختلافات في قيمهم ؟ ما هي نتائج هذه الاختلافات في القيم على علاقات الآباء بالأبناء ؟ .

---

(١) القيم مفهوم أو تصور ظاهر أو كامن ، يميز فرداً أو جماعة ويعبر عن المفضل أو المرغوب الذي يؤثر في عملية الاختيار من بين النماذج المتاحة أو الوسائل أو أهداف العقل .

١ ـ الطبقة الاجتماعية

يمكن تعريف الطبقة الاجتماعية Social Class بأنها مجموعة من الأفراد يشغلون أوضاعاً متشابهة في الهيبة والاعتبار . وعادة ما يؤخذ الوضع المهني كمرشد للطبقة التي ينتمي إليها الفرد . ويمكن تصنيف هذه الأوضاع إلى أربعة :

١ ـ الطبقة الدنيا وينتمي اليها العمال غير المهرة .
٢ ـ الطبقة العاملة وهي تشمل العمال المهرة ونصف المهرة .
٣ ـ الطبقة المتوسطة وينتمي اليها الموظفون والمهنيون .
٤ ـ طبقة الصفوة وهي تختلف عن الطبقة المتوسطة . من حيث الثروة والانتماء العائلي .

ومن الواضح أنه توجد اختلافات في القيم الابوية داخل كل طبقة تسير بموازاة المكانة الاجتماعية . وأكثر من ذلك ، فإن الطبقات الاجتماعية تكون متغيرة الخواص تبعاً لعوامل أخرى تؤثر في قيم الوالدين مثل العقيدة الدينية .

وقد أجريت أبحاث[1] عديدة في مجال الثبات والتغير Stability and Change كان من نتائجها ظهور تغيرات واضحة في أساليب تربية الطفل التي تستخدمها الطبقة المتوسطة وكذلك تغيرات واضحة في أساليب الطبقة العاملة . إلا أن هؤلاء يتخلفون عنهم عدة سنوات . ففي الوقت الذي كان فيه أباء الطبقة المتوسطة منذ خمسة وعشرين عاماً أكثر تعقيداً وتزمتاً عن آباء الطبقة العاملة ، فقد أصبحوا في الوقت الحاضر أكثر تحرراً منهم . كما أصبحت الهوة أو الفجوة بين الطبقات أضيق مما كانت عليه في الماضي .

---

(1) Bronfen breenner, U. "Socialization and Social Class Through Time and Space" in E.E. Macooly. T.M. Newcomb and E.L. Hartley (eds.) Readings in Social psychology, Holt Rinehart. and Winston 1958.

ومن الواضح أن ربع القرن الاخير شاهد تغيرات كثيرة في مجال تربية الاطفال من نواح عديدة مثل : أيهما أفضل ، إرضاع الطفل من ثدي أمه أو عن طريق « الزجاجة » والألبان الصناعية المعدة خصيصاً للأطفال[1] . هل من الضروري التقيد بمواعيد محددة للرضاعة ؟ هل يعاقب الطفل عن طريق الضرب ؟ أم تتبع وسائل أخرى لعقابه مثل العزل أو الخصام ؟ وعموماً فقد أصبحت العلاقات بين الآباء والابناء في الوقت الحالي مشكلة ، (إلا أنه في المجتمعات الثابتة لا يوجد تساؤ ل عن كيف يكون الفرد مسؤ ولاً عن أطفاله . فالقواعد المحددة للسلوك موجودة في العرف والتقاليد لانها أصبحت متداخلة في العملية البطيئة للتعلم) فالام الشابة لا تستطيع طلب النصح والمشورة من والدتها التي قد تكون مقيمة في منطقة بعيدة عنها ، أو لبعد درجة ثقافة كل منهما عن الأخرى . وفي معظم الحالات لا يعرف الآباء الطريق الذي سيتبعونه في تربية أبنائهم ، وخاصة عند ممارسة التربية لأول مرة .

وقد أكد برونفنبرونر Bronfnbrenner أن التغيرات في الاساليب التي يستخدمها آباء الطبقة المتوسطة تتوازى الى حد بعيد مع تلك التي يسلم بها الخبراء ونظراً لأن آباء الطبقة العاملة يكونون في العادة أقل تعليماً فإنهم بالتالي أقل استجابة لوسائل الاتصال المختلفة . ويؤكد هذا العالم في بحثه أن آباء الطبقة المتوسطة يتبعون آراء الخبراء عند تربية أطفالهم . ولكن لماذا يفعلون ذلك ؟ لا يكفي هنا أن نفترض أن التفسير يكمن في ارتفاع درجة تعليمهم، أو أنهم يكونون في العادة أكثر إقبالاً على قراءة الكتب الخاصة بتربية الأطفال بعكس الحال في حالة آباء الطبقة العاملة الذين لا يهتمون بإتباع نصائح الخبراء في تربية أطفالهم على الإطلاق .

---

(١) تبين من دراسات عديدة أن الرضاعة من ثدي الأم إلى جانب أنها صحية وتحمي الطفل من تناول الباان قد تتعرض للتلوث ، فان عملية الرضاعة ذاتها وقرب الطفل من جسم أمه وسماعه لضربات قلبها المنتظمة يكون لها أثرها الواضح من الناحية النفسية للطفل من حيث الطمأنينة والثقة بالنفس .

فنحن نعلم من الدراسات العديدة لوسائل الاتصال بالجماهير أن الناس بوجه عام يبحثون عن إثبات أو برهان لمعتقداتهم وممارساتهم القائمة ويميلون إلى تجاهل ما يتعارض معها . ومن هذا يتأكد لنا أن آباء الطبقة المتوسطة لا يقتصرون على ما يقوله الخبراء بل أيضاً يبحثون عن مصادر أخرى للتوجيه والنصح ، فهم يناقشون مسائل تربية الأطفال مع الأصدقاء والجيران ، كما يستشيرون الأطباء ويهتمون باجتماعات مجالس الآباء والمدرسين لمناقشة سلوك أطفالهم في المدرسة ومدى مقدرتهم على التحصيل العلمي ، وكيفية تعاملهم مع زملائهم ومدرسيهم . إن آباء الطبقة المتوسطة ينظرون لتربية الطفل باعتبارها مشكلة تحتاج للبحث والاهتمام بعكس الحال في آباء الطبقة العاملة . وهذا لا يمكن إرجاعه إلى الاختلاف في درجة التعليم فقط بل تمتد جذوره بعمق في ظروف الحياة لكل من الطبقتين الاجتماعيتين فكل جوانب حياة الطبقة العاملة (درجة التعليم باختلاف مستوياتها ونوعياتها وطبيعة أعمالهم وارتباطاتهم العائلية) تؤدي إلى استمرار مناهجهم المحافظة في التربية . وحتى لو كانت لديهم الرغبة في التغيير ، فان فرصتهم في ذلك تكون أقل من فرصة آباء الطبقة المتوسطة ، لأنهم لا يجدون كتابات الخبراء المناسبة والملائمة لرغباتهم ومستوياتهم التعليمية ، وأكثر من ذلك فإن معظم خبراء التربية يضعون نصائحهم لتتناسب مع قيم الطبقة المتوسطة .

٢ ـ قيم الآباء في الطبقتين المتوسطة والعاملة

إن الخصائص أو الصفات المطلوبة في الأولاد أو البنات تعتبر من الموضوعات الرئيسية التي تقوم عليها تصورات الآباء . ولتفسير اختيارات الآباء القيمية يجب أن نضع في اعتبارنا أن هذه الاختيارات لا تعكس فقط أهدافهم بل أيضاً الأهداف التي يكون الوصول إليها « مشكلة » بالنسبة لهم .

وقد ظهرت بعض الدراسات المعاصرة التي تهتم ببحث العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والقيم الأبوية Parental Values ومن أهم هذه الدراسات دراسة

أيفلين دوفال[1] Evelyn Duval التي صورت القيم الابوية عند الطبقة العاملة (والطبقة المتوسطة السفلى) بأنها تقليدية Traditional ذلك لأن أعضاءها يرغبون في أن يكون أطفالهم مرتبين ونظيفين وأن يطيعوا الكبار ويحترمونهم ويبجلونهم . وعلى العكس من هذا التأكيد على كيفية سلوك الطفل في حد ذاته نجد أن قيم آباء الطبقة المتوسطة تكون أكثر تطوراً إذ تكون لديهم رغبة شديدة في أن يصبح أبناؤهم تواقين لتلقي العلم ، ويحبون آباءهم . ويثقون بهم وأن يكونوا سعداء ، ومشاركين ومتعاونين وأخيراً أن يكونوا أصحاء .

إذن فالاختلاف بين الطبقتين يتركز في أن آباء الطبقة العاملة يريدون من الطفل أن يمتثل لمستويات مفروضة من الخارج بينما آباء الطبقة المتوسطة يكونون أكثر التصاقاً بديناميانهم الداخلية Internal Dynamics . فالآباء في الطبقة العاملة يعلقون أهمية كبيرة على طاعة أوامر الآباء والامتثال المطلق لها أكثر مما يفعل آباء الطبقة المتوسطة .

كذلك ظهر من بحث أجراه كوهن Kohn[2] أن قيم آباء الطبقة العاملة المتصلة بالطاعة والنظافة والترتيب والنظام أكثر وضوحاً عنها في الطبقة المتوسطة حيث تبين له أن قيم الآباء في الطبقة المتوسطة تتركز بصورة واضحة في : حب الاستطلاع ، السعادة ، التفكير والبحث . إلا أن ضبط النفس Self-Control يبدو أكثر وضوحاً عنه في الطبقة العاملة . وجدير بالذكر أنه على الرغم من الاختلافات العديدة في القيم بين الطبقتين العاملة والمتوسطة ، فهناك قيم مشتركة مثل قيمة « الأمانة » التي تكون مرتفعة عند الطبقتين .

إن الاختلافات الطبقية في القيم الابوية تحتاج إلى تفسير أكثر شمولاً .

---

(1) Evelyn M. Duvall: "Conceptions of parenthood", American Journal of Sociology, Vol. 52, 1964, pp. 193-203.
(2) Kohn M.L., "Social Class and parental Values" American Journal of Sociology, Vol. 64, 1959. pp. 337-351.

فاعتناق آباء الطبقة المتوسطة لبعض القيم واعتناق آباء الطبقة العاملة لقيم أخرى مغايرة يرجع أساساً للاختلافات القائمة في ظروف حياة الطبقتين . ولذلك نرى أنه من الضروري إختبار العناصر الرئيسية للاختلافات الطبقية في ظروف الحياة لمعرفة أيها يمكن أن يسهم في هذا الميدان .

ومن المنطقي أن نبدأ بالاختلافات المهنية ، لأن أهمية ذلك لا ترجع فقط إلى تحديد الطبقات الاجتماعية في المجتمع الصناعي الحضري بل أيضاً إلى تحديد ظروف حياة الناس . وهناك على الأقل ثلاثة مستويات تختلف فيها مهن الطبقة المتوسطة عن مهن الطبقة العاملة ، وهذه تتركز في الأمن Security وثبات الدخل Stability of income والهيبة الاجتماعية بوجه عام Social prestige وتفسير ذلك يرجع إلى أن المهن السائدة في الطبقة المتوسطة قد تفرض نوعاً من التلاعب بالعلاقات بين الأشخاص والأفكار والرموز بينما تؤكد مهن الطبقة العاملة أكثر بالتعامل بالأشياء . وهذا في الوقت الذي تكون فيه مهن الطبقة المتوسطة موضوعاً للتوجيه الذاتي ، وتكون مهن الطبقة العاملة موضوعاً لمقاييس محددة وللاشراف المباشر . ومن جهة أخرى فان التقدم إلى الامام في مهن الطبقة المتوسطة يكون أكثر اعتماداً على الأفعال الشخصية بينما تعتمد مهن الطبقة العاملة أكثر على العمل الجمعي وخاصة في الصناعات المتحدة في نقابات .

والخلاصة أن مهن الطبقة المتوسطة تتطلب درجة عالية من التوجيه الذاتي بينما تتطلب مهن الطبقة العاملة اتباع نسق من القواعد الموضوعة عن طريق الاشخاص الذين تكون في يدهم السلطة أو مسؤولية العمل بوجه عام ، فالعامل يقوم بعمله في حدود معينة لم يرسمها أو يضع خطتها بنفسه ومن الواضح أن هذه الاختلافات بين نوعي العمل توازي الاختلافات التي سبق أن أشرنا اليها بين الطبقتين الاجتماعيتين من ناحية الخصائص التي يرى الآباء ضرورة تواجدها في أبنائهم . ولهذا يمكن أن نستنتج وجود تطابق بين

المتطلبات الوظيفية والقيم الأبوية حيث يبدو أن تجارب الآباء المهنية تؤثر في تصوراتهم عن السلوك المرغوب فيه سواء بالنسبة للبالغين أو الأطفال .

هذا ومن أجل الوصول إلى تفسير أفضل للاختلافات الطبقية في القيم نرى أنه من الضروري أن ندرك أن هناك اختلافات في ظروف حياة الطبقتين تزيد من حدتها ، فالاختلافات التعليمية على سبيل المثال تكون محدداً رئيسياً للمهنة ، ويمكن أن تسهم بفعالية في اختلاف القيم الابوية بين الطبقتين . وأكثر من ذلك فان الاختلافات في مستويات الدخل تسهم أيضاً في الاختلافات الطبقية فيما يتصل بالقيم الأبوية . وأخيراً فان الامن الاقتصادي لمعظم مهن الطبقة المتوسطة ومستوى الدخل الذي يحصلون عليه ، والمكانة التي يشغلونها ، تسمح للفرد بتركيز انتباهه على الجوانب الذاتية والتصورية كما أن ظروف حياة الطبقة المتوسطة تسمح وتتطلب في نفس الوقت درجة عالية من التوجيه الذاتي عن تلك الموجودة في الطبقة العاملة . إلا أنه مع ذلك فثمة نقطة هامة يجب الاشارة اليها وهي أن التجارب المهنية لا يكون لها أهمية تذكر بالنسبة لقيم الأم وخاصة إذا كانت غير عاملة .

٣ ـ نتائج الاختلافات الطبقية في القيم الابوية

إن التساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو عن النتائج التي يمكن أن تؤدي اليها الاختلافات بين القيم الابوية في الطبقتين المتوسطة والعاملة في الطرق التي يربون بها أطفالهم . وهناك عدد من الابحاث التي تعرضت لهذا الموضوع وكان من نتائجها بوجه عام أنه في مسائل « التأديب » يميل الآباء في الطبقة العاملة إلى استخدام العقاب الجسماني ، بينما يركن آباء الطبقة المتوسطة أكثر على التفكير ويلجأون اليه في العقاب ، مثل التهديد بفقدان الحب[1] .

---

(1) Miler D.R. and Swanson, G.E. "The Changing American parent: A Study in the Detroit" Area, Wiley, 1958 p. 424.

ومن المسائل الهامة في هذا المجال ، هي متى ولماذا يستخدم أسلوب أو آخر في التأديب ، لأن آباء الطبقة العاملة يلجأون إلى العقاب الجسماني عندما تظهر بوضوح مظاهر عدم الطاعة والعصيان من أبنائهم . فهم يعاقبون الاطفال بالضرب عندما يفسدون أثاث المنزل أو يكسرون شيئاً أو يحدثون ضوضاء عالية غير محتملة ولكنهم يتجاهلون نفس الافعال عندما لا تكون نتائجها بنفس العنف والشدة .

ومن الواضح أن رد فعل آباء الطبقة العاملة يتوقف بشكل مباشر على النتائج الواضحة وليس على القصد أو النية التي تنطوي عليها أفعال اطفالهم ، إن الشيء المهم هو الا ينتهك الطفل أو يخالف القواعد المرعية . وعلى العكس من ذلك نجد أن آباء الطبقة المتوسطة يهتمون أساساً بدوافع أطفالهم ومشاعرهم ، حيث يتركز الانتباه على الخلفيات التي تكمن وراء سلوك أطفالهم ، ومن هذا يتبين أن القيم الأبوية في كل من الطبقتين المتوسطة والعاملة تقود الآباء إلى رؤية اخطاء الأبناء بطريقة مختلفة تماماً ، فالطفل الخاطىء من وجهة نظر آباء الطبقة العاملة قد لا يكون كذلك بالنسبة لآباء الطبقة المتوسطة .

هذا وتمتد نتائج الاختلافات الطبقية في القيم الأبوية وراء الاختلافات في الممارسات التأديبية . ومن معرفة اتجاهات القيم بالنسبة للاطفال ، يمكن أن نستنتج أن آباء الطبقة المتوسطة يشعرون بالالتزام الكامل نحو إعالة اطفالهم . وذلك لحساسيتهم الشديدة نحو الدينامية الداخلية لاطفالهم . أما الطبقة العاملة فإنها بتأكيدها المستمر على الامتثال للقواعد الخارجية . فإن ذلك يؤدي إلى تزايد التأكيد على الالتزام الأبوي في فرض هذه القيود .

وتقوم هذه النتيجة أساساً على دراسات علاقات الأم بالطفل في أسر الطبقتين المتوسطة والعاملة . فالاختلافات الطبقية في القيم الأبوية يكون لها نتائج بعيدة بالنسبة لدور الأب . في الوقت الذي يكون على الامهات في كل

طبقة أن يساعدن أزواجهن في « لعب أدوارهم » في تنمية وتربية الطفل تبعاً للخصائص القيمية لهذه الطبقة ، وجدير بالذكر أن الامهات في الطبقة المتوسطة يطلبن من أزواجهن أن يساعدوا ويشجعوا أطفالهم (وخاصة الذكور) حيث أن فكرة فرض القيود أو السيطرة لا تشغل لديهم سوى مكانة ثانوية . أما أمهات الطبقة العاملة فهن يطلبن من أزواجهن أن يكونوا أكثر حزماً وتوجيها لأولادهم ، ولكن يلاحظ أن المساعدة والتشجيع لا يكون لهما أهمية عالية بالنسبة لهن . ويتفق معظم الآباء في الطبقة المتوسطة مع زوجاتهم ، كما أنهم يلعبون دوراً يتقارب مع ما تريد زوجاتهم أن يلعبوه . بينما لا يفعل ذلك الآباء في الطبقة العاملة .

والنتيجة النهائية لهذا كله ، وجود تقسيم مختلف للمستويات الأبوية في كلا الطبقتين الإجتماعيتين لانه قد تبين أن أدوار الأم والأب في أسر الطبقة المتوسطة لا تتمايز عادة بشدة أو بصورة أساسية ، ولا يكون الاختلاف في هذه الحالة دالا من ناحية المسؤولية الخاصة التي يأخذها الأب على عاتقه لكي يعول ويساعد ويشجع أطفاله . أما في الطبقة العاملة فإن دوري الأب والأم يتمايزان بشدة . فبينما تنهض الأم في هذه الحالة بمسؤولية مساعدة وتشجيع أبنائها ، يتولى الأب مسؤولية التوجيه والارشاد . أو بمعنى آخر تتحمل الأم مسؤولية التنشئة والتربية ويتحمل الأب مسؤولية الانفاق[1] .

---

(١) بالنظر إلى العلاقات بين الآباء والأبناء في الاسرة المصرية يبدو أن المعاملة التي تقوم على سيطرة الآباء وتسلطهم على الأبناء مرتفعة جداً في طبقة الفلاحين والطبقة العاملة بينما تنخفض إلى الحد الأدنى في الطبقة المتوسطة والعليا ، وفي هذا دلالة واضحة على مدى التغير الذي لحق بطريقة معاملة الأبناء وقد تبين أن نسبة كبيرة من الآباء في الريف ما زالوا يعتقدون أن علاقتهم بأبنائهم وزوجاتهم أيضاً لا بد أن تقوم على فرض السيطرة والتسلط وإصدار الأوامر والا فقد الأب والزوج مكانته في الاسرة والمجتمع أيضاً . بينما تنخفض هذه النسبة إلى أقصى درجة في المناطق الحضرية نتيجة لتأثر الاسرة في تلك المناطق بالتغيرات الاجتماعية والايديولوجية والتكنولوجية التي تعرض لها المجتمع ككل . وكنتيجة عامة نستطيع أن نقول أن =

وهكذا يتبين من نتائج الدراسات التي اجريت في مجال أثر الطبقة الإجتماعية على عملية التنشئة الإجتماعية مدى التعقيد الذي يظهر عند محاولة معرفة تأثيرات البناء الاجتماعي على السلوك ، وخاصة إذا تركز محور اهتمامنا حول معرفة أهمية الطبقات الاجتماعية بالنسبة لعلاقات الاباء بالابناء . فقد اتضح أن مفهوم القيم Values . استخدم كجسر رئيسي بين « الوضع الاجتماعي » و «السلوك » وأكد التحليل أن القيم الابوية في الطبقة المتوسطة تختلف عنها في الطبقة العاملة ، وأن هذه الاختلافات متأصلة في اختلافات أساسية بين ظروف الحياة في كل من الطبقتين . كما أن الاختلافات الأبوية بين الطبقتين يكون لها نتائج هامة بالنسبة لعلاقاتهم مع أطفالهم . وينحصر النموذج التفسيري حينئذ في « الطبقة الإجتماعية » و « ظروف الحياة » و « القيم » و « السلوك » وعلى ذلك نخلص إلى أن مناهج تربية الطفل تعتبر جزءاً من النسق الاجتماعي المركب ، ولهذا إذا تغير أحد مظاهر النسق الهامة ، ولم تتغير تبعاً لها الطرق المتبعة في التنشئة الاجتماعية للاطفال ، فإن الاسرة خينئذ يمكن أن تتعرض للتصدع والانهيار .

٤ ـ التنشئة الاجتماعية والنوع

وتعتبر التنشئة الاجتماعية من ناحية تخصيص أدوار للذكور وأخرى للاناث واحدة من أهمْ التجارب التعليمية للطفل الصغير . وقد عادت إلى الظهور مرة أخرى في السنوات الاخيرة أهمية دراسة أدوار الجنس Sex Roles التي يستند إلى القول بأنِ التنشئة الاجتماعية للجنسين وطبقاً لأدوار ثابتة إنما تحدث لتلبية وتحقيق احتياجات الفرد .

= الاسرة المصرية تسير نحو تقليل حجم الفوارق بين الجنسين في المعاملة ، ولا تفرق بين الذكر والانثى في المعاملة لأن انجاب البنت أصبح لا يشكل عبئاً على الاسرة كما أن الايديولوجيات القديمة مثل انجاب ولد ليحمل اسم الاسرة أو حتى لا تخرج ممتلكات الاسرة الى الغرباء لم يعد ينظر إليها في الوقت الحاضر نظراً للتغيرات العديدة التي تعرض لها المجتمع ككل .

ومن المشكوك فيه أن الاطفال يتعلمون شيئاً يذكر عن أدوار الجنس أو النوع في وقت مبكر جداً من حياتهم ، وخاصة قبل دخول المدرسة . وقد ثبت من إحدى الدراسات في هذا المجال أنه بمرور الوقت يدرك الاطفال والبنات في سن الرابعة أن الدور الانثوي هو ـ تدبير شؤون المنزل بينما يتجه دور الذكر إلى كسب الرزق[1] . وكثيراً ما تنسب المرأة (بخلاف أبيها) إلى زوجها أو إبنها الأول (أم فلان أو زوجة فلان) فالأنثى عموماً وخاصة في المجتمعات الشرقية تكون نتاجاً للتنشئة الإجتماعية التي تؤكد فيها التبعية ، فهي لا تتعود منذ الصغر على القيادة ولا على المسؤولية ولا اتخاذ القرارات . وأكثر من هذا فهي تربى وتكيف عقلياً خلال الطفولة والبلوغ على أن تظهر دائماً الخضوع والطاعة وفقاً لتعريف دور الانثى التقليدي وهكذا فان التنشئة الإجتماعية القائمةعلى التبعية عند المرأة تعوق تحقيق الذات . كما سبق أن أشرنا .

وفي المجتمعات الحديثة المعاصرة يلاحظ أن المستوى الامثل لضبط العقاب أو المحبة أو العواطف الأبوية تكون منخفضة إلى حد ما بالنسبة للإناث عن الذكور وذلك تبعاً لفكرة الرئاسة ، واتجاه الإعتماد على النفس . وهذا بالرغم من أنه لم يظهر حتى الآن أي دليل تجريبي يؤكد الإختلاف بين الذكور والإناث نتيجة لإختلافهم فسيولوجيا في المقدرة العقلية والإمكانات . وتمر التنشئة الإجتماعية لأدوار الجنس بنفس العمليات العامة للتنشئة الإجتماعية في التفاعل مع الآخرين. فمن خلال الأحاديث اليومية ومن الأفلام والكتب يتعلم الطفل نوع السلوك الذي يكون ملائماً لكل جنس ، ويقول أحد الكتاب في تأييد ذلك « نحن نقذف بالطفل الذكر في الهواء وندربه على الألعاب العنيفة . بينما نتحدث بتودد ورفق مع الطفلة الأنثى ونلمسها برقة ، ونحن كذلك نختار الألوان المناسبة للنوع فهناك ألوان للذكور وأخرى للاناث ، وكذلك

---

(1) Ruth F. Hartley, "Children's Concepts of Male and Female Roles", Merrill Plamer Quarterly, 6 (1960) pp. 83-91.

نختار اللعب لاطفالنا منذ أيامهم الأولى . ونحن نشجع الطاقة والنشاط الجسماني العنيف في أبنائنا بينما نشجع الفتاة على أن تكون هادئة ورقيقة في الكلام وفي السير وفي السلوك[١] .

وقد قامت ليبور وايتزمان Weitzman بدراسة عن نماذج دور البالغين تبين منها أن صورة النساء تكون عادة نمطية ومحدودة[٢] . مما يترتب عليه أن يصبحن سلبيات بيما يصبح الذكور إيجابيين ، فيسيطرون على الانشطة الخارجية بينما تسيطر النساء على الانشطة الداخلية . وفي داخل نطاق الاسرة تقوم النساء عادة بمعظم وظائف الخدمة ، ويقمن برعاية الرجال والاطفال على السواء وعندما يكون الرجال قادة تتبعهم النساء ، وعندما ينقذ أو يحرر الرجال الآخرين ، فإن النساء يكن المنقذات أو المحررات . ومن النتائج التي توصلت إليها مجموعة من المؤلفات من دراستهن لبعض الكتب المصورة الخاصة بالأطفال أن النساء ليس لهن عمل أو مهنة في العادة فيما عدا الامومة التي هي العمل الوحيد لهن وتصور معظم القصص المرأة كأم أو زوجة ، وقد تلعب أحياناً دور الجنية Fairy أو عروس البحر وربما أدى هذا القول بأن أدوار النساء محدودة للغاية . في الوقت الذي تكون فيه أدوار الرجال كثيرة متنوعة ، فهم ملوك أو تجار ، أو بناؤ ون وآلهة وصيادون ، أو رجال شرطة وآباء ، أو طهاه وقضاه ومزارعون الخ . .

وترى المؤلفات أن تعريفات الدور الضيقة ليست هي فقط التي تعوق

---

(1) Florence Howe, "Sexual Stereotypes Start Early" Saturday Review (October, 1971) p. 76.

(٢) استخرجت هذه البيانات من دراسة قامت بها ولتزمان عن الكتب المصورة التي تقدم أو تطبع خصيصاً للاطفال في سن ما قبل المدرسة .

Lenore J. Weitzman, Deborah Eifler Elizabeth Hokada and Catherine Ross. "Sex Roles Socialization in Picture Books for Preschool Children, American Journal of Sociology, 76 (May, 1972) pp. 1125-1150.

تماثل الطفل مع والده من نفس النوع (الإبن مع الأب والبنت مع الأم) ولكن التمييز الشديد أو التحديد لدور الجنس يمكن أن يكون له أثر سيء على نمو الشخصية الطبيعية للطفل . كما أنه يحبط أو يحد من إمكانيات النساء وانجازاتهن في مجالات ضيقة للغاية كإظهار الدلال والفتنة والقيام بالخدمات .

وأخيراً نود أن نشير إلى دراسة أجريت في جامعة واشنطن[١] عن العلاقة بين أنماط السلطة الأبوية وتوافقات المراهقين ، حيث تبين أن الأبناء في الأسر التي تسودها العلاقات الديموقراطية[٢] يكونون أقل قلقاً وأقل رغبة في هجر منزل والديهم من هؤلاء الذين ينتمون إلى أسر غير ديموقراطية وهذا الطابع يميز عادة الأبناء في المناطق الريفية ، كما تبين أن نسبة كبيرة من الأولاد والبنات الذين تلقوا تربيتهم في أسر متسلطة يكرهون أسرهم ، وقد ينعكس كرههم هذا على المجتمع أيضاً . أما الطفل الذي ربي في أسرة تسودها الديموقراطية فانه يكون أكثر استعداداً لإتخاذ قرارات لنفسه اتفاقاً مع القيم التي تعلمها في أسرته .

وعموماً فإن الآباء في العصر الحديث يحاولون الابتعاد عن توجيه النصح أو الارشاد لابنائهم ، ولا يتدخلون كثيراً في شؤونهم خصوصاً فيما يتعلق بشؤون مستقبلهم . لقد كان الأبناء في الماضي يتقبلون كل ما يصدر عن آبائهم بطاعة كاملة مستندين في ذلك إلى التقليد المتوارث الذي يقضي بأخذ اقوال الآباء على أنها مسلمات لا تحتمل المراجعة . ويتم قبول ذلك بحكم

---

(1) Nelson Lowry and Others, "Community, Structure and Change" N.Y., pp. 361-363.

(٢) يقصد بالديمقراطية هنا منح مكانة متساوية لجميع أفراد الاسرة من حيث الحرية والمساواة النسبية وحق ابداء الرأي والمناقشة الحرة واستقلال الشخصية والمكانة المتساوية بين الأطفال دون تفرقة .

الأبوة وكبر السن ووفرة ونضج التجارب ، أو ربما لمجرد أن حقوق الأباء على الأبناء تقتضي اتخاذ هذا الموقف . لكن الذي كان يصلح لمواجهة تطورات الحياة وأوضاعها في الماضي أصبح لا يصلح بالمرة لمواجهة تطورات الحياة في العصر الحديث ففي ظل الظروف الكاسحة السريعة التغير والتقلبات المتابعة ظهر جيل جديد لا يحفل بالنظر إلى الوراء وإنما يتجه دائماً إلى المستقبل بأقدام أكثر ثباتاً وأقوى رسوخاً وهو جيل عملي لا يقتنع إلا بتجاربه ، ومع ذلك فهم أكثر مثالية من جيل آبائهم وهذا هو وجه التناقض لأن العصر الحاضر هو عصر الواقعية المتعدد الابعاد الذي وصلت فيه المادية إلى أقصى حدود تعاظمها ، ولكن من الطبيعي أن يحدث رد فعل في الإتجاه المناقض الى ما يسمى المثالية المطلقة .

ولعل هذا التحول الخطير هو الدافع إلى ظهور ما يسمى حالياً بفكرة التنشئة الإجتماعية للكبار ، وهي الفكرة التي تنادي بـأن يعيد الكبار تنشئة أنفسهم الإجتماعية لكي يتوافقوا مع الظروف المجتمعية الجديدة . وخاصة أن الدراسات الحديثة في علم الاجتماع أكدت أن التنشئة الإجتماعية عملية مستمرة لا تنقطع بل إن عمليات التنشئة الإجتماعية خلال سنوات النضج يجب أن تكـون مطلباً أساسياً في المجتمعات الدينامية الحديثة ، إن الشخص يستوعب دوماً اتجاهات جديدة نحو عملـه ، أو نحو تربية أطفاله ، أو نحو معاملة زملائه وأصدقائه ، ومن هنا يكتسب صورة جديدة عن نفسه يستطيع خلالها استيعاب وفهم العالم المحيط به .

علاقات الأخوة

إن الطريقة التي يستجيب بها الأخوة كل للآخر تعتمد إلى حد ما على الأسلوب الذي يعاملهم به الآباء كأطفال ، وتشير الدلائل إلى أن الآباء يستجيبون لطفلهم الأول بطريقة تختلف عن استجابتهم لبقية أطفالهم فيما

بعد . وقد تبين من إحدى الدراسات أن الآباء يميلون أن يكونوا أكثر حماية بل وربما أكثر ميلاً لممارسة الضغط من أجل الانجاز بالنسبة لأطفالهم الأول ، ونظراً لأن الأطفال الأول في هذه الحالة يكونون أكثر إعتياداً على الحصول على السلوك المساند فإنهم يميلون إلى أن يكونوا أكثر اعتماداً على الآخرين طلباً للحماية إذا وضعوا في مواقف محرجة(١) . ويلاحظ أن الآباء عندما ينجبون أطفالاً أكثر فإنهم يتحولون إلى مصدرين للأوامر ويقل في نفس الوقت اتصالهم بأطفالهم ، إن هذه المتغيرات تبدو على أنها تؤثر أحياناً في الطريقة التي يعامل بها الأخوة بعضهم بعضاً .

وإذا وضعنا الاختلافات الجنسية للأطفال موضع التحليل فسيبدو واضحاً أن عملية التنشئة الاجتماعية لها جوانب مختلفة ، وأول هذه الجوانب وأكثرها وضوحاً أن الآباء في أغلب الأحيان يربون بناتهم بطريقة تختلف عن تربية أبنائهم(٢) . وجدير بالذكر هنا أن الآباء يبدأون في التأكيد على التفرقة الجنسية في وقت مبكر حتى قبل أن يكون الطفل واعياً بجنسه هو ، ويظهر ذلك في ملابس البنات والاولاد واللعب وعندما يكبر البنات والاولاد فإن الاسرة تكون مدركة لاختلافاتهم الجنسية وقد يترتب على ذلك أن التنافس والصراع بين الأخوة ربما يقل إلى الحد الأدنى ، ذلك لأن الولد أو البنت يتربيان غالباً داخل إطارات مختلفة الأمر الذي يجعلهم أقل ميلاً لعقد المقارنات بين أحدهم الآخر مما لو كانوا من نفس الجنس . فإذا كانوا من نفس الجنس فإننا نتوقع أن يكونوا أكثر ميلاً إلى عقد المقارنات والنظر إلى بعضهم البعض من منظور تنافسي ، وفي هذه الحالة تكون هناك فرصة أمام الأخوة الصغار لاستخدام إخواتهم أو أخوتهم كنموذج للدور . إن أكثر الأطفال الصغار ينظرون إلى

---

(1) Walters and Stinnet, "Parent-Child Relationships" pp. 123-124.

(2) Herbert Barry, Margaret K. Baron and Irvin L. Child, "A Cross-Cultural Survey of Some sex Differences in Socialization, in Winch, McGinnis, and Barringer, Selected Studies, p. 274.

إخوتهم الكبار بمشاعر مختلطة ، فمن ناحية قد يفعل الأخوة الكبار أشياء يود الصغار لو قاموا بها ولكنهم ليسوا ناضجين إلى هذا الحد . ومن ناحية أخرى ينظر إليهم الصغار بإعتبارهم يستطيعون أن يكونوا مفيدين أو معاونين من خلال ما حصلوا من خبرة أو ما توصلوا إليه من نفوذ . أما إذا كان الأخوة في أعمار متقاربة فإن رفقتهم يمكن أن تبرز التنافس أو الصراع . أما إذا كان الفرق في العمر بينهم كبيراً فإن التنافس لا يكون محتملاً ولكن الرفقة بينهم تكون أقل احتمالاً . وهذا يدل على أنه ليست هناك علاقة مثالية في العمر بين الابناء .

الفصل التاسع

النسق الابوى : سنوات المراهقة والانطلاق

مقدمة

تتركز السنوات الاولى القليلة من عمر الانسان تقريبا داخل نطاق الاسرة كما أشرنا فى الفصل السابق ، وبنمو الطفل التدريجى تبدأ قوى ومؤثرات أخرى فى المجتمع فى القيام بدورها فى التأثير عليه . وهكذا يبدأ تأثير جماعة اللعب والمدرسة فى حياته ، ويتخذ أهمية متزايدة باطراد نموه. ومن الواضح أن الاسرة التى تجعل من الطفل « موضوعا للمساعدة » تبدأ من التخلى عن بعض تأثيراتها عليه بزيادة أهمية القوى الأخرى بالنسبة له . وهذه « المساعدة الخارجية تحدث سواء أرادها الوالدان أم لا .

وينظر لفترة المراهقة فى كثير من المجتمعات على أنها مرحلة تحول لم يعد الصغير فيها معرفا اجتماعيا كطفل ولكنه لم يصبح « راشدا » بعد . وتستغرق فترة المراهقة ما بين السنوات الثالثة عشر والتاسعة عشرة . وفى كثير من المجتمعات البدائيه لا توجد مثل هذه الفترة التى ينتقل فيها الصغير من الطفولة الى المراهقة . لأن الطفل فى هذه المجتمعات يعامل كطفل حتى يؤهل لمرحلة الشباب ويجتاز « طقوس البلوغ » الخاصة بمجتمعه ، ومن هذه النقطة يعرف الطفل على أنه راشد .

وعند تصور الاعمار القانونية المختلفة من حيث الحقوق والواجبات عند الشخص الصغير فى السن فى كثير من مجتمعات العالم تواجهنا حقيقة عدم وجود عمر ثابت للمراهقة ، فبمرور الزمن وفى مجتمعات مختلفة تحدد أعمار مختلفة للسن القانونى للزواج وكذلك حق التصويت فى الانتخابات والانضمام الى قوات المسلحة .. الخ .

ومن أجل الدراسة ، فقد أتفق على أن فترة المراهقة تتفق مع السنوات من

١٣ الى ١٨ وان سنوات « الانطلاق » تبدأ من سن ١٨ الى أوائل العشرينات . وبطبيعة الحال هناك استثناء لهذا التحديد فبعض الاشخاص ينضجون فى سن مبكرة وبعضهم تستمر فترة المراهقة لما بعد العشرين . ورغم هذا فمن الملائم قبل مناقشة الطبيعة الاجتماعية للمراهقة أن نذكر شيئا عن التأثيرات البيولوجية اثناء هذه الفترة .

يحدث التغير الاجتماعى بصورة سريعة جدا لدرجة ان الاختلافات الكبيرة لا توجد بين أجيال الأباء والابناء فقط ولكنها توجد أيضا بين الشباب الذين لا توجد بينهم فروق عمرية كبيرة . ولذلك يرى « توفلر » أن خطوة التغير عمياء لدرجة ان بعض الاخوه والاخوات الذين يكبر بعضهم البعض بثلاث أو أربع سنوات يشعرون بأنفسهم أعضاء فى أجيال مختلفة[1] » .

المراهقة المبكرة

يشير البلوغ بمعناه الحرفى الى الفترة التى ينمو فيها شعر العانة ومعنى هذا ان الصغار يتحركون جسمانيا خلال تغيرات تجعلهم ناضجين جنسيا سواء كانوا ذكورا أو إناثا . ففترة البلوغ تعد فترة نمو بالنسبة للصغير ، وبينما تتغير هذه الفترة لدرجة ما من شخص لأخر فهى لا تقل عن سنتين وقد تكون أطول . وبانتهاء فترة البلوغ يكون الصبى قد أكمل فترة نمو شعر العانة وشعر الوجه وتغير الصوت وتضخم أعضاء التناسل . أما بالنسبة للفتاة فالتغيرات الجسمية تظهر فى نمو الشعر واستدارة الردفين وتضخم الثديين وظهور الدورة الشهرية الأولى .

ويعتبر مفهوم المراهقة مفهوما حديثا فى التطور التاريخى للبشرية فلم يكن هذا التصور « كما هو مفهوم ويطبق اليوم » موجودا قبل العشرين عاما الأولى فى القرن التاسع عشر . ففى الكتابات الأولى التى كانت تهتم بالشباب كان الاهتمام الأساسى يتعلق بمشكلة السلطة « فبصورة أو بأخرى كانت كلها تحمل نفس

1 -Alvin Toffler , « Future shock » London ; Pan Books. , 1970 , P. 267 .

المعنى فى أن سلطة الوالدين يجب أن تظهر مبكرا فى حياة الطفل وأن تبقى وتستمر خلال سنوات النمو[1] » وكان من المعتقد فى ذلك الوقت أنه حتى أصغر طفل يظهر « ارادة تنشأ من طبيعة فاسدة وأن هذه الرغبة نابعة من طبيعة أنانية » ، وقد ترتب على هذا التصور الدعوة الى « أنه من الواجب كبت هذه الطبيعة الفاسدة للطفل بتدريبه الصارم على الطاعة والا فإنها سوف تتطور بسرعة بحيث تتجاوز إمكانية السيطرة عليها بالمضامين القاسية من أجل تكوين الشخصية الراشدة فيما بعد[2] » .

وقد سجل الكتاب فى علم الطب منذ عام ١٨٣٠ ميل الصغير الى عدم الاستقرار العقلى – « الملانخوليا عند الذكور و« الهستيريا » عند الاناث – تحت اسم « جنون البلوغ » . ثم بدأ مفهوم المراهقة فى الظهور كاستجابة لحقيقة يمكن ملاحظتها وهى حقيقة ثقافة الشباب . وهكذا ظهرت ضرورة ابتكار وسائل لفهم مشاكل هؤلاء الصغار ، وكذلك المشاكل التى يخلقونها[3] .

وقد تعرضت كثير من الصفات الجسمية لسكان العالم للتغير اثناء القرن الحالى . فمع تطور المعارف الطبية الجديدة ، والتغذية السليمة أو علوم الصحة والسيطرة على كثير من الامراض فقد أصبحت الاجيال الأصغر أكثر تقدما من الناحية الجسمية فى سنوات العمر الأولى عن الأجيال السابقة .

ويحدث البلوغ بالنسبة للبنات عند متوسط سن ١٢ والأولاد عند متوسط

---

1 - John Demos and Virginia Demos , « Adolescence in Historical Perspective , » Journal of Marriage and The Family , November , 1969 . P. 633 .

2 - Ibid , P. 633 .

3 - Joseph F. Kett , « Adolescence and Youth in Nineteenth century America » , in Theodore K. Rabb and Robert I Rotberg , « The Family in History : interdisciplinary Essays , New York : Harper and Row , 1973 |.| P. 103 .

سن ١٤ . وتبدأ البنات فى النضج الجسمانى ويكون لهن السبق على الذكور خلال سنوات المراهقة ، فهن يصلن الى النضج الجسمانى فى سن الثامنة عشرة قبل أقرانهم من الذكور بحوالى عامين أو ثلاثة . وتحدث الدورة الشهرية بعد عام تقريبا من دخول البنت فترة البلوغ . ومتوسط السن الذى تظهر فيه الدورة الشهرية عند البنات هو سن ١٣ . ومدى الحدوث العادى يكون من ١١ الى ١٥ . ويبدو أن هذا المتوسط قد أصبح أكثر تبكيرا فى السنوات الاخيرة ، وأن البنات يصلن الى فترة الطمث مبكرات بشهور عما كانت عليه امهاتهن . وقد يرجع ذلك الى ارتفاع مستويات الرعاية الصحية التى أصبح الآباء يحرصون عليها ويهتمون بتهيأتها لابنائهم فى العصر الحديث . ولا يعنى الوصول الى البلوغ وخاصة الطمث أن البنات قد أصبحن ناضجات تماما ولهن قدرة تناسلية كاملة . والدليل على ذلك أن « الحمل » يكون غير قابل للحدوث اثناء السنة الأولى لظهور الطمث . وأنه أقل احتمالا لمدة تتراوح من أربع الى ست سنوات من النضج الكامل . فالحمل يمكن أن يحدث مبكرا جدا ولكنه نادرا ما يحدث قبل سن السادسة عشر بصرف النظر عن سن الفتاة عند حدوث الطمث .

وهناك اختلافات هامة فى النمو الجسمانى بين الذكور والاناث تظهر فى فترة البلوغ . فالبنات يزددن طولا وبسرعة فى الفترة ما بين ٩ ، ١٢ سنة . بينما يزداد طول الأولاد فى الفترة بين ١٠، ١٤ سنة . وهكذا فإنه فى جماعة العمر ما بين ١١ ، ١٣ سنة تكون البنات غالبا أطول من الاولاد . وهذا يؤدى الى نشوء صعوبات فى العلاقات بين جماعة الصغار فى هذه السن بسبب الاختلافات فى الطول والحرج العام فى العلاقات الاجتماعية بينهما .

وتختلف مضامين سن البلوغ عند الاناث عنها عند الذكور ، فبينما يعتبر البلوغ فى حد ذاته حقيقة بيولوجية لا دخل للانسان فيها ، الا أن حدوثه يقابل بتعريفات وتصورات اجتماعية مختلفة ، وقد قام « هارولد جونز » بدراسة على مجموعتين من المبكرين فى النضج بنسبة ٢٠٪ والمتأخرين فى النضج بنسبة ٢٠٪ من خلال عينة عشوائية من البنات فى مدرسة عامة . وكانت المجموعتان متناسقتين من حيث

الذكاء والطبقة الاجتماعية ، وسجلات صحة الطفولة[1] . وكانت النتائج العامة التى توصل اليها هى « ان البنات المبكرات فى النضج كن أقل من المتوسط من حيث التأثير على الآخرين والاختلاط بهم والقيادة ، وكذلك أقل من المتوسط من حيث مدى الشعبية والابتهاج والقدرة على الاحتفاظ بالتوازن وأيضا القدرة على التعبير[2] .

وتشير دراسة « جونز » الى أن البنت التى تصل الى مرحلة البلوغ فى سن متأخرة تكون لها مزايا على زميلتها التى تصل مبكرا الى هذه المرحلة . ويرى أن هناك أسباب لهذا التمييز ، أولها هو الميزة الجسمية . فالبنات اللائى يتميزن بالنضج الجنسى المتأخر لا يواجهن نموا جسمانيا مفاجئا وهذا يتضمن عددا أقل من مشاكل عدم التوازن الفسيولوجى والاضطراب الجسمانى عن هؤلاء المبكرات فى النضج . ويؤكد « جونز » أنه كلما طالت فترة النمو كلما أثرت بنوع خاص على طول الساقين . فالبنات المتأخرات فى النمو يتميزن عادة بالسيقان الطويلة ، ويملن الى التطابق مع مستويات الجمال العالمية والتى تبدو فى الاعلانات التجارية[3] .

وهناك عامل آخر له أهميته البارزة فى هذا المجال وهو أن الفتاة مبكرة النموتتحرك فجأة لكى تصبح « سيدة شابة » من الناحية الجسمية ، ولكن عمرها وقدراتها الاجتماعية لا تتمشى مع هذا التغير المفاجىء . أما فى حالة النضج المتأخر فتكون هناك فرصة زمنية مناسبة كى تعتاد الفتاة وكذلك والديها وأسرتها على الاهتمامات الجديدة والدوافع الجديدة وكذلك المطالب الجديدة للسلوك . وهناك عامل ثالث وهو أن الفتاة التى تتأخر فى النضج تقترب من الأولاد فى جماعة سنها أكثر من الفتاة المبكرة النمو . وهنا ينخفض أو يتلاشى فارق السنتين الذى أشرنا اليه بين الأولاد والبنات ، ونتيجة لذلك يتم اشباع مختلف الانشطة الاجتماعية .

وقد نوقش موضوع ميل الاناث الى « الحاجة للمقارنة الاجتماعية (بسبب بداية فترة المراهقة فى فترة مبكرة من عمر الفتاة) والى التشجيع من الوالدين كى

---

(1) Harold E. Jones. " Adolescence in our Society " in jeromem. Seidman, New York, Hdt- Dryden, 1960. pp. 50- 51

2 - Ibid , P .56 .

3 - Ibid , P. 58 .

يصل الى التوجيه المناسب أكثر مما يحتاجه الاولاد فمنذ أول البلوغ تواجه البنات الازمة الاولى ولذلك لا بد أن يصل الى تفسيرات وصيغ معينة بحيث يجدن سرورا فى أنوثتهن الجسمية وان يقمن تبعا لذلك بتطوير « الانوثه » النفسية الملائمة[١] . وهناك احتمال بأن معظم المراهقات يعتمدن على الآخرين فى شعورهن بتحقيق الذات .. ونظرا لقلة الانجازات الموضوعية المستقلة فإن البنات يعرفن هويتهن فقط من استجابات الآخرين لهن . فهن يعرفن شخصياتهن من علاقاتهن كبنات لوالديهم وكصديقات وكزوجات أو أمهات أو بمعنى آخر يتشخص العالم بالنسبة لهن فى هؤلاء »[٢] .

أما بالنسبة للولد فإن نتائج النضج المبكر تكون على العكس تماما مما يحدث بالنسبة للبنات . فالولد الذى ينضج مبكرا يدخل مرحلة المراهقة فى وقت تكون فيه البنات فى جماعة عمره مدركات لمعرفة الذكور وبالتالى لا يعرفوهم على أنهم أطفال . فالولد فى هذه الحالة يحصل على سمات القوة والقدرة الجسمية التى تعطيه مكانه متميزة مع أبناء جنسه . وعلى العكس من ذلك فإن الولد الذى يتأخر نضجه يبتعد عن الآخرين فى جماعة عمره وغالبا ما يعاملونه على أنه صبى صغير . وقد تبين أن الأولاد الذين كانوا يتميز |بالنضج الجسمانى السريع كانت حاجتهم قليلة للكفاح من أجل الوصول الى مكانة متميزة ومن بين هؤلاء يظهر القادة البارزين فى المدارس الثانويه[٣]

وتعطينا الاختلافات فى النضج الجسمانى تبعا للجنس تباينا فى التعريف الاجتماعى للأدوار المبكرة للمراهق . اذ يعتبر النضج الجسمانى المبكر بالنسبة للولد وخاصة إذا صحبة ترابط مناسب فإن هذا يميزه فى الانشطة ذات القيمة بالنسبة للأولاد . ولكونه فى هذه الحالة أقرب الى الذكر البالغ من الناحية الشكلية فإن هذا

---

1 Judith M. Bardwick and Elizabeth Douvan , « Ambivalence : The Socialization of Woman » , in Vivian Gornick and Barbara K. Morgan , « Woman in Sexist Society » New York , New American Library , 1971 , P. 230 .

2 Ibid . P 231

3 Jones lop. Cit " Adolescence ", p. 59.

يعطيه ميزة على الأولاد الآخرين. ولكن اذا نظرنا الى الموضوع من الناحية الاجتماعية فسوف نجد أن العكس هو الصحيح بالنسبة للبنت . فالبنت مبكرة المراهقة تقف عادة بعيدة عن معظم جماعة سنها . فهى لا تشبه الولد المبكر فى النمو وتكون أقرب الى الانثى البالغة من ناحية النمو الجسمانى ، وهى بهذا تواجه موقفا صعبا إذ ينظر اليها البالغون على انها فتاة صغيرة فى جسم امرأة ، ويخشى دائما من أن عدم نضجها الاجتماعى والنفسى قد يسبب لها المشاكل ، حيث أن نموها الجسمانى قد يتيح لها مزايا الحصول على لقاءات مع الجنس الآخر أو أن تكون عرضة للتغرير بها .

وفى كثير من جماعات البنات نجد ميلا الى التماثل فى المظهر الجسمانى . فقد تحاول البنت الأكثر نموا من الناحية الجسمية أن تخفى معالم هذا النمو . كما تحاول البنت الأقل نموا أن تعطى انطباعا بأنها أكثر نموا . والنوع الثانى هو السمة الاكثر شيوعا فى الوقت الحاضر فى كثير من المجتمعات .فقد كانت الفتاة فى الماضى ، وعلى سبيل المثال ، اذا كبر ثدياها مبكرا فإنها تخجل من ذلك وترتدى الملابس الفضاضة أو تحنى كتفيها لتخفى « عيوبها » أما اليوم وعلى العكس من ذلك فإن البنت بطيئة النمو قد تلجأ إلى شراء « وسائل مخادعة » أو « قطع غيار » لتتمشى مع الفتاه الناضجة .

ونظرا لأن المراهقة المبكرة تشير الى فترة نمو الاهتمام السريع بالجنس الآخر فأن الجاذبية الجسمية العامة تصبح ذات أهمية كبيرة . وقد تبين من احدى الدراسات التى أجريت فى المجتمع الأمريكى أن ٥٧٪ من كلا الجنسين كانت تهتم بالشعر الأسود وهو اهتمام قاد بقية الاهتمامات عن الجاذبية[1] هذا بعكس الحال فى المجتمع المصرى الذى يتميز معظم سكانه بالشعر الأسود وملحقاته فإن الشعر الأصفر الناعم والعيون الملونة تجد تقديرا كبيرا وخاصة بالنسبة للبنات . وفى هذه السن

---

1 - Alexander Frazier and Lorenzo K. Kisonbee , « Aldolescent Concerns with physique » , in jerome M. Seidman , <u>The Adolescent</u>, New York : Holt - Dryden , 1960 , P. 145 .

أيضا تميل البنات الى الاهتمام أكثر بالوزن ، فقد تبين من نفس البحث أن حوالى ثلث البنات فى العينة يجدن انفسهن زائدات فى الوزن ، كما يهتم بهذا الموضوع اكثر من نصفهن . وقد تبين أن ثلاثة فى المائة فقط من الاولاد يصفون أنفسهم بهذه الحالة وهم لا يعبرون عن هذا الا قليلا[1] .

ومن الواضح أن الخصائص الجسمانية تصبح هامة جدا بالنسبة للمراهق المبكر داخل مضمون التعريفات الاجتماعية . فالنضج الجسمانى يستمر فى الظهور بالنسبة للمراهق ومع ذلك فهو لايصل بالضرورة الى النضج الاجتماعى بنفس المعدل . وبالنظر الى مصطلحات النمو والقوة والابداع والقدرة العقلية نجد أن النضج الكامل يميل الى التحقق بعد وقت قصير من البلوغ ، ومع ذلك فمن الناحية الاجتماعية يكون أمام المراهق طريق طويل قبل الوصول الى المكانة الكاملة كرجل[2] .

ووصف الشخص فى السن ما بين ١٣ – ١٨ بأنه ليس طفلا ولا مراهقا هو وصف دقيق بالنسبة للمظهر والسلوك . وفى هذا يكتب « كيركباتريك » قائلا « ان المظهر المميز والمانع للمراهقة هو الحقيقة بأن هناك فى الغالب نموذجا شاذا ومتنافر للنضج . فالبنت تكون نصف امرأة والذكر المراهق يكون نصف طفل ونصف رجل ، وكل منهما قادر على السلوك الذى لا يمكن التنبؤ به مما يفسد كل التوقعات . فالوالدين لا يعرفان تماما إذا كان سلوك ابنهما يستحق التوبيخ أو يستحق الثقة ، وأى طريق منهما قد يكون له اخطاره[3] . ونتيجة لهذا التداخل وعدم القدرة على فهم الموقف فإن كلا من الوالدين والمراهق نفسه يكونون شواذا فى تفاعلاتهم لدرجة أنه أحيانا عندما يريد الصغير أن يكون راشدا فإن والديه يعاملانه كطفل ويحدث العكس فى حالات أخرى ! .

---

1 - Ibid . P. 142

2 - Kingsley Davis , « Adolescence and the Social Structure » in jerome M. Seidmann , « The Adolescent , New York : Holt- Dryden , 1960 , P 42 .

3 - Clifford Kirk Patrick , « The Family » NewYork The Ronald Press co, 1955 P 241 .

وفى الحقيقة فإن المراهقة مرحلة طويلة ومزعجة فى حد ذاتها أكثر من كونها فترة انتقال من الطفولة الى المراهقة . ففى هذه المرحلة تختلط قيم الوالدين بالنسبة للانجاب وأهميته بالنسبة لهم ، أو أنه إذا كان من الافضل بالنسبة لهم الا ينجبوا على الاطلاق هذا فضلا عما يسببه الأطفال لاسرهم من عوائق اقتصادية واضحة . فبينما كان من السهل منذ سنوات قليلة توضيح الدوافع الى وجود أطفال ، فقد أصبحت الأبوه الآن من الامور التى يصعب تبريرها .

المراهق ووالداه

تتأثر العلاقات بين الوالدين وأطفالهم المراهقين الى حد كبير بمرحلة مراهقة الوالدين أنفسهم . وهنا تظهر حقيقية هامة وهى أنه عندما يكون الاطفال فى مرحلة المراهقة فإن أكثر الآباء يكونون قد خلفوا وراءهم سنوات المراهقة والشباب ويخطون نحو سنوات منتصف العمر . وهكذا تصبح فترة المراهقة من أصعب الفترات لكل من الوالدين والأطفال . لأن مشاكل توافق الوالدين مع مرحلة السنوات المتوسطة تحدث غالبا فى نفس الفترة التى يمر بها أطفالهم فى مرحلة المراهقة .

وعند هذه النقطة فى الوقت ، فإن كلا من الآباء وأبنائهم قد يوجدون فى مشاعر ارتباك الدور والاحباط . ففى هذه المرحلة يتعرض الآباء لمواجهة « نموذج الشباب » وتتكون لديهم بعض مشاعر النقص فى مواجهة مظاهر قوتهم وشجاعتهم فى مقابل مظهر شبابهم المنهار . وعلى الجانب الآخر فإن الشباب أيضا يواجهون موقفا صعبا إذ يشعرون بأنهم عاجزون عن مواجهة كثير من القيود الرسمية وغير الرسمية التى تقف فى وجه أنشطتهم ومزاياهم[1] .

ففى الثقافة الموجهة للشباب والتى تميز غالبا الطبقات المتوسطة المثقفة والتى تهتم بمثل هذه الموضوعات نجد أن مشاكل المراهق تهتم غالبا بتجاهل المشاكل الشخصية للوالدين . فترك سنوات الشباب خلفهم ليس أمرا سهلا بالنسبة لكثير

1 - Hans Sebald , « Adolescence : A Sociological Analysis » New York Appleton Century - Crofts , 1968 , PP. 505 - 506

من الآباء وعندما يواجههم أبناؤهم بالصورة التى كانوا عليها فى شبابهم تكون المشاكل أصعب فى حدتها . فالأم التى يعتقد الناس أنها الأخت الكبرى لابنتها المراهقة غالبا ما تشعر بأنها حققت أقصى حد من المجاملة . وهناك اعتقاد شائع بأن الوالدين اللذين يقتربان بنجاح من أطفالهم من ناحية « العمر النفسى » هم دائما محل الاعجاب والتقدير . ويعكس هذا الاعتقاد نقصا فى القيمة الاجتماعية والتأثير المرتبطين بكونهما أكبر سنا من الناحية النفسية ، وهذا موضع سابق بالنسبة لعملية التنشئة المستمرة . فقد « يتراجع » الوالدان الى المستوى النفسى والاجتماعى للمراهق أكثر من أدائهم بما يتناسب مع مستواهم العمرى ويتصرفون بنماذج أدوار البالغين بالنسبة لأطفالهم وهم يتقدمون فى السن .

والاعتقاد القائل بأن الوالد يجب أن يكون « صديقا » لأطفاله يعكس قيمة اجتماعية تعطى أهمية لعالم شامل يضم الوالدين والأطفال . وهذا الاعتقاد بالعالم الشامل قد تطور من تصورات الديمقراطية بين الآباء والأبناء وأصبح يتضمن أنهما متساويين اجتماعيا ونفسيا وعقليا . فإذا كان هذا حقيقى فهذه صورة مدمرة للوالدين لأنها تتضمن أنهما لا يزالان فى سنوات المراهقة . والحقيقة أن الشخص الراشد الناضج يكون متفوقا على أطفاله بكل الطرق ، وهو كنموذج للدور الذى يقوم به فإن هذا التفوق يكون مهما للغاية .

وبافتراض حقيقة أن الآباء قد مروا بالمراهقة فى فترة سابقة عندما كانت الامور مختلفة عما هى عليه الآن ، فإن هذا يعنى أن تكون لأطفالهم خبرات تختلف تماما عن تلك التى مروا بها . ويصور « وليم جود » هذه النقطة بقوله أن الكثيرين من الآباء المعاصرين قد حاولوا استخدام بعض العقاقير التى يمنع القانون استخدامها والتى تعتبر جزءا من عالم الشباب اليوم . ورغم هذا فإن « جود » يؤكد أن واحدا من هؤلاء الآباء لم ينشأ فيما يسمى « بثقافة المخدرات » . كما لم ينشأ الجيل الحالى للآباء فى جو ثقافى يسوده استخدام حبوب منع الحمل كشىء مسلم به[1] . وهكذا فإن الحقيقة الواقعة لاختلافات العمر تعنى أن التجارب المشتركة بين الآباء

1 -William Goode , « The Contemporary American Family » , Chicago » Quadrangle Books , 1971 . P. 34 .

والأبناء محدودة الى حد كبير .

وقد يكون اعتقاد الراشد فى كونه « صديق » للمراهق له صلة بما يريده المراهق . فالراشدون بوجه عام سواء كانوا آباء أو مدرسين أو قادة فى انشطة الشباب هم فى موقف القوة دائما ، وقد يجد المراهق أن من مصلحته التظاهر بالحماس لهؤلاء الراشدين عند قيامهم بدور « الصديق » لهم . وهناك كثير من الراشدين يقومون بدور القادة للشباب ويعتقدون بأنهم « سيطروا » على المراهق بينما ينظر هو اليهم باحتقار باعتبار أنهم « اغبياء وتافهين » ، وهو يتقبل فكرة ادخاله فى « علاقة الصداقة » حيث أن هذا الموقف مفيد له . وعموما فإنه نقص كبير أو تصور خاطىء عندما يعتقد الراشد أن المراهق يريده كصديق . فالناس عادة يشعرون براحة أكبر مع أقرانهم الذين يشاركونهم الاهتمام وليس لهم سيطرة عليهم . وهاتان ميزتان تفتقدهما « علاقات الراشد – المراهق » . وعلى أية حال فهناك دليل على ان المراهقين لا يعتقدون بالفعل فى شخص راشد كصديق .

وبينما تسير بعض مشاكل « علاقات الآباء – المراهق » مع المشاكل الشخصية للوالدين وتأثيرها عل المراهق ، فهناك مشاكل أخرى تنتج من نقص الوضوح الاجتماعى فى معاملة المراهق . واحدى المشاكل الأساسية التى تواجه الوالد والمراهق المتشابهين هى درجة الحرية والاستقلال التى يتوقعها الصغير أو يتلقى تشجيعا على التمسك بها . إذ يجب أن تقوم كل المجتمعات ببعض الاجراءات لدفع شبابها نحو أدوار الراشدين . وقد فحص « ستيفنس » عددا من الثقافات فيما يتعلق بعملية التحرر والتى تعنى التحول من الاعتماد الطفولى على الوالدين الى الحرية واستقلالية الراشدين وقد تبين من الدراسة التى أجراها كل من « ميللر وسوانسون » أن بداية المراهقة كانت فترة تغير هام فى العلاقة الأساسية للامهات بأطفالهن . فالأم العادية عندما يصل ابنها الى سن المراهقة لا تهتم كثيرا بما يفعله معظم الوقت[٢] ، ورغم ذلك فإن حوالى ثلث الامهات شعرن بأن المراعاة التامة

1 - William N. Stephens , « The Family in Cross - Cultural Perspective , » New York : Holt , Rinehart and Winston , Inc . , 1963 , P. 393 .

2 - Daniel R. Miller and Guy E Swanson , « The Changing American Parent » , New York : John Wiley and Sons , Inc. , 1958 , P. 224 .

يجب أن تصاحب الابن حتى سن السابعة عشرة أو اكثر[1] .

كما قد تتعرض « صورة الذات » فى فترة المراهقة المبكرة للتغير الواضح أو الإضطراب وتزداد حدة الاضطراب عندما يبلغ الطفل سن الثانية عشر . وعند مقارنة فترة المراهقة المبكرة بالفترة ما بين ٨ ، ١١ سنة نجد أن الأطفال المراهقين غالبا ما يظهرون وعيا متزايدا بالذات ، الا أن صورة الذات تكون غير مستقرة ، الى جانب انخفاض الآراء الذاتيه والاعتقاد المتناقص بأن الوالدين والمدرسين والزملاء لديهم أفكار طيبة عنهم . وأحد الاسباب الرئيسية لذلك هو أن الذين وصلوا الى سن الثانية عشرة يكونون اكثر ميلا من الذين وصلوا الى سن الحادية عشرة فى اظهار زيادة الاضطراب عن صورتهم الذاتية ، ولعل ذلك يرجع الى التحاقهم بالمدرسة الاعدادية فى هذه السن ، فالالتحاق بالمدرسة الاعدادية عند سن البلوغ هو حدث هام بالنسبة للطفل[2] .

والالتحاق بالمدرسة الثانوية له أيضا أهميته البالغة فى هذه السن . فهو لا يتضمن فقط تعريفا إجتماعيا لحرية اكبر تمنح للمراهق ، ولكن قد يغير أيضا من نماذج حياته اليومية الى الحد الذى تصبح فيه الأم غير قادرة على تتبع خطواته إذا هى ارادت ذلك . والاعتقاد السائد بأن رعاية الأم يجب ان تستمر حتى سن السابعة عشرة كما يرى البعض يتسبب فى ظهور الصراعات بين مطالب الأم والسلوك الحر للمراهق فى سنوات المدرسة الثانوية .

وليس هناك شك فى أن الأب يكون له بعض التأثير فى توجيه اهتمامات أبنائه فى المدرسة . وقد وجد « كاهن »[3] .أنه يوجد ميل متزايد بالاهتمامات المهنية عند الابناء المرتبطين بآبائهم بشدة لكى يتشابهوا مع وظائف هؤلاء الآباء . فالدرجة التى يرى فيها الابناء آباءهم مقتنعين بعملهم تؤثر فى اهتماماتهم المهنية .

---

1 - Ibid . , P.224 .

2 - Roberta G. Simmons , Florence Rosenberg ,and Morris Rosenberg « Disturbance in the Self - Image At Adolescence , » American Sociological Review , October 1973 , PP. 564 - 565 .

3 - 'Edwin M. Kahn , « Sociometric Variables , Parental Identification and Son's Interest » , Dissertation Abstracts , Vol. 29 , 1968 , PP. 757 - 758

كما تشير النتائج التى توصل اليها « ميللر وسوانسون » أيضا الى مجال آخر للصراع الممكن بين المراهقين الصغار ووالديهم . فنظرا لأن الامهات يختلفن فى السن التى يعطين فيها الحرية لابنائهن ، فإن المراهقين يتعرضون لبعض الصعوبات مع أقرانهم فى السن . فحقيقة أن أمه لا زالت تلاحظه عن كثب قد تزعج الصغير كثيرا ، وهذا يصدق على الولد بنوع خاص لأن أقرانه قد يشيرون اليه على أنه « مشدود الى أمه » أو كما نقول باللغة الدارجة « ابن أمه » . ولسنا هنا بصدد الحكم على أى الامهات تكون على حق ، لأن نقص الاتفاق على أساليب معاملة الاطفال يعكس النقص فى المعايير الاجتماعية المعرفة بدقة والتى تكون واضحة للجميع . ونظرا لأن المراهقين غالبا ما يكونون ملتزمين فإنهم يستخدمون أساليب مختلفة كسلاح فى محاولة تملق أمهاتهم . وتُسأل الأم (واحيانا الأب) « لماذا لا أستطيع أن أفعل شيئا يفعله كل الأطفال الأخرون ؟ » والأم التى تقتنع بما يقوله لها طفلها قد تتغير إذا شعرت انها مخطئة تجاهه ؛ أو إذا لم تشأ أن يكون طفلها مختلفا جدا عن بقية الاطفال . ومن خلال هذه العملية فإنه من المحتمل أن يؤثر الأطفال على والديهم أكثر مما يفعل هؤلاء .

ونظرا لأن التفاعل بين الأب والمراهق فى معظم الطبقات الاجتماعية يقوم على بعض القيم والأهداف كما أشرنا فى الفصل السابق فإن الصراع بينهما يبدو واقعا لا محالة . ومن خلال هذا الصراع تظهر تغيرات معينة فى نمو العلاقة . « فعندما تصطدم إرادة الطفل بإرادة الوالد فإن العلاقة تبدأ فى التعميم بتكافؤ الضدين[1] » فمن خلال الصراع وتكافؤ الضدين قد يظهر الاستقلال ، وتشير المشاعر المتغيرة الى أن الطفل لم يعد يتقبل والده على أنه السلطة الأخيرة ، ويبدأ فى التساؤل عما كان يقبله فى الماضى كسلطة مطلقة . والى أن تصبح سلطة الأب موضع تساؤل فإن الصغير لا يحقق استقلالا حتى ذلك الوقت . وقد يكون لهذا الصراع قيمة اجتماعية ونفسية كبيرة لأنه يتيح للصغير الوصول الى الاستقلال بينما يقوم الوالدن بسيطرة جزئية . ورغم ذلك فإن التوازن بين فهم الصغير والسيطرة عليه مسألة

---

1 - Willard Waller and Reuben Hill , « The Family » , New York: The Dryden Press , 1951 , P.390 .

صعبة التحقيق .

ومن أهم الاختلافات الرئيسية بين الأجيال هي كيف يستطيع كل منهما أن يرى المستقبل وضرورة الاستعداد له . فكثير من الصغار لا يظهرون نفس الدرجة من الاهتمام كما يفعل الوالدان في اعداد أنفسهم لمهنة معينة من أجل الرقي والتقدم في الحياة . وكثير من الراشدين أيضا يهتمون بما يرونه كاتجاهات للشباب التي تؤكد على أهمية السرور والابتهاج والنقد ، بدون قلب موازين الاهتمام بمجهود العمل المنظم . ورغم ذلك فليس هناك دليل على أن أغلبية الصغار غير راغبين أو غير قادرين على أداء العمل المنظم المنتج ، « إن غالبية الصغار في الحقيقة يقومون بواجباتهم في الصناعة والمهن والتعليم بطريقة فعالة جدا »[1] .

ومن المحتمل أن كل جيل يرى المراهق كمشكلة ، ولكن يبدو أن هذه النظرة تبدو أكثر وضوحا بين جيل الراشدين الحالي ، ولعل ذلك يرجع الى الاهتمام المتزايد في العصر الحديث بالمراهقين . وقد يكون لوسائل الاتصال أثرها الواضح في ارتفاع مشاكل المراهقة . وبينما تصور وسائل الاتصال المراهق على أنه سبب المشاكل فهناك عدد من « خبراء المراهقة » المتخصصين الذين يرون أن المراهق يعاني من المشاكل التي يخلقها عالم الراشدين وهذا الاتجاه الذي يتبعه بعض المربين وعلماء النفس يرى أن المراهق بدلا من الاعتماد على راشدين لا حول لهم ولا قوة فإنه ينعزل عنهم ويلجأ الى جهات أخرى حيث تنتعش الثقافة الفرعية الواضحة عوضا عن نقص التكامل في مجتمع الراشدين المستقل . وهكذا فمن المحتمل أن النظر الى المراهق كسبب لكثير من المشاكل الاجتماعية أو كموضوع للمعالجة المخربة من جانب الراشدين تعتبر وجهتي نظر فيهما مبالغة .

وبينما لا يمكن تجنب الصراع بين الآباء والابناء الى حد ما ، فإنه لا يكون شديدا بدرجة كافية تصل الى الانهيار في علاقات التفاعل بينهما ، أو تؤثر سلبا في شخصية الفرد . ورغم ذلك فإن الكتابات النفسية تؤكد أن علاقات الطفل

---

1 - Marihuana : Asignal of Misunderstanding . The official Report of the National Commission on Marihuana and Drug Abuse . New York : New American Library . 1972 . PP. 125 - 126 .

بإسرته تكون عاملا هاما فى المرض العقلى . وقد يقبل كثير من الاشخاص تلك الآمال والطموحات التى يقدمهاالآباء لهم وترضيهم ، أو من خلال التجربة الشخصيةعلى أساس أنها تعيد تعريف توقعاتهم الشخصية . ورغم ذلك فإنه لابد من التأكيد على أن العلاقات التى تنشأ بين الطفل ووالديه منذ الطفولة قد يكون لها مضامين هامة لكثير من مشاكل الصحة العقلية .

الثقافة الفرعية للمراهق

يشير مفهوم « الثقافة الفرعية » فى علم الاجتماع الى نسق ثقافى متماسك نوعا ما داخل النظام الأكبر للثقافة الكلية . وتقوم الثقافة الفرعية للمراهق فى كثير من المجتمعات المتقدمة وخاصة فى الطبقات الوسطى منها على نظام ابتدعه المراهقون أنفسهم . فلأن المراهق ليس طفلا ولا راشدا وليس له دور تحدده الثقافة العامة للمجتمع ، فقد خلق لنفسه نسقا ثقافيا فضفاضا يعطى لدوره كمراهق معنى . فالمراهقين يقبلون أغلب قيم عالم الراشدين « غالبا دون سؤال » ولكن التأكيد هنا هو على قيم المراهق التى تختلف عن قيم عالم الراشد .

وتتطور الثقافة الفرعية للمراهق لعدة أسباب اجتماعية هامة ، فهى تنبع من الملامح أو المميزات الأساسية للبناء الاجتماعى ، والروح الثقافية للبلد أكثر من تقليد ما هو موجود فى بلد آخر . فنمو أو تطور المراهقة يرجع أساسا الى :
١ - تقسيم نهائى وواضح للعمل ينتج عنه بناء اجتماعى فنى جدا ومعقد للغاية .
٢ - فشل الثقافة فى مد اعضائها بتصور مقنع ينتج عنه هوية قوية وشعور بالغرض(١) .

وبما أن ثقافة المراهق الفرعية تنمو ذاتيا الى حد ما ، فلذلك تكون لها نقاط صراع معينة مع النسق الثقافى المسيطر للراشدين . ومع ذلك ، فإن عدم وضوح تعريفات الراشدين لسلوك المراهق قد ساهمت الى حد كبير فى ظهور قيم الثقافة الفرعية . وحقيقة رؤية الراشد للمراهق بتردد بالنسبة للسلوك السليم معناه أن المراهق

---

1 - Seblad ¦«Adolescence» op. Cit p.8.

يعامل بطريقة معينة في مناسبة ما وبطريقة مختلفة في مناسبة أخرى . وبما أن المراهق غالبا ما يرغب في الحسم وبعض الدقة في تعريفات الدور ، فهو نتيجة لذلك يحاول أن يخلق دوره الخاص . وعندما يفعل ذلك فهو غالبا ما يطلب درجة عالية من الانسجام من المراهقين الآخرين « كبرهان » أو « دليل » على صحة تعريفاته وسلامة موقفه . ومن الامور المضحكة أن المراهق غالبا ما يفكر في نفسه على أنه منحرف اجتماعيا . فما يفشل المراهق في تحقيقه هو أن جماعته المراهقة تختلف بل تنحرف عن عالم الراشدين ولكن متطلبات الامتثال والانسجام داخل ثقافته الفرعية تكون قوية جدا .

وقبل البلوغ تكون المميزات الجنسية بين أقران السن الواحدة ليست قوية مثل المميزات بعد البلوغ . ولذلك يبدو أنه حتى فترة البلوغ فإن البنات الناجحات في الدراسة ينشئن مفهوما « ثنائي الجنس » بحيث يقمن بما تقوم به البنات والاولاد في نفس الوقت . وفي هذه الحالة يكافأ كلا الجنسين على ما يقوم به من انجاز وخاصة من الناحية التعليمية . فالبنات والأولاد يتنافسون في المجالات الرياضية داخل المدرسة دون أية مضاعفات سلبية . « ولكن عندما يتجاوزون مرحلة البلوغ تصبح ضغوط جماعة الاقران أقوى فيما يتعلق بالسلوك المختلف للبنات والاولاد ويبدو أن توجية الاقران بالنسبة للبنات والاولاد يزداد في نهاية المرحلة الاعدادية و بداية المرحلة الثانوية حيث توجد تفرقة واضحة بين الأولاد برفعهم والبنات بخفضهن »[1] .

ويبدو أن طبيعة الجماعة في الثقافات الفرعية للمراهق تكون لها معان مختلفة ودلالة بالنسبة للأولاد والبنات . ويرى « هنرى » أن النماذج الجنسية المختلفة تتطور الى حد ما قبل المراهقة وقبل الدخول في الثقافات الفرعية . ويرى أن أغلب الالعاب التى تلعبها جماعات الأولاد تتطلب فرقا (جمع فريق) وأنه من الصعب على الولد أن يتجنب حياة الجماعة والفريق مع أقرانه من نفس العمر والجنس »[2] . وعلى

1 - Hugh Floyd , jr. , and Donald R. South ,« Dilemma of youth : The Choice of Parents or Peers as a Frame of Refrence of Behavior , » Journal of Marriage and the Family , November , 1972 . P. 632 .

2 - Jules Henry , « Culture Against Man » , New York : Random house , 1965 , P. 150 .

خلاف ذلك نجد أن البنات يفضلن اللعب مع عرائسهن،وبقية أنواع اللعب الأنثوية ، ونادرا ما تجتمع البنات فى مجموعات تزيد على أربعة أفراد ، بينما مجموعة من أربعة أفراد بالنسبة للأولاد ليست ذات فائدة بالنسبة لهم . وهناك تأكيد فى مجموعة الأولاد على وحدة الذكور،أما فى مجموعات البنات فالمقصود بالوحدة هو إبعاد بنات أخريات »[1] . ويرى « هنرى » أيضا أن الاختلافات فى الجنس تنتقل بوضوح عند فترة المراهقة ، حيث يهتم الأولاد بالالعاب الرياضية مع زملائهم من نفس الجنس . أما البنت المراهقة فلا تهتم بأنشطة الجماعة بوجه عام ، وتميل الى الاندماج مع صديقة أو إثنتين لتبادل الاحاديث . ويزيد اهتمام البنت بنفسها وبولد ما مع تناقص الاهتمام بأقران السن .

وبالاضافة الى مسئولية الوالدين فهناك أيضا مسئولية الراشدين الآخرين عن تطور الثقافة الفرعية للمراهق . وللمدرسة أهمية خاصة فى هذا المجال لأنه أثناء ساعات الدراسة اليومية يكون المدرسين وبعض الراشدين بالمدرسة مسئولين عن وضع تحفظات البالغ على سلوك الطالب المراهق . وبالرغم من أن الوظيفة الاولى للمدرسة هى تعليم الطالب،فإن المراهق يجد أن الراشدين بالمدرسة وفى كثير من الأوقات يميلون الى الديموقراطية فى تعريف أدوار المراهق . بينما يعاملونه بطريقة متناقضة كما يفعل الوالدان معهم . ونتيجة لذلك فإن المراهق يدرك أن الراشدين بالمدرسة يعانون من نفس النقص الواضح من حيث تزويدة بتعريفات الدور كما يفعل والديه ومن هنا يلجأ الى قيم ثقافته الفرعية .

ومن ناحية أخرى ، فإن عالم الراشدين والوالدين والمدرسين وغيرهم يساهم سلبيا فى تطور الثقافة الفرعية للمراهق ، فنلاحظ أنهم فى الطبقة المتوسطة يضعون متطلبات دور محدودة للغاية أمام المراهق ، ونتيجة لذلك يكون لديه وقت فراغ كبير . وليس هناك شك فى أن ثقافة المراهقين فى العصر الحديث تختلف عن ثقافة هؤلاء فى الماضى ، كما تختلف هذه الثقافة من مجتمع لآخر . حيث أن الشباب المعاصر وخاصة الفئات المستقرة ماديا يكون لديهم الوقت والمال لتطوير نماذج

---

1 - Ibid . , P.150 .

السلوك والقيم الغريبة بالنسبة لأنفسهم . وتنتج الثقافة الفرعية للمراهقين أيضا نتيجة تحمل المجتمع لأعداد كبيرة من الصغار لهم وقت فراغ كبير وليس لهم أى دور فى قوة العمل فهم ليسوا سوى مستهلكين على نطاق واسع .
ونظرا لتوفر المال فى أيديهم والذى ينفقونه فى شراء سلع معينة فهم بهذا يشتركون فى إحدى خصائص عالم الراشدين وهى القدرة على الشراء . ويلاحظ أن رجال الاعمال يحرصون على إنتاج سلع تهم الشباب المراهق وتجذبهم لشرائها ، وهكذا فإن المراهق يكتسب شعور الراشد فى التعرف على بعض المجالات التى تعتبر بالنسبة له هامة للغاية .

وعند النظر الى الخصائص العامة والاهتمامات الخاصة بالمراهقين ، يجب ان نضع فى اعتبارنا أنه بين المراهقين كثيز من الشواذ أو المختلفين وأن قيم هؤلاء قد تتعارض مع قيم غالبية من هم فى سن المراهقة . فبينما ينحرف بعض الافراد عن النمط العام للمراهق ، فهناك أيضا بعض الجماعات الفرعية المنحرفة داخل الثقافة الفرعية للمراهق . وعلى سبيل المثال ، فإنه نظرا لاختيار بعض المدارس العليا لطلبتها فقد يكون لها قيم جماعية تضع اعتبارا كبيرا للانجاز العلمى المتفوق . وعندما يظهر هذا النموذج الفرعى للجماعة فإن عامل التماثل لمعايير الجماعة يكون قويا كما هو الحال فى تلك المدارس التى تكون القيم فيها على عكس ذلك . وعموما فسوف نحاول فيما يلى التركيز على بعض قيم الثقافة الفرعية الأكثر ظهورا بين المراهقين فى عالم اليوم .

أن احدى الطرق التى تجعل المراهقين مختلفين عن عالم الراشدين تكون من خلال اللغة الخاصة بهم . وهذه اللغة تحقق لهم الاحتفاظ بحدود خاصة بهم تصنع حاجزا بين عالمهم وعالم الراشدين . فقد يتحدث الصغير مع زميله فى التليفون « برطانة » تجعل الوالدين لا يفهمان ما يتحدث عنه .

ويتماشى المراهق فى كثير من الاحيان مع قيم أقرانه ليس عن اقتناع ولكن لأنه يخشى النتائج السلبية إذا هو رفض قيم جماعة اقرانه . وقد لا تكون النتائج السلبية موجهة اليه من أقرانه ولكنها قد تنشأ من خوفه من « التهديد » الذى يعتبر من القيم الشخصية السائدة عندهم .

ويلاحظ أيضا أن قيم عبادة الشخصية وعدم العقلانية عند المراهقين لا تختلف كثيرا مع قيم ثقافة الراشدين . فما يتفق مع التلاؤم الاجتماعي من الناحية التاريخيه ، هو أن الشباب كانوا دائما كارهين للتقاليد والاوضاع القائمة وبالتالى فهم فى ثورة دائمة . ورغم ذلك فإن المراهقين فى الوقت الراهن وكذلك الراشدين الشباب قد خلقوا نظاما للثقافة الفرعية يختلف عن نظام عالم الراشدين فقط فى مجالات عدم الملائمة الاجتماعية . فهم يختلفون عن الراشدين فى الملابس والموسيقى واللغة وكل هذه الاشياء ليست لها اهمية اجتماعية كبيرة . خاصة التلاؤم عندما يكون كل من الشباب والبالغين يميلون الى أن يكونوا متشابهين فى قبول مثل هذه القيم الاجتماعية مثل التوافق الشخصى والاعتدال العقلى . والنتيجة الهامة لهذا التشابه هى تحديد التغير الاجتماعى ، وفرض قيود على التعبير الفردى .

ومن منظور آخر ، فإن نسق قيم المراهق يعكس الانتقال من تعهد للآخرين الى تعهد للذات . وحقيقة التماثل فى المدرسة الثانوية لا تعنى بالضرورة تماثلا مع الآخرين ، ولكن « الافراد المميزين الآخرين » يعطون الامان لسلوك الفرد لأن الشخص المختلف حقا هو الذى يُعرف بأنه « كرة شاذة » بمعنى أن هناك خطأ ما فيه . فتعريف « سلوكه » بأنه خطأ يتضمن ان « سلوكك » سليم . ولذلك فإن سلوك هذا الشخص يكون أقل تهديدا للآخرين . وبالنسبة للمراهق ، فإنه نظرا لصغر سنه وقلة تجربته فإن الحاجة للاهتمام بالمراهق غير المتماثل تكون لها أهمية كبيرة .

وكما تبين فإن المراهق فى أغلب مجالات السلوك لا يختلف كثيرا عن والدايه فالصغار فى سن المراهقة والراشدين الشباب فى أغلبهم يريدون ما يريده عالم الراشدين ، كما أنهم قانعين وراضين عن طريقتهم فى الحياة . وأكثر من ذلك ، فإنهم متفائلين بوجه عام ويعتقدون أن مستقبلهم سيكون أفضل مما كان عليه مستقبل الأجيال التى سبقتهم . وهذا يوضح الى أى حد وصل الاتساق بين قيم جماعة المراهقين والشباب وقيم جماعة الراشدين ، كما يلاحظ أيضا وبصورة واضحة أن عددا كبيرا من المراهقين قد وصل الى مكانة تقدرها كل من المدرسة والاسرة .

وبينما يبدو أن عالم المراهقين يبتعد كثيرا عن عالم الراشدين فإن هذا غير حقيقى

فى كثير من الأوقات ، فهناك وقت قبل الوصول الى مرحلة الرشد يكون على الشخص الصغير أن يتخذ بعض القرارات التى لها تأثير هام على مستقبله . مثل القرارات التى يجب ان يتخذها الصبى عما إذا كان سيواصل دراسته الثانوية والعليا ام لا . فإذا اراد الا يستمر التعلم فإن ذلك يعنى أن مستقبله الوظيفى سيكون محدودا فى مجالات معينة ، واذا تابع تعليمه فيجب ان يختار مهنته بتقرير ما سوف يدرسه بالكلية . ومع ذلك فالملاحظ أن الاسرة وفى كل المستويات تقريبا تعتبر نفسها مسئولة عن هذا القرار الذى يجب ان يتخذه الشاب فى سن الثامن عشر عن اختيار مهنته وعلى أساس عقلى . فسواء التحق بالجامعة أم لا فإن اختياره يكون محدودا الى حد كبير وذلك لأنه تلقى تنشئة اجتماعية من خلال قيم والديه التى تفترض أنه سوف يواصل تعليمه الجامعى (خاصة فى الطبقة المتوسطة) فهو يتمثل بدون ادراك هذا الفرض فى نسق قيمه الخاص .

وبزيادة عدد السكان فى سن الجامعة ، فقد زادت النسبة المئوية فى هذه الجماعة من السن التى تحرص على متابعة دراستها بكليات الجامعة المختلفة . ونظرا لهذا التضخم الواضح بين هؤلاء فقد ظهرت مضايقات جديدة لكل من خريجى هذه الكليات وآبائهم . وبدأ كل فرد يتساءل : هل سوف يدخل الكلية التى تتفق مع اختيارة ؟ أو هل سوف يلتحق بكلية حسنة السمعة ؟ وفى السنوات الأخيرة بدأت كثير من المعايير التقليدية فى الاهتزاز ، وظهرت اتجاهات جديدة عن التعليم العالى بالنسبة للمراهقين وآبائهم ، والتغير الممكن لتحديد عدد من يلتحقون بالتعليم الجامعى هو التقليل من النواحى غير العقلية وإعطاء أهمية اجتماعية أكبر للذين يتمتعون بالقدرة العقلية المتميزة . فإذا أرغمت الكليات والجامعات الطلبة على أن يكونوا فى مستويات اكاديمية أعلى ، فقد تظهر تغيرات جذرية فى القيم العقلية والاتجاهات وخاصة عند الطبقة المتوسطة خلال الخمسة وعشرين عاما القادمة . وعندما يصبح مراهقى اليوم آباء للجيل القادم فإن علاقة الوالدين بابنائهم المراهقين ستختلف عما هى عليه اليوم[1] .

---

1 - Robert R . Bell , Or . Cit , PP . 506 - 507 -

وتعتبر المدارس ذات أهمية بالغة بالنسبة للمراهق والراشد الشاب نظرا لقيامها بالدور الاكبر فى وقت ونشاط الصغير . فقد استولت المدرسة فى العصر الحديث على حياة البيت ودور الاسرة ، وذلك للوقت الطويل الذى يقضيه المراهق فى المدرسة . فعند إضافة الانشطة بعد اليوم المدرسى الى وقت الدراسة وكذلك وقت الذهاب والعودة فان المراهق بهذه الصورة يقضى معظم يومه خارج المنزل . ففى المدرسة يقوم المراهقون بتكوين أغلب صداقاتهم ويتعلمون أكثر دروسهم ، وهم فيها يتلقون النصائح والتشجيع ويتأثرون بعمق عن طريق أخصائيين ينوبون عن الآباء . ويتطلب أى نظام اقتصادى متطور تدريب الشباب المتخصص من أجل مستقبلهم كراشدين . ويشير نوع هذا التدريب الى « تزايد اعتماد الاطفال على مؤسسات أكثر من اعتمادهم على أسرهم بالنسبة للمعنى الوظيفى لملائمة أنفسهم لأدوارهم فى المستقبل[1] .

مرحلة الانطلاق

نلاحظ من المناقشة السابقة عن المراهقة أنها قد تعدت فى بعض النقاط المختلفة ما يسمى « بمرحلة الانطلاق » وهى الفترة التى ينتهى فيها الأبناء من مرحلة المراهقة ويبدأون فى مغادرة منزل الوالدين للدراسة أو العمل أو الزواج . وتتميز هذه المرحلة من حياة الاسرة بتغيرات من نوع جديد « ففى خلال مرحلة الانطلاق تتغير الاسرة فى حجمها وتتسع أيام الاجازات فى البداية ثم تضيق بعد ذلك . أنها أسرة لا يمكن التنبؤ بمستقبلها سواء على المستوى الأسرى أو الفردى »[2] . والواقع أن مرحلة الانطلاق فى الاسرة هى مرحلة انتقالية بين أسرة التوجيه وأسرة الانجاب .

وكما هو الحال فى مرحلة المراهقة ، فإن سنوات « الشباب الراشد » ينظر اليها غالبا على أنها سنوات تمرد وثورة ضد الوالدين والراشدين الآخرين بوجه عام . وتعطى أغلبية الطبقة المتوسطة إنطباعا بأن الكثيرين من طلبة الكليات يكونون فى حالة

---

1 - Ed ward Z. Dager , « Socialization and Personlatiy Development in the Child » , in Harold T . Christensen (ed.) Handbook of Marriage and the Family , Rand Ncnally and Co. , Chicago , 1964 , p. 774 .

2 - Waller and Hill , Family , P. 431 .

« احتجاج » لبعض الوقت أو لكل الوقت بالنسبة لبعضهم . أما الغالبية فهم ليسوا متمردين أو ثائرين ، كما أن اهتمامهم بالمشاكل الاجتماعية محدود للغاية فيما عدا المشاكل التى تؤثر فيهم شخصيا . وهم أيضا ليسوا مهتمين بالعملية التعليمية بسبب دوافعهم العقلية القوية ولكن لأن الحصول على مؤهل تعليمى مرتفع يؤدى الى مكافآت اقتصادية أكبر فى المستقبل فضلا عن المكانة الاجتماعية الراقية . كما يلاحظ أن اغلب طلبة الكليات ليست لديهم مشاعر قوية نحو الحاجة الى تغيير النظام الاجتماعى حيث يبدو أنهم قانعين بالحالة الحاضرة .

وترجع أهمية مرحلة الانطلاق أيضا الى أنها ترمز فى كثير من الحالات الى فترة تحول الدور من المراهق الى الراشد . ففى هذا الوقت يصبح الاستقلال بالنسبة للشاب مهما جدا ، لأن تزايد الاستقلال يعتبر ذو أهمية كبيرة فى كيانه الاجتماعى كراشد . ومع ذلك فالاستقلال الكامل معناه تحطيم الوجود الطويل لروابط الاعتماد التى كانت مع الوالدين . وبينما ينقاد الوالدان والابناء الى هذا الدور فليس من المقبول دائما انغماسهم فيه فغالبا ما تعطى « مرحلة الانطلاق » موقفا تكون توقعات الوالدين وأبنائهم الشباب الراشدين غير منسجمة .

وتتركز إحدى المشاكل الرئيسية أثناء مرحلة الانطلاق حول قدرة الوالدين على إطلاق أبنائهم ورفع أيديهم عنهم . وقد ترجع هذه المشكلة جزئيا الى أنه ليس هناك استعداد ثقافى عند هؤلاء الآباء الذين يريدون الاستمرار فى الارشاد والسيطرة . ففى الماضى كان واجب التنشئة الاجتماعية هو إعداد الطفل نفسيا وعقليا كى يظل مع أسرته وليس ليتركها ويكون وجودا مستقلا . وعندما يحين وقت الاستقلال فإن المتوقع من الوالدين أن يسمحوا لابنائهم به ، ولكن نظرا لأن هذا الموقف يحدث بعد سنوات طويلة من التفاعل مع أطفال يعتمدون على والديهم كلية فإن التصريح بذلك يكون صعب التنفيذ عمليا .

وقد يكون الموقف أكثر تعقيدا حينما يكون بعض الراشدين الشباب لا يريدون أو ليسوا مستعدين للاستقلال عندما يريد والديهم ذلك . ولكى يكون التصريح أو السماح بالاستقلال ناجحا فإنه لا بد أن يكون الوالدان وأبناؤهم لديهم الرغبة والارادة لفعل ذلك .

وتمثل هذه الفترة من الزمن نقطة ضعف فى زواج الوالدين ، فقد بينت إحدى الدراسات فى هذا المجال أن كلا من الزوج والزوجة يضعون لعملية تربية الأطفال أهمية بالغة وكذلك مراحل التربية المبكرة فى زواجهما ، وتظهر نقطة الضعف حينما « يطلقون » أبناءهم من المنزل . وقد يعنى هذا الاشارة الى الرضى بالأبوة اكثر من الرضى بالزواج نفسه[1] . ولكن مهما كان السبب فإن الشعور بالضعف عند بعض الآباء فى هذا الوقت يجعله أكثر صعوبة فى التعامل مع أبنائهم الذين يتركون المنزل دون ضغوط أو توترات شخصية من ناحيتهم .

وبالرغم من وصول الابناء الى سنوات الرشد فإن هذا لا يعنى أن الوالدين لم يعد لهما الاهتمام الانفعالى القوى بالنسبة لمستقبلهم . ويشير « ديفيز » الى ان هذه الفترة قد تؤدى الى صراع فى اهتمامات كثير من الآباء « لأن مطالب « الابن » فى الاستقلال سوف تحرر الوالدين من كثير من الواجبات المتعلقة به . فهم « الآباء » يرغبون فى التخلى عن سلطتهم ومع ذلك فنظرا لأن حالتهم تتشابه اجتماعيا والى حد كبير مع حالة أبنائهم فهم يرغبون فى التأكد من سلوك قويم من ناحية الابن ولذلك فهم يميلون الى إطالة مدة سلطتهم وذلك باتخاذ القرارات بأنفسهم »[2] .

وهناك مشكلة أخرى تتعلق بالوالدين أثناء فترة الإنطلاق وهى أن حركة الابن الشاب ليست دائما ذات استقلال كامل . فالشاب لا يترك والديه فى الحقيقة ، إذ غالبا ما تستمر حياته فى المنزل بالرغم من أن ذلك قد يكون لفترة معينة وليس كما يحدث فى سنوات الشباب التالية . ونظرا لانتشار التعليم النظامى فإن هناك نموذج عام وخاصة فى الطبقة المتوسطة وهو استمرار الاعتماد الاقتصادى للابن أو الابنة على الأسرة . وبالرغم من ذلك فإن الابناء يكونون فى نفس الوقت ناضجين بيولوجيا وسيكولوجيا وقادرين على اتخاذ القرارات الفردية المستقلة ويتنافسون اجتماعيا ليتلاءموا مع مجتمع الراشدين .

Boyd . C . Rollins and Harold Feldman , « Marital Satisfaction Over the Family Life Cycle » , Journal of Marriage and the Family , February , 1970 . P. 26 :

2 - Davis , « Adolescense » , op. Cit, P. 381.

وبالقاء نظرة أكثر تحديدا على دور العلاقات فى مرحلة الانطلاق ، فإن هذا سيكون مفيدا فى تمييز بعض الاختلافات التى تظهر فى هذه الفترة بالنسبة للأم والأب والإبنة والإبن .

الأم :

تشير نتائج الدراسات الى أن دور الأم هو الذى يتحمل أكبر الصفات الانفعالية فى أدوار العائلة ككل . ففى معظم المجتمعات تقريبا تعزى العاطفة القلبية والشعورية الى الأم ، وهى غالبا ما تشعر بالاقتراب من نهاية دورها عند وصول الابناء الى درجة النمو التى تتيح لهم أن يتركوها . فإذا لم يكن للأم اهتمامات خاصة فإنها تقوم بأدوار كثيرة مثبطة للآمال . وحتى إذا كان لها إهتمامات أخرى فقد تعانى من فترة توافق صعبة لفقدان دورها كأم . فأدوار الامومة فى العصر الحديث لا تنتهى بصورة تدريجية كما كان يحدث فى الاسر كبيرة العدد فى الماضى . وأكثر من ذلك فإن الامهات اليوم لسن مستعدات جسمانيا ولا نفسيا كما كانت جداتهن اللائى كن يتقاعدن الى ممارسة اشغال الابرة والاعمال المنزلية المختلفة عندما يترك أبناؤهن المنزل . وقد تبين من دراسة أخرى أن بعض نتائج دور الأم فى المجتمع الامريكى قد أدى الى نتائج غير سارة لكل من الأم وأطفالها ، فنظرا لأن الأم أكثر أنهماكا فى دور الأمومة من الأب فليس من المدهش أن يكون لها القدر الاكبر من مشاكل الوالدين . وعندما يرتبط الآباء والامهات بأبنائهم فإن العلاقة الغالبة فى عدم الاتفاق بين الطفل المراهق وأحد والديه تكون علاقة الأم والإبنة[1] .

ويبدو أيضا أن هناك دليلا قويا يربط بين كثير من المشاكل التى تظهر فى سنوات الرشد وبين عدم الكفاية المبكرة فى علاقة الأم بالطفل . فعندما يكون الابن هو صاحب المشاكل « الفشل » فإنه يكون ظاهرا أمام المجتمع من حوله ، بينما

---

1 - Thomas S. Langner and Stanley T. Michael , « Life Stress and Mental Health » . New York : The Free Press of Glencoe , 1963 . P. 259 .

فشل الإناث لا يكون ظاهرا اجتماعيا . ولكن كما ترى « اليس روسى » « فإن هذا يعتبر قصر نظر إذا نظرنا الى الزوجة غير الناضجة أو الأم المسيطرة أو الحماة التى تتدخل فيما لايعنيها على أنها مشاكل أقل خطورة للمجتمع الأكبر من مشاكل أخرى مثل الجنسية المثلية عند الذكور أو الجندى العصابى أو العامل غير الكفء ، لأن فشل هؤلاء جميعا وظهورهم بهذا المظهر المرفوض اجتماعيا هو أولا فشل الأم فى أدائها لدورها الذى يكمل الدائرة من جيل الى الجيل الذى يليه ويؤثر فى الأبناء والبنات »[1] .

وبالتعرف على المشاكل التى تواجه الأم فليس من المدهش أن نجد أن أغلبهن يقاومن بوعى أو بدون وعى الاستقلال النامى لابنائهن خلال سنوات الانطلاق . فكثير من الوالدين و الامهات بنوع خاص يحتفظون بدور الوالدين ويعدلونه بالنسبة لأبنائهم ، حتى بعد أن يترك هؤلاء المنزل ويتزوجون . فقد تبين وجود « نماذج المساعدة » المختلفة فى معظم طبقات المجتمع . فالوالدين يستمران فى الاندماج فى حياة أبنائهم حتى بعد زواج هؤلاء ، وهذا الوضع يسمح للأم أن تلعب دورا معدلا للأم على الأقل .

وقد وجد « آدمز » أن كل أشكال المساعدة للزوجين كانت أكبر أثناء العشر سنوات الأولى من الزواج ، وأن المساعدة المالية كانت تتأثر قليلا بالاختلافات فى بعد مكان السكن عن الوالدين وأبنائهم المتزوجين . وقد وجد « آدمز » أيضا أنه فى زيجات الطبقة المتوسطة والعاملة أن والدى الزوجة يقدمان مساعدة أكبر مما يقدمه والدى الزوج[2] . وتمثل هذه النماذج بعض التعديل فى الدور التقليدى للوالدين وأبنائهم المتزوجين . فاستمرار المساعدة بعد زواج الابناء يجعل السلوك مشابها فى بعض أوجهه مع علاقة التفاعل التى كانت موجودة عندما كان الابناء أصغر سنا . وهذا فى واقع الأمر تغير عن النموذج التقليدى لاستقلال الذكر بعد

1- Alice S. Rossi , « Equality Between the Sexes » Daedalus . Spring . 1964 , P. 621 .

2- Bert N. Adams , « Structural Factors Affecting Parental Aid to Married Children » , Journal of Marriage and the Family , August 1964 , P. 330 .

الزواج . وفى كثير من الأحيان قد يقبل الأبناء المساعدة المالية وكذلك التأثير فى إتخاذ القرار من الوالدين . وفى أغلب الحالات فإن نموذج هذه المساعدة يكون بين الوالدين وابنتهم المتزوجة ، لأن الابنة تميل الى أن تكون أقرب الى علاقاتها مع والديها بعد الزواج أكثر من الأبن . فإذا كانت هذه هى الحالة فإن الزوج الشاب لايقبل المساعدة من أسرته فقط،ولكن قد تكون هذه المساعدة من جانب أصهاره أيضا . ويبدو أن الزوج الشاب فى العصر الحديث يرغب فى تقبل المساعدات بعد زواجه ولا يشعر بأن دوره معرض لأى تهديد حتى عندما تأتى المساعدة من أصهاره .

الأب :

يمكن أن تنطبق بعض « نماذج المساعدة » فى الطبقة المتوسطة والعاملة التى أشرنا اليها سابقا على الأب فى فترة الإنطلاق وبعدها . ونظرا لأن اندماج أو انغماس الأب فى دوره ليس كبيرا كاندماج الأم فى دورها فإن الابناء عندما يكبرون ويتركون المنزل فإنه لا يتأثر كثيرا كزوجته . « فعادة يكون التوافق الذى يقوم به الأب أقل إيلاما لأنه فى الغالب يستمر فى آداء دوره كانسان يكسب رزقه ، وفى موقعه كممثل للاسرة فى عالم العمل . أما دوره كأب فى انشطة « الأب — الابن » فهو أكثر سطحية من أن يكون مركزا على تنظيم حياته ، و من ثم فإن رحيل الابناء الى الكلية ثم الى الوظائف ثم الى الزواج لا يهدد طريقته فى الحياة بشدة »[1] . وبالرغم من ذلك ، فإنه نظرا لأن فقدان الابناء قد يعنى الكثير لزوجته فإنه قد يحتاج الى مساعدتها على التكيف والتوافق مع خسارتها لدور الأم . وهكذا ففى بعض المواقف يجد نفسه مندمجا فى الموقف ليس بطريق مباشر فى دوره كأب ، ولكن بطريق غير مباشر باعتباره زوجا .

وقد تتضمن بعض مشاكل الأب اثناء فترة الانطلاق فترة السن التى يمر بها أكثر من الخسارة الفعلية لابنائه بتركهم المنزل . ففى الوقت الذى ينمو فيه الأبناء فإن الرجل قد يواجه بعض الحقائق المعينة التى قد تزعجه ، فقد يجد أنه لن يصل الى ما

1 - Waller and Hill , « Family » , P. 429 .

كان يصبو اليه فى المهنة التى يشغلها ، وأن عليه أن يتكيف مع واقع الأمر ، وقد يواجه أيضا نقص القدرة والاهتمام بالناحية الجنسية والارتباط بين هاتين الناحيتين قد يشعره بتهديد ذكورته . وأخيرا فإن الأب غالبا ما يجد نفسه مرغما على أن يقارن بين نفسه وبين الشباب القوى لابنائه وبناته وأصدقائهم.

الإبنة :

غالبا ما تلتصق البنات أكثر بالوالدين قبل وبعد الزواج أكثر مما يفعل الابناء . فالانثى تميل إلى أن تكون أكثر اتصالا بوالديها وهى أكثر اشتياقا لرؤيتهم من الأبناء الذكور فهن ينشأن فى ارتباط أكثر مع والديهم وغالبا ما تستمر هذه الروابط فى قوتها حتى بعد الزواج .

وهناك دليل يؤيد الانطباع بأن البنات اللائى لم يتحررن من سلطة الآباء يكون ارتباطهن بالزواج قويا . وربما تكون البنت التى لم تتحرر من سلطة والديها لها رغبة أقل فى الزواج ، ولكن حتى اذا كان ذلك صحيحا ، فإنها تستطيع الى حد ما معتمدة على والديها بدون تعريض امكانياتها للقيام بدور الزوجة للخطر . ولهذا النوع من العلاقة بين البنت – والوالدين فإن الانتقال من توجية الاسرة الى أسرة الانجاب يكون لطيفا نسبيا .

وقد تبين من بعض الدراسات أن المستوى التعليمى للوالدين يرتبط بصورة ودرجة التصاق البنات بوالديهم وارتباطهن بهم . وقد قام التحليل فى هذه الدراسة على أساس المستوى التعليمى للأمهات ، وقسمت البنات الى ثلاث مجموعات طبقا لدرجة تعلم الأم . مثل « متخرجة من كلية » و بعض التعلم الجامعى » ، « لاتعلم جامعى » ، وقد تبين أن العلاقات بين الامهات المؤهلات جامعيا وبناتهن أكثر إيجابية . كما كان لمجموعة « خريجات الكليات » أيضا أعلى صورة إيجابية تشير الى العلاقة الوثيقة بالأب . ولعل هذا التوافق والانسجام بين الآباء وبناتهم يرجع الى أن الابنة تكون فى الجامعة والوالدين متعلمين جامعيا ولهذا يميلون الى أن يكون لهم مجالات أقل لعدم الاتفاق ، وهم يقبلون نفس القيم العامة التى تتفق مع مستويات تفكيرهم ودرجة تعليمهم .

وفى دراسة أخرى تحلل دور الابنة أثناء مرحلة « الانطلاق » اجابت ٢٩٩ إبنة وأمهاتهن على مجموعة من الاسئلة تتعلق بدور الابنة ، وأشارت النتائج الى عدد من مجالات الصراع بين الامهات والبنات فى تحديد دور الابنة ، وكانت النتائج الكلية للأم والابنة هى :

«فى مجال اختيار الزوج أو الزوجة « شريك الحياة » كانت الامهات أقل تأثرا بالاتجاهات « الرومانسية » عند التفكير فى أزواج لبناتهن . وتقود قيم الام الى الاعتقاد بأن الابنة يجب أن تؤكد أكثر على الاتجاه « العقلانى » فى اختيار شريك حياتها . ويضاف الى هذا اعتقاد كثير من الامهات بأن لهن السلطة أكبر فى الاعتراض إذا شعرن بضرورتها بالنسبة لاختيار بناتهن لرفيق حياتهن أكثر مما يجب ان تشعر به الابنة . وتوضح هذه الاتجاهات المختلفة أنه اثناء « فترة الانطلاق » فإن مسألة اختيار الزوج المناسب تعتبر مصدرا محتملا للصراع بين الامهات والبنات . هذا فضلا على أن تركيز البنات على إقامة بعض الروابط الوثيقة مع إحدى الصديقات ، ووضع اعتبار كبير للأب فإن هذا يخلق مجالا آخر للصراع . وقد تكون المساعدة المالية من الابوين مجالا ثالثا للصراع »[1] .

وتشير النتائج الى أن « مرحلة الانطلاق » كما تدركها الامهات وبناتهن الموجودات بالكلية الى عدد كبير من المجالات الممكنة لعدم الاتفاق والصراع . فالابنة تكون فى طريقها الى الانفصال عن منزل الابوين . « فهى تعيش فى مجتمع يشجعها ويطالبها بأن تكون هى صانعة القرار . ومع ذلك فالابنة غالبا ما تكون ممزقة بين حبها لامها وواجباتها نحوها ورغبتها المتزايدة فى الاستقلال . وترجح كثير من الامهات هذا الاعتقاد التقليدى بأن الوالدين هما أصحاب الحق فى صنع القرار النهائى »[2] .

---

1 - Robert R. Bell and Jack V. Buerkle , « Mother - Daughter Conflicts During the « Launching Stage . « Marriage and Family Living . November 1962 , P. 386

2 - Ibid . P. 388

ويتركز جزء من الصراع بين الأم والابنة حول تحديد دور السلوك المناسب للابنة . ففي سنها الصغير يتحدد دور الابنة الى درجة كبيرة عن طريق الأم . وعندما تكبر فهي تتأثر بأشياء أخرى تضفي عليها أهمية خاصة وتطبقها على نفسها في حركتها نحو تحقيق الذات . بالرغم من ذلك فإن الام غالبا ما تستمر فى رؤية دور الإبنة كما حددته فى الماضى ، وتضع نفس الاهتمام على وظيفتها كأم فى تحديد دور ابنتها ، ولكن نظرا للتغير السريع فى المجتمع ، فإن التعريفات التقليدية لأدوار أفراد الأسرة لم تعد مناسبة ، ولذلك فإن مفهوم الابنة عن دورها أثناء « مرحلة الانطلاق » يختلف فى درجته على الأقل عن دور أمها[1] .

وتتأثر علاقات الابنة بوالديها فى فترة الانطلاق بعدة عوامل ، أولها : الحاجة الى درجة عالية من التحرر من سلطة الوالدين والتى هى أقل بالنسبة للبنات اللاتى لازلن يقبلن كثيرا من قيم ووظائف الادوار التى يقبلها الوالدان . وثانيا : فإن هؤلاء البنات اللاتى يواجهن أكبر قدر من الصراع هن فى الغالب اللاتى يعملن فى نطاق مفهوم للدور الذاتى يختلف عن مفهوم الوالدين وخاصة الأم . ويحدث هذا عندما تتأثر الابنة بشدة بنظام قيم يختلف عن نظام قيم الوالدين . وثالثا : إن الصراع يحدث لكثير من البنات أثناء « مرحلة الانطلاق » ولكن عندما تكون الامور مستقرة بينها وبين أسرتها فإن الصراع قد يتناقص الى حد كبير .

الابن

من المتعارف عليه على نطاق واسع وفى كل المستويات الطبقية تقريبا عالميا ومحليا أن الابن الذى يدخل « مرحلة الانطلاق » يحتاج الى تحرر أكبر من الاسرة أكثر من احتياج الابنة . فضغوط المجتمع عليه تكون قوية جدا بحيث تدفعه دفعا ليعبر عن استقلاله والذى يفهم غالبا على أنه علامة على تحقيق الرشد . والاستقلال يمكن أن يتحقق عند الابن أكثر من الابنة لأن تحرر الذكر من الاسرة واضح المعالم . ومن الادلة على ان الذكر يحقق الاستقلال وخاصة عن الأم هو أن العلاقة الوثيقة

---

1 - Ibid , P. 388 .

والاعتماد الشديد عليها يتناقص تدريجيا وبتقدم الابن فى السن ، وفى نفس الوقت يمكن للابن الا ينفصل بشدة عن أبيه ومع ذلك يستمر فى تحقيق دوره الوظيفى كراشد . وينشأ هذا غالبا عندما يقوم الابن بنفس مهنة الاب أو بمهنة مشابهة لها . وقد يشعر الابن بحاجته الى الاستقلال عن الاب عندما تكون مهنة الابن من اختيار الاب وليس من اختيار الابن نفسه .

١ – يعطى الوالدان للابن فرصا مبكرة واكثر عددا للعمل المستقل .

٢ – يعطى الوالدان لابنائهم من الذكور خصوصية اكبر فى شئونهم الشخصية .

٣ – يرتبط الابن بنظام بنوى أو واجبات والتزامات قرابية أقل مما تفعل الابنة .

وعموما فإنه عندما ينتقل الابناء الى أدوار الرشد فإن علاقاتهم مع والديهم تتعرض لتغيرات وخاصة عندما يتحرك الوالدان نحو أدوار الاجداد والجدات . وأخيرا فإنه قد يحدث نوع من التبادل عندما يعتمد الآباء المتقدمين فى السن على أبنائهم الراشدين لرعايتهم أو إعالتهم .

الزواج والاسرة فى السنوات المتوسطة المتأخرة

أولا : فترة ما بعد الابوة :السنوات المتوسطة

لقد استخدمت عبارات عديدة للتعبير عن هذه الفترة من عمر الزواج والاسرة وهى فترة ما بعد ترك الابناء للمنزل . ومن بين هذه المصطلحات نجد مثلا : « مرحلة العش الخالى » و « مرحلة الانطلاق » أو فترة « انكماش حجم الاسرة » . أما المصطلح الذى سوف نستخدمه فى هذا الفصل فهو « ما بعد الابوة Postparental . وقد حدد كل من « تومسون وستريب » هذه الفترة فى حياة الاسرة بأنها تلك التى تشمل :

(١) الاسرة فى حالة النضج المتأخر وهى ما بين ٤٥ - ٥٤ من العمر .
(٢) الأسرة ما قبل الاعتزال أو ما قبل التقاعد وهى ما بين ٥٥ - ٦٤ من العمر .
(٣) الاسرة فى حالة الاعتزال المبكر وهى ما بين ٦٥ - ٧٤ من العمر .
(٤) الاسرة فى حالة الاعتزال المتأخر وهى من سن ٧٥ وما بعده[1] .

وسوف نتناول فى هذا الجزء من الدراسة مرحلتين فقط من مراحل نمو الاسرة وهما : حالة النضج المتأخر، والاسرة قبل سن الاعتزال أو الاحالة الى التقاعد أى فترة العمر التى تتراوح ما بين ٤٥ - ٦٥ سنة .

١ - الحالة الزواجية وامتداد السنوات المتوسطة

تستمر الفترة التى تلى ترك الابناء لمنزل والديهم مدة أطول من أى مرحلة أخرى فى دورة الحياة الزوجية . ويعتبر هذا الوضع شيئا عاديا بالنسبة للأسرة المصرية بوجه

1 - Wayne E. Thompson and Gordon F. Streib , « Meaningful Activity in a Family Context : «Social and Psychological Aspects of Aging» New York : Colombia University Press , 1962 , PP. 905 - 912 .

عام وخاصة فى الماضى وفى المناطق الريفية فى الوقت الحاضر حيث يتزوج الناس فى سن مبكرة وينجبون فى سن مبكرة كذلك ، وهكذا يكبر اولادهم ويغادرون المنزل إما للزواج أو للعمل ومازال آباؤهم فى سن صغيرة مما يجعل الفترة التى تلى مغادرة الابناء لهم طويلة حد ما . بعكس الحال فى المناطق الحضرية ، حيث يتزوج الناس عادة فى سن متأخرة وبالتالى فان الابناء يغادرون المنزل عندما يكون الآباء قد تقدمت بهم السن . وعموما فهناك فترة ما بعد الأبوة تستمر من ثمانية عشر الى عشرين عاما تبعا لظروف كل أسرة . فنظرا لأن الزواج فى مجتمعنا بوجه عام يحدث مبكرا فان الاطفال يولدون مبكرا ايضا ، ونتيجة لأخذ كثير من الاسر بوسائل تنظيم الأسرة فان الأطفال أصبحوا أقل عددا مما يساعد الوالدين على التخلص مبكرا من مسئوليات رعاية الأطفال وتربيتهم ، وتعطى هذه العوامل مجتمعة للزوجين فرصة مناسبة كى يعيشوا معا قبل الاحالة الى التعاقد أو قبل الوفاة لأحدهما أو كليهما .

ب - أهمية السنوات المتوسطة

تعتبر السنوات المتوسطة بالنسبة لعدد كبير من الازواج والزوجات « بداية الحياة Prime of life » فرجال الأعمال والمهنيين بوجه خاص يصلون الى المراكز المرموقة وأعلى المستويات الدخل فى هذه الفترة . ويقرر « هافيجورست » أن جريدة باريس عقدت محاورة صحفية عنوانها « أفضل عشر سنوات فى الحياة »

حيث ادلى الرجل الفرنسى الذى فاز بالجائزة الأولى أن احسن عشر سنوات فى العمر كانت ما بين الخمسين والستين . وقد برر ذلك بالأسباب التالية :

١ - ان الرجل فى هذه السن (اذا كان عنده بنات) يكون قد زوج بناته ، وتخلص من مسئوليته المادية تجاههن .

٢ - ان منافسو الرجل فى العمل يكونوا من الكبر بحيث يفقدون تأثيرهم عليه ، أو صغار جدا بالنسبة له ولا تجربة لهم بحيث لا يخاف منهم .

٣ - إذا كان هناك أى أمكانية للحصول على ميراث تكون هذه الفترة .

٤ - يستطيع الرجل فى هذه الفترة الاستمتاع الكامل بوقت فراغه وممارسة اهتماماته وهواياته[1] .

ويبدو أنه من الملائم أن نعتبر سن اليأس Menopause وعاء تفسيريا يغطى أى مشاعر أو أعراض تنشأ بين سن الاربعين وسن الخمسين . وقد استنتج « ستجليتز » فى ١٩٤٦ أنه فى حالات عديدة كان سن اليأس هو سبب الراحة والاسترخاء وزيادة المتعة بالنسبة للنساء الناضجات[٢] .

وقد دارت مناقشات عديدة حول ما إذا كانت السنوات المتوسطة كئيبة ومليئة بالتوتر أو أنها ربيع العمر كما ذكرنا من قبل ، وقد تبين من إحدى هذه المناقشات أنه ارتباطا بالعمليات الطبيعية والتغيرات فيها ، فإن هذا الوقت الذى لا بد للرجال فيه « أن يتقدموا Get ahead » كما أنه بالنسبة لكثيرين منهم « يكون الآن أو لا يكون أبدا » ، وأيضا هى فرصتهم الأخيرة فى تحقيق الموقف الذى كانوا يحاولون تحقيقه ، أو الكتاب الذى كانوا سيكتبونه ، أو محاولة الوصول الى مكانة « النجم اللامع » قد يصبح حلما لا يمكن إنجازه أبدا . وأيضا صورة الرجل الوسيم التى كانت تجذب النساء منذ عشر أو عشرين سنة مضت قد تتحول لإقناع نفسه برجولته . هذا فضلا على أن مصروفات حفلات زفاف الابناء أو المصروفات الدراسية ورحيل الابناء ، كل هذه العوامل قد ينتج عنها متاعب عديدة أو اضطرابات مستمرة . فنتيجة لهذه المناقشة يتبين ان السنوات المتوسطة تكون جافة وصعبة من كافة النواحى سواء كانت جسمية أو اجتماعية أو انفعالية .

وبالرغم من هذه النتائج التشاؤمية التى توصلت اليها المناقشة السابقة بالنسبة لسنوات العمر المتوسطة فهناك مناقشة مضادة ترى أن هذه هى الفترة من الحياة التى تكون فيها الاشياء أكثر بريقا ولمعانا . فالدخل فى أعلى مستوياته ، ووقت الفراغ كبير بحيث تكون الفرصة كاملة لممارسة الهوايات والاهتمامات الخاصة ، وكذلك انتهت فترة تحمل المسئوليات ومطالب الاطفال ، وأصبحت الفرص المتاحة الآن لا

---

1 - Robert J. Havighurst , « Middle Age - The New Prime of life » in Clark Tibbitts and Wilma Donahue (eds.) , Aging in Today's Society . Englewood Cliffs , New Jersey : Prentice - Hall Inc. , 1960 , P. 140 .

2 - Edward J. Stieglitz , « The Second Forty Years » , New York , Lippincott and Co. 1946 , P. 197 .

تشبهها أى صورة مرت بها الأسرة من قبل . فأى رأى من الآراء السابقة هو الصحيح ، وهل من الممكن أن يكون كل منها صحيح ؟ .

وعموما فإنه يمكن الحكم على فترة الحياة « ما بعد الابوه » كحياة طيبة على أساس معيار واحد وهو الحرية التى تقدمها هذه الفترة : الحرية من المسئوليات المالية ، والحرية فى الانتقال (مكانيا) ، والتحرر من الاعمال المنزلية والاعمال الروتينية اليومية الاخرى ، وأخيرا الحرية فى أن يكون الشخص هو ذاته ولأول مرة منذ أن رزق بأطفال ، ويشير « دويتشر » الى وجود ماهو أهم من هذه الحريات جميعا وهو إعادة تحقيق الذات والمشاركة الزوجية التى يبدو أنها تباعدت عنهما نتيجة انشغالهما مع أبنائهما . وقد تكون هذه الاشكال الجديدة من العلاقات المتبادلة بين الزوجين وفهم الذات هى الفائدة الحقيقية التى تعود على مثل هذه العائلات[1] .

أما الصعوبات غير المفضلة أو غير مرغوب فيها التى تواجه الاسرة ، فإنه بالرغم من ندرتها الا أنه من الملائم أن نشير اليها وهى ترتكز حول ثلاث مجالات :
١ - حلول سن اليأس فى سن مبكرة وبعض نواحى العجز المرتبطة بالتقدم فى السن .
٢ - المعرفة النهائية وتحديد الذات كشخص « فاشل » سواء فى مجال العمل أو بالنسبة لعملية تربية الأطفال .
٣ - عدم القدرة على ملأ الفراغ العائلى والناتج عن رحيل الابناء .

ويرمز غياب الابناءالى استقلالهم الجديد ، ومنذ ذهاب الابناء (اى مغادرتهم للمنزل وتكوين حياة اسرية خاصة بهم) . فإن أمهاتهن يبدأن بتكوين علاقات جديدة غير عائلية لملأ الفراغ . فكثير من النساء فى هذه الفترة من العمر يصبحن أكثر نشاطا فى الشئون المدنية و الدينية كما يتزايد عدد الزوجات والامهات اللاتى يلتحقن بالعمل فى سن متأخرة .

---

1 - Ibid , P. 56 .
2 - Ibid , P. 56 .

أن فرص التحاق المرأة (الزوجة والأم) تصبح أكبر بتقدمها فى العمر أكثر منها فى اى وقت بالنسبة لدورة الحياة الزوجية . فلماذا تعمل هؤلاء النساء؟ وللاجابة على هذا السؤال يمكن تقديم العديد من الاسباب الشخصية ، الا أن اكثر الاسباب ارتباطا بالعمل هو « النقود » ، فمن المشكوك فيه أن النسبة المئوية للنساء العاملات كانت ستكون بهذه الدرجة من الارتفاع لولا الدخل الذى يقدمه العمل لهن . والدخل المطلوب قد يكون ضروريا لتسديد الديون أو شراء احتياجات المنزل...الخ

وقد يرتبط الدخل أيضا بإحتياجات المستقبل مثل مصروفات الكلية أو شراء سيارة جديدة،أو شراء منزل،أو الادخار لما بعد الاحالة الى المعاش . وقد لا تكون هذه الدوافع قائمة على احتياج مالى فعلى ، ولكنه يحسم ويعبر عنه بصيغ مالية . ومن الواضح أن هناك عوامل كثيرة غير المال هى التى تؤثر فى قرار البحث عن وظيفة مدفوعة الأجر .

ومن المحتمل أن العمل قد يمد الزوجة بجزاءات معينة لا يمكنها الحصول عليها كونها مجرد أم وربة منزل . فالشعور بالانجاز والنجاح وأنها معروفة ، والمكانة التى تشغلها ، والاهمية فى المجتمع وكل تلك العوامل التى تنتج عن المشاركة فى العمل والأصدقاء هى مشاعر لا تتهيأ فى الحياة العائلية . وبالاضافة الى ذلك فإن كثيرا من النساء وخاصة من منهن فى السنوات المتوسطة من العمر أو اللاتى ليس لديهن أطفال فإنهن فى العادة يشعرن بالضيق والملل كما يشير الى ذلك « هوفمان » حيث يرى أن التقدم التكنولوجى جعل دور المرأة كربة منزل أقل استهلاكا للوقت وأقل ارضاء لها ، مما يدفع بكثير من الامهات الى البحث عن وظيفة فى الخارج لتملأ فراغ يومها[1] .

---

1 - Lois Wladis Hoffman , « The Decision to work » in F. Ivan Nye and Lois Wladis Hoffman , The Employed Mother in America », Rand Mcnally and Company , Chicago , 1963 , P. 38

وهناك بعض العوامل التى تكون ذات تأثير فعال فى خطط عمل الزوجة مثل عدد أطفالها وسنهم،ومستواها التعليمى،وخبرتها فى العمل،ومهارات العمل،ومستوى دخل زوجها ومدى التغيرات فى الاتجاهات والافكار بما فى ذلك أفكار زوجها واتجاهاته[1] . وعموما فإنه من الأسهل ان تلتحق المرأة بالعمل فى السنوات المتوسطة من عمرها عندما لا يكون لديها أطفال تعنى بهم ، كما أنه من الاسهل إيجاد عمل إذا كان لدى الزوجة تدريب مناسب ومهارات وخبرة فى مجال العمل الذى تتقدم للالتحاق به . وقد تبين أنه لا يوجد زوج يعمل فى وظيفة مؤقتة أو زوج دخله منخفض يرغم زوجته على العمل رغما عنها ، ومع ذلك فهناك علاقة عكسية بين مستوى دخل الزوجة والنسبة المئوية للزوجات العاملات .

وهناك فكرة شائعة بأن عمل الزوجة يكون له تأثير سيء على الطفل ، الا ان هذه الفكرة تعرضت فى السنوات الأخيرة للدراسة والتحليل ، حيث ظهرت تحديات لهذه النظرية تتميز بالدقة والجدية . فمنذ أكثر من عشرين عاما مضت ذكر « ناى » أن الأطفال المراهقين الذين تعمل امهاتهم « بعض الوقت » لهم علاقات أحسن مع والديهم بالمقارنة بالأطفال الذين تعمل أمهاتهم « كل الوقت » أو الذين لا تعمل أمهاتهم على الاطلاق[2] . الا أن هذه النظرية تعرضت للنقد فيما بعد حيث قرر الاخوان « جلوك » ان وظيفة الأم لا علاقة لها بالانحراف بين صبية الطبقة الدنيا[3] . ويبدو أن هناك قليل من الدراسات التى تقرر وجود اختلافات لها معنى بين اطفال الامهات العاملات بوجه عام وأطفال الامهات غير العاملات . وعند وجود اختلافات فإنها غالبا ما تفسر بعمل الأم بينما هى نتيجة

---

1 - Catherine C. Arnott , « Husbands'Attitude and Wives'Commitment to Employment , » Journal of Marriage and the Family , 34 (November , 1972) , PP. 673 - 684 .

2 - F. Ivan Nye ,« Adolescent - Parent Adjustment : Age , Sex , Sibling Number , Broken Homes , and Employed Mother as Variables , « Marriage and Family Living , (November 1952) PP. 327 - 332 .

3 - Sheldon Glueck and Eleanor Glueck , « Working Mothers and Delinquency » , Mental Hygine , (July , 1957) , PP. 327 - 352 .

لعوامل أخرى مثل الطبقة الاجتماعية ، أو العمل بعض الوقت أو كل الوقت ، وسن الاطفال واتجاه الام نحو الوظيفة أو عوامل أخرى اجتماعية ونفسية .

وباختصار فإن التحاق الأم بوظيفة معينة فى حد ذاته يبدو أنه مفهوم واسع جدا لدرجة أنه لايمكن أن ينتج عنه اختلافات كبيرة فى التأثيرات التى تقع على الأطفال . ورغم هذا فإن أعداد ونسب النساء العاملات يلفت النظر الى مجالات أخرى مثل الاهتمام المتزايد والحاجة الملحة الى خدمات الرعاية اليومية (مثل دور الحضانة والأطعمة الجاهزة » ، كما تلفت النظر أيضا الى علاقة الزوج والزوجة وتوازن القوة بينهما . وعندما تعمل الزوجة تحدث تحولات ملحوظة فى توازن القوة فى الاسرة ، فالزوجة غير العاملة لها قوة محدودة للغاية ، والزوجة العاملة التى يعمل زوجها فى عمل منتظم لها قوة اكبر ، والزوجة التى هى العائل الوحيد للعائلة لها القوة الأكبر[1] ، قوة تفوق جميع افراد الاسرة ، ويمكن تفسير هذه الظواهر غالبا من خلال العوامل الاقتصادية . حيث تقلل قدرة الزوجة على الانفاق والمشاركة المادية الفعلية من الاعتماد المادى المطلق على الزوج ، كما تمتد هذه القدرة الى ماهو أبعد من القرارات المالية والمجالات الأخرى أيضا .

ويبدو أن هذا العامل نفسه له حقيقة ثقافية مضادة ، حيث يظهر نقص واضح فى نسبة الأسر التى تخضع لسيطرة الزوج عندما تكون الزوجة عاملة . أما فى مستويات الدخل المنخفض فإن هذا ينتج عنه عددا متزايدا من العائلات التى تسيطر عليها الزوجة . وفى مستويات الدخل المرتفع تظهر الزيادة فى انقسامها بين سيطرة الزوجة والمساواة فى اتخاذ القرار . ويرى « بلود » بعد استعراضه للموضوعات السابقة أن عمل الزوجة :

ا – يقلل من القرارات التى تتخذها فى مجال الاعمال المنزلية ، ولكن
ب – يزيد من مساهمتها فى اتخاذ اغلب القرارات الاقتصادية ، بينما

---

(1) Robert O. Blood and Donald M. Wolfe, " Husbands and Wives " Glenco, Illinois, The Free Press, 1960 وأيضا Robert O. Blood " The Husband- wife Rélation ship, in Nye and Hoff man, Op. Cit., PP.282-305.

ج - يترك دون تغيير مقدار تأثير كل من الزوج والزوجة على بعضهما البعض[1] .

وفى السنوات المتوسطة للزواج وعندما يترك الابناء المنزل فإن اهتمامات الام العاملة تصبح غير مقسمة بينهم وبين وظيفتها ، فتتجه بعض النساء اللاتى كن يعملن لجزء من الوقت الى وظيفة لكل الوقت . كما تبدأ الكثيرات فى العمل لأول مرة . أو على الأقل لأول مرة منذ الزواج أو ولادة الأطفال ، فالوظيفة فى هذه الحالة قد تتخذ معنى جديدا يلقى نظرة على العالم ، كما تتغير قيمها الخاصة بدرجة ملحوظة عن القيم التى كانت تعتنقها من قبل . فقد يقدم العمل للزوجة مكانة جديدة بين الموظفين والزملاء تحل محل المكانة التى فقدتها عندما غادر الابناء المنزل .

ومن المؤكد أن التحاق الزوجة بالعمل فى هذه الفترة من عمر الزواج تحدث تغييرات فى علاقة « الزوج والزوجة » فيتغير دورها بحيث تصبح فى نفس الوقت زميلة ورفيقة ، وربة بيت ، ومضيفة ، وحبيبة وما الى ذلك مما يؤكد إعادة توافق من جانب كلا الزوجين . ورغم ذلك فقد تخلق هذه التحولات أو التغيرات فى وقت ما توترا أو صراعا وفى أوقات أخرى قد تحدث أثرا مغايرا بحيث تعمل على تجديد حيوية العلاقات الزوجية . ومن الواضح أن العلاقة الزوجية فى هذه المرحلة أو غيرها ليست ثابتة ولا مطابقة للعلاقات الزوجية الأخرى . فالطبيعة غير الثابتة للعلاقات الزوجية خلال دورة الحياة ظهرت بوضوح عندما تكلمنا عن النسق الزواجى وخاصة عندما تكلمنا عن التوافق فى الحياة الزوجية . وسوف نستعرض فيما يلى بعض أنماط الاختلافات خلال السنوات المتوسطة من الزواج .

تنميط الزيجات الناجحة

لقد صنف المؤلفون خمسة أنواع من الحياة الزوجية . لكل منها طابع معين . وهذا الطوابع الرئيسية يمكن فهمها من خلال خمسة أنماط للعلاقات هى : معتاد الصراع ، المتجرد من الحيوية ، السلبى التجانسى ، الحيوى والكلى .

---

1 - Ibid , P. 294 .

١ - معتاد الصراع

علاقة التعود على الصراع ليست هى أكثر العلاقات انتشارا بين الازواج ولكنها العلاقة التى تكون من الوضوح بحيث يمكن ملاحظتها بسهولة ، كما أنها العلاقة التى تظهر فيها بعض التناقضات اللافتة للنظر . ويتميز هذا النوع من العلاقة بشدة التوتر والصراع ومع ذلك يمكن التغلب على أغلبها،ويشير كل من « كيوبر وبيجى » « الى أنه فى أسوأ الاحوال فهناك بعض المشاجرات الخاصة والمضايقات وتذكر الماضى بما فيه من ذكريات مؤلمة لكلا الطرفين. وقد يبدو الزوجان أحيانا وخاصة أمام الاقارب والاصدقاء فى صورة لائقة ، وعندما يختليان يبدآن بالتعليقات الشفوية اللاذعة وتبادل الاهانات ونادرا ما يمكن اخفاء هذا الصراع عن الأطفال بالرغم من حرصهما على ذلك »[1] .

وعموما ، فإن الحاجة الى محاصرة هذا الصراع ، وكبح العداء ضرورية جدا لهذه العلاقة لدرجة انها تشغل معظم حيز التفاعل الذى يحدث فى نطاق الاسرة . والانتباه المستمر الموجه نحو تحاشى التوتر والسيطرة عليه بعيدا عن الانفلات ، وجعله مختفيا يصبح هو قوة الحياة السائدة والتى غالبا ما تدوم مدى الحياة .

٢ - المتجرد من الحيوية

تميز علاقة « التجرد من الحيوية » هؤلاء الازواج الذين كانوا « مستغرقين فى الحب » فى السنوات المبكرة من زواجهم ، وأمضوا معا وقتا طويلا ، متمتعين جنسيا ، وأهم من ذلك كانا متوافقين تماما مع بعضهما ، وبالرغم من ذلك ، فإن هذه العوامل قد تغيرت فى الوقت الحاضر وأصبح الوقت الذى يقضيانه معا قصيرا ، وأصبحت العلاقات الجنسية غير مشبعة ، كذلك لم يعودا يمارسان اهتماماتهما و نشاطاتهما ، على الأقل بالصورة العميقة التى كانت لها فى الماضى . فالوقت الذى يقضيانه معا الآن اصبح « وقت واجب » فهما يتسليان معا ،

---

1 - John F. Cuber and Peggy B. Harroff , « The Significant Americans : A Study of Sexual Behavior Among the Affluent », New York : Appleton Century , 1965 . P. 44 .

ويخططان للأنشطة ويمارسانها مع أطفالهما ، ويشاركان فى المسئوليات الاجتماعية المختلفة التى تتطلب وجودهما معا . وهما يشتركان فى الاهتمام بملكيتهما المشتركة ، ويوجهان اهتماما الى مهنة الزوج ، وبالرغم من كل هذه المشاركة الظاهرة فإنها فى دقائقها تكاد أن تكون معدومة .

وهذا النمط من العلاقة يتميز بقلة التوتر أو الصراع أو انعدامهما ، حيث يكون التفاعل بين الاشخاص فاترا وبلا حيوية . حيث انتهى الحماس الأول للعلاقة وأصبح فراغا . وفى هذه الحالة لا يوجد أى تهديد لا ستمرار الحياة الزوجية ويحتمل استمرارها لمدة غير محدودة . ويرى « كيوبر وبيجى » أن هذا النوع من العلاقة هو أكثر العلاقات شيوعا . وقد اقيمت عدة مقارنات بين أزواج آخرين ، أغلبهم متشابه مما يؤدى الى الاعتقاد بأن « الزواج هو هكذا فيما عدا بعض المتظاهرين الذين يدعون غير ذلك »[1] .

٣ - السلبى التجانسى

تشبه علاقة « السلبى التجانسى » الى حد كبير علاقة المتجرد من الحيوية ، فيما عدا عدم وجود الحماس والاثارة اللذين كانا موجودين فى السنوات الأولى من الزواج . فبينما يستطيع المتجردون من الحيوية أن يعيشوا على الذكريات ، فإن أصحاب علاقة السلبى التجانسى لا يظهرون أى دليل على أنهم قد مارسوا فى الماضى أى شىء يختلف عما يحدث الآن . وأيضا على خلاف معتادى الصراع فإن هذا النمط من العلاقة به قليل من الصراع ، والنماذج القائمة للارتباط مريحة . وقد يكون للزوجين المتجانسين سلبيا بعض الاهتمامات المشتركة مثل التمتع بالإستماع الى الموسيقى ، والاتفاق على بعض الامور الدينية والسياسية أو التمتع بزيارة الريف أو الجيران . وعدد كبير منهم لايرغب فى استغلال كل انفعالاته أو جهوده الأبداعية فى العلاقة . وبدلا من ذلك فهم يوجهون أنشطتهم نحو مهنهم أو أطفالهم أو الأنشطة المتعلقة بالمجتمع . ومن مميزات هذه العلاقة هى أنها تمكن الاشخاص

1 - Ibid , P. 50 .

الذين يرغبون فى درجة معينة من الاستقلال الشخصى والحرية الى الوصول الى بغيتهم بأقل قدر من المضايقة بعيدا عن القرين أو بالنسبة له .

٤ - العلاقة الحيوية

علاقة الحيوية هي الوجه المقابل تماما لأنماط العلاقات الثلاثة السابقة ، وهى علاقة يفعل فيها كل من الزوج والزوجة نفس الأشياء على الأقل أمام الناس ، وعندما يتحدثون من أجل الاستهلاك المحلى فإنهما يقولان نفس الأشياء . وهم عادة أزواج يفخرون بمنازلهم، ويحبون أطفالهم ويتشبثون بوظائفهم، ويفخرون بانجازاتهم المهنية . ولكن عندما نحاول التغلغل فى هذه العلاقة ونحاول ايجاد بعض الثغرات السلبية فإننا نجد أن الزوجين مرتبطان تماما من الناحية السيكولوجية ، وكذلك بالنسبة لامور الحياة الهامة فمشاركتهما وتعاونهما « شيء أصيل »[1] .

ويتضمن وصف هذه المجموعة من الاشخاص بأنهم « حيويون » يعنى ان العلاقة هى علاقة حيوية . فهناك تبادل مثير للمشاعر ، ومشاركة فى أوجه الحياة الهامة ، والقيام بنفس النشاط بعيدا عن القرين يجعل منه شيئا غير مثير . ولاتتضمن العلاقة الحيوية معنى ان الناس الذين تشملهم يفقدون شخصياتهم المستقلة ، ولا تتضمن كذلك عدم وجود منافسة بينهما أو صراع . والفرق بين الصراع فى العلاقة الحيوية وعلاقة التعود على الصراع هو أن الصراعات فى النوع الأول تحدث بين الزوجين بالنسبة لامور هامة مثل أى الكليات سيلتحق بها الابناء ، أكثر منه صراعا على أمور تافهة مثل « من قال هذا أولا ومتى ؟ أو « لا يمكن أن أنسى عندما ... »[2] ويختلف هذا النمط أيضا عن نمط التعود على الصراع فى أن الخلافات تحل سريعا ، كما يحرص الزوجان على تجنب الخلاف المستمر . وهكذا فبالرغم من الخلافات التى تحدث من وقت لآخر فإن الزوجين يجدان قناعتهما فى الحياة التي يعيشانها معا ومن خلال كل منهما . وتستهلك هذه الحياة المشتركة كل اهتماماتهما ، وتسيطر على أفكارهما وأفعالهما ، وتجعل فيما عدا ذلك شيئا ثانويا

---

1 - Ibid , P. 55 .
2 - Ibid , P. 57 .

وإضافيا .

٥ – العلاقة الشاملة

يرى كل من « كيوبر وهاروف » أن « العلاقة الشاملة » نمط نادر داخل الزواج أو خارجه ، ومع ذلك فهى موجودة . فما هى طبيعية هذا النمط من العلاقة ؟ تشبه العلاقات الشاملة إلى حد كبير علاقات الحيوية فيما عدا أنها أكثر من ناحية تعدد المظاهر . ويتضمن هذا النمط من العلاقة من الناحية العملية عدم وجود ادعاءات أو تظاهرات فيما بين أعضاء الاسرة أو بينهم وبين العالم الخارجى . وبطبيعة الحال توجد بعض مظاهر التوتر أو الصراع ولكنها تفض بمجرد ظهورها .

ويستعرض المؤلفان أحدى الحالات التى تحدث فيها « مشاركة شاملة » لكل الامور الهامة فى الحياة . ويقدمان مثالا الزوج فيه عالم معروف على المستوى الدولى متزوج منذ ثلاثين عاما ، ولايزال يعود لمنزله ظهرا ليتناول طعام الغذاء ويقضى وقتا ممتعا فى الحديث مع زوجته ، ويصرح ابناؤه الأربعة (وهم الآن فى العشرينات من عمرهم) بأنهم يتمتعون بزيارتهم لأبويهم مثل متعتهم مع أصدقائهم من نفس العمر .

والعلاقة الشاملة بهذا المعنى فيها « كل » أوجه الحياة مقسمة بالتبادل،وتقتحم بحماس . وهى التى يظهر فيها الشريكان كما لو كان لهم وجود حقيقى خاص بهم .

نظرة عامة

يقدم المؤلفان هذا التنميط للزواج كتوضيح لبعض التغيرات المطلوبة وتنقية أسلوب التفكير فى علاقات الرجل بالمرأة . ففى العلاقات الخمسة التى استعرضناها آنفا نجد أن الاشخاص الذين تتضمنهم هم : (١)متزوجين ، و (٢) مستقرين و (٣) لا يوجد ادراك عام عن الصراع و (٤) لا توجد أى

مخالفة لأدق مستويات اللياقة[1] .

والملاحظة الهامة هنا أن التنميط يهتم بالعلاقات وليس بالشخصيات . فالشخص « الحيوى » قد يعيش فى علاقة سلبية التجانس أو متجردة من الحيوية . ويعبر عن حيويته خارج نطاق الاسرة فى المهنة أو فى انشغالات أخرى . ويلاحظ أيضا أن الأنماط الخمسة للعلاقات لا تفسر على انها « درجات » للسعادة الزوجية و التوافق . فالاشخاص فى كل نوع من هذه العلاقات متوافقين ويصرح أغلبهم بأنهم راضين أن لم يكونوا سعداء . وبقول آخر فإن الانماط الخمسة تمثل أنواع مختلفة من التوافق والتصورات المختلفة للزواج . والنقطة الاخيرة هى أن هذه الانماط الخمسة ليست بالضرورة مراحل فى دورة النعيم الأولى والأوهام فيما بعد . فأى زوجين قد يتغيران من نمط الى آخر ولكن ليس هناك تتبع منظم أو تقدم من واحد الى آخر خلال دورة الحياة . وبالنسبة لأغلب الزيجات فقد شوهد أن التغيرات كانت متكررة الحدوث بطريقة نسبية ، كما كانت أغلب أنماط العلاقات تميل للثبات ولفترات طويلة نسبيا .

وقد أجرى المؤلفان مقابلات مكثفة مع ٤٣٧ شخصا ينتمون الى الطبقة فوق المتوسطة وتوصلوا الى بعض النتائج الا أنه يجب الاحتراس من تعميم هذه النتائج لما هو أبعد من حدود هذه الطبقة . فقد تبين لهم ان العلاقات الزوجية بين الرجال والنساء فى أواسط العمر تشمل الجزء المتفوق من العلاقة الهادفة لتفاعل الرجل والمرأة . فهو سرى من ناحية وعلنى من ناحية اخرى ، وهناك أنواع متعددة ودرجات من العلاقات غير الزوجية بين الرجل والمرأة . وهذه ليست دائما علاقات جنسية ولكنها بالرغم من ذلك هادفة وهامة وأساسية فى حياة هؤلاء الناس .

---

1 - John Cuber and Peggy B. Hrroff , « The More Total View : Relationships Among Men and Women of the Upper Middle Class » Marriage and the Family Living , 25 (May , 1963) , P. 143 .

إذا انتقلنا من تنميط العلاقات الزوجية فإن الاهتمام يتركز على بعد آخر له أهمية بالغة فى السنوات المتوسطة للزواج وهو أن يكون الانسان جدا . فالوصول الى مرحلة الجد والجدة أصبحت الآن ظاهرة بالنسبة لمتوسطى العمر أكثر منها ظاهرة للمسنين . فأغلب الرجال والنساء فى المجتمع المصرى الذين تزوجوا فى أواخر العشرات أو اوائل العشرينات وكان لهم أطفال فى خلال السنة الأولى أو الثانية من الزواج فإنهم يصبحون أجدادا فى أوائل أو اواخر الاربعينات . كما أن صورة الجد العجوز الذى يحمل عصى ويقص على أحفاده القصص الخرافية لم تعد مناسبة .

ومن المثير للدهشة أنه لا يوجد سوى قدر صغير من البحث التجريبى المتعلق بمكانات وأدوار الاجداد . و قد يعزى هذا الى القيمة المرتكزة على استقلالية الاسرة النواة فى تربية اطفالها ، مثله مثل الاعتقاد بأن اشخاصا أخرين غير الأم والأب يكون إسهامهم ضئيلا فى التنشئة الاجتماعية للطفل . ولكن التغيرات السكانية الواضحة وإعادة تعريف الادوار الزواجية ، والتحاق النساء بالعمل كل هذه العوامل أدت الى ضرورة إعادة النظر فى علاقة الاجداد والأطفال .

ويركز الفلكلور على صعوبة العلاقة التى تنشأ بين الأم وابنتها خصوصا على التهديد الذى تمثله الابنة لأمها بجمالها وشبابها وحيويتها . وخوف الأم من أن ينظر اليها كعجوز عندما تصبح جدة . ولاكتشاف مدى الراحة فى لعب الدور كما يعبر عنه الجدود ، وكذلك ميزة هذه الادوار والاسلوب الذى تتم به يمكن ان نستعرض مقابلات « نيوجارتن ووينشتاين » التى اجرياها على الاجداد والجدات فى سبعين اسرة من الطبقة المتوسطة[1] . فقد أكتشفا أن أغلب الأجدادا يشعرون بالراحة والرضا والسرور فى هذا الموقف ، كما عبر ثلث هذا العدد تقريبا عن صعوبة الدور نظرا لما يصاحبه من توتر بسبب التفكير فى الذات كجد ، والصراع مع الوالدين فيما يتعلق بتربية الاحفاد . وبالنسبة لكل من الجدين فإن دلالة هذا الدور تعود الى

1 - Bernice L. Neugarten and Karol K. Weinstein , « The Changing American Grandparent » , Journal of Marriage and the Family , 26 (May , 1964) PP. 199 - 204 .

الشعور بالشباب مرة أخرى ، والاشباع الذاتى العاطفى ، ولكونهم أصبحوا من الاشخاص المحببين للطفل ، والانجاز المتناوب من خلاله . وقد رأى أقل من ثلث الاجداد أن هذا الدور بعيد عنهم وأن له تأثير محدود جدا على حياتهم الخاصة .

أنواع الاجداد

يفرق كل من « نيوجارتن وو وينشتاين » بين خمسة أساليب لحالة الجد[2] وهى : الجد الرسمى ، والباحث عن المزل ، والأب المنوب ، والمحافظ على حكمة العائلة ، والجد المتباعد .

و« **الاجداد الرسميون** » هم هؤلاء الذين يحتفظون بوضوح بالخطوط المتميزة بين دور الأب ودور الجد . وهم حريصون على الا يقدموا نصيحة عن تربية الطفل ويتركون هذا العمل تماما للوالدين . وبالرغم من أنهم قد يقدمون خدمات لاحفادهم من وقت لآخر مثل الجلوس مع الأطفال فهم لايبذلون أى مجهود لكى يصبحوا آباء بديلين لأحفادهم .

اما « **الباحث عن المزل** » فهو الجد الذى ينضم الى حفيده فى أنماط معينة من الأنشطة بهدف الحصول على المزل . وتكون علاقته بالطفل علاقة غير رسمية ومليئة باللعب ، وأحيانا يصبح هو « لعبة » الطفل . والتأكيد هنا يكون على الرضا المتبادل أكثر من اعطاء التعليمات للحفيد .

وتقوم الجدة بدور « **الأم المنوبة** » ويظهر هذا الاسلوب عندما تكون أم الطفل عاملة مما يضطر الجدة الى القيام بمسئوليات العناية الفعلية بالطفل .

أما « **المحافظ على حكمة العائلة** » فيقوم الجد فيه بدور الوعاء لمصادر أو مهارات خاصة . وهو يحتفظ بخطوط متميزة من السلطة وله علاقة جزئية مركزة مع أبنائه وأحفاده الذين يحتفظون ويؤكدون مواقعهم التابعة له .

ويمثل « **الجد المتباعد** » أسلوب من حالة الجد الذى يكون بعيدا عن حفيدة ، وهو ذلك الجد الذى يخرج فى الاجازات والمناسبات الخاصة بمفرده ، واتصاله

---

2 - Ibid . PP. 202 - 203 .

بأحفاده نادر وعديم التأثير .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام فى هذا البحث تعدد وجود الاجداد من كلا الجنسين فى حالة الباحثين عن المزل والاشخاص البعيدين كرفقاء لاحفادهم . فقد تبين من العينة أن هذين الاسلوبين موجودان فى نصف الحالات تقريبا . وهذا يبين بوضوح اختلاف هذين الاسلوبين عما كان يعتبر الدور التقليدى للجد الذى كانت فيه السيطرة الأبوية أو سيطرة الأم (الجدة) تمارس على كل الجيلين الأصغر . ولا يتضمن أسلوب « الباحث عن المزاح » ولا اسلوب « الشخص البعيد » كثيرا من الرعاية ، ولا تبدو « الامومة » أو « الأبوة » على أنها صفة مناسبة له .

ثانيا : الاسرة فى السنوات المتأخرة

لعب الاشخاص المتقدمون فى السن على مدار التاريخ أدوارا متميزة وخاصة الرجال ، الذين ينالون كلما تقدموا فى السن منزلة متفوقة وتأثيرا واحتراما . أما فى الوقت الحاضر فإن السن المتقدمة لا تعرف عادة انها فترة مرغوب فيها للحياة . فغالبا ما تصبح وقتا للاعتماد على الغير ، ونقص الانتاجية ، وزوال الحيوية . وتعرف المكانة الاقتصادية – الاجتماعية بانجازات الفترة المبكرة من الحياة ، فإذا كانت الانجازات محدودة ، وكانت حصيلة هذه السنوات غير مجزية فإن فرص الحياة الكريمة المناسبة تكون محدودة أيضا .

وهناك رأى يرى أن الانسان يكون كبيرا فى السن بقدر ما يشعر ، ويهتم علم اجتماع المسنين بالتحديد الاجتماعى لمن هو « كبير السن » وكيف يكونون كبارا ، ونماذج تفاعلاتهم ، وسلوكهم ، والتوقعات المنتظرة منهم ، والعمر والجنس ومكان الاقامة ، وبعض العوامل الديموجرافية الخاصة بهم ، وأيضا مشاكل واحتياجات الاعضاء الكبار سنا فى المجتمع . وفى هذا الاطار فإن الاسرة فى الحياة المتأخرة أصبحت لها أهمية خاصة من حيث التعامل معها وفهمها .

١ - الوضع الزواجى وطول مدة السنوات المتأخرة

باستعراض بعض وجهات نظر كبار السن حول علاقاتهم الزوجية والفترة الحالية من الحياة تبين ما يلى :

١ - من الواضح أن كثيرا من الاشخاص المسنين يعتبرون علاقاتهم الزوجية مرضية كما كانت فى السنوات السابقة إن لم تكن أحسن .

٢ - تبين أيضا من بعض الدراسات الاخرى أن القناعة الزوجية تتدهور خلال السنوات المتأخرة خاصة بين الأزواج الذين ينتمون الى الطبقات الأدنى من الناحية الاجتماعية - الاقتصادية وبين الزيجات التى يكون فيها قدر ضئيل من الرفقة المشتركة والاشباع فى السنوات الأولى .

٣ - الزيجات التى ينظر اليها باعتبارها مرضية فى السنوات الأخيرة تكون عادة كذلك منذ البداية ، كما أن الزيجات غير المرضية حاليا ينظر اليها بوجه عام على أنها كانت كذلك منذ البداية .

٤ - الحب هو مجال احتياج الرضا والإشباع الاكبر لكل من الازواج والزوجات كبار السن، بينما الاحترام هو مجال أقل اشباعا للازواج، والاتصال هو أقل المجالات إشباعا للزوجات .

٥ - تعتبر ترتيبات المنزل ، والصحة العقلية ، ونقص المشاركة الاجتماعية ، والصحة الجسمية ، وانخفاض الدخل مشاكل عامة بالنسبة للشخص المسن .

٦ - يبدو أن الزواج يساهم فى النواحى الاخلاقية والنشاط المستمر خلال السنوات المتأخرة ، كما أن درجة عالية من حاجة الاشباع الزوجى ترجع الى وجود درجة عالية من الاخلاق[١] .

وعموما ، فإنه من أهم الملاحظات بالنسبة للمجتمع المصرى أن العلاقة الزوجية

---

1 - Nick Stinnett , Linda M. Carter and James E. Montgomery , « Older Persons Perceptions of their Marriages » Journal of Marriage and the Family , 34 (November , 1972) , PP. 665 - 666 .

تستمر لفترة طويلة ، فكلا الجنسين يتزوج مبكرا ، ويظل متزوجا مدة أطول مما يتيح زيجات طويلة العمر .

٢ – ترتيبات المعيشة للاشخاص فى السنوات المتأخرة

أصبحت القاعدة بالنسبة للزوجين حديثى الزواج فى معظم المجتمعات بما فى ذلك المجتمع المصرى هى إقامة منزل مستقل خاص بهم . ورغم ذلك ، ونظرا للضرورة الاقتصادية ونقص المساكن أو الشعور بالمسئولية كما يظهر فإن عددا من الاشخاص يعيشون مع أبنائهم سواء كانوا متزوجين أو عزابا . وموقف بهذه الطبيعة قد يكون نتيجة للاختيار أو فرضته الظروف . فحينما يختار الآباء وأبناؤهم أن يعيشوا معا فإن الترتيبات توضع على أساس ارضاء الجميع بدءا بالكبار وانتهاء بالأطفال . فإذا كانت الزوجة موظفة فإن الأم أو الحماة تتحمل أغلب المسئولية فى المنزل . حيث تكون العناية بالأطفال ، والطبخ وانجاز متطلبات المنزل اليومية تكون غالبا من اختصاص كبار السن الذين يؤدون هذه الاعمال برضى وقناعة . ولكن عندما تكون هذه الترتيبات ليست نابعة من الاختيار ولكنها بداعى الضرورة فإن احتمال الصعوبة يزيد . وغالبا ما تكون العلاقة غير مرضية لكل من الآباء والابناء وفى بعض الحالات للأحفاد أيضا .

وهناك ترتيب معيشى آخر وهو يحقق الرضى والاشباع للآباء المسنين والابناء المتزوجين ،وهو أن يكونوا منفصلين ولكنهم مرتبطين جغرافيا عن طريق المسكن حيث يحتفظون بالعلاقات الحميمة . فكثير من الآباء يفضلون الاستقلال والاعتماد على أنفسهم ويرغبون فى أن يسمح لهم أبناؤهم بالبقاء هكذا . وهذا الوضع يسمح للجيلين بالمشاركة فى الاهتمامات وأساليب الحياة دون أن يكون بينهما احتكاك يومى دائم . فبالرغم من أن كثيرا من الآباء اليوم يفضلون البقاء بمساكنهم الا أن علاقاتهم بأبنائهم وثيقة وحميمة ودائمة .

وهناك أيضا بديل لتنظيم العناية الكلية لعضو العائلة المسن ، وهو خطة التنظيم الجزئى التى يمكن فيها للعضو أن يساهم فى جماعة ترفيهية أو أنشطة عمل أثناء اليوم وينام بمنزل أبنائه ليلا . أو خطة تنظيم ليلى حيث ينام الشخص فى المؤسسة ولكنه

يكون حرا فى المشاركة فى برامج المجتمع وأنشطته خلال اليوم . وهناك أيضا إمكانية وضع كبار السن فى « منازل الرعاية » حيث يأخذون فرصة المشاركة فى أنشطة الاسرة المضيفة . وهكذا يستطيع الشخص الاحتفاظ بتفاعلات صحية اجتماعيا ويكتسب الشعور بفائدته وأهميته ، ويحافظ أولا وقبل كل شىء على لياقته البدنية واحتياجاته الجسمانية . وهذا النظام مأخوذ به فى كثير من الدول المتقدمة ، وفى هذه الحالة قد يدفع الشخص المسن مقابلا للخدمات التى تقدم له أو قد تقوم الدولة بالدفع (كما يحدث غالبا مع الأطفال الصغار) .

٣ - التنشئة الاجتماعية للمسنين

يتجاهل التأكيد الضخم للتنشئة الاجتماعية للأطفال والشباب أهمية الحاجة الى إعادة التنشئة الاجتماعية لكبار السن . فالطفل على خلاف الشخص المسن يتقبل كثيرا من عناصر تنشئته الاجتماعية داخل أسرته ، ومن جماعة النظراء ، والمدارس والعمل أو المجتمع . ولكن ما هى عوامل التنشئة الاجتماعية التى توجه المسن من مرحلة للحياة الى أخرى ؟ وأين التدريب المناسب لتقبل مرحلة المعاش أو التقاعد ؟ وأين التدريب لمرحلة الترمل ؟ وأين التدريب لحالات المرض ؟ وأين التدريب على تقبل إنكماش وضيق العلاقات الاجتماعية ؟

وينظر المجتمع بطرق عديدة الى الحقيقة وهى أن الاشخاص فوق الخامسة والستين هم مخلوقات اجتماعية ، وأن عالمهم موجود،وله معنى من خلال التفاعل مع الآخرين . وعند مقارنتهم بالبالغين من الشباب فإنهم يظهرون كجماعة لا دور لها نسبيا . وبينما يتحدث الطلبة والآباء ورجال الأعمال بمرح عن اليوم الذى سوف يتحررون فيه من المسئولية الاجتماعية ، فإن هذه الحرية بالنسبة لكبار السن تحمل معها نتائج محزنة . ويشير علماء الشيخوخة الى أن مجرد استبدال مجموعة الانشطة لن يحل المشكلة .

وهناك امتداد لهذه الافكار يظهر فى نظرية الانفصال أو عدم الارتباط عند

المسنين وهى التى يضعها كل من « كمنج وهنرى »[1] حيث يرون فى نظريتهم أن التقدم فى السن هو انسحاب حتمى متبادل أو أنه انفصال (أو عدم ارتباط) ينتج عنه تفاعل متناقص بين الشخص المسن والآخرين فى النظام الاجتماعى. وعملية عدم الارتباط هذه يمكن أن تبدأ من الفرد ذاته أو من الآخرين. فالانسحاب من جماعات معينة قد يؤدى الى زيادة الانشغال بنفسه ، هذا فضلا على أن الكثير من المؤسسات فى المجتمع « تساعده » على هذا الانسحاب .

وقد أيدت نتائج دراسة « كمنج وهنرى » الآراء القائلة بأن هناك تناقصا فى عدد الاشخاص الذين يتفاعل معهم الفرد وكذلك نقص فى مقدار التفاعل معهم . وهناك أيضا تغيرات كيفية فى أساليب ونماذج التفاعل . ونتيجة لكل هذه العوامل يحدث هذا الاندماج المتناقص مع الآخرين ، والتغيرات فى نسق الشخصية ، والانشغال المتزايد بالذات .

ومنذ ظهور هذه النظرية ثارت تساؤلات عديدة ومحرجة عن مدى صحتها . فهناك رأى يرى أن هذه النظرية تصف فقط شريحة محدودة من المسنين وليس كلهم ، وأن عملية التقدم فى السن ليست تغيرا يسير على خط واحد ، وأن عدم الارتباط هذا يمكن تجنبه،وأخيرا فإنه غير واضح فى النظرية إذا كان « السن » وحده هو العامل الحاسم فى عدم الارتباط . فمن المحتمل أن عدم الارتباط يظهر عند اشخاص معينين ولا يظهر بالنسبة لغيرهم . وعموما فإن الاسرة لأى من هذين النوعين تعتبر ذات أهمية بالغة ، وترجع هذه الأهمية إلى أن الألفة والمودة والصلة العائلية تميز نظام الاسرة وتجعله مناسبا تماما لتحقيق كثير من الاحتياجات والخدمات ونماذج التفاعل للاعضاء . وبالرغم من ذلك فإنه يجب ملاحظة أن مكونات الأسرة لا تعمل مستقلة عن ثقافة الاسرة . ولتجنب فكرة أن يصبح المسنون « غير قادرين اجتماعيا » فإن احتياجاتهم تعد انسجاما بين الاهداف الثقافية والفرص البنائية التى يقدمها المجتمع . وفاعلية الاسرة فى هذا المجال واضحة جدا على أساس قيم وخدمات المجتمع الاكبر : فرص العمل وأنشطة وقت الفراغ ، والعناية الصحية ووضوح الدور ، وإدراك الشخص المسن أنه ينجز وظائف ذات قيمة ، وفرص التنشئة الاجتماعية المناسبة للمرحلة المتأخرة فى دور الحياة .

1 - Elaine Cumming and William E. Henry , « Growing Old : The Process of Disengagement » . New York : Basic Books , 1961 .

أن مشكلة التقاعد كما ذكرنا سابقا تتطلب اعادة التنشئة الاجتماعية للناس كى يتقبلوا أدوارا جديدة وأسلوبا جديدا فى الحياة . ونظرا لأن الرجال يقومون عادة بالجزء الأكبر من تحمل المسئولية الاقتصادية خلال الحياة فإن هذه الفترة تعتبر حاسمة بالنسبة للكثيرين منهم مثل الحال فى السنوات المتوسطة من الزواج وفترة ما بعد الابوة بالنسبة لكثير من النساء ، ونظرا لتزايد مشاركة الرجال فى الاعمال المنزلية وقيامهم بدور فعال فى هذا المجال فإن هذا يتطلب إعادة توافق من جانب الزوجة لتقبل هذا الوضع الجديد .

وقد أوضح « تاونسند »[1] فى دراسته عن « الحياة الاسرية للمسنين » فى لندن أن الرجال ينظرون الى التقاعد الذى يدنو منهم بنوع من عدم الارتياح والقلق ، فقد قال الكثيرون منهم أنهم سيفتقدون كونهم فى العمل ، ولن يكون أمامهم ما يفعلونه . وقد فضل الكثيرون البقاء فى العمل على الرغم من المشقة التى يلاقونها أو الأمراض التى يشكون منها . كما يهدد التقاعد كثيرا من الارتباطات الطويلة الثابتة فى حياتهم . ويذكرهم التقاعد بقوتهم ومهارتهم التى بدأت تتهاوى ، وأن فترة فائدتهم للآخرين أصبحت وشيكة الانتهاء . وغالبا ما كان الرجال يفضلون الانتقال الى وظيفة أقل أهمية من تلك التى كانوا يشغلونها إذ أنها على أية حال أفضل من التقاعد التخلى نهائيا عن العمل .

وبعد التقاعد ، فإن معظم ما يحدث يكون بلا معنى . فبعض الرجال يقومون بأدوار اضافية فى المنزل أو اعمال شاذة أو بعض الاصلاحات . وقد يخرجون للنزهة أو لمقابلة بعض أصدقائهم ، أو القراءة أو زيارة ابنائهم أو الاستماع الى الراديو أو مشاهدة التلفزيون أو الذهاب الى النادى أو ممارسة بعض الهوايات ، وعموما فإن كل هذه الأشياء تبدو أنها وسائل التسلية الشائعة بين الرجال المتقاعدين . وهذه

(1) Peter Townsend, "The Family life of old people". London: Routledge and Kegan Paul, 1957. PP. 158-160.

كلها لا تعطيهم فرصة كبيرة للتعبير عن الذات ، كما لم تعطهم الانشطة العائلية التى اسندت لهم وسائل مناسبة لتبرير حياتهم . فقد ارغموا على الاعتراف بأنه لم تكن « حياتهم العملية » هى التى قد انتهت ، بل انها « حياتهم » ذاتها[1] .

أما التقاعد بالنسبة للنساء فإنه يمثل انتقالا أقل قسوة فى الادوار ، لأن الأدوار المنزلية هى فى الغالب إضافة لأدوار العمل . فقبل التقاعد تكون النساء مشغولات فى انجاز اعمال كثيرة يستمرون فى تأديتها بعد التقاعد . وتتقاعد النساء كثيرا بالاختيار ، كما ان مكاسبهن عادة لا تكون هى مصدرهن الوحيد للدخل ، وبالرغم من ذلك فإنه بالنسبة لكلا الجنسين فإن التقاعد يتطلب جهدا كبيرا لاعادة التوافق . فالصحة والدخل والمكانة ومشاعر الاحترام الذاتى كلها تميل الى التناقص فى وقت التقاعد وغالبا ما تصبح المشاكل مركبة بوفاة القرين .

أسرة ما بعد الزواج

إن أسرة ما بعد الزواج والتى تتكون من الارملة أو الأرمل ليست قاصرة على العائلة المسنة ، ولكنها تظهر بطريقة واضحة بعد سن الخامسة والستين . فأغلب النساء يشغلن مكانة الارملة فى هذه السن أكثر من أى مكانة زواجية أخرى . فبمواجهة فقدان القرين والانتقال من مكانة الزوجة الى مكانة الارملة قد يشكل صعوبة بالغة .

ويتسبب المجتمع فى تعقيد هذه المشكلة بأن يضع بعض التحريمات بالنسبة لمناقشة مسألة الموت بين الزوج والزوجة أو بين الوالدين والأبناء أثناء حياتهم . ونتيجة لهذا فإن الأرملة أو الأرمل غالبا ما يكون غير مهيء لاتخاذ القرارات المناسبة . وحتى لو سبقت المناقشات الموت فإن هناك احتمال كبير فى وجود الوحدة والانعزال الاجتماعى والحاجة الى توافقات ضخمة فى نماذج المعيشة . وعموما فإن مشاعر عدم الكفاية والذنب التى تؤدى الى الاحباط تكون كثيرة الحدوث بعد وفاة القرين .

وقد تكون عمليات إعادة التوافق أقل صعوبة إذا أتت حالة الترمل بعد مرض

1 - Ibid , PP. 168 - 169 .

خطير،أو بعض التغير الرئيسى فى الدور من ناحية القرين . فالترمل يمكن التغلب علية بصورة مناسبة عندما يكون الشخص قد قام مسبقا ببناء نوع من الشخصية المستقلة، والصداقات الحميمة المتصلة، الى جانب فلسفة واقعية للحياة، وأمان اقتصادى، وكذلك بعض الاهتمامات الشخصية الهادفة .

وهناك قاعدة متعارف عليها فى مجتمعنا تفترض أن النساء يجب أن يتزوجن رجالا من عمرهن أو أكبر . فمشكلة الزواج مرة أخرى بالنسبة للارامل من الرجال تكون أقل صعوبة حيث توجد زيادة فى عدد النساء اللائى تتفق أعمارهن مع موافقة المجتمع على زواج نساء أصغر منهم .

أن وفاة الزوج بالنسبة للنساء تعنى الانتقال من تقسيم العمل و الاعتماد المتبادل الى الانضمام الى جماعة من النساء غير المرتبطات . فإذا حدثت وفاة الزوج قبل التقاعد فمعنى هذا خسارة للهوية الاجتماعية التى كانت تنبثق من وظيفته . كما أن وفاة الزوجة بالنسبة للرجال لا يعنى فقط مجرد وفاة الرفيق ولكنه يعنى تحول كبير فى ارتباطه بالأبناء والأقارب والعائلة والعالم الاجتماعى عامة . وتشير الدلائل الى أن الذكر المسن الباق على قيد الحياة يمارس تأثيرا مختلفا من الفقدان عن نظيرة المؤنث ، كما أنه يواجه صعوبات قاسية فى التكيف للحالة الفردية[1] . وفى كثير من الحالات يبدو أن مشاكل الزوج الباق على الحياة (رغم أن عدد الموجودين من الأرامل من الرجال أقل) أكثر خطورة من تلك التى تواجه النساء الباقيات على قيد الحياة . فبينما تستطيع أغلب الارامل من النساء المسنات العناية بأنفسهن فإن الرجل الارمل يحتاج الى مساعدة أكبر فى إعداد الوجبات والعناية العامة . وقد قدم « هنتر وآخرون » مشاكل الارمل المسن كالآتى :

« الأرمل المسن أقل عددا فى السكان من الارملة ، وقد يحزن بشدة لوفاة زوجته مثلما تحزن الارملة بوفاة زوجها . وفترة الحياة التى يكون ارتباطه فيها كاملا بزوجته تتطلب الآن مراجعة شاملة قد لا يكون الزوج معدا لها تماما . فإذا كانت الزوجة

---

1 - Felix M. Berardo , « Survivorship and Social Isolation : The Case of Aged Widower , « The Family Coordinator (January , 1970) , PP. 11 25 .

هى سيدة المنزل ومدبرته ويعتمد عليها الزوج اعتمادا كليا فى تدبير احتياجاته وتوفير سبل الراحة له فإن الأمر يصبح صعبا للغاية لوفاتها وتتراكم المسئوليات فوق الزوج الذى يجد نفسه غير قادر على تشكيل حياته فى كل متكامل »[1] .

ويمكن تقدير مدى خطورة هذه المشاكل فى فحص كثرة حوادث الانتحار، فمن خلال جماعة من سن معين ، فان معدلات محاولة الانتحار بالنسبة للارامل تكون أعلى باستمرار من نسبة المتزوجين ، كما أن نسبة الانتحار الكامل أعلى عند الرجال منها عند النساء . وقد تبين من استعراض نتائج هذه الدراسات أن كلا من محاولة الانتحار والانتحار الناجح يستتبعها غالبا تمزق فى التفاعل الاجتماعى المتميز وعلاقات الدور المتبادل بسبب موت القرين[2] .

ولا توجد هذه المشاكل مستقلة عن التقاعد الذى ناقشناه من قبل فهى قد تتراكم بسببه . فالارمل فى هذه الحالة ينعزل عن أكثر مصادره لتحقيق الذات : وظيفته، وعلاقاته مع زملاء العمل . والنتيجة هى أن الترمل فى السن المتقدمة (وخاصة بين الذكور) يتميز بالتعاسة والمعنويات المنخفضة والاضطرابات العقلية ، وارتفاع نسبة الوفيات ، وكذلك ارتفاع نسبة الانتحار . ويبدو أن كل هذه المظاهر ترتبط بالعزلة الاجتماعية التى تواجه الأرمل . فهو لا يفقد فقط شريكة حياته بل يصبح فى نفس الوقت منعزلا عن أشخاص آخرين لهم أهميتهم بالنسبة له كالاصدقاء والجيران والاقارب وزملاء العمل سواء كانوا رؤساء أو مرؤسين . أما الارملة فتكون لها فرصة اكبر فى استمرار دورها فى إدارة المنزل والتفاعل مع الاقارب والانخراط فى أنشطة دينية ، والمشاركة فى الأنواع المختلفة الأخرى من العلاقات الرسمية وغير الرسمية[3] .

---

1 - Bernard Hurtner , et al. , « Five Hundred Over Sixtey » . New York : Russel Sage , 1956 , P. 63 .

2 - William Rushing , « Individual Behavior and Suicide , in jack P. Gibbs (ed.) , Suicide , New York , Harper and Row , 1968 , PP. 96 - 121

3 - E. Wilber Bock and Irving L. Webber , « Suicide Among the Elderly · Isolating Widowhood and Mitigating Alternatives » , Journal of Marriage and the Family , 34 (February , 1972) P. 29 .

وبعض الارامل من النساء والرجال يتزوجون من جديد ، ولكن فرص الزواج الجديدة تكون بطبيعة الحال أعلى بالنسبة للارامل من الرجال عنها بالنسبة للارامل من النساء . وتختلف التساؤلات التى تتركز على الزواج الجديد للارامل من الجنسين عن التساؤلات التى تتركز على الزواج الجديد بالنسبة للاشخاص المطلقين . فالاشخاص هنا يكونون فى العادة أكبر سنا ، ويواجهون ظروفا مختلفة تحيط بنهاية الزواج السابق . فالزواج الجديد بعد وفاة القرين يؤدى الى مقارنة القرين الجديد بذكرى المتوفى . والملاحظة الهامة هنا أن الارمل أو الأرملة لا يتذكران سوى الخبرات السارة فى الزواج السابق،وينسيان كل الخبرات السيئة مما يجعل القرين الجديد فى موقف مقارنة لا يحسد عليه . وهكذا فإنه ليس شيئا عارضا أن القديسين يوجدون أولا بين الموتى .

العلاقات بين الأجيال

تبدو مناقشة العلاقات بين الأجيال أحيانا على أنها امتداد لما قلناه فى الأجزاء السابقة من هذا الفصل عن السنوات المتوسطة والسنوات المتقدمة فى الزواج ، وهى كذلك بالفعل . ورغم هذا فإن الانتباه هنا سوف يتركز على موضوعات معينة تتعلق بالتغيرات فى أنماط الأسرة بالنسبة للتخطيط والانجاز على مدى ثلاثة اجيال[1] . وسوف تستمد المادة العلمية هنا من دراسة تجريبية أجريت على ٣١٢ أسرة تتكون من ثلاثة أجيال (هذه الاسرة تقيم فى مينابوليس سانت بول متروبوليتان والمناطق الخلفية منها) وباتباع مدخل « نمو الاسرة » فإن الاهداف الأساسية كانت إقامة أنماط ممتدة للكسب والتوفير ، والانفاق ، والشراء والتخطيط المالى . وكذلك الاهداف الخاصة لوصف عمليات التخطيط الأسرى وصنع القرار وإكتشاف أى أنماط القضايا والمشكلات تميل الاسر للتخطيط لها أو تركها للصدفة أو تناولها بتهور . وأيضا وصف انماط الدخل والمصروفات ، ووصف

1 - Reuben Hill , with Chapters in collaboration with Nelson Foote Joan Aldous , Robert Carlson , and Robert Macdonald « Family Development in three Generations » Cambridge , Mass : Schenkman Publishing Co. , Inc. , 1970 .

المصادر الهامة للتأثير فى الاهداف ذات المدى الطويل . ومن الواضح أن كل النتائج الهامة والآراء النظرية ومضامينها لا يمكن أن نقدمها هنا ، ولكن العمل الذى قدمه « هيل » وآخرون يتطلب ضرورة الانتباه لأوجه منتقاه من الاختلافات بين الأجيال .

ويرى « هيل » أن شبكة « الأسرة الممتدة المعدلة » ترتكز على الوسط أو جيل « الأب » الذى يقوم بدور « الكوبرى الموصل » بين الاجيال[1]. فحدود دور الأب ترتبط بكل الابناء المتزوجين والأجداد . وهو فى أغلب الأحيان أكثر اندماجا فى الاتصالات بين الأجيال وفى تبادل المساعدات . ولكن من الذى يحتاج الى هذه الشبكة الممتدة للأسرة ؟ أن الأجيال الثلاثة تحتاج اليها فى الواقع . فعندما تنشأ المشاكل فإن الناس يتجهون أولا ودائما الى الأقارب المباشرين . ولكن التوازن بين العطاء والأخذ ليس متساوياً داخل شبكة الأجيال . وهذا الوضع يؤدى الى حدوث بعض التوترات . فالابناء المتزوجين متفوقون فى العطاء والأخذ . ويعطى الاجداد عادة أقل مما يأخذون ، ويجدون أنفسهم فى حالة اعتماد على الآخرين . ويعطى الآباء لكل من الجيلين الأصغر والأكبر أكثر مما يأخذون منهم . وتؤدى هذه النتائج بنا الى أن نستنتج « أنه بالرغم من أن المعاملات بين الأجيال يبدو أنها محكومة الى حد ما بظاهرة التبادل ، الا أن هناك ظاهرتين أخريين أكثر ظهورا وهما ظاهرة « الالتزام البنوى » وظاهرة « النبل الملزم » ، وهاتين الظاهرتين كافيتين لتحريك مستوى مثالى للمحافظة على الأنشطة القرابية والإبقاء على شبكة الأسرة الممتدة المعدلة فى حالة حياة دائمة[2] .

وعند إختبار أساليب الحصول على السلع القابلة للقسمة على أفراد العائلة لوحظ أنه لا يوجد حجم ثابت لقائمة السلع بين العائلات تبعا للسن . فامتلاك الروايات يكون عادة أكثر ارتفاعا بين الأحفاد،ومتوسطا بين الأبناء،ومنخفضا بين الأجداد . والهدايا والهبات المعمرة تنتقل من الأجيال الأكبر الى الأصغر . وقد

---

1 - Ibid . P. 78 .

2 - Ibid . P. 80 .

كانت سرعة الحصول على السلع أكبر بالنسبة لكل جيل تال . فجيل الأطفال يقوم بتخطيط سابق قبل الشراء أما جيل الأجداد فهو الأقل فى هذا المجال[1] . وقد أوضح الفصل الخاص بالتداخل بين مناهج التخطيط ومجالات النشاط الاقتصادى وجود التغيرات التالية :

١ – تتأثر تغيرات المسكن بشدة بالتغيرات فى تكوين الأسرة، وإلى حد ما بالتغيرات فى وظيفة الزوج وخاصة فى السنوات الأولى من الزواج .

٢ – هذا الاعتماد المتبادل يظهر فى أدنى صورة فى جيل الاجداد و أعلى صورة فى جيل الاحفاد .

٣ – السلع المعمرة وما تم شراؤه فى السنوات الأولى للزواج هى الأكثر تأثرا بالانتقال من منزل إلى اخر .

٤ – وعموما ، فإن التغيرات فى مكونات الأسرة وفى المهنة تؤثر فى التغيرات فى قائمة السلع المعمرة بطريقة غير مباشرة خلال تغيرات السكن التى تعجل بها[2] .

وقد تبين من الدراسة أيضا أن هناك عدة عوامل ترتبط بالتقييم المفضل لعملية الاستهلاك . فالرضى يرتبط ايجابا بسن الزوجين ، وعمر الزواج ، والاختلافات الطبقية مثل : المستوى التعليمى والحالة الوظيفية . وكذلك النماذج التقليدية للأسرة مثل ضرورة بقاء الزوجة بالمنزل ، وعدم المشاركة الإجتماعية ووضع حدود صارمة للأدوار تبعا للجنس ، وأيضا الأسر الأقل تمسكا بالتقاليد التى تحرص على المساواه فى أخذ القرار والديموقراطية بين أفراد الاسرة .

وهذه النتائج وغيرها فى نظرية « هيل »[3] تم فحصها لتكوين تسعة نظريات فرعية ونظرية أكثر عمومية تتعلق بقضية العلاقات بين الأجيال الثلاثة وتزامن الوقت والمال والامكانات . فإدارة الامكانات المتاحة أو استهلاك الأسرة يستلزم التحديد الأفضل للطاقات والمعلومات ، والسلع ، والمصروفات لمواجهة احتياجات أعضاء الأسرة وغيرهم داخل الشبكة الاجتماعية للأسرة . والتخطيط المسبق القائم على

1 Ibid , PP. 171 - 172 -
2 Ibid , PP. 192 - 193 .
3 Ibid , PP. 321 - 324 .

أساس المدى الطويل وكذلك التخطيط المسبق للأفعال ذات المدى القصير هما من ضمن إدارة المصادر أو الامكانات المثلى . وتسهم الأسر النواة فى شبكة الأسر الممتدة المعدلة التى تتميز بدرجة عالية من التماسك فى تقديم أحسن ما يمكن للمساعدة فى حل المشاكل التى لا يستطيعون حلها بأنفسهم . وعادة يقوم الجيل المتوسط بدور الرابطة التى تحافظ على العلاقات القرابية فى أفضل صورة .

وتحت ظروف التغير السريع فإن كل جماعة من الأجيال الثلاثة تواجه عند زواجها بموقف فريد من القيود التاريخية والبواعث التى تؤثر فى توقيت قراراتها الحاسمة فى الحياة . وهذا بدوره يؤدى الى عدم التشابه فى دورة الحياة بين الأجيال وهى على سبيل المثال : سن الزواج، وعدد الأطفال، والفارق الزمنى بين كل طفل وآخر، والتغيرات فى مهنة الزوج . والتحاق الزوجة أيضا بالعمل والامكانات المتاحة لكل جيل للحصول على احتياجاته .

واستمرار تداخل الأجيال يظهر فى مدى تشابههم فى كثير من أوجه الحياة مثل الانتماء الدينى، ومكان الأقامة، والارتقاء فى المنافسات الاقتصادية والتعليمية . ولا ترتقى الأجيال المتعاقبة فقط ولكنها أيضا تسرع فى الاداء . ولاشك أن هذا الاسراع فى الارتقاء والتقدم من جيل الى جيل يعكس الاستجابات المتزايدة عند الأجيال المتعاقبة الى الاعتماد المتبادل فى انجازات المهنة . وكما يلاحظ « هيل »[1] :

« أنه بين الجماعات المعاصرة من الأجيال يبدو أن جيل « الجد » قد برهن نسبيا على أنه غير مستجيب ، وقد يرجع ذلك الى كونه محكوما بعدم قدرته على المنافسة لعجزه عن التحكم حاليا فى حجم اسرته ومستواه المنخفض للدخل ، والبدائل المحدودة للوظيفة ، والامكانات المحدودة أيضا للسكن ، أما الجيل المتوسط وهو جيل « الابن » فقد خرج الى بداية بطيئة فى أعماق الهبوط الاقتصادى ، الا أنه أكثر استجابة وتخطيطا من ناحية وجود فروق زمنية بين الأطفال ، كما أنه كان رائدا فى اختيار المهن، وإن كان ذلك على حساب التكامل فى المجالات الأخرى . أما الجيل الأصغر أى جيل « الحفيد » فإن ظروفه تختلف تماما حيث فرص اختيار

1 - Ibid , P. 323 .

المهنة متاح،وقد كان هذا الجيل هو الأغلب استجابة بالنسبة للأجيال الثلاثة محققا اكبر قدر من الانجازات المختلفة مقترحا أحسن تخطيط للدورة الحياة وإداراتها حتى الآن »

والدراسة فى نهايتها توضح امكانية تطبيق نتائج هذا البحث على الأسر المختلفة . فالمتزوجون حديثا ورئيس العائلة ، وصانع القرار ، أو أعضاء الأسرة فى أى مرحلة من مراحل دورة الحياة الأسرية يستطيعون الاستفادة من هذه الاقتراحات التى يقدمها هذا البحث .

○	الفصل الحادى عشر

الأزمات الزوجية

مقدمة

تختبر الزيجات والأسر خلال دورة الحياة . ولا توجد فترة في الحياة الزوجية خالية من إمكانية حدوث الازمات (تفكك ثم إعادة تنظيم) فمن الممكن أن نطلق على فترة الاستعداد لإستقبال الطفل الأول للاسرة « أزمة » وكذلك الأمر عندما تكون مستويات الإرضاء أو الإشباع الزواجي منخفضة ، أو عندما تحدث صراعات الأدوار . . . الخ . ويشير كل ذلك إلى حادثة أو عملية تؤدي إلى نشوء ضغط أو صراع أو أزمة أو تفكك في الوحدة الزواجية والأسرية .

وإذا تتبعنا الرأي العام كما يتمثل في آراء رجال الدين والمدرسين والفلاسفة والقادة السياسيين والمعلقين وغيرهم فسوف نجد أن غالبيتهم ينهجون منهجاً تشاؤمياً تجاه الأسرة الحالية حيث يعتقدون أن سلطة الآباء قد انهارت وأن المحرمات الجنسية ضعفت إلى حد كبير ، وأن الأزواج غالباً ما يتمردون ويثورون على بعضهم البعض . . . الخ . وهذا يتعارض مع (أيام زمان) عندما كانت تحترم وتراعى المحرمات ، والأزواج أكثر تفاهماً وتسامحاً . ومن هذا يتبين أن كل جيل يتخذ من تجربته الخاصة معياراً يقيس

عليه تجارب الآخرين ويحكم عليها .

وعموماً فمن النادر أن تكون حياة الاسرة والزواج « كاملة « Perfect طوال دورة حياتها ، لأن كثيراً من الأحداث التي تتعرض لها الاسرة ينبغي أن تؤدي إلى حدوث أزمات Crisis أو أنواع من التفكك ، يحتمل أن تتلوها فترات من التوافق وإعادة التنظيم ، ولهذا سنحاول فيما يلي استعراض بعض الضغوط الاجتماعية التي تمارس تأثيراتها على الاسرة .

الضغوط الاجتماعية على الاسرة

من الملاحظ أن الأسر التي لها نفس الكفاءة والمقدرة تستجيب بصورة مختلفة للأحداث المتشابهة . ويرجع السر في اختلاف الاستجابة إلى ما يسمى « البعد المعنوي Meaning Dimension » الا أن تحول الحادث الضاغط إلى أزمة يتطلب فهما لمعنى مصطلح « الحادث Event » أو تعريفاً له . وقد تتمكن من هذا الفهم من خلال استخدام الصيغة التالية :

أ ـ (الحادث) يتفاعل مع ب ـ (وسائل مواجهة الاسرة للازمة) يتفاعل مع ج ـ (التعريف الذي تضعه الأسرة للحادث) ينتج د (الأزمة)[1] وتنبعث الاحداث الناتجة من مصادر مختلفة من داخل نطاق الاسرة أو خارجها وبالتالي فإن النتائج تختلف تبعاً لمصدرها . وهناك ـ مثلاً ـ قاعدة أساسية في علم الاجتماع تؤكد أن أحداثاً معينة خارج نطاق الجماعة قد تؤدي إلى تماسكها مثل نشوب حرب أو حدوث فيضان . ولهذا فإن الأحداث الخارجية الضاغطة تشكل أزمة بالنسبة للأسرة والجماعة الا أنها تؤدي الى تضامن أعضائها حتى

(1) Reuben Hill, "Social Stresses on the Family" Social Caswork 39 (February-March, 1953), pp. 139-150.

يتمكنوا من التغلب عليها ، وبالمثل فإن هذه الأحداث الخارجية الضاغطة قد تؤدي إلى توحيد الأسرة وجعلها أكثر تماسكاً أكثر مما تؤدي إلى انهيارها . غير أن نفس الأحداث قد لا تكون ضاغطة بالنسبة لأفراد آخرين في نفس الموقف .

أما الأحداث الداخلية في الاسرة التي تعرف على أنها ضاغطة ، فتكون غالباً ناشئة عن اضطرابات تنعكس آثارها على كفاية الأسرة الداخلية[1] ، ويمكن تقديم أمثلة عديدة على هذه الاحداث مثل فقدان العائل ، والانهيار العقلي ، أو شرب الخمر الخ . . . لكن حلقة الأحداث ، سواء داخل الاسرة ، أو خارجها التي تعوق حياة أعضاء الأسرة متعددة وهي لا تضمن فقط فقد الاشخاص ، أو العمل أو الدخل ، بل هناك أيضاً أشياء أخرى مثل قدوم طفل جديد ، أو قدوم الحماة للمعيشة مع الاسرة ، فهذه قد تكون أموراً معوقة مثل فقد أي منهم تماماً . وكذلك قد تؤدي الشهرة أو الثروة المفاجئة الى نشوء الأزمة أو التمزق مثل فقدها تماماً . وعموماً فإن كل تغير مفاجيء في مكانة الأسرة أو قيام صراع بين أعضاء الأسرة حول تصوراتهم لأدوارهم يمكن أن يؤدي الى أزمة عائلية[2] .

وقد صنف هيل Hillأزمات الاسرة إلى ثلاث فئات هي التمزق أو فقدان الأعضاء Dismemberment والتكاثر أو الاضافة accession والإنهيار الخلقي Demoralization ويعني هيل بالتمزق فقد أحد أعضاء الأسرة نتيجة ذهابه إلى الحرب ، أو دخول أحد الزوجين المستشفى ، أو موت أحد الوالدين . ويعني بالتكاثر أو الاضافة ضم عضو جديد للاسرة دون استعداد مسبق ، ومثال ذلك حمل غير مرغوب فيه ، أو زوج أم ، أو تبني طفل ، أو حضور أحد الأجداد

---

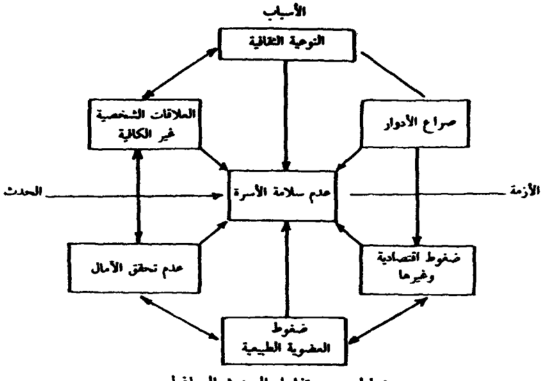
(1) Ibid., p. 142.
(2) Ernest W. Burgess "The Family and Sociological Research," Social Forces,. 26 (1947), pp. 1-6.

المسنين للاقامة مع الاسرة .

أما الانهيار الخلقي فإنه يشير إلى فقدان الوحدة الاسرية والاخلاقية ويقصد بها هيل ، فقد العائل ، أو الخيانة الزوجية ، أو إدمان الخمر أو المخدرات أو الانحراف ، وكل الأحداث التي تجلب الخزي والعار . هذا ويمكن أن تؤدي الاحداث المسببة للازمة Crisis Producing Events إلى نتائج عديدة مثل : الانتحار والطلاق والهجر والهروب ، والاصابة بأمراض عقلية ... الخ .

ما هي اذن العوامل التي تؤدي إلى الخضوع للازمة ، وماهي العوامل التي تؤدي إلى التخلص منها أو التغلب عليها ؟ إن الاجابة على هذا السؤال تكمن في (ب)، (ج) في الصيغة التي قدمناها آنفاً . ونعني بذلك ، إلى أي مدى يكون في إمكان الاسرة تحمل الحادث (العامل ب) وإلى أي مدى يمكن للأسرة تعريف الحدث كأزمة (العامل ج) هذا ويمكن أن تنطوي إمكانات مقابلة الازمة (العامل ب) على عوامل عديدة مثل تماسك الاسرة ، والمال ، والدخل ، والتأمين ، والاصدقاء ، والعقائد الدينية ، ودرجة التعليم ، والصحة السليمة وما شابه ذلك . وجدير بالذكر أن الاسرة التي تقابلها المشاكل هي غالباً تلك التي ليس لها الامكانات الملائمة لمواجهة الاحداث . والمضمون الذي تعرف على أساسه الاسرة الحادث كأزمة (العامل ج) يعكس نسق قيم الاسرة وخبرتها السابقة في اجتياز الازمات .

هذا ويوجد أحياناً سبب أولي يؤدي إلى خلق التوترات في المجالات الأخرى لحياة الاسرة فتصبح فريسة للصراع ، ومثال ذلك : ان التفاوت الثقافي بين الزوجين قد يؤدي إلى خلل في الاشباع الجنسي ، نتيجة لاختلاف أفكار كل منهما عن السلوك الجنسي ، وهذا يفضي إلى أن يشك كل منهما في الآخر ، وأن يظهر الخلل في نوعية التعاون القائمة بينهما ، مما يخلق أدواراً متصارعة في الأسرة ، يترتب عليها تصورات جديدة عن المسؤولية



مخطط يصور تفاعل الحدث الضاغط

متضمناً الشدائد ووسائل الأسرة في احداث الأزمة الأسرية

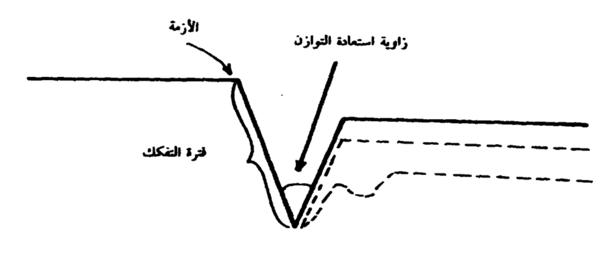
في الاسرة . وهذا بالإضافة إلى أن تراكم هذه التواترات يضعف إلى حد كبير من العلاقات العاطفية بين الزوجين . ويقضي على تكامل الاسرة مما يجعلها غير قادرة على مواجهة أي انحراف مهما كان بسيطاً بالقياس إلى وقع أنماط الحياة العادية ، وتكون النتيجة الطبيعية زيادة إحتمالات ظهور الازمات .

التوافق مع الأزمة

إن التوافق مع الازمة التي تهدد الأسرة يعتمد أساساً على فعالية أداء أعضاء الأسرة لأدوارهم وعلى استجابة المجتمع . ويختلف اتجاه التوافق من أسرة الى أسرة . وقد عدد هيل العوامل المؤدية إلى التوافق مع الازمة فيما يلي : مدى استعداد الاسرة لمواجهة الازمة ، تكامل الاسرة ، مدى العلاقات العاطفية بين أعضاء الاسرة ، التوافق الزواجي القوي بين الزوجين ، علاقات

الصداقة الحميمة بين الآباء والأبناء ، مشاركة مجلس الاسرة في اتخاذ القرارات ، المشاركة الإجتماعية للزوجة ، والتجارب السابقة الناجحة مع الازمات[١] .

ويشير الشكل التالي إلى الأجزاء المكونة لمنظور التوافق مع الأزمة [الأزمة ← التفكك ← استعادة التوازن ← إعادة التنظيم[٢]] .



اتجاه التوافق مع الازمة

ويرى كل من جلاسر وجلاسر Glasser and Glasser[٣] أنه توجد ثلاثة أشكال تميز الأسر القادرة على الإستجابة بكفاية للاحداث الضاغطة . (الأحتواء ، التكامل ، التكيف) حيث يشير الشكل الأول إلى الإندماج مع أو المشاركة في الحياة الاسرية عن طريق أعضاء الجماعة ، ويتعلق الثاني بالدور

---

(1) Reuben Hill, Families Under Retress. N.Y., Harper and Brothers, 1949. p. 148.
(2) Ibid. p. 146.
(3) Paul H.H. Glasser and Lois N. Glasser (eds.), Families in Crisis, N.Y. Harper and Row, 1970, pp. 7-8.

التساندي أو الدور العاطفي الاجتماعي للأفراد في الجماعة ، أما الثالث فإنه يشير إلى قابلية الجماعة الأسرية وكذلك قابلية كل عضو على تغيير استجاباتهم كل للآخر والعالم من حولهم حسبما يقتضيه الموقف .

إن توافق الأفراد أو الأسر لما يواجهون به من أزمات لا يمكن فهمه بعيداً عن وسطهم الاجتماعي ، ويسهم المجتمع المحلي بما ينطوي عليه من مضمونات مجتمعية ، أو الانساق الاجتماعية ، أو البناءات الاجتماعية في خلق الأزمات أو تفاقمها ، كما أنها تقدم في نفس الوقت الارشادات أو المعونات التي تؤدي إلى خفض حدة هذه الأزمات .

ويجب أن نضع في اعتبارنا هنا أن الأزمات ليست سيئة بالضرورة للأسرة أو لأعضائها ، ذلك أنه عندما تتعرض الأسرة لأشكال عديدة من الاختلال فإن هذا يؤدي إلى نشوء الحاجة إلى مناهج جديدة في معالجة أو تناول هذه المشاكل وفي هذا الصدد يقول حلاسر أنه من خلال موقف الأزمة يمكن أن تنبثق حلول خلاقة من أجل تنظيم أوجه النشاط بصورة أكثر تميزاً أو أفضل من تلك التي كانت قائمة قبل حدوث الأزمة ، ولهذا فإن التجربة يمكن أن تجعل الأسرة أكثر قدرة على معالجة الأزمات المستقبلة بصورة أكثر كفاءة ، ويضاف إلى ذلك أن مثل هذه المعالجة يمكن أن تؤدي إلى اقتناع فردي أو جماعي أو ربما إشباع أكثر يستمد من الحياة الأسرية . وعلى ذلك فلربما ينظر الى الأسرة على أنها ضعيفة أو قوية في نفس الوقت ، فهي ضعيفة لأنها غالباً ما تفشل في أن تستعيد توافقها مع الأزمات وهي غالباً ما تتفكك نتيجة لذلك ، وهي قوية لأنها تبقى دائماً ذات شهرة وأهمية ، وتستمر في الحياة في كل المجتمعات من أجل القيام بمجموعة واسعة ومتنوعة ، من الوظائف تؤديها لأعضائها وللمجتمع ، وجدير بالذكر أنه في الوقت الذي يستمر فيه نسق الاسرة من جيل إلى آخر فإن الجماعات الزواجية مثلها مثل الحياة تصل إلى نهايتها ، هذه

النهاية على الرغم من أنها عادة ما تحدث عن طريق الموت ، إلا أنها تحدث كذلك عن طريق الطلاق والهجرة والانفصال ؛ أو ربما يصبح وجود الاسرة بمرور السنين مجرد مسألة شكلية .

أنماط تفكك الاسرة

يشير تفكك الاسرة إلى أنهيار الوحدة الاسرية وانحلال بناء الادوار الاجتماعية المرتبطة بها عندما يفشل عضو أو أكثر في القيام بالتزامات دوره بصورة مرضية ، وقد صنف وليام W. Goode[1] الاشكال الرئيسية لتفكك الأسرة كما يلي :

١ ـ انحلال الاسرة تحت تأثير الرحيل الارادي لاحد الزوجين عن طريق : الانفصال ، أو الطلاق أو الهجر ، وفي بعض الاحيان قد يستخدم أحد الزوجين حجة الانشغال الكثير بالعمل ليبقى بعيداً عن المنزل وبالتالي عن شريكه لاطول فترة ممكنة .

٢ ـ التغيرات في تعريف الدور الناتجة عن التأثير المختلف للتغيرات الثقافية وهذه قد تؤثر في مدى ونوعية العلاقات بين الزوج والزوجة إلا أن الصورة أو النتيجة الاكثر وضوحاً في هذا المجال تكون في صراع الآباء مع أبنائهم الذين يكونون في سن الشباب .

٣ ـ أسرة « القوقعة الفارغة » وفيها يعيش الافراد تحت سقف واحد ولكن تكون علاقاتهم في الحد الادنى ، وكذلك اتصالاتهم ببعضهم ، ويفشلون في

---

(1) William Goode, "Family Disorganization" in Robert K. Merton and Robert Nisbet, "Contemporary Social Problems N.Y., Harcourt Press, Jovanovich Inc., 1971, p. 468.

علاقاتهم معاً ، وخاصة من حيث الالتزام بتبادل العواطف فيما بينهم .

٤ ـ يمكن أن تحل الأزمة العائلية بسبب احداث خارجية External ، وذلك مثل الغياب الاضطراري المؤقت أو الدائم لأحد الزوجين بسبب الموت أو دخول السجن أو أية كوارث أخرى مثل الحرب أو الفيضان . . الخ .

٥ ـ الكوارث الداخلية التي تتسبب عن فشل لاإرادي في أداء الدور نتيجة الامراض النفسية أو العقلية مثل التخلف العقلي الشديد لأحد أطفال الأسرة أو الاضطراب العقلي لأحد الأطفال أو لأحد الزوجين ، والظروف المرضية الجسمانية المزمنة والخطيرة والتي يكون من الصعب علاجها .

وجدير بالذكر أنه لا ينظر لجميع أنماط تفكك الاسرة في أي مجتمع بنفس الدرجة من الأهمية . إلا أن الطلاق يعتبر أهم أشكال التفكك الاسري في جميع المجتمعات بلا استثناء .

الطلاق

تتضمن الانساق الإجتماعية في جميع أنحاء العالم شخصين على الاقل يعيشان معاً ، ورغم هذا فكل منهما له احتياجاته وقيمه الخاصة . ونتيجة لهذا الإختلاف تكون إمكانية الصراع قائمة ومن ثم تحدث الرغبة في الرحيل الإرادي . ويعتبر الزواج في كثير من المجتمعات عقداً مدنياً يمكن فسخه تحت ظروف معينة . وقد صنف روبرت وينش Robert Winch الظروف والقوانين التي تجعل الانحلال الزواجي أمراً مشروعاً كما يلي[1]

١ ـ يكون الزواج في بعض المجتمعات غير قابل للانحلال إلا

(1) Robert Winch, "The Modern Family" N.Y. Holt, Rinehart and Winston Inc. 1971, pp. 574-575.

بالموت ، وتتبع هذه المجتمعات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية .

٢ ـ تسمح بعض المجتمعات بالطلاق ، إذا ثبت أن أحد الزوجين أجرم في حق التزاماته الزوجية .

٣ ـ يسمح بالطلاق إذا تبين فشل الزواج وانهياره التام .

٤ ـ يسمح بالطلاق في حالة اتفاق الطرفين على ذلك .

٥ ـ يكون من حق الزوج المطلق أن ينهي زواجه بمحض إرادته ودون موافقة الطرف الآخر[١] .

ويعتبر الطلاق بدون شك « حادثاً مشئوماً » للاشخاص الذين يشملهم كما يعتبر مؤشراً واضحاً لفشل نسق الاسرة . بالاضافة إلى اعتباره دليلاً على محنة شخصية ، هذا وينظر إليه كذلك كطريق للهروب من توترات الزواج ومتاعبه . ويدعي « جود » أن الطلاق لا يسمح به فقط في معظم مجتمعات العالم ، بل يرى أن الطلاق في المجتمعات البدائية أعلى نسبة منه في المجتمعات المتحضرة .

---

(١) بالرغم من أن الزواج لا يتم في المجتمعات الإسلامية إلا بموافقة كل من الطرفين المقبلين على الزواج إلا أن الطلاق عندما يحدث فانه يكون من حق الزوج فقط ، وقد يحدث دون موافقة الزوجة أو حتى دون علمها ، ولهذا ظهرت الدعوة في الآونة الاخيرة إلى ضرورة توقيع الطلاق أمام القاضي ، بدلاً من توقيعه أمام المأذون ، لتكون هناك فرصة للتروي والحد من الاندفاع الذي قد ينتهي إلى تقويض الاسرة وتشريد الأطفال ، وحتى يمكن اجراء التحكيم القرآني تحت رعاية القاضي ، الذي يبدأ أولاً بمحاولة التوفيق بين الطرفين ، ثم بدعوة حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة حسبما جاء في الآية الكريمة . وعموماً فان ايقاع الطلاق بغير سبب شرعي حرام ومكروه ، فما أحل الله شيئاً أبغض اليه من الطلاق . وذلك فان الزوج اذا اوقع الطلاق بغير الطريق الذي رسمه القانون استحق الجزاء ، سواء كان هذا الجزاء تعزيزاً أو تعويضاً للمطلقة حسبما ينتهي اليه رأي القاضي .

الطلاق كجزء من نسق الاسرة

يميل الناس في العادة إلى النظر إلى الطلاق Divorce ككارثة أو كمأساة كما سبق أن أشرنا ، وعندما ترتفع معدلات الطلاق في مجتمع ما فإن هذا يكون دليلاً على أن نسق الأسرة لا يعمل بصورة مرضية . وبالرغم من أن بعض الأديان السماوية تبيح الطلاق إلا أنها تضع عوائق كثيرة في سبيله ، فالديانة المسيحية مثلاً تحرم الطلاق إلا في ظروف معينة ومحددة للغاية ، ونظراً لأن معظم المجتمعات الأوروبية (التي تدين بالمسيحية) تجعل من الحب الرومانتيكي القائم على الاختيار الحر أساساً للزواج فإن الطلاق إذن يعني الفشل .

ولما كانت جميع أنساق الزواج تتطلب وجود فردين (الزوج والزوجة) يعيشان معاً ، فإنه لا بد ـ ولو في فترة معينة من دورة الحياة الزوجية ـ أن تنشأ بينهما بعض الخلافات والتوتّرات والمشاكل ، قد تصل إلى درجة عالية بحيث تصبح حياتهما معاً مستحيلة وعند ذلك يلجآن إلى الطلاق كحل أمثل لهذه المشاكل وبهذا المعنى يكون الزواج سبباً في الطلاق ، أي أنه لكي يحدث الطلاق لا بد أن يحدث الزواج أولاً .

ويوجد نمط زواجي آخر منتشر في المجتمعات المتخلفة غير الصناعية وهو ارتباط الزوجين بشبكة العلاقات القرابية ، ولذلك لا تكون الخلافات قاصرة على الزوجين فقط بل قد تمتد ليشارك فيها الأقارب الأمر الذي يزيد من حدة التوترات بين الزوجين إلى درجة لا تطاق .

ويوجد في كل مجتمع بعض الانماط الاجتماعية ، يمكن عن طريقها ، تفادي هذه التوترات . وذلك مثل النظر إلى بعض الخلافات باعتبارها أموراً تافهة ، فقد يعتبر الناس الاختلاف النسبي في القيم بين العريس والعروس أمراً غير ذي أهمية .

وتختلف نظرة المجتمعات في تعريفها للمستوى أو للحد الذي يصبح معه الخلاف بين الزوجين أمراً لا يطاق أو في أسباب انحلال الزواج غير الموفق . فالرأي العام في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر مثلاً كان ينظر إلى الحد الذي لا تطاق معه الحياة الزوجية على أنه درجة من درجات عدم الانسجام التي لا يستطيع الأزواج في العصر الحديث تحملها .

هذا ويختلف الموقف من الزواج غير الموفق من مجتمع لآخر وخاصة في المجتمعات الغربية ، ففي أسبانيا وأيرلندا وإيطاليا والبرازيل لا يسمح هناك إلا بافتراق الزوجين القانوني ورفض أي شكل آخر مثل الهجر أو الانفصال الجسدي أما في المجتمعات التي تتميز بشبكة علاقات قرابية واسعة والتي يكون فيها الطلاق اختيارياً ، فإن الزوجين يستطيعان الاستمرار في أعمالهما اليومية ولكنهما يحدان من اتصالهما إلى الحد الأدنى . أما في المجتمعات التي تسمح بتعدد الزوجات فإن الرجل إذا ضاق بزوجته أو وجد أن حياته معها مستحيلة فله الحق في أن يتزوج من أخرى في نفس الوقت . وبذلك يمكنه أن يرفض قضاء أي وقت مع إحدى زوجاته إذا كانت علاقته بها غير سعيدة أو غير موفقة . وفي الصين يقيم الزوج غير الموفق في علاقته بزوجته بعيداً عن بيته لفترات طويلة من الزمن مع بعض أقاربه أو جماعات العمل « وهذا يعتبر نوعاً من الانفصال » .

ويحدث الطلاق إذن نتيجة لتعاظم الخلاف بين الزوجين إلى درجة لا يمكن تداركها ، ولكنه بالإضافة إلى ذلك يؤدي إلى صراع جانبي بين كل من أسرتي الزوج والزوجة . حيث تقع بينهما في العادة خلافات لانهاية لها ذات مضمون مادي أو معنوي أو تتعلق بالأطفال الذين كانوا ثمرة هذا الزواج . ولا توجد في أي مجتمع طرق معينة واضحة لتجنب أو خفض حدة الصراع الزواجي ، أو حتى جعل الأزواج قادرين على تحمل زيجاتهم .

فالطلاق إذن يكون أحد صمامات الأمن للتوترات الحتمية التي تقع في

الحياة الزوجية ، وليس لدينا حالياً أي مقياس أو دليل نصل منه إلى أسباب تفضيل معظم المجتمعات للطلاق بدلاً من أشكال الانفصال الاخرى . فالطلاق هو الحل الاكثر انتشاراً لمشاكل الحياة الزوجية . كما أن الحلول البديلة التي تقدمها المجتمعات المختلفة للفصل بين الزوجين في حالة وقوع الخلاف بينهما هي في الواقع اختلاف في نمط الطلاق والنقطة الوحيدة التي يختلف فيها الطلاق عن هذه الاشكال من الانفصال هي انه يسمح بالزواج الثاني لكل من الزوج والزوجة .

وفي المجتمعات التي لا تسمح بالطلاق فإن الرجال عادة ما يدخلون في علاقات جديدة وعديدة خارج الزواج ، وذلك باتخاذ عشيقات لهم ، إلا أن هذا السلوك لا يعتبر قانونياً وهو أيضاً مخالف لقواعد الدين . ومن الأمثلة على ذلك ، أنه في الهند يستطيع الرجل أن يأتي بزوجة أخرى تعيش مع زوجته في نفس المنزل وفي الصين واليابان يمكن أن يكون للرجل محظية أو عشيقة ، ولكن هذه الإمكانية « إمكانية إتخاذ عشيق » لا يسمح بها للمرأة على الاطلاق مهما كانت درجة عدم توفيقها وتعاستها في الزواج . وفي المجتمعات التي تسمح بتعدد الزوجات يستطيع الرجل أن يتزوج بأخريات في حالة عدم قدرته على احتمال الحياة مع زوجته الأولى ، بينما لا يسمح للزوجة التي تكون في نفس الظروف بالزواج من رجل آخر في نفس الوقت . كما أن الدول الغربية التي يسمح فيها بانفصال فقط وليس بالطلاق (العقيدة المسيحية في المجتمع المصري أيضاً لا تقبل الطلاق ولكنها تقبل الانفصال في حالة عدم تمكن الزوجين من المعيشة معاً) فالإتجاه العام يعارض بشدة دخول الزوجة في علاقات غير مشروعة . . بينما تغض الطرف عن اتخاذ الازواج لعشيقات .

وعموماً نستطيع أن نقول ، أن الطلاق نهاية مؤلمة للغاية أو أنه مأساة ، ولكنه في الحقيقة أفضل من الحياة التعسة غير الموفقة ، وحتى في حالة وجود أطفال فإن معيشة الاطفال مع الام أو الاب في حالة انفصالهما تكون أفضل من

المعيشة في جو مشحون بالخلافات والصراعات الدائمة مما يكون له أكبر الاثر على سلامتهم النفسية أو في تكوين شخصياتهم بصورة سوية .

معدلات الطلاق

تختلف معدلات الطلاق من مجتمع لآخر تبعاً لظروفه المجتمعية والسياسية والاقتصادية وكذلك تبعاً للقيم والمعايير ولاسباب أخرى عديدة ، ويتميز المجتمع الامريكي بأعلى نسبة طلاق بين الدول الغربية . ومع ذلك فكثير من المجتمعات الاخرى كان لها في الماضي نسبة أعلى من الولايات المتحدة في الطلاق مثل مصر (١٩٣٥ ـ ١٩٥٤) واليابان (١٨٧٩ ـ ١٨٨٧). والجزائر (١٨٧٧ ـ ١٩٤٠) .

وسوف نستعرض في الجدول التالي ارتباط معدلات الزواج بمعدلات الطلاق في المجتمع المصري ، التي يظهر فيها بوضوح أن معدلات الطلاق ترتفع كلما زادت معدلات الزواج . والعكس صحيح ، ومن تحليل البيانات الاحصائية الواردة في هذا الجدول يتبين أن أعلى معدل الطلاق في العشرين سنة الأخيرة يظهر في عامي ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ . ثم بدأت معدلات الطلاق تسير بعد ذلك بصورة متوازنة إلى أن بلغت أدنى معدل لها في عام ١٩٦٧ (عام الحرب) . ولكن يلاحظ أن معدلات الزواج في هذه السنة كانت هي الأخرى منخفضة . وهذا يعني أن ظروف خيبة الأمل والإحساس بالضياع وانعدام الأمن التي سادت مصر في النصف الثاني من هذا العام كان لها دخل مباشر في إنخفاض معدلات الزواج والطلاق على السواء .

وقد تبين من الاحصاءات أن معدلات[1] الطلاق تختلف من الريف إلى

---

(١) الاحصاءات المتعلقة بالمجتمع المصري مستمدة من بيانات الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء .

الحضر ففي إحصاء عام ١٩٧١ تبين أن معدل الطلاق في الحضر يصل إلى ٢,٦ لكل الف من السكان بينما يصل الى ١,٧ فقط في كل الف من السكان في المناطق الريفية ، أي أن معدل الطلاق مرتفع في المدينة عنه في القرية ويرجع ذلك إلى عدة أسباب .

أ ـ أن المرأة في المناطق الريفية ما زالت لا تعمل (في وظيفة) ولذلك فهي تعتمد اقتصادياً بصورة مطلقة على الزواج ومن ثم فهي تحرص على ارضائه لأنه عملياً يمثل عائلها الوحيد ، وجدير بالذكر أن الزوجة الريفية بالرغم من فشل زواجها ، وعدم حبها لزوجها ، وتعاستها الشخصية تتحمل استمرار الزواج لاعتمادها اقتصادياً على الزوج وخوفها من سخط المجتمع وتقولات الناس إذا طلبت الطلاق ومن ناحية أخرى قد يتحمل الزوج الريفي أيضاً المعيشة مع زوجته لشفقته عليها أو لكثرة عدد أطفاله منها .

ب ـ تختلف ظروف الحياة في المدينة وهذا يبدو واضحاً من أن استقلال أكثر النساء إقتصادياً يجعلهن أكثر جرأة في طلب الطلاق إذا أصبحت حياتهن مع أزواجهن مستحيلة .

جـ ـ يفرض أسلوب الحياة في المدينة على المرء أن يستغل الفرصة حرصاً على مصالحه واهتماماته الخاصة تلك التي قد يقف الزواج أحياناً في سبيلها .

د ـ تتعارض أحياناً متطلبات الأسرة مع ظروف العمل مما يخلق مواقف صراعية بين الأدوار الاسرية والأدوار المهنية .

هـ ـ يرتبط الزوجان عادة بأنشطة عديدة خارج نطاق الأسرة مما يحول بينها وبين القيام بالالتزامات الأسرية بصورة مرضية ، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور المشاكل والمتاعب المعجلة بانهيار الزواج .

و ـ يحتمل أن يكون للتغيرات الاجتماعية المتلاحقة في المجتمع

معدلات الطلاق والزواج لكل الف من السكان في مصر

السنة	معدل الزواج	معدل الطلاق
١٩٥٢	١٠,٨	٢,٣
١٩٥٣	٩,٨	٢,٨
١٩٥٤	٩,٧	٢,٦
١٩٥٥	٩,٨	٢,٦
١٩٥٦	٩,٤	٢,٤
١٩٥٧	١٠,٠	٢,٥
١٩٥٨	٩,٢	٢,٤
١٩٥٩	٩,١	٢,٤
١٩٦٠	١٠,٩	٢,٥
١٩٦١	٨,٦	٣,٢
١٩٦٢	٨,٥	٢,٠
١٩٦٣	٩,٨	٢,١
١٩٦٤	١٠,٥	٢,٢
١٩٦٥	٩,٨	٢,٢
١٩٦٦	٩,٨	٢,١
١٩٦٧	٧,١	١,٨
١٩٦٨	-	-
١٩٦٩	٩,٥	١,٩
١٩٧٠	-	-
١٩٧١	١٠,٢	٢,١

الحضري أثرها في احساس الأفراد بعدم الاستقرار والقلق الدائم ، مما ينمي لديهم ، مشاعر الأنانية وعدم الرغبة في التضحية من أجل الآخرين .

ز ـ يعتبر الزواج في الريف أمراً ضرورياً وحتمياً وعملاً من أعمال الأسرة . ومحققاً لقيم جمعية ، أما في المناطق الحضرية فالزواج مسألة شخصية بحتة لا تعني سوى الشابين المقبلين على الزواج . ولذلك يكون الطلاق في الريف من الأمور الصعبة والمكروهة بينما يكون الأمر غير ذلك في المدينة .

بعض الخصائص المميزة للمطلقين

ليس هناك شك في أن الطلاق يرتبط ببعض العناصر البنائية الهامة مثل السن والجنس والتعليم والمهنة وسوف نستعرض فيما يلي بعض هذه العناصر :

أ ـ العمر

تبين من بيانات الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء أن ظاهرة الطلاق تقع في جميع الفئات العمرية بدون استثناء سواء في الشباب أو الشيوخ . إلا أن نسبته ترتفع عند الزوجات اللاتي يقل عمرهن عن عشرين سنة ذلك أن صغر سنهن وقلة تجاربهن تدفعهن إلى إنهاء علاقاتهن الزواجية بسرعة والملاحظة الهامة هنا هي أنه بعد تجاوز الزوجات العام الخامس والثلاثين فإن احتمالات حدوث الطلاق تقل بشكل ملحوظ ، ذلك لأن المرأة بعد هذا السن تكون أكثر حرصاً على استمرار حياتها الزوجية ، لقلة أو انعدام الفرص التي قد تتيح لها الزواج مرة أخرى إذا هي طلبت الطلاق .

وتكشف البيانات الإحصائية كذلك أنه كلما ارتفع عمر المطلق ارتفع عمر مطلقته ، هذا ويكثر وقوع الطلاق بين الرجال ابتداء من بلوغهم سن

العشرين وقبل بلوغهم الخامسة والثلاثين ومع أن البيانات كشفت عن زيادة معدلات طلاق الزوجات تحت سن العشرين ، إلا أن الأزواج الذين تقل أعمارهم عن العشرين فإن الطلاق بينهم أمر نادر الحدوث ، وهو نتيجة حتمية لندرة المتزوجين من الشبان قبل العشرين وخاصة في المدن ، بعكس الحال بالنسبة للفتيات كما سبق أن ذكرنا اللائي تزداد حالات الطلاق بينهن في هذه الفئة العمرية ، وفي هذا دلالة على أن صغر سن الزوجة وقلة خبرتها بأمور الحياة ، يحولان أولاً : دون اختيارها للزوج المناسب وثانياً : ويقللان من قدرتها على مواجهة الصعاب التي تقابلها وتسهمان في عجزها عن التكيف الملائم مع المواقف الاجتماعية المختلفة .

وتشير البيانات المتاحة أيضاً إلى أكثر حالات الطلاق تتم بين زوجات أنجبن طفلاً واحداً ، وتقع أعمار هؤلاء في الفئة العمرية ٢٠ ـ ٢٥ عاماً وهذا يؤكد أن ازدياد عدد الأطفال في الأسرة قد يقلل من احتمالات الطلاق . فالأبناء يزيدون من مسؤولية الوالدين . وربما يعتبر ذلك السبب من أجله تكون الأسرة التي لم تنجب أكثر تعرضاً للتفكك وعموماً ، فانه يمكن القول أنه كلما ازداد عدد الأطفال وكبر عمر الزوجين تناقصت فرص الطلاق ، وهذا يعني أن الشعور بالمسؤولية عند الزوجين يتزايد بمرور الوقت وخاصة عندما تزداد الوحدة الأسرية حجماً بانجاب الأطفال وانشغالها بواجب رعايتهم وتنشئتهم ، كما أن الأطفال عندما يكبرون فإنهم كثيراً ما يحولون بين والديهم وبين اقدامهم على الطلاق .

ب ـ المهنة

ترتبط المهنة ارتباطاً قوياً بارتفاع معدلات الطلاق أو انخفاضها . ويبين الجدول الآتي العلاقة بين الطلاق وأصحاب المهن المختلفة .

التوزيع النسبي لاشهارات الطلاق حسب مهنة المطلق ١٩٦٩[١]

مهنـة المطلـق	التوزيع النسبي لاشهارات الطلاق
١ ـ أصحاب المهن الفنية والعلمية ومن اليهم	٧,٤
٢ ـ المديرون والاداريون ومديرو الاعمال	٠,٩
٣ ـ القائمون بالأعمال الكتابية	٦,٥
٤ ـ القائمون بأعمال البيع	٧,٢
٥ ـ العاملون بالزراعة وتربية الحيوان وصيد البحر والبر	٣٠,٣
٦ ـ عمال الانتاج والفعلة والعتالون وعمال وسائل النقل	٢٣,٤
٧ ـ الافراد الذين لا يمكن تصنيفهم حسب المهن	١٨,٩
الجملة	١٠٠,٠

ومن هذه البيانات يتبين أن فئة المديرين وأصحاب المهن الادارية هم أقل الفئات طلباً للطلاق من زوجاتهم ، وأكثرهم التزاماً بالروابط الاسرية واحتراماً لها . بينما تبلغ نسبة الطلاق أعلى معدل لها عند العاملين في الزراعة وتربية الحيوان والصيد . ويرجع انخفاض معدل الطلاق بين الفئات العليا والدنيا إلى أن حياة الفئة الاخيرة مليئة بالمشكلات الناجمة عن سوء أوضاعهم المادية وانخفاض مستوياتهم الثقافية والتربوية . وقد يرجع ذلك أيضاً إلى أن الفئات الدنيا ليس أمامها بدائل أخرى متاحة تخفض حدة التوترات الزواجية ، مثلما هو متاح للفئات العليا ، أو ربما يرجع ذلك إلى أن الضوابط الاجتماعية في بعض أقسام الفئات العليا تجعل من استمرار الزواج ، قيمة في حد ذاتها تسهم في مقاييس الصلاحية أو القيادة ... الخ .

---

(١) بيانات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء .

جـ- التعليم والطلاق

يرى كثير من علماء الاجتماع أن إقبال المرأة على طلب العلم وتحررها الاجتماعي والاقتصادي ، قد ولد لديها شعوراً قوياً بالتمرد على سلطة الرجل التقليدية ، وقد تبين عند محاولة التحقق من هذا الافتراض على المجتمع المصري أن ٧٣,٩٪ من حالات الطلاق تقع بين الاميين . وأن ٣٤,٩٪ منها تقع بين الاميات ، ولما كانت هذه البيانات تؤكد أن حالات الطلاق تزداد بين الأميين والأميات ، فإن هذا يعني أنه كلما زاد حظ الزوجة أو الزوج من التعليم ، ازدادت مسؤولياته نحو أسرته ، وكان أكثر تردداً في قبول مبدأ هدمها وطلب الطلاق ويتفق هذا مع ما ذهب اليه بعض علماء الاجتماع من أن المتعلمين والمتعلمات أكثر نفوراً وكرهاً للطلاق ، وأكثر من غيرهم كذلك في تحمل الإلتزامات الاسرية .

وقد كان من المعتقد أن حصول المرأة المصرية على حقها في التعليم والعمل سوف يعطيها الحرية الكاملة للتعبير في حد ذاتها ، وتأكيد شخصيتها أمام زوجها المتوحد مع قيم تؤكد سيطرة الرجل وسيادته ، مما يؤدي بالحياة الزوجية إلى الانحلال والطلاق / إلا أن البيانات الاحصائية تؤكد عكس ذلك حيث تبين أن الطلاق أكثر حدوثاً بين الأميات وأقل وقوعاً بين المتعلمات ، هذا إلى أن التجربة الثانية في الزواج تبين أنها أكثر تعرضاً للفشل بين الأميات من غيرهن نتيجة للتسرع وعدم تلافي الأخطاء التي وقعت في الزواج السابق فضلاً عن أنها تتم أحياناً بسرعة ، لإغاظة الزوج السابق أما التجربة الثانية في الزواج بين المتعلمات فإنها تكون أكثر استمراراً ولا نقول اكثر نجاحاً . كذلك تبين أن المطلقين يتشابهون مع المطلقات ، حيث يكون الطلاق أكثر وقوعاً بين الأميين وممن يعرفون القراءة والكتابة وتتعرض الزيجة الثانية عندهم للفشل إذا قورنت بالزيجة الثانية عند المتعلمين .

د ـ أنواع الطلاق

الأول : هو الطلاق « الرجعي » ولا تحل به عقدة الزواج في الحال حيث يملك الزوج اعادة مطلقته إلى حياته الزوجية دون عقد جديد ، ما دامت في العدة سواء رضيت أم لم ترض .

الثاني : هو الطلاق « البائن » ويقصد به حل رابطة الزواج في الحال .

الثالث : ويعرف باسم « المبارئة أو الخلع » وهو الطلاق على مال وشرع لتفتدي المرأة نفسها من زوج لا تريد البقاء معه .

الرابع : ويعرف باسم اليمين أو الحلف ، حيث يحلف الرجل بألا يقرب من زوجته مدة قد تطول أو تقصر رغبة في إذلالها وإيذائها[1] .

وقد تبين من الاحصاءات أن الشكلين الأول والثاني أكثر حدوثاً في المجتمع المصري ، حيث تبلغ نسبة كلاً منهما حوالي ٤٩,٠٪ تقريباً بين مجموع حالات الطلاق .٠

والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن ظاهرة تعدد الزوجات بدأت تختفي من المجتمع المصري وأصبح من النادر أن يتزوج الرجل من امرأتين ، أما الزواج بثالثة فظاهرة تكاد تختفي بصورة نهائية . وليس هناك شك في أن ارتفاع تكاليف المعيشة ، ونظام العمل في المجتمعات الحضرية الذي يتطلب من الرجل مزيداً من الاهتمام والتفرغ لعمله يصرفه عن التفكير الدائم في أمور الجنس ، بالإضافة إلى ارتفاع مكانة المرأة وشعورها بضرورة سيادتها على بيتها ونفورها الشديد من أن تشاركها امرأة أخرى في زوجها ، كل هذه العوامل وغيرها ساعدت بل أدت إلى إحجام الأزواج عن الزواج من واحدة وبالتالي اختفاء ظاهرة تعدد الزوجات تقريباً .

---

(١) زكي شعبان ، (الزواج والطلاق في الاسلام) ، القاهرة ، ١٩٦٤ وأيضاً عمر فروخ ، الاسرة في التشريع الإسلامي : بيروت ، المكتبة العلمية .

التغيرات في معدلات الطلاق
كمؤشر للتغيرات الاجتماعية الأخرى

إن ارتفاع معدلات الطلاق في أي مجتمع يكون إشارة واضحة على تفككه ودليلاً على التغير في نسق الأسرة وبالتالي يصبح مؤشراً على التغير في بناء المجتمع ككل .

وهنا يجب أن نوضح أن التصنيع لم يكن له علاقة بارتفاع معدلات الطلاق في معظم المجتمعات الذي حدث فيها . ففي اليابان انخفضت معدلات الطلاق في نصف القرن الأخير وكذلك الأمر بالنسبة للجزائر وعلى العكس من ذلك ، ارتفعت معدلات الطلاق في جميع بلاد أوروبا الغربية التي يسمح فيها بالطلاق .

وهذا يعني أنه بالرغم من انتشار التصنيع في المجتمعات المشار اليها فان معدلات الطلاق انخفضت في بعضها بينما ارتفعت في الأخرى ، ولكن يلاحظ أن النسق الصناعي كما يؤكد كثير من الباحثين يتطلب شكلاً معيناً من الأسرة وهو الأسرة النواة أو الزوجية ، حيث يشعر الناس في ظل هذا النمط الزوجي المتطور بحرية كبيرة في تصرفاتهم وبحقهم في اختبار من يتزوجونهم . وفي ظل التصنيع كذلك يستطيع الناس أن يبدأوا حياتهم الزوجية على أساس الأعمال التي يشغلونها سواء في المصانع أو المكاتب ، فمن المعروف أن نسق الأسرة النواة أصبح اليوم النسق الشائع في كثير من المجتمعات الأمر الذي يفرض على كل من الزوجين أن يتوقعا توفر جميع احتياجاتهما العاطفية من خلال وحدة الأسرة الصغيرة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال وهذا هو الموقف الذي يلقي على الأسرة النواة عبئاً أو حملاً عاطفاً ثقيلاً لم تكن تتحمله الأسرة الممتدة التقليدية لأن هذا العبء كان يوزع على أعضاء النسق القرابي الكبير . ونتيجة لذلك ، فمن المتوقع أن تعمل

الأسرة كوحدة هشة وضعيفة إلى حد كبير. لأنه عندما يفشل الزوج أو الزوجة في إيجاد الاشباع العاطفي من خلالها ، فإن المصادر الخارجية وهي قليلة بل ونادرة تفشل في تقديم البديل .

وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام ، وهي أن كثير من المؤسسات العديدة التي توجد في المجتمعات الذي يقوم اقتصادها على الصناعة تتيح للرجل الحصول على كثير من الخدمات المنزلية إذا لم يكن متزوجاً وتتزايد مقدرة المرأة في نفس الوقت على إعالة نفسها حتى وأن لم يكن لديها أملاك أو أن تكون متزوجة وقد ترتب على هذه العوامل أن أصبحت الأسرة النواة لاتتمتع بدرجة عالية من الثبات . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عندما تكون العلاقة الزواجية هشة نتيجة لتدخل الكبار وسيطرتهم على زواج أبنائهم ، كما في اليابان[1] ، أو تعتمد على نزوات الرجل وشهوته ، كما هو في الحال في بعض البلاد العربية ، فإن الاستقلال في المسكن والحياة للشاب والشابة المقبلين على الزواج ، وإرتباطهما العاطفي الشديد ، وأيضاً القوة المكتسبة للمرأة ، كل هذا قد يعني ثباتاً وإستقراراً متزايداً لوحدة الأسرة التي ما زالت بالرغم من انهيار الشكل التقليدي لها تقوم بوظائف عديدة مثل الإنجاب ، ومنح المكانة والإعالة والتنشئة الاجتماعية للطفل ، والضبط الاجتماعي على أعضاء الأسرة بالإضافة الى أن الحرية في التنقل بهذا النسق المستحدث يبدو أنه يتلاءم بصورة أفضل مع احتياجات الاقتصاد الصناعي ، بالرغم من

---

(١) بالرغم من ارتباط شكل الأسرة النواة بالنظام الصناعي الحديث في كثير من أنحاء العالم باعتبارها أكثر الأشكال تحقيقاً لمتطلباته ، إلا أن اليابان كدولة صناعية متقدمة يسيطر شكل الاسرة الممتدة التقليدي على النظام الاسري فيها حتى الآن ويرجع ذلك إلى تمسك زعماء « الميجي » باستمرار اتباع أسلوب « الباشيدو » الذي يعني عبادة وتقديس الأجداد ، وقد أدى هذا إلى سيطرة الآباء على زيجات أبنائهم ، فالمشاكل الاسرية يمكن حلها داخل نطاق الأسرة الممتدة . والممتلكات الجديدة تضاف إلى ممتلكات الأسرة وكذلك المواليد والوفيات فانها تسجل في سجلات الأسرة هكذا .

التغيرات العديدة التي تحدث في الأنساق الأسرية، والأبنية الاجتماعية الواسعة ، والمتغيرات في الثروات الشخصية للأفراد الذين يستطيعون الزواج . فإن مصطلح «التفكك» لا يكون ملائماً أو صالحاً للتطبيق .

معنى الاختلافات في الخلفية الاجتماعية

في أي دراسة للأزمات الزواجية لا بد من الاهتمام بمكونات الخلفية الثقافية والاجتماعية لكل من الشخصين المقبلين على الزواج ، لكن الاختلاف في الخلفية لا يمكن أن يكون السبب الأساسي للطلاق ، وإن كان التشابه فيها يعمل أو يساعد على خفض التوترات إلى حد كبير مما يحول دون وقوع الانفجار أو الانفصال أو الطلاق .

وهناك عديد من الصفات أو الملامح للوضع الاجتماعي ، وتجارب المرء وثقافته وبيئته السابقة تعمل على زيادة أو نقصان الاحتمال القوي للانحلال الزواجي Dissolution ، ويمكن أن نقول أن الطلاق يبدأ Begins قبل المشاجرة الأولى ، أو حتى قبل أن يتقابل الطرفان . ومن الصعب أن نستعرض هنا جميع العوامل التي تؤدي إلى تفكك الزواج وانهياره ، ولكن من الملائم أن نستعرض بعض هذه العوامل من ناحية أهميتها السوسيولوجية ويمكن تلخيصها فيما يلي :

الخصائص المكونة للخلفية المرتبطة بدرجة الميل الى الطلاق

درجة ميل عالية نحو الطلاق	درجة ميل منخفضة نحو الطلاق
١ ـ الخلفية الحضرية	الخلفية الريفية
٢ ـ الزواج في سن مبكرة جدا (الخامسة عشرة حتى التاسعة عشرة)	الزواج في سن مرتفع نسبياً (ثلاثة وعشرون سنة للرجل وعشرين سنة للفتاة)
٣ ـ التعارف لفترة قصيرة قبل الزواج	التعارف لمدة سنتين أو أكثر قبل الزواج
٤ ـ الخطبة القصيرة أو بدونها .	الخطبة لمدة ستة أشهر أو أكثر .
٥ ـ أباء العروسين غير موفقين في زيجاتهم	آباء العروسين موفقين في زواجهم .
٦ ـ عدم موافقة الأقارب والاصدقاء على الزواج .	موافقة الاقارب والاصدقاء
٧ ـ عدم تشابه الخلفيات بوجه عام	التشابه في الخلفية
٨ ـ التعريفات أو التحديدات المختلفة لالتزامات الدور المتبادلة بالنسبة للزوج والزوجة .	اتفاق الزوج والزوجة على التزامات الدور الخاصة بكل منها .

وباستعراض هذه الخصائص فإنه يمكن إدراجها تحت أربعة عناصر رئيسية[١] .

١ ـ هناك احتمال قوي في أن الشخص الذي تكون لديه خلفية عميقة ، يستند إلى نسق أقوى من القيم المضادة أو المناهضة للطلاق .

(1) Locke, H.J. "Predicting Adjustment in Marriage" Holt Rinehart and Winston. 1950.

٢ ـ توجد في كل مجتمع أنماط عديدة من الضغوط الاجتماعية التي تقف عائقاً في سبيل وقوع الطلاق .

٣ ـ يؤدي الأسلوب الذي تسلكه عمليات الإختيارات الزوجية إلى فرز أو تصنيف هادف لشركاء الزواج .

٤ ـ تكون الراحة والطمأنينة في التوافق الزواجي محتملة جداً بين الأشخاص ذوي الخلفية الاجتماعية المتشابهة سواء من الناحية الفكرية أو الثقافية أو المادية .

وعموماً ، نستطيع أن نقول أن الشخص الذي يتمسك بقيم معينة في الحياة . (وخاصة القيم المحافظة) يتروى كثيراً قبل أن يقدم على الطلاق أو حتى يفكر فيه . وإلى جانب هذا ، فإن الشخص عادة ما ينتمي إلى دائرة حياة اجتماعية أوسع منه تضغط عليه وتدفعه نحو محاولة التوافق مع شريكه وتجنب الصراع بقدر الإمكان . ذلك أنه عندما يوافق الأقارب والأصدقاء على زواج شاب وفتاة ، فإنهم ينصحونهما بالتفاهم والتوافق والتكيف وأن يتحمل كل منهما الآخر مهما كانت الظروف ، والا يصل الصراع بينهما إلى النهاية . فالطلاق حينما يحدث فإنه يهدد إلى حد كبير شبكة العلاقات القرابية التي تكونت نتيجة للزواج .

وتساعد بعض هذه العوامل «الخلفية»، «وخاصة» موافقة الأقارب والأصدقاء، على ان يجد الفرد الرفيق المناسب لرغباته وميوله ، مما يجعله يحاول التوافق معه (حتى قبل الزواج) . ومن الممكن ان ننظر الى موافقة الأقارب والاصدقاء باعتبارها موضوعاً مزدوجاً ، فهي أولاً تقدم نوعاً من التنبؤ Prediction بأن هذين الشخصين يلائم كل منهما الآخر ، ويصلح زوجاً له ، والسبب في هذا يرجع أولاً إلى معرفة الشخصين أو أحدهما معرفة وثيقة (ناتجة عن القرابة أو الصداقة) وبالتالي يكون في إمكانهم الحكم عما إذا كان من

الممكن أن يتلاءما معاً . وتعاون الموافقة ثانياً على ربط الشخصين أحدهما بالآخر ، وتنمية شعورهما بالالتزام . فضلاً عن أن الموافقة المسبقة من الجميع تجعل التوافق بين الزوجين أسهل وتحقق السعادة ممكناً .

هذا ويمكن اعتبار طول مدة التعارف وكذلك طول مدة الخطبة مؤشراً هاماً لمدى التوافق بين الخطيبين . لأنه يمكن اعتبارها فترة من التجربة المشتركة من خلالها يمكن للتوافق أن يتم ، فإذا عرف رجل وامرأة أحدهما الآخر لفترة طويلة من الزمن ، فمن المحتمل أن يكون ذلك راجعاً بالفعل إلى خصائصهما المشتركة ، وعندما يعيشان معاً لمدة طويلة بعد ذلك فإن تفاعلهما يصبح ايجابياً وباعثاً على السرور والسعادة . وإذن فطول مدة التعارف أو الخطبة يعطي الفرصة الصحيحة إما للتوافق وإما لإنهاء الارتباط[1] . وليس غريباً إذن أن ندعي أن الخصائص الخلفية لكل من الزوجين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى ثبات الزواج أو تفككه . ومع ذلك ، فإن طول مدة الخطبة دليل على وجود العوامل الأخرى والا ما استمرت . وغالباً ما تكون الزيجات التي تتم دون فترة خطبة ولو قصيرة هي في الحقيقة زيجات اضطرارية لسبب أو لآخر . إلا أن الزيجات التي تقوم على تصور معين للزواج تكون أقل عرضة للطلاق .

وأخيراً ، فإن طول مدة الخطبة يحمل معاني اجتماعية مختلفة تبعاً

---

(١) ليس المقصود هنا أن تطول فترة الخطبة أو التعارف لمجرد الرغبة في الاستمتاع بالصحبة أو لمواجهة بعض المشاكل المتعلقة بالسكن أو الدخل . وإنما المقصود اساساً أن تصبح هذه الفترة مجالاً للتفكير التخطيطي البعيد عن ضغط العواطف أو الاحلام وربما الأوهام لأن الزواج لا بد أن يقوم إلى جانب القدر المعقول من العواطف المشتركة على الفهم المتبادل والاستعداد الواعي للتعاون ـ كما أن طول هذه الفترة يعطي الخطيبين فرصة للمراجعة وللتدريب على اداء ادوار تتسم بالمسؤولية المشتركة ، لأنه يحدث في بعض الأحيان أن يكتشف احد الخطيبين في الآخر نظرة للحياة تتناقض تماماً مع نظريته ويعتبر ذلك مؤشراً منطقياً لاحتمالات الصراع المستقبلة لا بد ان تعالج بعيداً عن ضغط المصالح القرابية أو التبريرات التي يمكن أن تستند إلى الانصياع لاتجاهات الرأي العام .

للطبقة الاجتماعية التي تتم فيها ، فلو تتبعنا ظروف الخطبة في المجتمع المصري لظهر لنا أن الظروف المادية الصعبة قد تحول دون زواج كثير من الشباب مما يتسبب عنه طول مدتها وخاصة بين شباب الطبقات المتوسطة الذين هم في العادة من الموظفين ، ومن أبناء موظفين ولهم طموحات معينة سواء في متطلباتهم المظهرية أو المعيشية . أما الخطبة في الطبقات العليا والدنيا فقد لا تستغرق وقتاً طويلاً إذا حدث التوافق والانسجام بين الخطيبين ، ذلك لأن الجوانب المادية لا تشكل عبئاً عند الشباب من الأسرة الغنية وكذلك الأمر بالنسبة للشباب الذين ينتمون إلى أسر معدمة لأن متطلباتهم تكون محدودة ومتواضعة للغاية سواء من ناحية الشاب أو الفتاة أو أسرتيهما .

خلاصة الأمر أن هناك احتمالاً كبيراً في انهيار الزواج إذا كان الزوجان يتميزان بخصائص اجتماعية متباينة ، ففي جميع أنساق الزواج المعروفة عالمياً ينظم الزواج عن طريق الكبار أو عن طريق الشاب والشابة أنفسهما وعادة ما يقع الاختيار على من يتشابهون في خلفية مشتركة من الخصائص الاجتماعية وعلى الأخص ما تعلق منها بمكانة الأسرة وثروتها . وقد تكون الخصائص المشتركة بين العروسين فيزيقية مثل الطول أو لون البشرة أو العينين ، أو خاصية اقتصادية مثل الخلفية المهنية (وهذه الملاحظة واضحة جداً في المجتمع المصري حيث يفضل الشباب الزواج من نفس مهنتهم فالطبيب يفضل الزواج بطبيبة والمهندس مهندسة والمدرس مدرسة وهكذا)[1] . إلا أن كل هذه الخصائص لا تشكل أهمية كبيرة في التوافق الزواجي إذ يحاول كل من العروسين أو الخطيبين أن يجد في الآخر نفس الاتجاهات والميول

---

(1) هناك مجال لدراسة مدى الاقبال على الزواج بين المهنيين بمقارنتهم بغيرهم كالعمال أو الفلاحين ، لأن هناك انطباعاً بأن من ينتمون إلى الفئة الأولى لا يقبلون على الزواج بعكس الحال في الفئتين الاخريين ، خاصة وأن بعض الدراسات أثبتت أن هناك اعداداً من المهنيين ربما تتزايد في المستقبل يبقون اكثر حياتهم بلا زواج أو ربما لا يتزوجون أصلاً .

والعادات والذوق . ولكن عندما يتدخل الكبار في الإختيار فإنهم يحرصون على إقامة زواج ثابت ودائم لأبنائهم نظراً لما أنفقوا من وقت وأموال على تربيتهم بالإضافة إلى حرصهم على سمعة الأسرة ومكانها في المجتمع ولهذا فهم يحاولون دائماً البحث عن من يتناسب أو يتساوى معهم في هذه الجوانب .

الترمل Widowhood

يعتبر الموت مسألة حتمية يتعرض لها كل انسان . ويؤدي موت أحد الزوجين إلى تغير الدور الاجتماعي للشريك الباقي على قيد الحياة . ويطلق على الزوجة التي مات عنها زوجها مصطلح أرملة Widow والزوج الذي ماتت عنه زوجته مصطلح أرمل Widower . وجدير بالذكر أن الطبيعة المتغيرة للأسرة قد أدت إلى نشوء مشاكل جديدة في توافق الزوج أو الزوجة عندما يموت أحدهما ، لأن بناء الأسرة وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بمكان الإقامة الدائمة لها قد جعل من موت أحد الشريكين عاملاً من عوامل التفكك الذي ينبغي أن يواجهه الشريك الآخر ، ويظهر هذا بوضوح إذا عقدنا مقارنة في هذا المجال بين الجماعات التي تشتمل على عدد من الأسر أو المناطق الريفية أو المجتمعات التقليدية القديمة ، فقد أظهرت الأبحاث التي أجريت في المناطق الحضرية الحديثة وفي العينات التي أخذت من الطبقة المتوسطة أن الزوجات يواجهن الوحدة إذا مات أزواجهن[١] وتبين كذلك أن العزاب وبالأخص إذا كن من النساء لا يكون لهن مكان في ميدان العلاقات الاجتماعية التي تمارس من خلال نسق ثابت ، ومن المحتمل جداً أن يفقدن بصورة تلقائية العضوية التي كن يتمتعن بها في الجماعات التي كانت تقوم على الاعتراف بأهلية الزوجين

---

(1) Helena Z. Lopata, "Loneliness: Forms and Components" Social Problems, Fall, 1969, p. 249.

معاً للدخول في علاقات متبادلة ومشتركة مع الأخرين . ويلاحظ كذلك ، وكنتيجة للأبحاث المشار اليها أن عدداً كبيراً من الذين لم يتزوجوا مطلقاً يمكنهم أن يكونوا عبر السنين أنماطهم الخاصة في الرفقة أو العزلة ، إلا أن الأرملة بوجه خاص تجد نفسها قد استبعدت فجأة من المحيط الذي تعودت أن تعيش فيه والتي كان لها من خلاله مكانة أو وضعاً مريحاً وملائماً[1] .

إن الأدوار الجديدة لكل من الأرمل والأرملة يبدو أنها تختلف في جوانب عديدة ، ويبدو أن هذا يرجع في المحل الأول إلى الاختلافات الجنسية ذلك لأنه ولأسباب عديدة يكون الدور الجديد للأرملة أكثر صعوبة في مجال التوافق سيكولوجياً واجتماعياً إذا قورن بدور الأرمل ومن بين هذه الأسباب :

١ ـ أن الزواج يكون عادة أكثر أهمية بالنسبة للمرأة من الرجل في كثير من المجتمعات في أغلب مناطق العالم ولهذا يكون إنتهاء الزواج يعني إنتهاء دور حيوي بالنسبة للزوجة ، إذا قورن بالدور المماثل للرجل إذا ظل على قيد الحياة .

٢ ـ يحدث غالباً أن الأرملة لا تجد تشجيعاً اجتماعياً على الزواج مرة ثانية ، ولهذا تكون أكثر ميلاً من الأرمل إلى عدم تكرار الزواج .

٣ ـ ويرتبط بذلك أن مشاكل الأرملة المتصلة بتحمل المسؤولية الاقتصادية لنفسها ولأطفالها سوف تواجه امكانية معاودة النظر في مستوى المعيشة الذي سيتعرض بشكل أو بآخر للهبوط ، وهذا موقف قد لا يتعرض له الأرمل .

٤ ـ تواجه الأرملة في حياتها الاجتماعية قيوداً أكثر مما يواجه الأرمل ويرجع ذلك أساساً إلى أن المرأة بوجه عام أكثر ميلاً للسلام اجتماعياً وأكثر

---

(1) Ibid., pp. 249-250.

ميلاً الى الاستسلام لظروفها الجديدة .

٥ ـ إن الأرامل النساء لا تكون أمامهن فرص مثلما هو أمام الأرامل من الرجال لتغيير المكانة من خلال الزواج نظراً لما يكتنف ذلك بالنسبة لهن من صعاب ومعوقات ، وتظهر حدة هذه المشكلة خاصة إذا كانت الأرامل قد مات عنهن أزواجهن وهن في سن مبكرة .

وعندما يثبت من خلال الدراسات التي تجرى في هذا المجال أن هناك نسبة من السكان المتقدمين في السن تنطوي على عدد كبير من الأرامل فإنه من المحتمل أن نجد نوعاً من الضغط الذي يظهر في الأسر ذات الأطفال ، ذلك لأنه بسبب انتهاء رابطة الزواج يميل الزوج أو الزوجة الذي بقي على قيد الحياة أن يقيم بصفة دائمة مع أبنائه البالغين ويترتب على ذلك أنه بارتفاع نسبة الأرامل من النساء في الوقت الذي يزداد ميلهن أكثر من الأرامل من الرجال إلى الاستمساك بالحياة مع أبنائهن فإنه من المتوقع أن نلحظ تأثيرات واضحة يمكن أن تطرأ على طريقة حياة الأرملة وعلى طريقة حياة أبنائها البالغين ، وربما يظهر ذلك في زيادة الاعتماد الاقتصادي على هؤلاء ، إلا أن درجة الاعتماد هذه ترتبط بشكل أو بآخر على سن الأرملة نفسها نظراً لأن الغالبية العظمى من الأرامل من النساء لا يعملن في الوقت الذي يكون سن أغلبهن قد جاوز مرحلة القدرة على العمل الذي يوفر دخلاً يمكن الاعتماد عليه ومعنى ذلك أن الأرامل من النساء في كثير من المجتمعات أما أن يعتمدن كلية على معاونة أبنائهن أو أقاربهن أو يحصلن على مساعدات من مؤسسات حكومية أو مؤسسات خاصة[1] .

ومع أن كثيراً من الأرامل من النساء يعشن فعلاً مع أبنائهن فإن هذا لا

---

(1) Robert J. Parke and Paul C. Glik, "prospective Changes in Marriage and the Family" Journal of Marriage and the Family, May 1967, p. 255.

يعني أن ذلك يعبر عن اختيارهن الأول بالنسبة لما يرغبن بصدد حياتهن المستقبلة . فقد وجدت لوباتا أن أغلب الأرامل من النساء يفضلن المعيشة وحدهن عن أن يعشن في بيوت أبنائهن المتزوجين . وتفسير ذلك أن النساء يرغبن في الاستقلال لأنهن يعتقدن أن كل امرأة ينبغي أن تكون هي صاحبة الأمر في بيتها وأن الهوة التي تفصل بين الأجيال تؤدي الى اختلافات في الاتجاهات نحو الحياة وخاصة نحو أسلوب تربية الأطفال وهو أمر قد يكون مصدراً للمتاعب إذا عاشت الأرملة بصفة دائمة مع أبنائها المتزوجين(١) .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الأرملة أقل ميلاً في الوقت الحاضر إلى أن تعيش بقية حياتها حاملة إسم زوجها باعتبارها (حرم فلان) مع ما في هذا من تقبل لمسؤولية العناية بنفسها وبأطفالها لأن ذلك ربما يجعلها تحصل على الاعتراف الإجتماعي إما لذاتها أو من خلال زواجها مرة أخرى .

إن الأزمات الكبرى الذي يواجهها الفرد في حياته تتطلب عملية مستمرة من التوافق . ويأتي في مقدمة متطلبات هذا التوافق ما يترتب على فقدان الدور المتميز الذي يعتبر أكثر صعوبة من التوافق لأي دور جديد آخر(٢) . هذا وتؤكد بعض الدراسات أن الأنماط الاجتماعية غالباً ما تعين الفرد على التوافق إلا أن شدة الاتصال والاندماج مع الشريك الذي غاب نهائياً بالموت يتطلب توافقات شخصية عميقة ومستمرة .

إن الزواج عندما ينتهي بموت أحد الشريكين فإن الاعتقاد السائد أنه لولا الوفاة لاستمر الزواج ولهذا فإن الشريك الآخر ينظر إليه على أنه شخص لم يفقد إنساناً محباً فحسب وإنما ينظر اليه على أن علاقة زواجية ناجحة قد انتهت . إن الموت لا ينهي رابطة الزواج كما ينهيه الطلاق لأن الطلاق يتضمن

---

(1) Lopata "Loneliness" p. 259.
(2) Willard Waller and Reuben Hill, "The Family", The Dryden press, N.Y., 1951, p. 289.

فترة قد تمتد طويلاً بما تحمل من مشاعر الاغتراب وتكون مقدمة لانتهاء الزواج بينما لا يكون الأمر كذلك في حالة موت أحد الزوجين ، حيث لا تكون هناك فترة انتقال ، فالشخص الأرمل هو عادة زوج أو زوجة يوما يتمتع بدوره الزواجي المقبول وبعلاقاته المستمرة ويتحول في يوم آخر الى أرمل أو أرملة دون مقدمات ، وتنتهي بذلك كل العلاقات الزواجية التي تكونت عبر فترة طالت أم قصرت .

ويلاحظ أن أحد وسائل التوافق المبكرة والهامة لمن يعيش على قيد الحياة من الزوجين عندما يواجه الحياة وحيداً في عالم كان يعايشه يتكون من العلاقات الثنائية التي تقوم بين المتزوجين أن يلجأ وخصوصاً إذا كان السن متقدماً إلى البحث عن أخرين يعيشون نفس الظروف . لكن الأمر هنا يختلف في نتائجه ومظاهره ، فإذا كان الزوج هو الذي بقي على قيد الحياة ، فإن مشاكل التوافق تكون أكبر من تلك التي تعانيها الزوجة التي كانت هي التي بقيت على قيد الحياة فالأرامل من النساء لديهن فرصة أكبر لاستمرارية الدور من خلال رعاية المنزل والتفاعل مع الأقارب والمشاركة في عدد كبير من العلاقات الرسمية وغير الرسمية ومعنى هذا أن الرجال عندما يفقدون زوجاتهم وخاصة إذا كانوا قد تقدموا سناً فإنهم يستشعرون الشقاء وانخفاض الروح المعنوية وقد يصابون بالاضطرابات العقلية أو قد ترتفع بينهم معدلات الوفاة أو قد يقدمون بنسب متزايدة على الانتحار[1] .

أثر الطلاق على الأطفال

في دراسة مبكرة «لوليام جود» في ١٩٥٦[2] ودراسة أخرى «لإيفان ناي

(1) E. Wilbur Bock and Irving L. Webber, "Suicide among the Elderly: Isolating Widowhood and Mitigating Alternatives, Journal of Marriage and the Family, February 1972, p. 24.
(2) William Goode, "After Divorce" Glencoe, Illinois: the Free press, 1956, pp. 307-330.

في ١٩٥٧ »[1] ناقشا فيها الافتراض القائم على أن تأثير الطلاق على الأطفال يكون سلبياً . وقد استفاد «جود» من بعض المعلومات الهامة المتاحة عن عملية الطلاق في صلتها بالأطفال والرعاية وترتيبات الزيارات وهذا إلى جانب كثير من الجوانب التي تكشف عن تصورات الأمهات للأساليب التي يؤثر وفقها الطلاق على أطفالهن . ومع أن دراسة «جود» قد أجريت في مجتمع آخر غير المجتمع المصري إلا أنها تلقى ظلاً على ما قد يحدث نتيجة للطلاق في مجتمعات عديدة ، فقد وجد مثلاً أن غالبية الأمهات أظهرن قلقاً واضحاً فيما يتصل بالأضرار المحتملة التي يمكن أن تقع على أطفالهن إلا أنهن مع ذلك كن يشعرن بالحاجة للسير في إجراءات الطلاق ، ومن ناحية أخرى ، كشفت المادة الميدانية في هذا البحث أن ١٤٪ فقط من الأمهات ذكرن أن الأطفال يكونون أكثر خشونة في رعايتهم بعد الطلاق ، كما أن ٥٥٪ منهن رأين على العكس أن وطأة الطلاق على صعوبة معاملة أطفالهم لا تكاد تذكر ، ومن النتائج البارزة في هذا المجال أن الأمهات اللائي تزوجن للمرة الثانية (ثلاثة أرباع العينة) يرين أن حياة أطفالهن أصبحت أفضل إذا قورنت بحياتهم في الزواج السابق ، لكن ١٥٪ رأين أنه لم يحدث تغيير لهم ، وهذا في الوقت الذي كانت نسبة ٨٪ من الأمهات يؤكدن أن حياة أطفالهن أصبحت أسوأ . ومعنى هذا أن ٩٢٪ من الأمهات اللائي تزوجن مرة ثانية أكدن أن حياة أطفالهن قد تحسنت أو على الأقل بقيت على حالها .

أما دراسة «ناي» فقد كانت موجهة للمقارنة بين خصائص مختارة في جماعات عديدة تلقى أعضاؤها تعليماً عالياً ، وتتفاوت أسرها بين الأسر غير السعيدة ومع ذلك تظل باقية لا تنهار ، وبين الأسر السعيدة التي لا يحتمل أن تتعرض للانهيار ، وأخيراً بين أنماط عديدة من الأسر التي انهارت بالفعل .

---

(1) Ivan Nye, "Child Adjustment in Broken and Unhappy Unbroken Homes' Marriage and Family Living, 19 (November, 1957), pp. 356-361.

وقد وجد ناي أنه لا توجد أي اختلافات أساسية بين أنواع التوافق عند المراهقين في الأسر غير السعيدة وغير المنهارة ، وبين الأسر المنهارة أيضاً وخاصة في مجالات العبادة أو العلاقات المدرسية أو الصحية الانحرافية ، ذلك أن المراهقين في العائلات المنهارة ظهروا على أنهم أكثر قدرة على التوافق بالمقارنة بالمراهقين في الأسر غير السعيدة وغير المنهارة ، وعلى الأخص إذا كان الأمر متعلقاً بالأمراض النفسية الجسمية ، والسلوك المنحرف أو التوافق بين الآباء والأبناء وعموماً فإنه يمكن القول أن الأطفال في العائلات المنهارة عن طريق الطلاق لا يكون توافقهم أكثر سوءاً من الأطفال الذين انهارت أسرهم بطرق أخرى .

إن النتائج التي توصل إليها الباحثون فيما بعد ، من دراسات اهتمت بالتوافق عند الأطفال في الأسر غير السعيدة أو الأسر المنهارة قد أظهرت أن وطأة الطلاق لم يكن أمراً مقلقاً بشكل خطير من الناحية السيكولوجية كما أن شيئاً من قبيل الإختلافات الأساسية في الشخصية لم يحدث ، وطبيعي والحال على هذا النحو الا تحدث زيادة ملحوظة في المشاكل التي قد يثيرها الأطفال .

هذا ويجب أن نلاحظ أن النتائج السابقة تصور أثر الطلاق أو المشاكل الأسرية على الأطفال في مجتمعات متقدمة نسبياً إذا قورنت بمجتمعات العالم الثالث وبينها المجتمع المصري ، فمن المعروف أن بناء المجتمعات التي أجريت فيها الأبحاث السابقة يشجع الفردية سواء في نطاق الأسرة أو في برامج التعليم ، وهناك من الأجهزة والتنظيمات التي تعنى بمشاكل الأطفال في كل الظروف التي يمكن أن تواجههم سواء أثناء نموهم داخل الأسرة أو في المدرسة أو حتى حين يتعرضون لأزمات بسبب الطلاق أو غيره من مشاكل الآباء ، وجدير بالذكر أن هذه المجتمعات تحرم تعدد الزوجات ، إلا أنها لا تستبشع الطلاق ، ولا تلحق عاراً أو خزياً أو أي نوع من السخرية أو الاشارة الجارحة بالمرأة التي تتزوج للمرة الثانية أو الثالثة ، بل أن ثقافة هذه

المجتمعات أصبح فيها من التعاليم أو القيم ما يبرر ويساند هذه الاتجاهات ، الأمر الذي أصبح معه إنحلال الزواج مسألة عادية ، بل إنه أمر يجب أن يحدث إذا تعرضت تجربة معيشة الزوجين إلى الخلل أو سوء التوافق الذي قد ينجم عن عدم إتفاق في النظرة للحياة أو في القيم ، أو في طبيعة التعاون الذي يجب أن يقوم بين الزوجين . وما من شك أن أحداً لا يمكن أن يزعم أن مثل هذه النتائج يمكن أن تجد مثيلاً لها في مجتمعنا ، إلا أنها يمكن أن تصلح كفروض لقياس التغيير الذي يحدث في العلاقات الزواجية انحرافاً عن وضع تقليدي ظل مسيطراً لفترة طويلة جداً ، لأن عناصر الثقافة ومقومات البناء الاجتماعي التي ظلت ثابتة نسبياً لقرون عديدة لم تشجع الفردية ، بل أيدت باستمرار الجماعية التي ظهرت في معالجة مسائل القرابة ، وتعدد الزوجات ، وعدم الترحيب بالطلاق ، لما قد يحدثه من مشكلات قد تهدد الوحدات القرابية أو الجماعات المتقاربة أو تسيء إلى الجوار أو ما إلى ذلك ، وإذا كان هناك وجه شبه بين النتائج التي أشرنا اليها والمستخلصة من أبحاث «جود وناي» في المجتمع المصري وخاصة فيما يتعلق بعدم تأثر الأطفال بشكل خطير بالتصدعات الأسرية فإن هذا لا يرجع الى نفس الأسباب التي توصلت اليها أبحاثهما ، ذلك لأن الأسرة الممتدة لا تزال رواسبها تسيطر على اتجاهات العلاقات حتى في وجود نمط الأسرة النواة المفضل حالياً ، وتؤدي الى اضفاء نوع من الرعاية والحماية على الأطفال الذين أصبحوا عرضة للضياع نتيجة للطلاق أو غيره من اشكال التصدع في العلاقات الأسرية ، ومع ذلك ففي بعض أجزاء المجتمع المصري الذي ازدادت فيه الخصائص الحضرية وازدادت فيه كذلك عزلة الأسرة النواة عن الروابط القرابية التقليدية ، فإن الأطفال في الأسر السعيدة أو الأسر التي انهارت بالطلاق يتعرضون لكثير من المآسي والضياع نتيجة لتخلف أساليب رعاية الطفولة وكذلك نتيجة لعدم كفاية المؤسسات والتنظيمات التي يكون من مهامها الأساسية رعاية هؤلاء . وربما يفسر ذلك ما يلاحظ في السنين الأخيرة من ارتفاع معدلات انحراف الأحداث في المجتمع

المصري وارتفاع معدلات التخلف الدراسي وزيادة أنواع معينة من الأمراض النفسية التي يتعرض لها الأطفال الذين انهارت أو تصدعت أسرهم .

وعموما فإن النتائج التي نصل إليها هي أن غالبية المطلقات يعتقدن أنهن وأطفالهن أصبحن في حالة أحسن مما كن قبل الطلاق ، كما أن نسبة الطلاق ترتفع في الأسر ذات الدخل المنخفض عنه في الأسر مرتفعة الدخل . كما أن الطلاق تزداد نسبته في المراكز المهنية المنخفضة ، ومن هذا يمكن لنا أن نستنتج أن الدخل المنخفض والمكانة المهنية المنخفضة هما مشاكل حقيقية في حد ذاتهما وبالتالي ينعكسان على مدى التوافق الزواجي وهناك مثل عربي يقول « متى دخل الفقر من الباب هرب الحب من الشباك » .

الزواج الثاني :

يتوقع الباحثون أنه مع إزدياد معدلات الطلاق فإن اقدام الرجال والنساء على الزواج مرة ثانية أمر محتمل ، وتدل كثير من الدراسات التي نشرت أن الزواج الثاني أمر شائع في كثير من بلاد العالم ، إلا ان الولايات المتحدة الامريكية تأخذ في هذا النطاق مركز الصدارة ، وحول هذا الموضوع يقدم شليزنجر قائمة بالنتائج التي توصل إليها عن تكرار الزواج Remarriage (الزواج الثاني) .

أ ـ يكون معدل الزواج الثاني أكثر ارتفاعا بين من هم أقل تعليما بالمقارنة بمن تلقوا تعليما عاليا أو جامعيا .

ب ـ تنطوي أدنى نسبة من الزيجات الثانية على أشخاص فقدوا زوجاتهم أو أزواجهم بالموت (الأرامل) .

جـ ـ يميل المطلقون عندما يتزوجون ثانية إلى اختيار من سبق لهم الطلاق أكثر من اختيارهم لأرامل .

د ـ يكون الأشخاص الذين يتزوجون ثانية أكثر ميلا إلى الطلاق من أولئك الذين يتزوجون لأول مرة .

هـ ـ يتضمن النمط الاعلى للزواج الثاني عادة شريكا يكون قد سبق له الطلاق .

و ـ الزواج الثاني لا يضر بالأطفال .

ز ـ يكون توافق الأطفال مع أزواج أمهاتهم أحسن من توافقهم مع زوجات آبائهم .

ح ـ لا تتميز الزيجات الثانية بشهور العسل أو الهدايا أو حفلات العرس كما أنها تتم عن طريق حفلات مدنية أكثر من الحفلات الدينية .

هذا وقد وجد « جود » أن ٨٧٪ من الأمهات المطلقات اللائي تزوجن مرة ثانية يقررن أن حياتهن الزوجية الحالية أحسن من حياتهن السابقة ، وبغض النظر عن النسب المئوية التي قد يسوقها آخرون ، بأن الغالبية العظمى ممن يتزوجون بعد طلاق يكونون أكثر سعادة وممكن أن يبقوا كذلك لفترات طويلة .

التغير ومستقبل الزواج والاسرة

تفسير التغير الأسري

نهتم هنا بصفة مبدئية بمحاولة معرفة الطرق التي عن طريقها تتحول أنماط الأسرة عن وضعها الذي كانت عليه سابقا . ولهذا لا بد أن نضع في أعتبارنا القوى المؤثرة في النسق القرابي ككل وقد نستطيع صياغة تفسير ملائم لمكان الأسرة في مجتمع حضري مستقل . وهنا يجب أن نشير إلى أن التغيرات في الأنماط الأسرية ليست بالضرورة من قبيل الحقائق التي توصف بأنها مؤدية للسعادة أو مجلبة للتعاسة . وهناك اتجاه بين دارسي الاسرة إلى النظر إلى أغلب التغيرات التي تحدث نظرة ملؤها الحذر والتخوف حتى أن البعض يغالي في هذا الاتجاه ويزعم أن الاسرة تبدو كأنها تتعرض للفناء كلية . ولهذا يجب أن نقيم تفرقة هنا بين الاسرة وبين أي أنساق أسرية محددة ، إن دارس الحكومة مثلا عندما يتتبع التغيرات التي حدثت في أشكال القوة السياسية لا يدعي أن الحكومة في سبيلها إلى الاختفاء . والانماط الاقتصادية يمكن أن تتغير من خلال عدد من المراحل من أبسط الاشكال إلى أكثرها تعقيدا ، وفي هذا الصدد قد نظهر تخوفنا أو حتى خشيتنا من تدهور الاحوال ولكننا لا نستطيع حتى في مثل هذا الموقف التأكد بأن النظم الاقتصادية سوف

تختفي وعلى ذلك فعندما ندرس الاسرة أو الدين فليس هناك مبرر أن نشبه التغير بالتدهور أو بالاختفاء ، وبدلاً من ذلك يجب أن نكون معنيين بالشكل دون الوظيفة في مثل هذه الحالات ، ويرى ميلتون ينجر Yinger[1] أن هذا الاتجاه يدعو للأسف لانه يقف عائقا أمام فهم ما يحدث بالفعل .

لقد أسهم دارسو الاسرة في هذا التشويش لأنهم سمحوا لقيمهم الخاصة أن تتدخل في تفسيراتهم كما أنهم في الوقت نفسه لم يفعلوا إلا قليلا لجذب الانتباه إلى الدراسات الأسرية التي يمكن أن تكون ذات قيمة علمية واضحة من خلال استخدامها لنظريات متسقة ، وأطر تصورية منطقية ، هذا وقد أشرت فيما سبق إلى نمو الدرسات الأسرية التي تنتمي إلى اتجاهات نظرية واضحة في السنين الاخيرة ولكنه من الخطأ أن نفكر أن هذا النمو مقطوع الصلة بأوجه النشاط العديدة التي تقوم بها المؤسسات والمنظمات التي تعنى بالخدمات الاسرية ، ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى المعرفة العلمية الدقيقة وخاصة تلك التي تتعلق بالأساليب التي يؤثر من خلالها النسق الاسري أو يتأثر بالمجتمع الذي هو جزء منه ، يعاون إلى حد كبير للغاية في إنجاح المحاولات التي يقوم بها العاملون في ميدان ضبط وتنظيم العلاقات الاسرية وخاصة عندما يكون من بين اهدافهم التخطيط لآماد طويلة . إن معرفة مثقافة والثقافة الفرعية وتحديدات الدور وصراعاته ، وكذلك معرفة التنشئة الاجتماعية والقوى التي يمكن أن تعوقها أمور ذات قيمة كبيرة لمن يعملون في حقل التوجيه الاسري أو الإرشاد الزواجي وما إلى ذلك . ومثال ذلك أن الدراسات المقارنة الحديثة تبرهن على أن إسهام المرأة في تكاليف المعيشة يتزايد تدريجيا ، الامر الذي أدى إلى إلقاء مزيد من الضوء على الجوانب الاقتصادية فيما يلحق الزواج والاسرة من تغير ،وخاصة فيما يتعلق بالهدايا والمهور و تأثيث المنزل ، ومدى

---

(1) Milton Yinger, "The Changing Family in a Changing Society" Social Case work, 40 (October 1959) pp. 419-428.

مشاركة الزوجين أو أسرتيهما فيه . وربما تكون هذه الحقيقة بعيدة عن أي مشكلة تواجه من يعملون في حقل الاستشارات الزواجية ، ولكن من ذا الذي يشك أن التغير المثير الذي حدث في مركز المرأة وفي اقتصاديات الاسرة خلال الخمس وعشرين سنة الماضية قد أدى إلى ظهور قوى جديدة ذات أهمية بالغة في استقرار الاسرة وثباتها .

تأثير النظم الاجتماعية

إن القضية المحورية في نظرية الأسرة المعاصرة لا يمكن أن توصف بالجدة أو الاثارة ، وذلك لأن الاسرة لا يمكن فهمها على أنها ظاهرة منعزلة ، إذ لا بد أن نعالجها في سياق النظم الاقتصادية والسياسية والتأثيرات الدينية والحقائق المتعلقة بالسكان في المجتمع الذي تنتمي إليه ، وليس من قبيل الصدفة أن المجتمع الزراعي سوف يساند الاسرة الممتدة ، أو أنه سوف يسمح أو يشجع الزواج المتكرر ، أو أنه سيعطي الوالدين السلطة في فرض اختيارات معينة للزواج على أبنائهم ، إن مثل هذه العناصر تلائم بناءا اجتماعيا مستقرا نسبيا ، كما أن وجود العائلة الزوجية والحب الرومانتيكي والإقامة المستقلة يمكن أن يكون من خصائص المجتمعات الحضرية ، ولهذا فإن دارسي الاسرة يميلون إلى القول بأن القوى ذات النفوذ في المجتمع تسهم في خلق نوع من النسق الاسري يمكن أن يكون هو النمط السائد في وضع اجتماعي معين ، ولهذا إذا أمكن اكتشاف التطابق بين هذه القوى ، فإن أي مؤسسة تعمل في ميدان الاسرة يمكن أن تتوصل ، أو تضمن وجود عناصر مرغوبة ، وعلى الرغم من الفكرة الشائعة بين الدارسين للأسرة بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي أكثر المجتمعات في العالم ابرازا لتلك الحقيقة التي يؤكدها الكثيرون من أن الاسرة النواة هي الشكل النهائي لاسرة عالم اليوم ، إلا أن أهمية الاسرة الممتدة أمر لا يمكن التقليل منه حتى في هذا المجتمع ،

ومعنى ذلك أن الاسرة النواة سوف تستمر وتزداد أهميتها في نفس الوقت ولكن جوانب أخرى من النسق القرابي يمكن أن تزداد ضعفا وهذا يعني أن الاسرة قد أصبحت منظمة متخصصة أكثر من أي وقت مضى[1] .

إن هذا التحول لم يجعل الأسرة أقل أهمية لأن وظائفها الأساسية لا تزال باقية . وإذا أخذنا في الاعتبار الفترة الطويلة التي يكون فيها الوليد الانساني عاجزا عن مواجهة الحياة وحده فإن القول بأن الإنسان حيوان حامل للثقافة الأمر الذي يتطلب فترة طويلة من التدريب والتمرين، وكذلك القول بأن هناك حاجة لعملية تؤدي إلى وضع الأفراد في مواضعهم المختلفة في المجتمع (وهي الأمور التي تعتبر من صميم وظائف الأسرة) فإننا نستطيع أن ندرك بساطة المركز الجوهري الذي تحتله الأسرة في كل المجتمعات ، وجدير بالإشارة هنا أن بعض الحركات الثورية تحاول أحيانا أن تدمر الأسرة من أجل كسر استمرارية الأجيال ، وهي الاستمرارية التي تربط السكان بتقاليدها الماضية ولكن بعد مضي وقت قصير فإن كل حركة من هذه الحركات الثورية وكما حدث في الاتحاد السوفيتي تبدأ من جديد في التأكيد على الأهمية القصوى للنسق ، الأسري ومنذ عام ١٩٤٠ بدأ قادة روسيا يعلنون أن الأسرة هي أساس الدولة .

إن التأكيد على الأهمية الحيوية للأسرة لا يمكن أن يؤدي إلى الزعم بأنه ليست هناك مؤثرات وصراعات خطيرة ، ففي المجتمعات التي تتغير بسرعة تتعرض كل جوانب الحياة الأسرية تقريبا إلى اضطرابات عنيفة ، ويمكن أن نرى بوضوح الطريقة التي يتأثر على أساسها النسق الأسري بالوسط الاجتماعي الذي يوجد فيه إذا أمعنا النظر في المستويات المتعددة للتفاعل في الاسرة ، وملاحظة الاساليب المتعددة التي تتغير على أساسها . إذن فالاسرة

---

(1) Talcott Parsons and Robert F, Bales. "Family, Socialization and Interaction Process, Free Press Glencoe, 1955, p. 9.

التي كانت تؤدي وظائف مستقرة وتقوم بدورها من خلال بناء اجتماعي مستقر نسبيا كانت تشكل مع النظم الاجتماعية السائدة كلا متساندا ، ولكن العوامل العديدة للتغير التي تتزايد منذ الثورة الصناعية في أكثر بلاد العالم تؤدي إلى تغيرات في شكل البناء الاجتماعي وفي علاقات النظم الاجتماعية بعضها ببعض الامر الذي يؤدي إلى تغير مصاحب في النسق الأسري ، ولكن الأسرة لا تتغير بشكل متوازن مع سرعة وعمق النظم الاجتماعية هذه ، ولهذا فمن المتوقع دائما أن تتعرض الحياة الاسرية للاضطرابات والتوتر .

عوامل تغير الأسرة :

تشتمل الكتابات السوسيولوجية على نوعيات واسعة من الاتجاهات التي تؤكد وجود محرك أول Prime Mover وحيد يكون بمقدرته تفسير الاختلافات التي تظهر بمرور الوقت في نسق الأسرة والزواج . وهذه التفسيرات ليست نظريات في الأسرة أو التغير الاجتماعي ولكنها فروض « أحادية العامل » أي أنها ترى أن التغير الأسري أو الاجتماعي يتسبب عن عامل واحد كبير . إلا أن معظم الكتابات السوسولوجية المعاصرة ترى أن ابراز عامل واحد وتصوره « كمستقل » في عملية التغير غير صحيح على المستوى النظري أو الامبيريقي .

إن الأسرة كما سبق أن قلنا لا يمكن فهمها كظاهرة منعزلة . بل لا بد من النظر اليها في ضوء النظم الاقتصادية والسياسية والدينية والأوضاع السكانية في المجتمع ، الذي تكون جزءا منه ، يتأثر ويؤثر في نفس الوقت . فليس عن طريق الصدفة أن يدعم المجتمع الزراعي الثابت نسبياً شكل « الأسرة الممتدة » أو يشجع نظام « تعدد الزوجات » أو يمنح الآباء حق اختيار الزوجات (الأزواج) لأبنائهم . فكل عنصر من هذه العناصر يتلاءم مع البناء الاجتماعي الثابت ، مثل الاصرار على شكل الأسرة الزوجية ، والحب الرومانتيكي ،

والمنزل المستقل الذي يميز المجتمعات الحضرية الدينامية[1] .

ولا يوجد بالفعل ما يسمى « نظريات التغير الاجتماعي أو الأسري » ولكن كل النظريات الموجودة هي نظريات ذات طابع احتمالي أو ذات مدى قصير ، وهي تبين أن تغير الأسرة أو المجتمع يعود إلى عامل أو مجموعة من العوامل كالجنس أو المناخ أو التكنولوجيا أو الاقتصاد. وهناك تصور عام بين علماء الاجتماع مؤداه أن التطور التكنولوجي أو الصناعي يشكل عاملا مهما في تغير الأسرة ، والدليل على ذلك أن الأسرة الصناعية في انجلترا تختلف طريقة حياتها عن حياة الأسرة في العصر الحجري في استراليا . ولكن على الرغم من أن الاختراعات والاكتشافات العلمية لها أهيمة كبيرة في عملية التغير إلا أنها ليست العامل الوحيد في تغير الأسرة . فكل تغير يحدث في الأسرة يكون نتيجة لعدة عوامل كما أن التغير الذي يحدث في أحد أجزاء الأسرة يؤثر في بقية أجزائها . فإذا تساءلنا ما الذي يدفع الحكومة على سبيل المثال لمد يد العون للمسنين ، فإننا سوف نتنهي الى أن هناك مجموعة من العوامل التي تكمن وراء هذا الاجراء ، من بينها أن الحياة العصرية تباعد بين الأبناء البالغين وبين آبائهم ، وتجعل من الصعب على هؤلاء الأبناء تحمل مسؤولية آبائهم من الناحية المادية ، في الوقت الذي يبدو واضحاً أن كثيراً من الآباء لم يتمكنوا أو لم يخططوا لشيخوختهم في الوقت المناسب ، هذا إلى جانب أن الحكومة هي الهيئة الوحيدة في الوقت الحاضر التي لها سلطة الضغط وفرض الضرائب من أجل التأمين الاجباري للمسنين وهكذا[2] .

---

(1) Milton Yinger, "The Changing Family in a Changing Society" in John Edwards (ed). The Family and Change, Alfred Knoph: Publisher N.Y., 1969, p. 272.

(2) Mayer Nimkoff: "Obstacles to Innovation" in Allen and Others (eds). Technology and Social Change, Appleton Century Crafts. Inc., N.Y., 1957, pp. 307-308.

ولكن من الممكن أن نحدد عددا من العوامل يحتمل أن يكون لها تأثير فيما يلحق الأسرة من تغيرات وهي :

١ ـ العامل الجغرافي :

من الواضح أن كل أسرة تعيش دائماً في مكان معين ، وطبيعة هذا المكان تؤثر بالضرورة على أنشطة الأسرة . وأي تغير في الظروف الجغرافية سوف يؤدي إلى تغيرات في الأسرة . فحدوث زلزال أو فيضان أو إعصار سيحدث تغيرات في اتجاهات وسلوك أعضاء الاسرة الذين يسكنون في هذه المناطق .

وليس هناك شك في أن دورة حياة الإنسان تتأثر بالمناخ والمصادر الطبيعية ، وتوزيع الأرض والمياه . والإنسان يتأثر بالدورات اليومية التي تحدث نتيجة دوران الأرض حول محورها ، وبالدورات السنوية الناتجة عن دوران الأرض حول الشمس ، والدورات الشهرية الناتجة عن دوران القمر حول الأرض . كل هذه التغيرات الجغرافية الدورية تؤثر بدون شك في الأنشطة التي تمارسها الأسرة خلال دورة الأعوام إلا أن الإنسان استطاع بالعلم أن يطوع البيئة وأن يستخدم مصادرها استخداما ايجابيا لرفاهيته ، كما أنها لم تعد إلى حد كبير « حتمية » في تحديد مجالات نشاطه ، إلى جانب أنه ليس في إمكان العامل الجغرافي دائما أن يفسر التغير . فنفس البيئة يمكن أن تنشأ فيها حضارتان مختلفتان تماما . مثال ذلك أن مناخ أوروبا لم يتغير في القرون الخمسة الماضية ومع ذلك فقد تغيرت الأسرة فيها تغيرا ملحوظاً .

٢ ـ العامل السكاني :

الديموجرافيا هي الدراسة الاحصائية للسكان من حيث حجمهم وتوزيعهم وتركيبهم وهي تهتم بموضوعات معينة مثل التغيرات في الخصوبة ، وحجم الجماعات أو المجتمعات ومعدلات المواليد والوفيات سواء بالزيادة أو

النقصان ، والهجرة داخل المجتمع الواحد ، والهجرة الخارجية واستحداث مناطق حديدة للعمران والسكن ، والعلاقات الاجتماعيه . ومستوى التكيف بالنسبة للمهاجرين قاطني المناطق السكنية الجديدة ، ونسبة الأطفال أو الشباب أو الشيوخ إلى سكان المجتمع وأثر ذلك في العمل والانتاج والاقتصاد القومي . وعلى ذلك فإن أي تغير في حجم أو توزيع الناس يؤدي بالضرورة إلى التغيرات الاجتماعية . وبتتبع التاريخ نجد أن نقص أو زيادة السكان كانت تؤدي إلى تحولات في أنماط حياة الاسرة . فالنمو السكاني السريع تتبعه مشاكل معينة مثل النقص في الطعام ، أو في فرص العمل أو المدارس أو الإسكان ومع ذلك فإن المصدر الديموجرافي على ما له من دور في تغيرات الأسرة إلا أنه ليس كافيا بمفرده لتفسير التغير .

٣ ـ العامل البيولوجي :

إن تقسيم الناس إلى جنسين ، ذكور وإناث ، ظاهرة دائمة ولا يمكن اعتبارها عاملا في تغير الأسرة لأن العامل الذي يتغير فقط هو الذي يسبب تغيرات أخرى . أما توزيع الجنسين فله دخل كبير في تغير الأسرة ، وقد تبين من عدد من البحوث[1] أن معدل الزواج يرتفع كلما كان عدد الذكور أكثر من الإناث ، كما أن زيادة الذكور أو نقصهم في مجتمع ما يؤدي إلى تغيرات ملحوظة كارتفاع أو إنخفاض معدلات الزواج ، وانتشار الدعارة ، والأطفال غير الشرعيين .

ويعتبر سن النضج البيولوجي من العوامل المؤثرة في تغير الأسرة ، حيث نجد أن عددا كبيرا من المجتمعات يكون فيها سن الزواج بالنسبة للأنثى هو سن البلوغ البيولوجي وأي تأثيرات تطرأ على هذا النضج تؤثر في سن

---

(1) E.R. Groves and W.F. Ogburn, "American Marriage and Family Relationships, N.Y., Holt, 1928.

الزواج . ومن الأشياء التي تؤثر في هذا النضج ، التحكم في الأمراض في الطفولة المبكرة والتغذية الجيدة .

ومن أهم التغيرات الأسرية التي يظهر فيها تأثير العامل البيولوجي ، زيادة عدد الأسر التي يوجد بها أفراد مسنين ، وتوقع الزيادة في طول العمر ترجع إلى نفس العاملين اللذين سبق ذكرهما والمسؤولين عن النضج المبكر للإناث .

٤ ـ العامل الأيديولوجي :

هناك عوامل أخرى تؤثر في تغير الأسرة ذات طبيعة نفسية واجتماعية يطلق عليها أحياناً إسم « العوامل الايديولوجية »[١] . أما دور الايديولوجيا في تغير الأسرة فيظهر بوضوح في ارتفاع مستوى رعاية الأطفال في المجتمعات الحديثة ، حيث أصبحوا يحصلون على رعاية فائقة ، وخدمات كثيرة لم يتيسر لهم الحصول عليها من قبل ، ففي الماضي كان توجيه الاباء نحو تربية أطفالهم هو معاملتهم بحزم شديد ، وعدم تدليلهم ، أما اليوم فيحصل الأطفال على قدر كبير من الحنان والتدليل . ويمكن تفسير ارتفاع مستوى رعاية الاطفال في الوقت الحالي بنقص عددهم في الاسرة بسبب فعالية وسائل تنظيم الاسرة في بعض المجتمعات المزدحمة بالسكان واتجاه المرأة الحديثة إلى التقليل من الإنجاب ، وهذا إلى جانب التقدم العلمي الملحوظ في مجال رعاية الاطفال وتدريبهم في إبراز شخصياتهم وإعدادهم لحياة اجتماعية ذات طابع يختلف عن طابع الحياة الذي ساد المجتمعات التقليدية . وإذا كان الاطفال يشكلون عبئا اقتصادياً في وقتنا الحالي فإن الاستخدام الممكن والاختياري لوسائل منع الحمل يعاون الزوجين على الإختيار بين الإنجاب أو عدم الانجاب مما يؤدي إلى أن الاطفال الذين سيولدون بمحض إرادة

(١) سوف نفهم الأيديولوجيا هنا على أنها أنساق الأفكار الموجودة في مجتمع ما والتي تعتبر عنصراً رئيسياً في توجيه قوى الحياة الاجتماعية .

والديهم سيكونون موضع حبهم ورعايتهم[١] .

ويبدو أن التأكيد على « وحدانية الزواج » والنفور المتزايد من أي نمط آخر على مستوى الشرعية ، يمثل أيديولوجية ، في الوقت الحاضر ، تساندها ظواهر عديدة ، من بينها ظاهرة تساوي عدد الجنسين تقريبا في كل مجتمع . ولهذا فمن المحتمل ألا تستمر وحدانية الزواج كقاعدة إذا اختلفت معدلات الزيادة في عدد الرجال والنساء في أي اتجاه .

وعموما ، فقد أصبحت الديمقراطية والحرية وإتاحة الفرص للتعبير عن الذات من المفاهيم الرئيسية في الإيديولوجية الحديثة . وأصبحت الأسرة تميل إلى أن تكون جماعة تربطها المحبة والعلاقات الشخصية الوثيقة[٢] .

٥ ـ العامل الاقتصادي :

يعتبر العامل الاقتصادي من أكثر العوامل استخداما في نظريات التغير . فطبيعة العمل ، ومصدر الدخل ، وإمكانية الحصول على السلع ، والمعايير الأساسية التي تحكم العلاقات الاقتصادية بين الناس ، أساسية بالنسبة لمعظم الاسر .

ويرتبط التفسير الاقتصادي للتغير بكارل ماركس Karl Marx إلا أن نظرية ماركس عن المجتمع ينظر اليها على أنها واحدة من النظريات الحتمية لانها حاولت أن تحلل التغير الاجتماعي عن طريق الربط بين الناس ووسائل الانتاج فالتغير هنا يمكن أن يحدث عندما ينشأ إحساس قوي بالتضامن بين العمال الذين يقعون فريسة استغلال أصحاب العمل ، الامر الذي يؤدي بهم في

---

(1) Meyer Nimkoff "Technology and the Family" in Allen Francis and Others (eds), Technology and Social Change, Appleton-Century - Crofts, Inc. N.Y. p. 310.

(2) Ernest Burgess, "The Family in a Changing Society" in Hatt and Others (eds.), Cities and Society, The Free press of Glencoe, Inc. N.Y., 1961, pp. 484-485.

أعماق الباحثين ، أو كما يقول مور ، لو أن علماء الاجتماع هؤلاء كلفوا أنفسهم ، حتى دون مشقة ، أن يتبينوا بصورة متفحصة ودقيقة ماذا يجري حولهم ، فمن المعتقد أنهم يستطيعون التوصل إلى نتائج غير التي توصلوا إليها ، وهي نتائج تحوم حولها الشكوك فعلى الأقل لا تصور هذه النتائج غير تجربة مجتمعية واحدة وهي تجربة الاسرة الامريكية ، التي لا تقبل التعميم ، وبالتالي فإن محاولات إقامة نظرية عامة عن الاسرة بناء أو وظيفة أو مستقبلاً لا زالت تحتاج إلى أكثر من دراسات المجتمع الأمريكي ، أي إلى دراسات مقارنة تدخل في الإعتبار تجارب مجتمعية أخرى تاريخية وحديثة ومعاصرة ، ومع أن هذه النقطة صعبة جداً وخاصة عند محاولة التدليل عليها ، إلا أن س. رايت ميلز C. Wright Mills مع ذلك في مقال هام كشف أن علم الاجتماع الامريكي ، وقع في نفس التصورات المسبقة التي وجهت البحث ونتائجه في ميدان مماثل لميدان الاسرة وهو ميدان دراسة الجريمة . ويقول مور أيضاً أن الملاحظات الشخصية قد تكون ذات قيمة إلا أن المرء يمكن أن يثبت بصورة أو بأخرى أن ملاحظات باحث واحد يمكن أن تكون متحيزة ، ولهذا فكل ما يستطيع أن يقترحه مور في هذا الصدد أن يعرض مجموعة من الاسئلة عن النتائج السوسيولوجية التي توصل إليها علم الاجتماع من دراسته للأسرة بناء على مثل هذه الأدلة ، وهـذا من خلال الإطار الفكري التقليدي الذي يطرح غالباً عندما تكون مسألة الاسرة موضع النظر ، فبرتراند راسل Russell مثلاً في كتابه عن الزواج والاخلاقيات ، حاول أن يدرس الأسرة من منظور تطوري ، وأشار إلى أن هناك احتمالات أن تصبح الاسرة نظاماً عتيقاً ، أو أن تصبح نظاماً عفى عليه الزمن ، وهنا يقول مور أنه يستطيع أن يتصور أن هناك ظروفاً قد نشأت تمنع الاسرة في كثير من الحالات من القيام بالوظائف الاجتماعية والنفسية التي ينسبها علماء الاجتماع المحدثون إليها ، وتتيح نفس الظروف للمجتمعات الصناعية المتقدمة في العالم أن تتخلص من [illegible]ن تستبدلها بتنظيمات اجتماعية أخرى لا تثقل كاهل الإنسانية أو على الاقل لا تفرض عليها

إلا حدوداً تتضاءل نتائجها المؤلمة وغير الضرورية أما أن المجتمع سيقدم على الاستفادة من هذه الفرصة أو لا فإن ذلك مسألة أخرى .

وإذن يصبح مستقبل الاسرة مسألة هامة وحيوية تثير كثيراً من التساؤلات ، فمثلاً كيف ستكون أسرة المستقبل ؟ أو ما هو مستقبل الاسرة ؟ وأي الانماط من الاسرة والمجتمعات سوف توجد في العشر أو الخمسين أو المائة سنة القادمة ؟ وماذا نعد لها من الآن ؟ وأي نمط من التدريب يتعين علينا أن نقدمه لاطفالنا وأحفادنا ؟ وهل سيظل بناء الاسرة كما هو أم سيتغير ؟ وأي الوظائف سوف يؤديها هذا البناء ؟ وهل سيكون وجود الاسرة أصلاً ضرورياً ؟ وهل سيستمر وهل سيكون للنساء مكانة مساوية للرجال بالفعل أم سيتفوقن عليهم ؟ وهل ستنظم الدولة أنشطة الاسرة ؟ هذا نموذج من الاسئلة التي يمكن طرحها في هذا المجال ؟ ومحاولة البحث عن إجابة معقولة ومقبولة لها . إلا أن الإجابات على أسئلة تتعلق بالمستقبل وخاصة في المسائل المتصلة بالمجتمع تعتبر مسألة شائكة إلى حد بعيد ، وتحتاج إلى أساس أو نظرية يمكن أن ترتكز عليها لتقدير الإحتمالات المستقبلية .

ومحاولة التنبؤ بمستقبل الاسرة كنوع من الرؤية المستقبلية أو كشف الغيب ليست موضوعاً جديداً ، حيث توجد كثير من المحاولات السابقة في هذا الميدان ، فمثلاً يرى كثير من المفكرين أن الاسرة في طريقها إلى الإنهيار أو الزوال وقد أشرت من قبل إلى أن راسل من بينهم حين يؤكد أن الاسرة أصبت نظاماً عتيقاً وأن الفساد قد دب في أوصالها ، وعلى الرغم من أن هذا الفساد نتج بصورة واضحة عن الثورة الصناعية ، إلا أنه يرى أن هذا الفساد قد بدأ منذ زمن سابق على هذا الحدث ، ولهذا تضاءل مركز الإسرة في العصر الحديث وفقدت قوتها السابقة القائمة على تأييد الدولة[1] ويضيف مور كما

---

(1) Bertrand Russell, "Marriage and Morals, N.Y., Liveright Publishing Company, 1929, pp. 120-121.

المتمثلة في التصنيع والحضرية ولم يبق للأسرة سوى وظائف قليلة أهمهما وظيفة الإنجاب والتنشئة الاجتماعية .

خلاصة القول ، أن تغير الأسرة يتم نتيجة تداخل مجموعة معقدة من العوامل الداخلية والخارجية والوسيطة ، ونظراً لأن الأسرة تعيش دائما إطاراً ثقافيا . تتفاعل معه تفاعلا متنوعا ، فإن التغير في أحد أجزاء هذا الإطار سوف يؤدي إلى تغيرات عديدة في الأسرة ، وما من شك أن العلم في العصر الحديث يعتبر من أكثر جوانب الثقافة دينامية ، وهو المسؤول عن عديد من التغيرات أو مظاهر النمو والتقدم في ميدان التكنولوجيا ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن التكنولوجيا لا تغير الأسرة بطريقة مباشرة وإنما تغيرها من خلال عوامل وسيطة (أو غير مباشرة) تتمثل في نمو المدن وانتشار التصنيع وزيادة الخصائص الحضرية . لكن هذا لا ينفي أن التكنولوجيا في بعض الاحيان قد تمارس تأثيرا مباشراً على تغير الاسرة كما في حالة تحديد النسل (وتنظيم الاسرة) التي تتصل اتصالا حيويا بصميم وظائفها[1] .

وعموماً نستطيع القول بأن التغيرات التي تتعرض لها المجتمعات

---

(١) كان للتغيرات الاجتماعية والثقافية التي تعرض لها المجتمع المصري في العصر الحديث آثارها الواضحة على الأسرة المصرية ، إلا أن الاسرة المصرية ليست نمطاً و ىيداً بل هي في الواقع متعددة الانماط فالأسرة الريفية مثلاً تختلف كثيراً عن الاسرة الحضرية إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن أكثر التغيرات وضوحاً في الاسرة المصرية هو ظاهرة التحاق المرأة بالعمل وحصولها على الفرص المساوية للرجل في التعليم والوظيفة بصورة لم تكن متاحة من قبل ، مما ساعدها على المساهمة الفعالة في ميزانية أسرتها ، وهذا أتاح لها فرصة المشاركة في اتخاذ القرارات ويتناسب حجم مشاركة الزوجة في تخطيط ميزانية الأسرة وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بتنشئة الاطفال تناسباً طردياً مع عملها أو دخلها الخاص وهذا لا ينطبق إلا على الاسر التي تكون الزوجة فيها عاملة . وليس معنى هذا أن الزوجات غير العاملات لا زلن تابعات للرجل ، ويؤدين أدواراً سلبية بل إن التغير الاجتماعي العام في المجتمع وتأثير وسائل الاتصال وزيادة الخصائص الحضرية وانتشار التعليم وتناقص حجم الأسرة يؤدي الى تغير ملحوظ في دور الزوجة وفي مركزها في الاسرة إلى الدرجة التي تستطيع معها القول بأنها تشارك ببطء ولكن =

الحديثة وخاصة في مجال التصنيع والتكنولوجيا كان لها أثرها الفعال على الاسرة في نواح عديدة نستطيع الاستدلال عليها بتقديم نماذج من تلك التغيرات :

١ ـ أتاحت التغيرات فرصاً عديدة لتمضية وقت فراغ ممتع بما أتاحته من وسائل لم تكن متاحة من قبل مثل الراديو والتلفزيون وآلات التسجيل والافلام السينمائية ، ولهذه الأدوات بجانب دورها الترفيهي آثار أخرى على الاسرة فمثلاً مشاهدة الاسرة لبرامج التلفزيون انقصت إلى حد بعيد من الوقت الذي ينفق في أشياء أخرى مثل تبادل الحديث بين أفرادها ، أو الاقلال من الانشطة الأخرى مثل القراءة أو أشغال الإبرة . وكان للراديو أيضاً أثره في تمضية وقت الفراغ بحيث يستطيع الفرد ألا يكون بمفرده بمجرد إدارة مؤشره . وأتاحت السيارة فرصة ملائمة للترفيه عن أفراد الاسرة بما تتيحه لهم من إمكانية القيام برحلات ونزهات . وكان للأدوات الرياضية التي لم تكن موجودة من قبل دور هام أيضاً في الترفيه مثل القوارب وادوات الصيد ووسائل المخيمات الخ . . . .

٢ ـ من أبرز التغيرات التي ظهرت آثارها على الاسرة استعمالها لوسائل ضبط النسل المختلفة ، وبالرغم من أن ممارسة تحديد حجم الاسرة معروف منذ القدم إلا أن الوسائل الحديثة قائمة على أسس علمية ونتائجها مضمونة تماماً ، ويبدو أن الدافع الاساسي لاستخدام هذه الوسائل يرجع إلى رغبة

= بشكل مضطرد في مسؤولية رعاية الأسرة وتخطيط مستقبلها ومع أنه من الممكن ملاحظة التغير المستمر في مسائل مثل تنظيم الاسرة والمساواة ونوع الحرية المتاحة والأساليب الديموقراطية في ادارة شؤون المنزل والارتفاع الملحوظ في مكانة المرأة الا أن درجة تأثر كل أسرة بالتغير مسألة نسبية الى حد كبير فالتغير الذي أصاب سلطة الرجل أو لحق بمكانة المرأة يقتصر على فئات معينة وعموماً فانه على الرغم مما قد يتنبأ به الكثيرون من احتمالات التفكك المصاحبة لتأثيرات التغير فان الأسرة المصرية تتميز بالتماسك والتكامل وهذا لا ينفي تعرض الاسرة للازمات ولا يقلل من قدرتها على استيعابها وتجاوزها .

الاسرة في تحديد حجمها نتيجة للاعباء الاقتصادية الضخمة التي أصبحت تقع على عاتق الاسرة في المجتمع الحضري الصناعي المعاصر .

٣ ـ تغير آخر تتعرض له الأسرة حالياً وهو زيادة الاهتمام بوضع المسنين وذلك للزيادة المطردة في أعدادهم بالقياس إلى عدد السكان (وذلك نتيجة للرعاية الطبية المتزايدة التي توليها المجتمعات المتقدمة لأفرادها منذ الطفولة المبكرة مما ساعد على إطالة عمر الفرد) إلا أن كبر الاب في السن مثلاً يعني الإحالة إلى المعاش وما يلي ذلك من فقدان للمكانة والقوة ، ومن ناحية أخرى النقص الواضح في الدخل وبالتالي انخفاض مستوى المعيشة ، وغالباً ما تحدث تغيرات معينة في نوع المعاملة التي يلقاها أفراد الاسرة المسنين ، من حيث عدم الاستماع إلى نصائحهم ، كما يستعان بالجدة كجليسة مفضلة للأطفال وعموماً فإن التغيرات الإقتصادية وما استتبعها من نظام معين في الأجور وطريقة معينة في السكن جعلت المساكن لا تتسع إلا للزوجين وأطفالهما وأصبحت إقامة المسنين مع الاسرة عبئاً ثقيلاً لا تستطيع تحمله . بالإضافة إلى أن الاسرة المعاصرة كثيرة التنقل . وهذا يحتاج إلى الخفة في الحركة وقلة عدد الأفراد ، وهنا يصبح المسنون عائقاً عن الحركة .

إلا أن وضع المسنين يختلف باختلاف الطبقة التي ينتمون إليها فالمسنين في الطبقات العليا يكونون آمنين نسبياً من الناحية المادية ، ولا تعني إحالتهم إلى المعاش فقدان مكانتهم في أسرهم ، كما أن مراكزهم المالية واسم عائلاتهم يبقى كأساس متين لمكانتهم في الاسرة ، فهم رمز للعائلة . أما المسنون في الطبقات الأخرى فتختلف أوضاعهم تبعاً لظروفهم المادية ويكونون عرضة للتوتر نتيجة لفقد المهنة أو الوظيفة وفقد المركز الاجتماعي ، وعدم الفعالية ، وقطع كثير من روابطهم العائلية .

٤ ـ حدثت تغيرات هامة في مكانة الشباب في المجتمع ، ففي الماضي كان

الشباب يلتحقون بالعمل في سن مبكرة ، بينما الظروف الحالية للعمل تتطلب تخصصاً دقيقاً في الدراسة وهذا يستغرق زمناً طويلاً مما يستتبع اعتماد الشباب على والديهم للانفاق عليهم حتى يتمكنوا من إتمام دراستهم .

وبالرغم من هذا فإن أوضاع الشباب في المجتمع تختلف باختلاف الطبقة التي ينتمون إليها ففي طبقة العمال يميل الشباب إلى ترك الدراسة والالتحاق بالعمل وذلك نتيجة لفقر أسرهم ، فالظروف هي التي تجبرهم على عدم استكمال تعليمهم . أما الطبقات العليا فإن ثقافتها تؤكد على ضرورة التحاق الشباب فيها بالتعليم بدرجاته المختلفة كما يمكن لهؤلاء الشباب الالتحاق بأعمال راقية استناداً إلى مكانة عائلاتهم وأسماء آبائهم وأقاربهم . أما الشباب في الطبقات المتوسطة فلهم رغبة في التعليم الجامعي أكثر من أي طبقة أخرى . ويرتبط هذا برغبة أفراد الطبقة المتوسطة في النجاح والوصول إلى المراكز العليا في المجتمع .

٥ ـ من التغيرات الواضحة أيضاً نقص الإنتاج المنزلي بشكل واضح ، وذلك لازدهار الانتاج الصناعي ، ولا ينتظر عودة الإنتاج إلى المنزل لأنه لا يستطيع منافسة المنتجات الجاهزة من حيث الجودة والاتقان ، ونظراً لأن معظم الأشياء أصبحت تصنع خارج المنزل فقد تناقص صنع الطعام بالمنزل إلى حد كبير وخاصة في الدول المتقدمة ، حيث أصبح جميع أفراد الأسرة يشترون حاجياتهم من الخارج وخاصة المرأة ، ومن المنتظر أن تتناقص عملية إعداد الطعام في المنزل مستقبلاً ، وذلك لكثرة وجود المنتجات الحديثة من الأطعمة المجمدة والمكثفة والمطبوخة بالإضافة إلى أن المعدات الحديثة مثل حلة البخار ، والتبريد الآلي والموقد الالكتروني وكلها تبسط إلى حد كبير عملية إعداد الطعام ، وتزيل عبئاً ثقيلاً عن على عاتق ربة البيت .

وهناك تغير آخر كان نتيجة مباشرة للتقدم التكنولوجي وهو زيادة جذب المنزل ، فعن طريق هذه الاختراعات أصبح في الإمكان تبريد المنزل أو تدفئته تبعاً للحاجة ، وكذلك أصبح لاستعمال المعادن اللامعة والبلاستيك والزجاج في تأثيث المنزل أثر فعال في إضافة ألوان من البهجة والاناقة والجمال ، كما كان لاستخدام الكهرباء أثر في زيادة إمكانية إقتناء وسائل الترفيه المختلفة مثل الراديو والتلفزيون وآلات التسجيل والتليفون الخ . . .

من عرض هذه النماذج عن التغيرات التي تعرضت وتتعرض لها الأسرة المعاصرة يتبين لنا أن التغيرات الاجتماعية السريعة التي صاحبت التصنيع فرضت على نسق الاسرة التكيف السريع « خارجياً » مع متطلبات النظم الاجتماعية الأخرى و « داخلياً » مع إحتياجات أفراد الاسرة ، ونعني بذلك ، أن الاسرة ليست هي السبب أو المحرك الأول في عملية التغير الاجتماعي . إلا أن هذا لا يعني أنها تكون سلبية في علاقاتها بالنظم الأخرى ولكن يمكن القول أن الاسرة تستجيب بدرجة عالية للتغير الاجتماعي ، وذلك بتكييف بنائها وأنشطتها لتتلاءم مع المطالب المتغيرة للمجتمع والنظم الاجتماعية الأخرى .

وهكذا يتضح أنه لا يمكن دراسة حجم الاسرة أو دراسة نوع علاقاتها أو مستواها الاقتصادي أو مشاكلها كل على حدة كمدخل لقياس التغير فيها لأن دراسة موضوع مثل التغير يقتضي الربط بين هذه الأجزاء جميعاً ، فالأسرة كل لا ينقسم ، ويؤثر كل جزء فيها على الآخر مثل المجتمع الكبير تماماً ، ومثال ذلك . أن دراسة العوامل التي تؤثر في حجم الاسرة سواء بالزيادة أو النقصان . تقتضي أن ننظر إلى العوامل المحيطة كنسق القيم ، فهناك مثلاً مجتمعات يؤكد نسقها القيمي على ضرورة كثرة الإنجاب ، ومجتمعات أخرى يؤكد نسقها القيمي على الإقلال من الإنجاب ، وكذلك الاتجاهات العامة للناس ، والطبقة التي تنتمي اليها الاسرة ، ونوعية التعليم ، والترفيه ، وما إلى ذلك من العوامل التي تكون ذات أثر فعال في وضع الاسرة المتكامل مع بقية

عناصرها الأخرى . وتجدر الاشارة هنا إلى أن دراسات الاسرة قد مرت تقريباً بنفس المراحل التي مرت بها نظريات التغير الاجتماعي . فالأسرة هي المرآة التي تعكس صورة التغير الاجتماعي على المجتمع وذلك عندما تتبنى مجموعة من الاسر شيئاً جديداً (تكنولوجيا أو أيديولوجيا) فإنه بمجرد ظهور فائدة هذا الشيء تتبناه بالتدريج الأسر الأخرى حتى يشمل المجتمع بأسره . وقد يلاقي هذا الجديد معارضة من بعض الاسر في حالة مخالفته للقيم التقليدية أو إضراره ببعض المصالح الخاصة إلا أنه بمرور الوقت يثبت العنصر الجديد أقدامه ويقضي على القديم .

نظرة إلى المستقبل

هناك قبول عام بين الدارسين في العلوم الاجتماعية في هذه الأيام أن الاسرة نظام اجتماعي ضروري لا يمكن أن يتصور وجود مجتمع بدونه ، بمعنى أن الاسرة نظام عالمي ثبت تاريخياً وسوف يبقى كذلك على أي مستوى من مستويات المستقبل المنظور . وليس معنى ذلك أن الاسرة بشكلها الذي عرفه الأجداد سوف تبقى ، فقد أشرنا مرات عديدة إلى أن تغيرات جوهرية قد حدثت في بنائها وفي وظائفها ، الأمر الذي تعود عليه الناس ويتوقعونه باستمرار ، ومن أجل هذا فكل تغير في بناء الاسرة لم يعد موضوعاً مكروهاً ، بل ينظر إليه الآن نظرة ملؤها التفهم والتقدير ، ومن المعروف أنه عند استعراض تاريخ الاسرة الإنسانية يظهر أن جزءاً كبيراً من وظائفها وقدراً لا يستهان به من مقومات وجودها كان يعتمد على الوظائف الاقتصادية التي كانت تقوم بها ، حتى أنه كان يظن يوماً أن فقدان هذه الوظائف أو انتقالها إلى مؤسسات أو منظمات أخرى خارج النطاق الاسري ربما يجعل من نظام الاسرة ذاته نظاماً عديم الجدوى ، أو أنه إذا استمر فهو استمرار بلا مبرر ، لكن أغلب علماء الاجتماع يرون اليوم أن الاسرة تستطيع أن تنهض بتحقيق وظائف لا تقل

خطورة عن الوظائف الاقتصادية ، وخاصة في المسائل المتصلة بالجوانب العاطفية ، وتبدو أهمية الاشباع العاطفي الذي توفره الاسرة كوظيفة أساسية ، من أن أحد الدراسات الهامة التي اجريت مؤخراً أبرزت أن محورها الاساسي يدور حول أن الاسرة في العصور التاريخية الماضية وكذلك في الوقت الحاضر تشهد تحولاً من كونها « نظاماً » إلى نوع من الرفقة،[1] ففي الماضي كما يشرح مؤلف هذه الدراسة كانت القوى التي تحافظ على تماسك الاسرة ذات طبيعة خارجية ورسمية وسلطوية مثل القانون والرأي العام وسلطة الأب ، أما اليوم فإن وحدة الاسرة تعتمد على التعاطف المتبادل والرفقة الطيبة بين أعضائها والفرق كما هو واضح بين الحالتين يعكس التغيرات الهائلة التي حدثت في كثير من المجتمعات الانسانية ، وهي التغيرات التي جعلت مقومات الوجود الاسري ومقومات استمراره تختلف اختلافاً بيناً . ويصل إلى موقف مشابه واحد من علماء الاجتماع الكبار في دراسة حديثة له حين يذكر ، أن الأسرة لم يصبها الانحلال أو التدهور في ظل التصنيع وإنما الذي أصابها بالفعل هو تضاؤل أهميتها في القيام بعدد من الوظائف الإقتصادية ، يضاف إلى ذلك أن الاسرة أصبحت تنظيماً أكثر تخصصاً من أجل القيام بوظائف أخرى وعلى الاخص التنشئة الإجتماعية للأطفال واستقرار شخصيات البالغين[2] وفي هذا تأكيد مرة أخرى أن الوظائف الاقتصادية لم تكن الوظائف الجوهرية ، التي إذا انتزعت من الإسرة تتعرض للانهيار أو تفقد مبرر وجودها . إن الأسرة كانت تقوم بالضرورة بالوظائف الإقتصادية استجابة لطبيعة التنظيم الإجتماعي القديم الذي كان كل مجتمع يشكله وفقاً للظروف الطبيعية التي تحيطه ووفقاً لطابع التقسيم القبلي أو السياسي الذي كان سائداً ، ومن المعروف أن السكان منذ آلاف السنين كانوا قلة على سطح الارض ، وأن

---

(1) Ernest Burgess and Harvey Locke "The Family" 2nd ed N.Y. 1953, p. VII.
(2) Talcott Parsons and Robert Bales, et al The Family· Socialization and Interaction process Glencoe, 1955, pp. 9-10.

مطالبهم في الغذاء والمأوى وأدوات الدفاع والحرب كانت قليلة للغاية ، لدرجة مكنت كل وحدة أسرية أو قرابية أن تكون مكتفية بذاتها تماماً في شؤون الحياة ، لكن هذا لا يجب أن يسوقنا إلى القول بأن تدبير شؤون الحياة اقتصادياً كان هو الهدف الأول من قيام النظام الاسري فقد كانت تنشئة الأطفال ورعايتهم وإعدادهم للدخول في معترك الحياة الاجتماعية ، وتوفير جو الطمأنينة والأمن بل والحب والعواطف ، من المسائل أو الوظائف التي لم تفارق الاسرة الإنسانية يوماً من الأيام ، لهذا فإن تحول الوظائف الاقتصادية في الاسرة إلى منظمات خارجها لم يفقدها إلا وظيفة واحدة وبقيت لها وستبقى مجموعة كاملة من الوظائف ذات أهمية بالغة في بناء الإنسان وفي تكامله .

ويرى بارنجتون مور Barrington Moore[1] أن كثيراً مما يكتبه علماء الإجتماع الأمريكان عن الأسرة وعن جوانب أخرى في المجتمع الأمريكي ، تصيبه بكثير من مشاعر القلق والضيق ، من أن المؤلفين سواء في ميدان الاسرة أو غيره على الرغم مما يقدمونه من نظريات يبدو عليها الاكتمال ومن طرق للبحث أو أدوات تبلغ أحياناً مرتبة عالية من الدقة إلا أنهم مع ذلك لا يفعلون أكثر من إسقاط بعض آمال الطبقة المتوسطة وتطلعاتها ومثلها على الواقع الذي يبعد عن ذلك كثيراً . ولست أريد أن أدخل هنا في جدل حول ما يطرحه علم اجتماع اليوم من أفكار حول الاتجاهات الراديكالية والليبرالية والماركسية ، أو عن دور الايديولوجية في صناعة النظرية أو مستويات الموضوعية وغير ذلك من الموضوعات ، إلا بالقدر الذي يلقي ضوءاً على حقيقة نظرية الأسرة ، وعلى كفاءة تصور « مستقبلها » من خلال ترجمة صادقة وأمينة للحقائق دون أدنى تأثر بمفضلات قيمية يمكن أن تكون مترسبة في

---

(1) Barrington Moore, "Thoughts on the future of the Family "in John Edwards (ed.) The Family and change" Alfred A. Knopf, publishers. N.Y. 1969.

النهاية إلى إنهاء الطبقة الرأسمالية ، كذلك فإن النهاية القصوى للصراع الطبقي لا بد أن تكون في قيام مجتمع لا طبقي . ومع أن التاريخ الحديث يشهد على أخطاء ونقائص عديدة في التحليل الماركسي ، إلا أن بعض قضايا ماركس السوسيولوجية ينظر إليها على أنها صحيحة ، وعلى سبيل المثال فإن من يشغلون مراكز متشابهة في النظام الاقتصادي يواجهون نفس المشاكل ويمرون من خلال تجارب متماثلة في الحياة الأمر الذي ينتج عنه أن تكون لديهم اتجاهات وقيم مشتركة ، مما يجعلهم يسلكون بنفس الأسلوب . ومع ذلك فإن كثيرا من تنبؤات ماركس عن المجتمع الرأسمالي لم تتحقق ، فلم تختفي الطبقة الوسطى ولم تتبلور أحاسيس الطبقة العاملة ولم تتبلور الملكية في أيدِي قلة يتناقص عددها باستمرار ، كما أن الثورات التي تنبأ بها لم تحدث حتى الآن في أكثر البلاد الصناعية تقدما وهي البلاد التي كان من المتوقع نتيجة للأفكار الماركسية أن تواجه المتاعب .

وقد أثار « انجلز » Angels[1] ومن يسيرون على نهجه من الماركسيين أن التغير بالنسبة للأسرة يتوقف على تعديل يجب أن يطرأ على علاقات الملكية وقد أدى خلق الملكية بعد مرحلة الشيوعية البدائية إلى استعباد النساء ومعاملة الأطفال كسلع اقتصادية . ولكن سواء اتفق المرء أو لم يتفق مع نظرية الصراع الماركسية في التغير التي تقوم على الحتمية الاقتصادية فإن تأثير العوامل الاقتصادية لا يمكن التغاضي عنه ، ذلك لأن تأثير الاقتصاد العام للمجتمع على الأنساق الأسرية يمكن أن يلاحظ على الفور من خلال التعرف على معدلات الطلاق خلال فترات الكساد أو التقدم ، ويكفي في هذا الصدد أن نشير أيضا إلى الاختلافات القائمة في حجم الاسرة ، ومكان الإقامة وأنماط الاستهلاك ، ومعنى ذلك أنه يمكن أن نبرهن على أن أي تغير في الاقتصاد أو

---

(1) Frederik Engels, "The Origin of the Family, Private property and the State", Chicago: C.H. Curr and Company, 1902.

أي تغير في الدخل الفردي يمكن أن يؤثر في الأسرة أو الانماط الاسرية ، ويقول وليام جود على سبيل المثال هنا : « أنه كلما اتسع نطاق النسق الاقتصادي من خلال التصنيع تضعف روابط القرابة الممتدة وتتفكك أنماط وحدات البدنة ويظهر هناك ميل إلى قيام شكل من أشكال النسق الزوجي ، ومع ذلك ، فإن النظر إلى العامل الاقتصادي على أنه التفسير الوحيد أو الأهم للتغير الأسري أو الزوجي لا زال حتى الآن موضوعا للحوار .

٦ ـ العامل التكنولوجي :

لقد نشأت التكنولوجيا في الأصل لتقلل من المجهود العضلي والجسماني الذي يبذله الإنسان في العمل ، ولتعمل على رفاهيته ، ورفع مستوى معيشته وإتاحة وقت فراغ أطول ، وبذلك نستطيع القول أن التكنولوجيا أساسا اجتماعية وأن العمل التكنولوجي يحدث استجابة لمتطلبات اجتماعية معينة . وتأثير التكنولوجيا على الاسرة يكون في العادة بطريقة غير مباشرة ، وذلك من خلال التصنيع والحضرية ونمو المدن ، أما تأثيرات التكنولوجيا المباشرة على الأسرة فتظهر في صورة الأدوات المنزلية ووسائل الترفيه المختلفة وكذلك الاكتشافات العلمية في مجال الطب والدواء .

وقد كان للتقدم التكنولوجي تأثيرات متعددة على الأسرة من حيث بنائها ووظائفها ولذلك نجد أن حجم الأسرة في المجتمعات التي تأخذ بأسباب التكنولوجيا الحديثة يميل إلى النقصان باستمرار مع ما يصحبه من انتشار شكل « الأسرة النواة » . ولكن هذا لا يعني أن التكنولوجيا هي السبب في نشأة هذا النوع من الأسرة ، وإنما يعني أنه من أكثر الأشكال ملائمة للنظام التكنولوجي كما أن العلاقات الداخلية في الأسر تغيرت إلى حد بعيد ، وتغير دور الرجل كرئيس للأسرة ، وأصبحت العلاقات بين أفراد الأسرة تقوم على الحرية والمساواة ، كما تغيرت القيم المتعلقة بالزواج واختياراته ، وتغيرت النظرة إلى الطلاق . هذا وقد تناقصت وظائف الأسرة أيضا بظهور التكنولوجيا الحديثة

ذكرنا إلى ذلك أن الاسرة المعاصرة عتيقة بالفعل وبربرية ، وأحد مظاهر هذه « البربرية » هو التزام الأسرة بمنح الحب لمجموعة معينة من الاشخاص هم أبناؤها ، وأن شعور المحبة الحقيقي في رأيه هو الذي يمنح لأفراد نختارهم بمحضر إرادتنا وليس لأفراد قد نمقتهم أو نكرههم[1] .

وعلى الرغم من تشاؤمية هذه الآراء ، إلا أنها تشير إلى أن الاسرة « متغيرة » وسوف تسير في طريق التغير ، غير أن الموضوعات التي يثيرها هؤلاء العلماء أو المفكرين مثل الانحلال أو الإنهيار أو التقدم أو الرقي ، فهي كلها موضوعات يجب تناولها بحذر وحرص شديدين ، لأن الكتابة في موضوع مثل « مستقبل الاسرة » يتطلب احتياطات معينة يجب أخذها في الاعتبار .

تدبيرات وقائية لاحتمالات المستقبل

يرى الكثيرون من منظور تشاؤمي أن مستقبل المجتمع والاسرة يبدو مظلماً وكئيباً نتيجة للأحداث الجارية في الوقت الحالي ، ويضربون أمثلة عديدة لتلك الأحداث التي تدفعهم إلى مثل هذه التنبؤات المتشائمة . كتعاطي المخدرات ، والإنهيار الإقتصادي ، والبطالة المقنعة ، واضمحلال موارد البيئة الطبيعية ، وازدياد الصراعات الطائفية ، ونشوب الحروب ، وكثرة مشاكل الطلاب ، واتساع الفواصل بين أجيال الآباء والأبناء ، وارتفاع معدلات الطلاق ، وانتشار الامراض النفسية وارتفاع معدلات الانتحار ويرى هؤلاء أن استمرار هذه المشاكل بل وتعاقبها وظهور مشاكل جديدة سوف يؤدي بالضرورة إلى إنهيار حياة الاسرة . ويرون كذلك أن الاسرة هي المسؤول الأول عن جميع الأمراض والمشاكل الإجتماعية لان لها التأثير الرئيسي والمباشر في

---

(1) Barrington Moore, op. cit.

تجربة الحياة لكل شخص . إلا أن هناك اعتراضات كثيرة على هذا الرأي ، فوصفنا لجميع المشاكل الاجتماعية باعتبارها نتيجة لفشل الاسرة يعتبر غير حقيقي بل وساذج أيضاً . وهناك نقاط عديدة ، تحتاج إلى إيضاح نشير إليها فيما يلي :

أولاً : أن التغيرات التي تحدث أو سوف تحدث في الأسرة ليست بالضرورة سارة أو محزنة ، حسنة أو سيئة ، بناءة أو هدامة ، حيث أن تغيرات الاسرة قد تكون مستحبة أو مرفوضة تبعاً للإطار المرجعي أو تصور كل شخص ، وكذلك للجماعة التي ينتمي إليها ، واتجاهات القيم التي يعتنقها . فارتفاع معدلات الطلاق مثلاً يمكن أن ينظر إليها من وجهة نظر معينة كمشكلة أو كمأساة بينما قد ينظر إليها آخرون على أنها حل لمشاكل أخرى . والحرب أيضاً يمكن أعتبارها أمراً حيوياً للدفاع القومي ، أو كعملية هدم غير أخلاقية للأرواح والأملاك . وهذا لا يعني أنه لا توجد تغيرات تهدم وتمزق النظام الاجتماعي ، ولكن هذا يعني أن المشاكل الاجتماعية ، من الملائم أن ننظر اليها في المحيط الذي تحدث فيه . فالمسألة إذن نسبية ، تختلف باختلاف الاشخاص والمجتمعات والزمان والمكان والظروف .

ثانياً : يرى الكثيرون أن مكان الاسرة يقع في قلب المجتمع ، وأنها أكثر النظم الاجتماعية أهمية ، إلا أنه يجب أن نضع في الاعتبار أنه لا يمكن فهم الاسرة كظاهرة منعزلة ، بل يجب النظر اليها في صورة تكاملية مع بقية النظم ، أي في علاقاتها بالاقتصاد والتعليم ، والدين والسياسة بالاضافة إلى عوامل أخرى مثل كثافة السكان وتركيبهم وتوزيعهم ، وأنماط التنقل الاجتماعي والمكاني والتقسيم الطبقي في المجتمع ، كل هذا يجب أن يكون واضحاً . فليس من قبيل المصادفة كما سبق أن أشرنا أن تميل المجتمعات الزراعية إلى شكل الأسرة الممتدة والقاء مسؤولية الاختيار الزواجي على الآباء . ولكن النقطة الرئيسية التي نود الإشارة إليها ، هي أنه إذا أردنا

الحصول على تنبؤات عن الاسرة دقيقة ومضبوطة ، فمن الضروري أن يكون لدينا فهم دقيق وكامل لما يحدث في الانساق الاجتماعية الأخرى القائمة في المجتمع ومثال ذلك : إذا ارتفع المستوى التعليمي في مجتمع ما ينقص عدد الأطفال في الاسرة . وفي هذا تأكيد على أن ما يحدث في الاسرة يعتمد إلى حد كبير أو يرتبط بما يحدث في الأجزاء الأخرى من المجتمع وأي تغير يحدث في أحد هذه الأجزاء يؤدي إلى تغيرات أخرى مصاحبة بما في ذلك الاسرة .

ثالثاً : الأسرة ليست وجوداً متماثلاً . حيث توجد اختلافات كثيرة في أنماط الاسرة (حتى في المجتمع الواحد) نتيجة لعوامل عديدة مثل الإقامة الريفية أو الحضرية ، والعقيدة الدينية ، والطبقة الاجتماعية ، والسن ، والاهتمامات الخاصة ، ودرجة الثقافة . وكل مجموعة من الاشخاص يتشابهون في مجموعة من هذه العوامل يشكلون قطاعاً في المجتمع له طابعه الخاص .

رابعاً : إن أي نمط من التنبؤ أو احتمالات المستقبل الاجتماعية تتوقف إلى حد كبير على الصدفة ، أي أنها قد تصدق أو لا تصدق . فبعض الاتجاهات تكون قصيرة المدى **Short-term** إذا ارتبطت بالمناخ الاقتصادي للرخاء الذي يؤثر بصورة واضحة في معدلات الزواج والموالد . والطلاق . كما أن بعض الاتجاهات الأخرى قد لا تكون بالضرورة وحيدة الاتجاه **Linear** أو قد لا يكون لها اتجاه واضح على الاطلاق . ويمكن أن أيضاً أن تكون إمكانيات التنبؤ عالية أو منخفضة . والمتغيرات يمكن أن تحدث داخل النسق أو خارجه ، بمحض الصدفة أو مخططة ، سلوكية أو موقفية ، مادية أو لا مادية ، حقيقة أو مثالية ، نمطية أو غير نمطية ، سلامية أو عدوانية ، مستمرة أو وقتية ، سريعة أو بطيئة ، نتيجة لأسباب وحيدة أو أسباب عديدة وهكذا .

ومما سبق يتبين لنا أن أي تنبؤات مستقبلية يجب أن تتخذ من الحذر منهجاً فلا يمكن التنبؤ بالمستقبل دون الوقوع في أخطاء ، ولو صدقت

التنبؤات بالفعل فان هذا لا يكون إلا في المدى القصير وبالنسبة لمجتمع معين أو قطاع محدود فيه .

تنبؤات وتصورات محتملة

إن معظم التنبؤات في مؤلفات علم الاجتماع الأسري تشير إلى ما يتعلق بمستقبل الاسرة الغربية التي تختلف في كثير من أبعادها عن الأسرة المصرية أو الشرقية أو الأسرة في المجتمعات النامية بوجه عام .

وتؤكد هذه التنبؤات أن الأنماط الحالية في الاسرة والزواج من حيث تنظيمها وعملها هي باختصار تسير وفق خطة معينة . أما التنبؤات التي سنعرضها فيما يلي فيجب أن ننظر اليها باعتبارها مجرد إيحاء أو تجريب أو تصور وليست تأكيداً شاملاً نهائياً .

١ ـ الزواج وبناءات الاسرة

إن تنظيم بناء الزواج والأسرة سواء في المستقبل القريب أو البعيد سوف يأخذ أشكالاً عديدة ومتنوعة وقد تكون غريبة أيضاً إذا قورنت بالأشكال الحالية وتنوع هذه الأشكال في المجتمع التعددي.Pluralistic سوف لا يمحي أو يزيل من الوجود معظم الأسر التي تتكون من زوج واحد وزوجة واحدة مع أطفالهما البيولوجيين ، وإنما يعني أنه من المحتمل أن تؤدي زيادة الدعاية والإعلان في مجالات معينة إلى إختلافات واسعة في أنواع الزواج والأسرة .

٢ ـ الأسرة الممتدة والروابط القرابية

من المحتمل أن تعود الاسرة الممتدة إلى الظهور مرة أخرى في المستقبل كما أنه من المحتمل أن تشارك مجموعة من الوحدات الأسرية نفس المسكن كما كان يحدث في الماضي ، وقد لا يسكنون معاً في نفس المسكن

ولكنهم سوف يحتفظون بعلاقاتهم القرابية من حيث تبادل الزيارات والمساعدات المادية والمعنوية .

وعلى الرغم من أن الاتجاه العام قد يكون نحو الاسرة النواة المنعزلة[١] فإن الأسرة الممتدة المعدلة Modified Extended Family سوف توجد في المستقبل مع ذلك . دون أن يتطلب وجودها قرباً مكانياً بالضرورة ، أو اشتراكاً مهنياً ، أو محاباة للأقارب أو نمطاً للسلطة الأبوية ، وجدير بالذكر أنها في الوقت الذي لا تتشابه فيه مع الاسرة النواة المنعزلة ، فمن المحتمل أن تقدم لها مساعدات هامة .

وتقول مارجريت ميد Mead[٢] «إن الاسرة النواة شكل ملائم للاسرة بغرض التغيير ، ولكنها لن تستمر في هذا الوضع إلى ما لا نهاية ، لأن أسرة اليوم تدفع كل فرد فيها إلى خارج المنزل ما عدا النساء اللائي يقمن بتنظيف المنزل أو تربية الأطفال» ولذلك فإن أسرة الغد سوف تحتاج إلى أفراد أكثر لتربية الطفل وللمعاونة عندما يمرض الطفل أو تمرض الأم . إن وجود كثرة من الأطفال ربما يكون مفيداً للعب المشترك لان ارسالهم إلى دور الحضانة سوف يتطلب مبالغ طائلة .

وهذا لن يحدث بسرعة أو في الحال لانه يعني بناء مساكن جديدة . واستعدادات ضخمة ما زالت غير متاحة في الوقت الراهن ولكنها سوف تحدث بالتدريج .

٣ ـ دوام بناء الأسرة وبدائل الطلاق

على الرغم من أن معدلات الطلاق تتناقص خلال فترات الكساد وتتزايد

---

(1) Talcott Parsons, "The Kinship System of the contemporary United States" American Anthropologist, 45 (1943) pp. 228-238.

(2) Margaret Mead, "Future Family" Trans Action 8 September 1941) p. 52.

خلال فترات الرخاء ، فإن معدلات الطلاق بوجه علم تتزايد في بعض البلاد الأوروبية مع احتمال تناقصها نتيجة للتوترات أو الأزمات التي تحدث خارج نطاقها ، لكن الأمر يختلف في الولايات المتحدة الامريكية ، لأن معدلات الطلاق سجلت منذ فترة طويلة ارتفاعاً تدريجياً مستمراً ، وليس هناك دلائل تشير إلى احتمالات توقف هذه الزيادة أو انخفاضها ، ويرى الدارسون لهذه الظاهرة في تلك البلاد أن المعاني المرتبطة بالطلاق هي التي يحتمل أن تتغير أو ان تأخذ مضموناً آخر ذلك أنه يمكن القول بأن « الزواج لم يعد ينظر إليه على أنه إرتباط لن يفرقه إلا الموت » ، وهنا يمكن أن نتنبأ بناء على مجريات التطور في مجال الاسرة والزواج أنه سوف يكون هناك قبول عام بشكل أو بآخر لما يمكن أن يسمى بالزواج المؤقت أو بالزواج الذي يستمر حتى يكبر الأطفال . وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن مارجريت ميد في دراسة لها عن الأسرة المستقبلة ترى أنه من الممكن أن نصل إلى مرحلة يكون نموذج الزواج فيها يختلف اختلافاً جذرياً عن الزواج الذي نعرفه في ظل الظروف الحالية التي نعيشها ، إن الأزواج في الوقت الحاضر يأملون في زواج يجعلهم يعيشون معاً إلى الأبد ، إلا أنه وفقاً لما يحدث في الواقع يعترفون بالطلاق بصورة متكررة ، فلو أنهم بدلاً من ذلك، كان عندهم نوع من التصور أو النموذج الذي يجعلهم يبقون معاً حتى يشب أطفالهم عن الطوق ، أو لا ينجبون أطفالاً إلا عندما يكونون مستعدين لتقبلهم ورعايتهم .

وهذا بدلاً من الجري وراء شخص ما يكون صالحاً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معه ، فإن الأبوة في مثل هذه الأحوال يمكن أن تكون أكثر ملاءمة وأكثر فرصاً للالتزام بواجباتها ، ولكن إذا لم يكن التوصل إلى مثل هذا الموقف ، فإنه من الطبيعي أننا في سبيل الدعوة إلى حكومة تضع موانع الحمل في الماء الذي نشربه[١] .

---

(1) Mead, op. cit. p. 53.

وواضح أن مارجريت ميد تحاول أن تفرق بين الآمال والتوقعات التي تكون لدى الأزواج قبل الزواج ، وبين ما يحدث نتيجة للتجربة الزواجية نفسها وترى أنه لسد الفجوة بين الأمل والواقع ، أن يتفق الأزواج على ضرورة بقائهما معاً حتى يتم نمو الأطفال إلى السن الذي يستطيعون معه أن يتحملوا مسؤولية أنفسهم ، أو أن يتفقوا على عدم إنجاب الأطفال حتى يصبحوا من كل الوجوه مستعدين لإستقبالهم .

لأن الأبوة التي ترى «ميد» أنها جوهرية بالنسبة لحسن قضاء مرحلة الطفولة في جو ملائم ، يجب أن يتوفر لها كل مقومات النجاح بعيداً عن التوترات وبعيداً عن إحتمالات الانفصال والطلاق . وبدون هذا التصور العقلاني للزواج وحرصاً على ألا يتعرض الجيل الجديد للمتاعب وخاصة في سنوات الطفولة التي تتميز بحاجة الأطفال إلى آبائهم ، فإن البديل عند ميد ، هو أن تعمل الدولة على الحيلولة دون انجاب الأطفال أصلاً بأن تضع موانع الحمل في مياه الشرب كما تقول .

إن الزواج كما يرى كثيرون ممن تعرضوا لدراسته ليس رخصة مثل رخص الصيد والقنص ، أو هو ليس مثل رخصة السيارة يمكن أن نجددها كل فترة معينة من الزمان ، لأن اهمال تجديد مثل هذه الرخص لا يحمل بالضرورة كل النتائج التي تترتب على الطلاق وخاصة ما يتعلق بالتعقيدات القانونية التي تصاحبه في هذه الأيام . ولهذا فإنه إذا أمكن النظر إلى عقد الزواج على أنه عقد مؤقت أصبح في الإمكان تجنب انهيار كثير من الزيجات التي يتزايد عددها في الوقت الحاضر .

وهناك رأي غريب مؤداه أن الطلاق أكثر احتمالاً في الوقوع بين أزواج يعتبرهم الآخرون أزواجاً مثاليين ، فقد يكون لديهم بيوت أنيقة ومهن مرموقة وأطفال يتمتعون بالجاذبية والجمال فضلاً عن تقدير المجتمع لهم والنظر اليهم

بكل احترام . ويقول فارسون Farson[1] في هذا المقام أن الإحباط وعدم الرضى من الحياة الأسرية يكون نتيجة لما يستشعره الزوجان بالحاجة إلى المزيد من الحب والمودة والعواطف العميقة والمشاركات الشاملة ، أو بمعنى آخر فإن التناقض بين الزوجين يمكن أن يحدث نتيجة للمقارنة بين الواقع المعاش وبين التصورات التي تتعلق بما يمكن أن يكون . إن غرابة هذا الرأي مردها إلى أن الاحباط ينبثق من التحسينات التي تطرأ على الحياة الاسرية . فالرأي الشائع في هذا المجال أن كل تحسين يطرأ على اساليب الحياة العائلية لا بد أن يؤدي الى الإشباع والرضى ، أما أنه يؤدي الى زيادة التبرم أو الحاجة إلى مزيد من التحسن فهو الأمر الذي يدعو إلى الدهشة . إلا أن فارسون يدافع عن وجهة نظره فيقول ، إن الزواج الفاشل, عادة اذا نظر اليه وخاصة من خلال ما يؤدي اليه من اشباع ورضى وفقاً لمقياس آخر غير المقياس الذي تحقق خلال التجربة الزواجية التي يعيشها الزوجان ، حتى لو كانت تبعث على الرضى أو تحقق الإشباع من خلال مستوى غير ذلك المستوى الذي أصبح نموذجاً مثالياً لا تتوصل اليه التجربة الحالية . ويحاول فارسون أن يؤ يد رأيه بقوله أن كثيراً من الزيجات تفشل إذا حاول الأزواج أن يقارنوا حياتهم بحياة أخرين عرف عنهم ولو ظاهرياً أنهم يتابعون حياتهم الزوجية في ظل اتجاهات رومانتيكية ظلت مستمرة ابتداء من الفترة التي سبقت الزواج حتى سنوات طويلة بعد الزواج ، أو إذا حدثت المقارنة مع تلك الصورة الخيالية التي تدعمها وسائل الإعلام ، أو ربما كان ذلك نتيجة للتصورات المثالية عن السعادة المتوقعة والتي لا يمكن أن تتحقق بالفعل في ظل مسؤ وليات متعاظمة يواجهها الأزواج كلما أصبح عليهم أن يبذلوا قدراً من التضحيات في سبيل إسعاد الآخرين خاصة إذا كانوا أطفالهم .

---

(1) Richard E. Farson, "Behavioral Science Predicts and Projects" in Farson et al., The Future of the Family N.Y., Family Service Association of America. 1969, p. 65.

٤ ـ تكنولوجيا جديدة للمواليد

في دراسة لنيمكوف Nimkoff عن الإكتشافات البيولوجية ومستقبل الأسرة[١] يصل الى نتيجة مؤداها أن الإكتشافات في مجال البيولوجيا الإنسانية تعتبر أيضاً أكثر أهمية في الجانب السيكولوجي ـ الاجتماعي للحياة الأسرية من التطورات التكنولوجية ، ويقول أن التكنولوجيا الجديدة للمواليد تتركز حول حبوب منع الحمل والأمصال المؤدية لمنع الحمل وضبط عدد الأطفال والمعرفة التي تؤدي الى السيطرة على جنس الطفل ، والإخصاب الصناعي عن طريق الزوج أو رجل آخر ، وطريقة حفظ الحيوانات المنوية ، والعلاج عن طريق الهرمونات . وزرع الأجنة وكثير غير ذلك من الاكتشافات العلمية التي تفتح آفاقاً جديدة للتغير في ميدان الأسرة ، وهذا يعني أن التطورات المعاصرة في الكيمياء الحيوية يمكن أن تؤدي الى طرح امكانيات لثورة كبرى في المستقبل القريب ، لكن متضمنات بعض هذه التطورات يمكن أن تكون شيئاً يفوق كل التصور أو الخيال . فما الذي يحدث للأمومة اذا كان الأطفال ليسوا من صلبها (أطفال الأنابيب) وكيف يمكن أن نتوصل إلى توازن في معدلات الجنس خاصة أن المجتمعات حتى في العصر الحاضر تفضل الذكور على الإناث ، بل إن بعض الآباء يفضلون أن يأتي الطفل الذكر قبل الطفل الأنثى ، كذلك من الذي يستطيع أن يصدر القرار الذي بمقتضاه يمكن وضع برنامج للتحكم في مستويات الذكاء ، وما هي المتضمنات التي يمكن أن تترتب على تحقيق مقدرة الأزواج في إنجاب الأطفال عند سن التسعين ، وأخيراً ما الذي يحدث أو ما الذي يمكن أن يحدث للعادات والتقاليد الجنسية لمجتمع يحتمل أن يخضع لمثل هذه الظروف . هذه في الواقع مجموعة من التساؤلات التي يمكن أن يطرحها التفكير في النتائج التي قد تترتب على هذه الاكتشافات

---

(1) Meyer. F. Nimkoff, "Biological Discoveries and the Future of the Family: A reappraisal," Social Forces, 41 (December, 1962) pp. 121-127.

البيولوجية أو الكيميائية إذا ما قدر لها أن تجد طريقها للتطبيق على أوسع نطاق في المجتمعات الإنسانية . ومع أن عدداً كبيراً من هذه الاكتشافات أصبح ممكناً إخراجه إلى حيز التطبيق العلمي أو على الأقل أصبحت معروفة في الميدان العلمي ، إلا أنها لا زالت لسبب أو لآخر مجرد تأملات حتى هذه اللحظة . أن كثيراً من الدارسين للأسرة والمطلعين عن كثب على هذه الاكتشافات والمقدرين لنتائجها يعتقدون أن التخلف الثقافي الذي يظهر في تقبلها اجتماعياً سوف يتضاءل تدريجياً خلال فترة قصيرة من الزمان .

إن عدد الأطفال في كل زيجة طبقاً لهذه التكنولوجيا الجديدة للمواليد يحتمل أن يتناقص إلى أن يصل إلى معدل إنجاب يقترب من الصفر ، أو بمعنى آخر أن تصل الزيادة السكانية إلى الصفر، وفي هذا الصدد يعتقد هاوزر Hauser[1] أن ذلك لا مفر من بلوغه لأننا نعيش في كوكب محدود تبلغ مساحته خمسين مليون ميلا مربعاً فقط من الأرض ، وبسبب هذه المساحة المحدودة فإن أي معدل للزيادة السكانية سوف يفضي في نهاية الأمر إلى حالة من التخمة أو التشبع ، ويضيف هاوزر إلى ذلك قوله ، إن العالم الغربي يمكن أن يتوصل إلى درجة الصفر في الزيادة السكانية لو أن عدد المواليد نقص بمعدل مولود واحد لكل أسرة . وهو أمر محتمل وممكن التوصل اليه بسهولة ، وهناك من الدلائل التي تشير الى نجاح دول العالم الغربي في التوصل الى هذه الدرجة من الزيادة إبتداء من عام ١٩٧٠ ولكن الأمر بالنسبة لبقية أجزاء العالم قد يختلف اختلافاً ملحوظاً ، فلا زالت الإحصاءات تسجل زيادة مضطردة في عدد المواليد ونقصاً متزايداً في عدد الوفيات التي تكون من نتيجته ما يشار اليه دائماً «بالانفجار السكاني» الذي يعتقد كثير من الدارسين أنه يمكن أن يؤدي الى تهديد الرخاء العالمي أو الى زيادة الأعباء الملقاة على الدول المتقدمة ،

(1) Phillip Hauser, "Social Science Predicts and Projects" in Farson et al. p. 36.

ويلاحظ أنه ابتداء من مطلع السبعينات ظهرت اهتمامات عديدة في مجالات علمية وإقتصادية وسياسية مختلفة بدراسة آثار الإنفجار السكاني على مستقبل العالم وخاصة من منظور كفاية المواد الضرورية «الغذاء» للأعداد المتزايدة من البشر ، الأمر الذي جعل مسألة تنظيم الأسرة وخاصة من زاوية ضبط النسل أمراً يشغل الدوائر العلمية ومنظمات هيئة الأمم المتحدة ومخططي السياسة العامة في كثير من مجتمعات العالم ، حتى أصبحت الدعوة إلى تنظيم الأسرة من خلال هذا المنظور تكاد أن تبلغ مرتبة العقيدة الراسخة أو البديهيات التي لا يجوز النقاش فيها ، ومع ذلك فقد أثيرت اعتراضات شديدة على الدعوة إلى ضبط النسل في كثير من البلاد الاشتراكية التي فندت الدعاوى التي تقوم عليها باعتبارها دعاوى تقوم على اعتبارات ايديولوجية تستند أساساً الى الدفاع عن منجزات العالم الغربي ، والرغبة في الحفاظ على المستوى العالي من المعيشة لشعوب هذا العالم على حساب استغلال إمكانيات بقية شعوب العالم الأخرى . ويستند مثل هذا الرأي الى أن كثيراً من الدول التي تنتمي الى العالم الثالث بها من الامكانيات الهائلة لانتاج الغذاء التي لو أحسن استغلالها عن طريق المساعدات الفنية والتكنولوجية لاختفى كل جدل حول ما يسمى بأزمة الغذاء العالمية ، وهذا يؤدي بالتالي إلى مزيد من التريث أو على الأقل إعادة النظر في ايديولوجية ضبط النسل التي تلقن لشعوب العالم بصورة أو بأخرى عبر أجهزة الإعلام أو من خلال الأبحاث التي تمولها هيئات اهتمام ايديولوجي أو اقتصادي معين .

إلا أن القضايا التي يطرحها مثل هذا الحوار الذي يأخذ طابعاً ايديولوجياً في بعض جوانبه لا يصلح في اللحظة الحاضرة لحل المشاكل التي تواجهها المجتمعات ذات الامكانيات المحدودة أو القدرات التكنولوجية غير المتطورة في كثير من مجتمعات العالم الثالث ، إن نتيجة هذا الحوار قد تصلح في نهاية الأمر الى إقامة سياسة عالمية بعيدة المدى إلا أنه من المعتقد أنه على المجتمعات التي تواجه مشكلة زيادة السكان بصورة تفوق زيادة الإمكانيات

المتاحة مثل ما هو حادث في المجتمع المصري فإن عليها أن تتبنى سياسة متوازية في هذا الميدان وليس هناك في الوقت الراهن من حل ممكن ومجد غير التخطيط كنوع من السيطرة على ارتفاع معدلات الزيادة السكانية عن طريق حفز الأسر على ضبط نسلها في الحدود المعقولة التي تتناسب مع إمكانياتها المادية وتطلعاتها المشروعة لمستويات معيشة ملائمة .

٥ ـ الأبوة كمهنة متخصصة .

إننا نعيش اليوم عصر التخصص ، ففي كثير من المدن الكبرى لا يذهب المرء الى الطبيب (الممارس العام) فحسب ، بل إنه ينتقي كذلك الاخصائي الذي تسمح له مؤهلاته وخبراته بتشخيص ومعالجة مرض بعينه ، وليس من المستساغ بل ليس من المسموح به إعطاء فرصة لفرد غير مدرب باجراء عملية جراحية في القلب أو أن يدرس في الجامعة ، أو أن يبني منزلاً . ولكن في الوقت الذي نعلق أهمية قصوى على تربية الأطفال ، فإننا نسمح لأشخاص لم يتلقوا تدريباً من أي نوع بالقيام بهذه المهمة المعقدة والصعبة ، ولعل هذا هو الأمر أيضاً مع استثناءات لا تذكر . عندما يسمح لأشخاص بعينهم أن يقوموا بذلك دون أي مؤهلات سيكولوجية أو تربوية أو اجتماعية . ويرى كثير من الذين يعنون بمسائل الأسرة وتربية الطفل أنه من المحزن حقاً أن نجد كثيراً من المشرفين على شؤون التعليم يقاومون في ظل إعتبارات لا تقوم على أساس وضع برامج في الحياة الأسرية والاعداد لمرحلة الأبوة في التعليم العام أو في التعليم العالي ، ويلاحظ أن بعض البلاد التي أحسست بمدى أهمية مثل هذه البرامج قد وضعت ضمن مخططات التعليم فيها مواد تعالج جوانب معينة في العلاقات الزوجية . إلا أن الاعتراف الكامل بمثل هذه المواد لا زال يحتاج الى اقتناع أقوى مما هو قائم بالفعل ، إلا أن الكثرة الغالبة من بقية مجتمعات العالم لا زالت إما بعيدة كل البعد عن هذا التصور . أو أنها تناقشه ببطء ، أو يرى المهيمنون على شؤون التعليم والتربية فيها أن علم الأسرة يعالج بصورة

متفرقة في كثير من المواد ذات الطابع الاجتماعي أو التربوي الذي يتلقاه الطلاب وجدير بالذكر أن بلاداً معينة ومنها مصر ترى أن فتح مكاتب للارشاد الزواجي وتكليف بعض المؤسسات الأهلية والحكومية التي تعمل في الميدان الاجتماعي بمهمة تقديم المعلومات والارشادات المتعلقة بالحياة الأسرية والعلاقات الزوجية وتربية الأطفال وأساليب رعايتهم يمكن أن يكون بديلاً ناجحاً عن إعطاء هذه المعلومات في مرحلة مبكرة من حياة الشاب أو الفتاة . ولكن الأمر كله مع ذلك يحتاج الى نظرة أكثر واقعية وأكثر استجابة للظروف المتغيرة التي تعيشها الأجيال اليوم .

إن الشيء الذي لا بد أن نؤكده مؤيداً للاتجاه الذي يرى ضرورة تدريب من يقبلون على الزواج على الأبوة، أن الآباء وحدهم هم الذين يقع على عاتقهم تربية أطفالهم وهذا واضح لا يحتاج الى دليل إلا في حالات استثنائية لا يعتد بها ، فالمجتمعات اليوم يزداد التخصص فيها يوماً بعد آخر ، ويزداد عدد النساء اللائي يدخلن ميادين العمل التي تحتاج إلى تخصصات ضيقة ، كما يزداد عدد النساء كذلك اللائي يلتحقن بأعمال بأجر ثابت ، وذلك بالإضافة إلى أن إنجاب الأطفال لم يعد أمراً وليد الصدفة وإنما يخضع للاختيار (وذلك في حالة الاقتناع بضرورة ضبط النسل وتنظيم الأسرة وترجمة هذا الإقتناع إلى واقع ملموس) كل هذا سوف يؤدي الى نتيجة هامة هي أن الأبوة لنصف الوقت ستصبح ظاهرة عامة (عندما تعمل المرأة وتغيب عن منزلها في الوقت الذي يعمل زوجها كذلك) ومعنى ذلك أن العالم الذي سنشهده سوف تختفي فيه الأبوة المتفرغة طول الوقت وسوف تقاس الأبوة من حيث نجاحها أو مسؤ ولياتها بمعايير أخرى غير المعايير التقليدية .

ويوجد في كثير من المجتمعات اليوم عدد كبير من دور الحضانة أو أي شكل آخر قريب منها يقدم نوعاً من البرامج التربوية للأطفال في سن ما قبل المدرسة ولكن دور الحضانة هذه لا تزال في كثير من البلاد تقوم على أسس

خاصة باستثناء بعض الدول الاشتراكية ، وهناك احتمال قوي بأن تتولى الدولة بصورة تدريجية تقديم هذه الخدمة للأمهات العاملات . إن الإحباط الذي يتعرض له الآباء الذين يقع عليهم العبء للقيام بدور أبوي طوال الأربع والعشرين ساعة ، أي طوال اليوم يمكن إذا واتتهم الفرصة وخاصة الأمهات أن يرحبوا بوجود آباء مهنيين أو محترفين لهم صلاحية وخبرة في هذا المجال وهناك احتمال قوي أن كثيراً من الآباء البيولوجيين سوف يسلمون أطفالهم بكل سرور لست أو ثمان ساعات في اليوم ، وسوف ينظرون الى مثل هذا التسليم على أنه نوع من الحب وليس نوعاً من الرفض ، وسوف يكون الوقت الذي يقضى تبعاً لذلك مع الأطفال غير مخصص لفرض النظام أو لتوقيع العقاب بل سوف يخصص بغير شك لتبادل العواطف والاستمتاع المتبادل .

ويذهب الفن توفلار Toffler[1] خطوة أبعد من ذلك حين يقترح قيام مراكز للرعاية النهارية تخضع لنظام معين ، ويعني بذلك قيام مؤسسات مهنية أبوية حيث يذهب الأطفال الى وحدات أسرية فعلية نظير أجر معلوم ويشترط في هذه الأسر أن تكون متعددة الأجيال بحيث تهيء للأطفال الفرصة للملاحظة والتعلم من مجموعة واسعة ومتنوعة لنماذج من السلوك يقوم بها من هم أكبر منهم سناً كما كان الحال في البيوت القروية القديمة (الدواوير) . ويمكن لهذه الأسر أن تقبل أطفالاً جدداً يضافون إلى الأطفال الذين يمكثوا سنة أو أكثر عندها حتى يصبح في الامكان تجنب العزل العمري أو تقليله الى أقصى حد . إلا أنه من غير المتوقع أن تلاقي فكرة توفلار هذه قبولاً واسعاً وعلى الأخص خلال الجيلين القادمين ذلك لأن آباء «نصف الوقت» و «بدائل الآباء» قد لقيت قبولاً على أوسع نطاق في أغلب المجتمعات في الوقت الذي زادت فيه دور الحضانة .

---

(1) Alvin Toffler. Future Shock. N.Y.: Bantam Books, 1970. p. 244.

برامج الزواج والتربية الأسرة

إن السرعة التي يتوقع أن تتم على أساسها التغيرات في مسائل التربية وتعليم الحياة الأسرية مثلها مثل أي رؤية أخرى للمستقبل لا زالت غير معروفة، ومع ذلك فمن المحتمل زيادة الاهتمام بالبرامج الرسمية في التعليم والبحث والخدمات التي تتناول الوحدات الأسرية أو الزواجية ، وهذا بالإضافة إلى كل ما تعلق بنسق الأسرة والزواج ككل في المجتمع ، ومن المتوقع قيام عديد من التنظيمات أو تدعيم ما هو قائم منها بهدف ترسيخ الحياة الأسرية مع ما قد يعني ذلك من إبقاء على القيم التقليدية الذي قد ينظر اليه على أنه يمثل أسلوباً محافظاً في تناول مشكلة أسرة المستقبل هـذا وتتجه أغلب البرامج التي توضع في هذا الميدان إلى مستوى المدارس الثانوية أو ربما في بعض الأحيان إلى مستوى التعليم العالي ، وهنا ينصح القائمون على هذه البرامج بتأكيد أهمية الأسرة كنسق اجتماعي وإبراز أهمية التعرف على المسائل ذات الطابع الاجتماعي مثل الجريمة والسكان والتغير الاجتماعي ، حيث يمكن تأكيد دور الأسرة في مواجهة ما قد ينشأ في المجتمع من إضطرابات أو إنحرافات فكأن الأسرة تعالج من خلال هذه البرامج على أنها عنصر بنائي في المجتمع لا بد من الحرص على ارتباطه بالعناصر البنائية الأخرى حتى يستمر المجتمع في أداء دوره وتحقيق أهدافه التي تهم كل فرد مهما كان موقعه أو موقفه .

وجدير بالذكر أن البرامج التي تؤكد أهمية الأسرة ودورها تضطرب فيما يتعلق بالتربية الجنسية ، ذلك لأن هناك عدد كبير من المواطنين في كل مكان لا يزالون يعارضون هذه التربية الجنسية التي يمكن أن تؤدي في رأيهم إلى التجريب «الجنسي» أي الحصول على الخبرة الجنسية مع ما قد يسفر عن ذلك من انهيار السياج الأخلاقي عند الشباب . ويقول المؤيدون للتربية الجنسية في وجه هذه المعارضة أن برامجهم سوف تؤدي الى تناقص الأمراض التناسلية والحمل بدون زواج . إلا أن كلا الموقفين المؤيد والمعارض وقعا في خطأ

تصور نتائج معينة يمكن أن تؤدي اليها مثل هذا البرنامج ، أي أن التصورات التي بنيت عليها فلسفة الرفض أو القبول بالغت وأدت هذه المبالغة إلى أخطاء عديدة منها أن أغلب البرامج كانت معنية بالأمراض التناسلية والدورة الشهرية وفسيولوجية الحمل أكبر من عنايتها بالجوانب الاجتماعية والسلوكية والنفسية للجنس . ومن ناحية أخرى ، عندما عولجت هذه المسائل ذات الطابع الاجتماعي النفسي السلوكي ، عن طريق المدرسين اصطبغ الجنس بصبغة أخلاقية ودعائية وتقليدية ، واتخذت صيغاً حماسية وخطابية .

إن أهمية التربية الجنسية لا يجب أن تخضع لاتجاهات متطرفة حتى تحقق التوازن المطلوب وتؤدي الهدف منها فسيولوجياً وأخلاقياً كذلك ، لأن المعرفة بوظائف الأعضاء الجنسية ، وما قد يتعرض المرء بسببها من أمراض يجب أن تعالج على أسس علمية ، وبشكل لا يثير الحياء أو الغريزة أو يؤدي إلى إضفاء أهمية مبالغ فيها على هذه الأعضاء ، في الوقت الذي يجب أن يقترن ذلك بتأكيد على الأخلاقيات والقيم السليمة على أن يتم ذلك بصوره تتوافق مع أشكال الأسرة المختلفة ، ودرجة النمو الاجتماعي والثقافي في المجتمع ككل أو في أقسامه المتمايزة .

٦ ـ علاقات الآباء والأبناء

تمشياً مع التغيرات السابقة التي أشرنا اليها ، فإن مستقبل الأسرة سوف يتضمن تغيرات عديدة في علاقة الآباء بالأبناء وكذلك في مناهج تربية للطفل . ومن المحتمل مستقبلاً أن يزيد الاتجاه إلى تعريف الأبوة بمعنى أكثر اتصالاً بالناحية الاجتماعية منه بالناحية البيولوجية . كما أنه من المحتمل أن تحدث زيادة واضحة في عدد الأفراد الذين سوف يشتركون في عملية تربية الطفل . ومن المحتمل أيضاً أن يشهد المستقبل زيادة فيما يسمى «أشباه الآباء ـ quasi parents الذين سوف يسهمون في الوظيفة الأبوية الأساسية لتربية الطفل ، وهؤلاء قد يكونون : الإخوة أو الأخوات ، أو الأصدقاء ، أو المعلمين ، أو

الأجداد ، أو الجيران ، أو المربيات . . الخ .

ومن الممكن أن يضاف التلفزيون إلىهذه القائمة باعتباره «أبا شبيها» . وقد أجري استفتاء على مجموعة من الأطفال وتم سؤالهم عن : أيهما يحبون آباءهم أم التلفزيون ؟ وتبين من نتيجة الاستفتاء أن نسبة كبيرة جداً منهم تحب التلفزيون أكثر من الأب . كما أن معظم هؤلاء الأطفال يقضون وقتاً طويلاً لا يقل عن ساعتين يومياً ، في مشاهدة برامج التلفزيون مما يكون له تأثير واضح على قيمهم واتجاهاتهم المستقبلة وتصرفاتهم اليومية .

أما بالنسبة للمراهقين ، فمن المحتمل أن يستمر تأثير جماعة النظراء عليهم . كمصدر رئيسي لتشكيل القيم والاتجاهات . ففي الوقت الحالي ، أصبح الشباب يتخذون من جماعة النظراء نموذجاً يحتذونه في تصرفاتهم ولا يحتذون بآبائهم كما كان الشباب يفعلون في الماضي القريب . ولهذا فمن المحتمل أن تحدث في المستقبل زيادة في تأثير أفراد آخرين في عملية التنشئة الاجتماعية غير من يقومون بها ويؤثرون فيها في الوقت الحالي .

وهناك تغيرات أخرى من المحتمل أن تنعكس على علاقات الآباء والأبناء ، وهي الانتقال من العلاقة الرسمية بينهما التي تقوم على تمايز المكانة والوضع داخل نطاق الأسرة وكذلك الأدوار المحددة بوضوح ، الى علاقات من نوع جديد لا تتسم بالرسمية كما أنها شديدة التنوع وتتمشى مع الأوضاع الجديدة للأسرة الحديثة . وسوف يصاحب هذه الأوضاع الجديدة في الأسرة مشاركة كبيرة من الأطفال في اتخاذ القرارات وخاصة ما يخصهم منها مثل اختيار ملابسهم ومدارسهم وأنواع الطعام وأماكن النزهة وأنواع الرياضة التي يمارسونها والهوايات . . الخ . هذا بالإضافة الى بذل مجهودات واعية تساعد الأطفال على تنمية إمكانياتهم الاجتماعية والعاطفية ، وإقبال الآباء على استخدام الوسائل النفسية والرمزية في التربية ، وزيادة الاستعانة بالجهات المتخصصة ومكاتب الاستشارات في تربية الأطفال .

٧ ـ الأدوار الزواجية وتقسيم الأعمال

هناك احتمال كبير بأن تحدث تغيرات كبيرة في طبيعة علاقات الزوج والزوجة فبما أن جميع أنماط السلوك الاسرية والزواجية تشتمل على تقسيم للعمل، فإن هناك أعمالاً تختص بها الزوجة وأعمالاً يقوم بها الزوج، كما أن الأطفال أيضاً يكلفون بمسؤوليات معينة مثل ترتيب حجراتهم أو إعداد وجبة خفيفة ثم تبقى بعد ذلك بعض الأعمال يمكن أن يؤديها أي فرد من أفراد الأسرة سواء كان الزوج أو الزوجة أو الأطفال وذلك بالتبادل فيما بينهم. وقد سبق أن أشرنا في موضع سابق من هذا الكتاب أن الزوجة تقوم بإعداد الطعام بينما يقوم الزوج ببعض الاعمال اليدوية الفنية والثقيلة التى لا تستطيع الزوجة في كثير من الأحيان القيام بها .

وقد سبق أن أشرنا كذلك إلى أنه فيما عدا الحمل والولادة والرضاعة فإن الرجل يستطيع أن يقوم بجميع الأعمال التي تقوم بها المرأة وتستطيع المرأة أن تقوم بكل ما يستطيع أن يقوم به الرجل بما في ذلك الأعمال الثقيلة[1] ومن المحتمل أن يؤكد المستقبل على عدم الفصل في الأنشطة بين الزوجين بحيث يمكن أن يؤدى العمل عن طريق أحد الزوجين دون النظر إلى طبيعة هذا العمل . هناك مؤشر واضح يؤيد هذا الإتجاه مستقبلاً ، وهو أن الأزواج في الطبقات المتوسطة أصبحوا بالفعل يوافقون باقتناع ورضى على القيام بكثير من أعمال المنزل التي كانت تقليدياً من نصيب المرأة .

---

(١) تقوم المرأة حالياً في معظم البلاد المتقدمة صناعياً بجميع الأعمال التي يقوم بها الرجال حتى الأعمال الثقيلة مثل أعمال البناء والأعمال الصعبة مثل أعمال الشرطة . كما أن المرأة الريفية المصرية تقوم بجميع الأعمال التي يقوم بها الرجل وأصبحت المرأة المصرية في المناطق الحضرية تعمل طبيبة ومهندسة ومدرسة بل وصلت أيضاً الى منصب الوزارة علماً بأن هذا المنصب يتطلب درجة عالية من العلم والثقافة والمقدرة الادارية العالية والمقدرة على النظرة الشاملة المتكاملة للموضوعات .

ومن المحتمل أيضاً أن يشاهد المستقبل زيادة في تقسيم العمل الذي يقوم على مدى العلاقات الداخلية بين الزوجين أكثر من قيامه على المعايير الإجتماعية والثقافية التقليدية[1] .

ومن المحتمل أيضاً أن نشاهد في المستقبل زيادة في الكليات والمدارس العليا التي تركز على الإعداد للزواج والأسرة ، وقيام هيئات تتخصص في إنشاء دور للحضانة على أسس تربوية ونفسية سليمة ومكاتب الاستشارات الزواجية . وعيادات متخصصة للإرشاد في رعاية الأطفال ، ومراكز متخصصة في خدمة الأسرة وحل المشاكل العائلية .

هذا وتؤكد المؤشرات الحالية إلى أن علاقة الزوج والزجة سوف تستمر مستقبلاً لتبقى المصدر الأساسي للعواطف بالنسبة للكبار ، ويرجع ذلك إلى أن الزواج وأسرة المستقبل سوف يصبحان (تصوراً وتخيلاً) المكان الذي يبتعد فيه الفرد عن الرسميات ويحقق له بقدر الإمكان الألفة والمودة والصداقة الحميمة غير المفتعلة ، وإذا أصبح المجتمع أكثر بيروقراطية ورسمية وهذا أمر متوقع (الظروف الحالية خير مؤشر على ذلك) ، فإن الأسرة سوف تصبح المكان الوحيد الذي يعبر فيه الفرد بحرية عن أمانيه ومخاوفه ، ولهذا فإن الوظيفة العاطفية التي تؤدى اليوم بشكل ما ، يمكن أن تكرن أهم الوظائف التي تؤديها أسرة المستقبل .

٨ ـ مكانة النساء

يبدو أن معظم المجتمعات تسير في الوقت الحالي نحو المساواة بين مكانة الذكر والأنثى . فالمساواة في التعليم أباحت للنساء فرصاً كبيرة للالتحاق بالأعمال والمهن المختلفة ، كما أن انهيار التفرقة المتعلقة بالجنس في تقسيم

---

(1) Robert Blood and D. wolfe, "Husbands and Wives" Glencoe The Free Press, 1960.

أدوار العمل وإتاحة ا
علامات واضحة وأكيد
والنساء . ويبدو أنه م
المحتمل أن تصاحب
أيضاً . فالنساء تقليد
التعليم والتمريض وأ
مهن أخرى مثل البح

ويرى ناي ye
مجال الرياضيات وا
فإنه من المحتمل أن

ا ـ ستصبح
يتولى الزوج نتيجة
تتناقض مع دوره ا

ب ـ يحتمل
وقت ، وما يقتضيه
إلى أن استقلالها
غير محلها .

جـ ـ يتوقع
في الخدم .

د ـ يحتم
الأطفال .

هـ ـ يمك

الوقت الحالي على تلقي العلم بدرجة قد تفوق إقبال الشباب عليه[1] .

وإذا افترضنا أن المرأة أحرزت تقدماً Progress في الوقت الراهن من حيث الحصول على المساواة بالرجال في حالات عديدة كالعمل والتنظيم والدخل . فإن هذه المساواة تعتبر غير حقيقية في واقع الأمر ، لأنه على الرغم من كل شيء فما زالت المرأة أقل من الرجل ، حيث تواجه في كثير من المجتمعات بتيارات قوية تثير المشاكل أمامها وخاصة ما اتصل منها بطبيعة مركزها ، وتقف معوقاً أمام تقدمها ، وتتخذ هذه المشاكل أشكالاً مختلفة بإختلاف هذه المجتمعات ، ففي بعض المجتمعات يلاحظ أن التعصب ضد المرأة ينعكس على النظم القانونية والسياسية والمهنية ، وفي مجتمعات أخرى لا يكون التعصب ظاهراً بصورة واضحة . إلا أنه يعبر عن نفسه في بعض المواقف ، مثل عدم المساواة في الحصول على التدريبات وعدم المساواة في الترقية في الوظائف ، والحصول على أجر أقل نظير القيام بنفس العمل ، إلى جانب اشتراك أقل في النشاط السياسي وجدير بالذكر أنه في البلاد الشيوعية التي من مبادئها الأساسية ، تأكيد مركز المرأة وإنهاء كل مظاهر التعصب ضدها فإن هناك تناقضاً وخاصة عند توزيع المسؤوليات السياسية .

ماذا عن المستقبل إذاً ؟ إذا ربطنا المهنة والدخل بالتحصيل في العلم ، فإنه يبدو أن المرأة ستظل في وضع أدنى من الرجل لأجيال أخرى قادمة . وربما تتشابه عملية حصول المرأة على المساواة الإجتماعية مع ما يحدث لجماعات الأقليات في بعض المجتمعات التي تسود فيها التفرقة العنصرية . ذلك أنه على الرغم من أن النساء حصلن حالياً على درجة من المساواة في الحقوق المدنية وعلى بعض الحقوق المدنية وعلى بعض الحقوق السياسية إلا أن هذه المساواة لا تسير حثيثاً في الطريق المأمول وهو المساواة الكاملة .

---

(1) F. Ivan Nye, "Values, Family and Changing Society" Journal of Marriage and the Family, 29 (May, 1967) p. 247.

تنبؤات محتملة عن مستقبل الأسرة المصرية

يعقد كثير من الكتاب والدارسين أن التغير الإجتماعي يؤثر بوضوح في كثير من أنظمة المجتمع بدرجات متفاوتة ونظراً لأهمية الأسرة في بقاء المجتمع نفسه فإنها من بين النظم التي لا تستجيب بسرعة إلى التغيرات التي تتضح في جوانب عديدة من مقومات الحياة الإجتماعية الأخرى ، وليس معنى هذا أن التغير في البناء الوظيفي للأسرة يكون بطيئاً أو غير محتمل إلا في فترات طويلة جداً ، لكن الذي نريد الإشارة اليه هنا أن تغير النظام الأسري يتوقف على تغيرات أخرى تحدث في النظام الاقتصادي والنظام التعليمي والإنساق القيمية . وقد يوحي مثل هذا القول بأن الأسرة عندما تتغير فإنها تتغير معتمدة على تغيرات أخرى وقد يكون هذا صحيحاً من ناحية معينة ، وخاصة في مجتمعات نامية مثل مجتمعنا . إلا أن سرعة التغير وعمق التأثيرات التي يحدثها يمكن أن تؤدي إلى أن الأسرة بدورها تصبح عاملاً من عوامل تغير هذه المتغيرات التي أشرت اليها . وعلى كل حال ، فإن أغلب دراسات التغير تشير إلى عدد من النتائج الكامنة التي يمكن أن يؤدي اليها هذا التغير على الأسرة .

وعلى ذلك، إذا استعرضنا التغيرات التي حدثت في المجتمع المصري ، وإنعكاسها على احتمالات التغير وكذلك استعرضنا التدبيرات الوقائية لإحتمالات المستقبل وتطبيقها على الأسرة في محاولة للتنبؤ بالتغيرات التي يمكن أن تطرأ عليها في المستقبل ، فإننا نستطيع أن نتبين أولاً ، أن الأسرة المصرية ليست نمطاً وحيداً كما سبق أن أشرنا أكثر من مرة ، حيث توجد الأسرة الريفية والأسرة الحضرية ، ومع ذلك تختلف أنماط الأسرة الريفية وفقاً لقربها أو بعدها عن المناطق الحضرية ، كما تختلف أنماط الأسرة الحضرية وتنقسم إلى فئات عديدة تبعاً لعوامل عديدة مثل المهنة ومستوى الدخل ودرجة الثقافة ومكان السكن وعديد من العوامل الأخرى ، إلا أنه على الرغم من ذلك فإن الاسرة المصرية في نهاية الأمر تتميز ككل بطابع خاص يميزها عن باقي

المجتمعات الأخرى . ويمكن بوجه عام أن نستخدم الاوضاع الحالية سواء كانت اجتماعية او اقتصادية أو سياسية كمؤشرات للتنبؤ بمستقبل الاسرة ، ولكن هذا التنبؤ يجب أن ينحصر في المدى القصير لأن المستقبل البعيد قد تنشأ فيه متغيرات لا يمكن معرفتها الآن . وبالتالي لا يمكن وضعها في الحسبان . وعموماً فهناك جوانب معينة في حياة الاسرة المصرية يمكن التنبؤ بتغيرها في المستقبل نشير إليها فيما يلي :

١ ـ من الممكن أن تحدث تغيرات بنائية في العلاقات بين أعضاء الاسرة بالمقارنة بوضعها الحالي وخاصة ، من منظور المساواة والحرية والمشاركة في السلطة والمسؤولية ، وكقاعدة فإنه كلما إزداد المستوى الثقافي والاقتصادي ، زاد تسامح الرجل وأصبح أكثر اقتراباً وتفهماً للعلاقات الإنسانية التي تربط الوحدة الاسرية الصغيرة ، كما أنه نتيجة لذلك فهناك احتمال كبير بأن ترتفع مكانة المرأة في المجتمع المصري وأن تتحرر إلى حد ما من التبعية المطلقة للرجل . إلا أن ما حصلت عليه المرأة من الحقوق المتساوية مع الرجل ومنها حق العمل سيظل نظرياً إلى أن يتاح للزوجات المصريات أن يتغيرن أولاً عن طريق التعليم والثقافة والالتحاق بالعمل (لأن نسبة النساء العاملات في المجتمع المصري ما زالت صغيرة جداً إذا قورنت بعدد النساء في المجتمع أو القوة العاملة فيه) وحينئذ يمكن أن تحصل على مكانة مساوية لزوجها ، أما قبل أن تفعل ذلك فستظل المرأة تحمل الرواسب التي كانت لمكانتها في الاسرة الممتدة التقليدية ، وإذن ، فإن التغير الذي يصيب سلطة الرجل أو يلحق بمكانة المرأة سوف يقتصر بصورة واضحة على الأسر التي سوف تزداد فيها نسبة الخصائص الحضرية[1] .

٢ ـ هناك احتمال واضح باتجاه الاسرة المصرية في المستقبل نحو

---

(١) سناء الخولي ، الاسرة في عالم متغير ، مرجع سابق ص ٢٠١ ـ ٢١٢ .

التقليل من عدد الاطفال فيها ، بناء على تغير القيم المتعلقة بالإنجاب إلى حد كبير وسوف يساعد على (وخاصة في المناطق الحضرية) رغبة الاسر في الاحتفاظ بمستوى معيشي مرتفع ، وزيادة الاكتشافات في مجال ضبط النسل والتثبت والاقتناع بهذه الوسائل . وخير برهان على ذلك أن كثيراً من الاسر التي لديها عدد كبير من الاطفال بالفعل في الوقت الحالي تؤمن بضرورة تنظيم الاسرة وفي هذا دليل على أن أيديولوجية التغير في هذا المجال قد أصبحت محل تسليم واقتناع مما يشير إلى إمكان تحقيقها في المستقبل القريب .

٣ ـ ان التغيرات البنائية في الوحدة الاسرية سيؤدي بالضرورة إلى تغير في أدوار أعضاء الأسرة ، وسوف ينعكس ذلك بوجه خاص على الزوج والزوجة ، خصوصاً إذا كان المناخ الثقافي والإجتماعي ملائماً . وقد تبين أن الاتجاه العام للتغير البنائي ونتائجه في الاسرة المصرية يميل إلى اتخاذ هذا المسار إلا انه لا زال واضحاً أن فقدان الرجل لسلطاته التقليدية ، أو إرتفاع مكانة المرأة إلى مرتبة المشاركة الفعلية في تخطيط مستقبل الاسرة وفي اتخاذ القرارات ليس أمراً شائعاً حتى الآن لأن مثل هذا التغير البنائي لا يمكن أن يحدث إلا إذا ساندته التغيرات الإجتماعية والثقافية ونتائجها على المجتمع الكبير وهذا لم يصل بعد في المجتمع المصري إلى درجة يمكن أن تساند أو تعجل بإبراز أو إظهار نتائج التغيرات البنائية في الأسرة ، ومن هذا يمكن لنا أن نتنبأ بمثل هذه التغيرات في أوضاع وأدوار الزوج والزوجة وإذا حدثت تغيرات سابقة في النواحي الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية مما يفرض أو يحتم هذه التغيرات .

٤ ـ على الرغم من وجهات النظر التشاؤمية التى ترى الأسرة في سبيلها إلى التفكك والانهيار فإن الأسرة المصرية ما زالت تتميز بالتكامل والتماسك إلى حد كبير . وهذا لا يعني عدم تعرض الأسرة لأزمات أو متاعب ، وإنما يعني أن الأسرة حتى الآن تستوعب المعوقات وتتجاوزها وتتكيف في بعض الأحيان معها لتستمر عجلة الحياة ، ولا يوجد مؤشر يدلنا على إمكان تفككها أو انهيارها في المستقبل .

مباشرة وغير مباشرة على الاسرة سواء في بنائها أو في وظائفها . وهذا نظراً لأن الاسرة المصرية ترحب بكل ما هو مادي طرحته التكنولوجيا ولا يعوق هذا الترحيب عملياً إلا المعوقات الاقتصادية التي تتمثل في إنخفاض مستوى الدخل الملحوظ لمعظم الإسر المصرية في الوقت الحالي ، ويشير ذلك إلى أن هذه الوسائل إذا ما أتيحت للأسرة في المستقبل فإن آثارها سوف تكون واضحة عليها ويمكن أن تتعرض لنفس التغيرات التي تعرضت لها الاسرة في المجتمعات المتقدمة نتيجة لاستخدامها لهذه الادوات

خاتمة

أنني لست متشائمة بشأن مستقبل الاسرة وأختلف مع بعض من يرون غير ذلك ، والذين يدعمون ما يذهبون إليه من خلال الاحصاءات والبيانات التي تكشف عن زيادة مطردة في معدلات الطلاق وبعض مظاهر الانحلال الجنسي . إن الأسرة تتعرض للتغير وهذه حقيقة إلا أن كثيراً من التغيرات التي قد تحمل بعض مظاهر الانحلال سوف تقابل بمقاومة عنيفة ومعارضة بالغة وخاصة في المجتمعات النامية ، وهذا على الرغم من أن بعض التغيرات سوف تضيف إلى المتشائمين أدلة جديدة على النمو المضطرد في المظاهر الانحلالية التي يزعمون أنها ستؤدي إلى سقوط الأسرة في النهاية ، إلا أنه من الملائم ، بل ومن الواقعي أن نتناول هذه التغيرات على أنها تغير ، وأن ندرس وأن نفهم النتائج التي يمكن أن تترتب على الأنماط الاسرية الجديدة لتعاون الافراد على مواجهة الواقع الاجتماعي في أي زمن وفي أي مكان .

ستبقى الاسرة لتقوم بوظائف أساسية ومتنوعة ، ولسوف تجد الغالبية العظمى من الناس في التفاعل الزواجي والاسري الاساس الحيوي والهام للاستقرار العاطفي والنفسي ، كذلك ستبقى الاسرة هي المصدر الاول للتنشئة الإجتماعية ، وستظل كذلك مصدر الامن والمودة وإعطاء الحياة معنى قد يتغير الشركاء من خلال الزواج وقد تتغير توقعات الرجال والنساء ، وقد تتغير القواعد

والممارسات الجنسية ، الأمر الذي يمكن أن يفضي إلى تغيرات واسعة النطاق في الصيغ الاسرية . إلا أن هذه التغيرات لا يجب أن نقرنها بالانحلال واللاأخلاقية . إن المجتمع الذي قد يتعرض للاضطراب أو يقترب من الانحلال ويكون للأسرة إسهام في ذلك فلن يكون الامر راجعاً للتغير في حد ذاته بل إنه سيرجع في المحل الاول الى عدم القدرة على التغير . ان المستقبل قد يكون صدمة للبعض الا انه بالنسبة للكثيرين أخصب فترات التاريخ ، ولهذا فخير ما نفعله ألا نقف جانباً ونهلل لكل بيان أو إحصاء يشير الى تفاقم أزمة الحياة الاسرية ، ونستنتج منه استنتاجات تشاؤمية قد ترجع الى رأي ذاتي أو خبرة فاشلة ، وأن نحاول بالدراسة والفهم المدعمين بالخيال الايجابي أن نواجه التغير في توافقات أكثر واقعية ، وفي الاطار الذي يستطيع الذكاء الانساني فيه أن يبرز مقدرته الخلاقة على تحقيق التوازن والرفاهية .

المراجع والدوريات الأجنبية

1. Bardwick, judith M., "Psychology of Women" Harper and Row. Publishers, New-York, 1971.
2. Bardwick, J., Douvan, E in V. Gornick and B. Movan (eds), "Woman in Sexist Society", New-York, New American Library, 1972.
3. Bell, Norman and Vogel, Erza, "A Modern Introduction to the Family", the Free Press, New-York, 1968.
4. Bell, Robert. "Marriage and Family Interaction" the Dorsay Press, Homewood, Illinois, 1975.
5. Benson, Leonard. "Fatherhood: A sociological Perspective" Random house, New-York, 1968.
6. Bernard, Jessie, "The Adjustment of Married Mates", in Hand book of Marriage and the Family. Harold Christensen (ed), Chicago: Rand Mcnally Company, 1964.
7. Bernard, Jessie, "The Fourth Revolution", in Ruth E Albrecht and E. Wilbur Book (eds.), Encounter: Love, Marriage and Family, Halbrook Press, Inc., Boston, 1972.
8. Bernard Jessie, "Remarriage", The Dryden Press, New-York, 1956.
9. Bernard, Jessie, "The Future of Marriage" The World Publishing, Company, New-York, 1972.
10. Blood, Robert and Wolfe, Donald, "Husband and Wives: The Dynamics of Married Living", Glencoe, Illinois, the Free Press, 1960.
11. Bott, Elizabeth "Conjugual Roles and Social Networks" in Norman Bell and Erza vogel (eds.). A Modern Introduction to the Family, the Free Press of Glencoe, 1960.

12. Blumer, Herbert, "Symbolic Interactionism: Perspective and Method", Englewood Clifs, New Jersey, Prentice-Hall, Inc. 1969.
13. Bowman, Henry A., "Marriage for Moderns, McGrow – Hill, Inc. 1964.
14. Brenton, Myron "New Ways to Manliness" in Nancy Reeves: Woman kind: Beyond the Stereotype, Aldine Chicago, 1971.
15. Burgess, Ernest and Cottrell L.S., "Predicting Success of failure in Marriage, Prentice – Hall, New-York, 1939.
16. Burgess Ernest and Harvey, Locke and Mary Margaret Thomas, "The Family: From Traditional to Companionship", Van Nostrand Reinhold Company, New-York, 1971.
17. Burgess, Ernest, "The Family as a Unit of Interacting Personalities, Family, 7 (1926).
18. Burgess, Ernest, "The Family in a Changing Society" in Halt and Others (eds.). Cities and Society. The Free press of Glencoe, Inc, New-York, 1961.
19. Burgess, Ernest and Locke H.J., "The Family" American Book Co. 1953.
20. Burgess Ernest and Wallin, p. "Engagement and Marriage" philadelphia: Lippincott Co. 1953.
21. Bronfenbrenner, U. "Socialization and Social Class. Through Time and Space" in E.E. Macooly and Others (eds.), Reading in Social Psychology, Holt Rinehart and winston, 1958.
22. Centers, Richard and Other, 'A Conjugal power Structure: A Re-examination "American Sociological Review. (April. 1971).
23. Chester, phyllis and Goodman, Emily Jane, "Woman, Money and power."
24. Cooley, Charles Horton "Social Organization" Charles Scribner's Sons, New-York, 1929.
25. Decter, Midge, "The New Chastity and Others Arguments against Woman's Liberation, Coward McCann and Geogheghan, Inc., New-York 1972.
26. Dewhurst, Christopher and Gordon, Ronald R.: "The Intersexual Disorders, Bailliere, Tindall and Cassel, London 1969.
27. Darwin Charles, "Origin of Species" N.Y., Appleton 1859.
28. Elder, Glen and Bowerman, C.E. "Family Structure and Child – Rearing Patterns: The Effect of Family Size and Sex Composition", American Sociological Review, 28 (December 1963).

29. Edward, John, "The Future of the Family Revisited" Journal of Marriage and the Family, 29 (August, 1967).
30. Engels, Frederick, "The Origin of the Family, Private Property and State", C.H. Curr and Company, Chicago, 1902.
31. Elkin, Frederik and Handel Gerald, "The Child and Society: The Process of Socialization", Random House, New-York, 1972.
32. Eshleman, Ross and Chester L. Hun: "Social Class Factors in the College Adjustment of Married Students" Kalamazoo, Western Michigan University, 1965.
33. Farson, Richard E., et al. "The Future of the Family" Family Service Association of America, New-York, 1969.
34. Froshlich, Newton, "Making the Best of it", Harper and Row, Publishers, New York, 1971.
35. Glasser, Paul H., and Glasser Lois N., (eds.), "Families in Crisis" Harper and Row, New York, 1970.
36. Goode, William, "After Divorce, The Free Press, New York, 1956.
37. Goode, William, "The Family" Prentice-Hall, Inc., Englewood cliff, New Jersey.
38. Goode, William, "The principles of Sociology" McGraw – Hill, Inc. 1977.
39. Goode, William, "The Theory and Measurement of Family change in Eleanor B. Sheldon and Wilbert Moore, Indicators of Social Change, Russel Sage Foundation, New-York, 1968.
40. Goode, William, "The Theoretical Importance of Love" American Sociological Review, 24 (February, 1959).
41. Goode, William, "World Revolution and Family Patterns" Glencoe, the Free Press, 1963.
42. Glick, Paul "The life Cycle of the Family" Marriage and Family Living, 1955.
43. Greenfield, Sidney, "Love and Marriage in Modern America: A Functional Analysis" Sociological Quarterly, 6 (Autumn, 1965).
44. Groves, E.R. and Ogburn, W.F., "American Marriage and Family Relationships, N.Y., Holt, 1928.
45. Gurin, Gerald, Veroff, Joseph and Feld, Sheila, "American View Their Mental Health," Basic Books, New-York, 1960.
46. Hall, Calvin S., "A primer of Freudian Psychology" The World Publishing Company, N.Y., 1954.

47. Hamilton, Gilbert V., "A Research in Marriage" Albert and Charles Boni, New-York, 1929.
48. Hampson, Joan, "The Case Management of Somatic Sexual Disorders in Children: Psychologic Consideration, in Charles W.L. Loyd (ed.) Human Reproduction and Sexual Behavior, Lea and Febiger, Philadelphia, 1964.
49. Hampson, John L., "Determinants of Psychosexual Orientation in Frank A. Beach (ed.), Sex and Behavior, John Wiley and Sons, Inc., New-York, 1965.
50. Harper, Fowler V., and Jerome H. Skolnick, "Problems of the Family", the Bobbs-Merrill Company Inc. 1962.
51. Hartley, Ruth E., "Children's Concepts of Male and Female Role, "Merrill Plamer Quarterly, 6 (1960).
52. Hicks, Mary W., and platt Marilyn, "Marital Happiness and Stability: A Review of the Research in the Sixties" Journal of Marriage and the Family, 32 (November, 1970).
53 Hill, Reuben, "The American Family of the Future" Journal of Marriage and the Family, 26 (February, 1964).
54. Hill, Reuben, et al., Family Development in Three Generations" Cambridge, Mass: Schenkman publishing Co., Inc, 1970.
55. Hobart, Charles, "Commitment Value Conflict and the Future of American Family" Marriage and Family Living, 25 (November, 1963).
56. Howe, Florence, "Sexual Stereotype Start Early" Saturday Review (October, 1971).
57. Jones. Howard W., Jr., and William Wallace Scott, Herma-phroditsm, Genital Anomalies and Related Endocrine Disorders", 2nd ed., the Williams and Wilkins Company; Baltimore, 1971.
58. Kats A.M. and Hill, R., "Residential Propinquity and Marital Selection: A Review of Theory, Method and Fact, Marriage and Family Living, Vol, 20.
59. Kerckoff, "Patterns of Homogamy and the Fields of Eligibles" Social Forces Vol. 42, 1963.
60. Key, William H., "Rural-Urban Differences and the Family" Sociological Quarterly. 2 (January, 1961).
61. Kinsey et al, "Sexual Behavior in the Human Male" W.B. Saunders Company, Philadelphia, 1948.
62. Kirkpatrick E.L. et al. "The Life Cycle of the Farm Family in Relation to its Standard of Living, University of Wisconsin, 1934.

63. Kohn, M.L., "Social Class and Parent Child Relationships: An Interpretation", American Journal of Sociology, Vol. 68.
64. Kohn, M.L., "Social Class and Parental Values", American Journal of Sociology, Vol., 64, 1959.
65. Karry, L., and Joan M. Constantine, "The Group Marriage" in Michael Gordon (ed.). The Nuclear Family in Crisis: The search for an Alternative, Harper and Row. N.Y., 1972.
66. Levine Sol and Norman A. Scotch, "Social Stress" Aldine publishing Company, Chicago. 1970.
67. Lindesmith, Alfred R. and Strauss, A.L., "Social Psychology, Holt Rinehart and Winston, New-York, 1968.
68. Litwak, E. "Occupational Mobility and Extended Family Cohesion" American Sociological Review. Vol. 1960.
69. Litwak, E. and Szelenyi, "Primary Group Structure and their Fanctions: Kin Neighbors and Friend" American Sociological Review, Vol., 34, 1969.
70. Lopata, Helena Znanieck. "Occupation: Housewife" Oxford University Press, New-York, 1971.
71. Lowry, Nelson and Others. "Community Structure and Change, New-York.
72. Masters, William and Johnson, Virginia E. "Human Sexual Inadequacy". Little, Berown and Company, Boston, 1970.
73. Mead, Margaret "Future Family" Trans-Action, 8 (September, 1971).
74. Miller, D.R., and Swanson, G.E., The Changing American Parent: A Study in the Detroit Area, 1958.
75. Morgan, Lewis. "Ancient Society" Henry Holt and Company New-York; 1877.
76. Mosley, Philip E., "The Russian Family: Old and New"; in Ruth Anshen (ed.), The Family: Its Functions and Destiny", Harper Brothers, New-York, 1959.
77. Murdock, George P., "Social Structure" The MacMillan Co. New-York, 1949.
78. Murdock. George P. "World Ethnographe Sample", American Anthropologist, 59 (August, 1957).
79. Nye, (van F., and Hoffman, Lois, W. (eds.) "The Employed Mother in America" Rand McNally and Company. Chicago, 1963.
80. Ogburn, William, "Technology and the Changing Family" Houghton Miflin, Boston, 1955.

81. Ogburn, William "The Family: Its Functions", Recent Social Trends in the United States, McGrow-Hill Co., New-York, 1933.
82. Parsons, Talcott, "The Kinship System of the Contemporary United States" American Anthropologists, 1943.
83. Parsons, Talcott, "The Social Structure of the Family" in Ruth N. Anshen (ed.), the Family: Its Functions and Destiny. Harper and Brothers, New-York, 1959.
84. Parsons, Talcott and Bales, R.E., "Family, Socialization and Interaction Process" The Free Press of Glencoe, 1955.
85. Peters, Johon Fred, "Mate Selection Along the shirishana" Practical Anthropology, 18 (January-February, 1971.
86. Pineo, Peter C., "Disenchantment in the Later Years of Marriage", Marriage and Family Living, February 1961.
87. Polk, Barbara Bovae and Robert B. Stein, "Is the Grass Greener on the Other Side", in Constantina Safilios-Roths Child (ed.), Toward a Sociology of Women, Xerox College Publishing Walthan Mass, 1972.
88. Ramsey Glenn V. Bert Kruger Smith and Bernice Melburn Moore, "Women View their Working World" the Hogg Foundation for Mental Health, University of Texas, Austin, 1963.
89. Reiss, Iral. "Toward a Sociology of the Heterosexual Love Relationship" Marriage and Family Living, 22 (May, 1960).
90. Renne, Karen S. "Correlates of Dissatisfaction in Marriage" Journal of Marriage and the Family, February, 1970.
91. Richard, Klemer "Marriage and Family Relationships" Harper and Bow, Publishers, Incorporated, N.Y., 1970.
92. Rodman, Hyman, "Martial Power in France, Greece, Yugoslavia and the United States A Cross-National Discussion" Journal of Marriage and the Family, 29 (May, 1917).
93. Rollins, Boyd and Feldman Harold, "Marital Satisfaction Over the Family Life Cycle", Journal of Marriage and the Family, 32 (February, 1970).
94. Rossi, Alice, "Equality Between the Sexes" Daedulus, Spring, 1964.
95. Rowntree, B.S. "Poverty: A Study of Town Life" Macmillan Co. London, 1906.
96. Safilios, Constantina, "The Study of Family Power Structure: A Review" Journal of Marriage and the Family, 32 (November, 1970).

97. Sewall, William H. "Infant Training and the Personality of the Child", The American Journal of Sociology, 58 (September, 1952).
98. Sherman, Julia A. "On the Psychology of Women" Charles C.Thomas, Publisher, Springfield, 1971.
99. Skipper, James K. and Nass, Gilbert, "Dating Behavior: A Frame work for Analysis and an Illustration" Journal of Marriage and Family, 28 (November, 1966).
100. Spencer, Herbert, "The Principles of Sociology" Appleton and Company, New York. 1898.
101. Skolnick, Arlene S. and Skolnick Jerome H. "Family in Transition", Little Brown and Co., Boston, 1971.
102. Sorokin, Pittrim, "Social and Cultural Dynamics" 4 Vol. American Book Company, 1937.
103. Sorokin, Pittrim and Zimmerman and Gaplin "A Systematic Source Book in Rual Sociology", University of Minnesota Press, 1931.
104. Stephens, William N., "The Family in Cross – Cultural Perspective", Holt Rinehart and Winston, Inc., N-Y., 1963.
105. Stinnett, Nick, Collins, Janet and Montogomery, James, "Marital Need Satisfaction of Older Husbands and Wives", Journal of Marriage and Family, August, 1978.
106. Sussman, M.B. and Burchinal L. "Kin Family Network: Unheralded Structure in Current Conceptualization of Family Functioning" in John Edwards (ed.), the Family and Change. Alfred A., Knoph Publisher, New York, 1969.
107. Terman, Lewis "Papers on Eugenice, No. 4. 1947.
108. Terman, L. "Psychological Factors in Marrital Happiness", Mc-Grow-Hill Book Co., New-York, 1938.
109. Waller, Willard, "The Family: A Dynamic Interpretation" Dryden, 1938.
110. Walters James and Stinnet Nick; "Parent-Child Relationships: A Decade Review of Research", Journal of Marriage and the Family, February 1971.
111. Winch, R.F., "The Modern Family" Holt, Rinehart and Winston, Inc. New-York, 1971.
112. Winch, R.F. "Mate Selection" Harper and Row. 1958.
113. Westermarck, Edward, "A Short History of Marriage" Humanities Press, New-York, 1968 (First Published in 1926)

114 Weitzmann Lenore and Others. "Sex Roles Socialization in Picture Books of Preschool Children." American Journal of Sociology, 77 (May, 1972).

115 Winokur, George (ed.) "Determinants of Human Sexual Behavior", Charlas C. Thomas, Publisher Springfield 1963.

116. Yinger. Milton, "The Changing Family in a Changing Society", Social Case – Work, 40 (October, 1959).

117. Zimmerman, Carle C. "Family and Civilization" Harper and Bros, 1947.

118. Zimmerman, Carle C., "The Family of Tomorrow: The Cultural Crisis and the Way Out", Harper and Bros, New-York, 1949.